

وفيات الأعيان

٢

وَفِيَا رِجَالِ الْإِيمَانِ

وَأَنْبَاءِ أَوْلِيَاءِ السَّمَانِ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مِنْ خَلِيفَتَيْنِ
(٦٠٨ - ٥٦٨ هـ)

حَقَّقَهُ

الدكتور أحمد بن عباس

المجلد الثاني

دار صادر
بيروت

11/11/11

11/11/11

11/11/11

11/11/11

مقدمة

اعتمدنا في تحقيق هذا الجزء على المخطوطات الآتية :

١ - النسخ التي أشار إليها وستنفيذ في مطبوعته ، وقد تقدم الحديث عنها في مقدمة الجزء الأول .

٢ - مخطوطة المتحف البريطاني (رقم : ١٥٠٥ ، التكلفة : ٦٠٧) وقد تقدم وصفها أيضاً في مقدمة الجزء الأول .

٣ - مسودة المؤلف (المتحف البريطاني رقم : Add. ٢٥٧٣٥) ، وتقع في ٢٩٣ ورقة ، وقد كتب على الورقة الثانية فيها بخط غير خط الأصل : مسودة المرحوم ابن خلكان عليه رحمة الملك المنان بخطه . وعلى هذه الورقة ما يفيد ان النسخة كانت ملكاً لمسمود بن إبراهيم سنة ١٠٧٤ ، وعلى الورقة التي تليها : « كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، عني يجمعه لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده الفقير إلى رحمة الله تعالى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان » . وعلى هذه الورقة نفسها ان النسخة كانت من كتب أبي بكر ابن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني ، كما تملكها محمد بن سالم بن معز الله بن سالم ابن واصل ، وعليها تعليق بخط هذا الأخير في تبيان مزايا الكتاب وتفضيله على سائر الكتب المؤلفة في التراجم لما اشتمل عليه من المذاكرات الأدبية والفوائد الفقهية والنكت الغريبة اللطيفة . وهي نسخة جيدة دقيقة الضبط ، وعلى هوامشها عنوان لكل ترجمة ، كما امتلأت تلك الهوامش بالتجشيات التي أضافها المؤلف بعد أن كتب الصورة الأولى من كتابه . وقد احى بعض هذه الحواشي في الخُمس الأول من ورقات هذه النسخة ، كما ان هناك تحويلات أو إشارات إلى تحويلات لم تثبت فيها ، ويبدو أن المؤلف قد أثبتتها في كراسات منفصلة . كذلك فإن المؤلف قد ضرب على أشياء كان قد أثبتتها ثم بدا له فيها فأسقطها أو أثبت ما رآه أصلح منها .

وقد جاء على الورقة الأخيرة من هذه النسخة : نجز الجزء الأول ويتلوه في أول الجزء الثاني حرف الفاء إن شاء الله تعالى ، الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم ؛ وكان الفراغ منه يوم الجمعة بعد الصلاة رابع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستائة بالقاهرة المحروسة . فهذه النسخة إذن تمثل النصف الأول من الكتاب (قبل أن يكمل المؤلف حرف الياء بتراجم طويلة) وتنتهي عند آخر ترجمة غيلان بن عقبة المشهور بندي الرمة ، ولكن الإضافات في حواشها تدل على أن المؤلف تعهدا بالزيادة والتبديل بعد تاريخ نسخها ، فهناك حاشية تشير إلى أنه قد أضاف ما أضافه سنة ٦٧٥ ، وذلك بعد عودة المؤلف من الشام إلى القاهرة بسنوات . وإذا صح هذا التقدير فإن هذه النسخة تمثل - مع ما يضاف إليها من التحويلات - الشكل الذي ارتضاه المؤلف لكتابه .

٤ - نسخة أحمد الثالث (رقم : ٢٩١٩) ورمزها س : وتتكون هذه النسخة من ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول في ٢٦٧ ورقة (١٨ سطراً \times ١٢ كلمة) ، وينتهي بترجمة أبي الحسن الأشعري ، وفي آخره : بلغ مقابلة وتصحيحاً بالنسخة الكبرى والله الحمد .

الجزء الثاني في ٢٥٩ ورقة ، وينتهي بترجمة المعتمد بن عباد .

الجزء الرابع في ٢٠٧ ورقات ، ويبدأ بترجمة يحيى بن زياد المعروف بالفراء وينتهي بحاشية المؤلف ؛ وقد كتب في آخره أيضاً : بلغ مقابلة وتصحيحاً بالنسخة الكبرى فصح صحتها والحمد له .

فهذه النسخة تنقص الجزء الثالث الذي يبدأ بترجمة المعتمد بن صمادح وينتهي بترجمة يحيى بن يعمر . وهي نسخة حسنة الضبط في الجملة وتاريخ نسخها في شهر محرم الحرام سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وقد قوبلت على نسخة حازت تقدير أحد الأئمة وهو الشيخ العلامة مفتي المسلمين أبو محمد عبد الرحيم جمال الدين بن الحسن بن علي الأسنوي ، فقد كتب على تلك النسخة ما نصه : « اعلم أن نسخ هذا الكتاب سقيمة غالباً وهذه النسخة من أصحابها متناً وضبطاً ومقابلة على خط مؤلفها » .

والحقيقة أن المقابلة بين هذه النسخة ومسودة المؤلف تبرز حقيقة هامة وهي ان النسخة التي أثنى عليها الأسنوي قوبلت على نسخة بخط المؤلف قبل أن يضع عليها

الزيادات والحواشي اللاحقة . ولهذا فإن نسخة س تكاد تكون صورة أمينة لما قيده المؤلف في المرحلة الأولى من تأليفه لهذا الكتاب .

٥ - نسخة آيا صوفيا (رقم : ٣٥٣٢) ورمزها ص : تقع في ٢٤٤ ورقة (٢٥ سطراً × ١٥ كلمة) وهي مكتوبة بخط نسخ دقيق واضح ، وتنتهي بترجمة عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلي صاحب «الروض الأنف» ، وقد جاء في آخرها : «نجز الجزء الأول من وفيات الأعيان بحمد الله ومنه وإعانتة وحسن توفيقه يوم الخميس سادس عشرين رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة» ، علقه لنفسه الفقير إلى الله تعالى عز وجل محمد بن الحسين بن محمود البالسي عفا الله عنه وسامحه بمنته ولطفه وكرمه ، يتلوه في الجزء الثاني ترجمة أبي جعفر المنصور ... إلخ . فهي نسخة قديمة نسبياً من حيث تاريخها ، وتتفق كثيراً مع مسودة المؤلف ، ولكنها احتوت ترجمات زائدة لم يشر إليها المؤلف في مسودته ، كما حفلت بزيادات كثيرة في كثير من التراجم المشتركة . وما يلفت النظر أن أكثر الترجمات المزیدة فيها يخرج على الحطة التي صرح بها المؤلف في مقدمته حين قال : « ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم ولا من التابعين رضي الله عنهم إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم ، وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم » . فمن أمثلة التراجم المزیدة ترجمات أبي بكر الصديق وعائشة وعبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وأبي جعفر المنصور .

٦ - نسخة الظاهرية (رقم : ٥٤١٨) ورمزها ر : وهي نسخة كاملة من وفيات الأعيان تقع في ٤٨٨ ورقة (٣٧ سطراً × ١٦ كلمة) وقد جاء في آخرها : «وقد وقع إتمام كتابة هذا الكتاب بحمد الله وعونه في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين ومائة وألف على يد الحقيير السيد إبراهيم بن الحكيم غفر الله له بمنته وكرمه أمين» . فهي تمثل نسخة حديثة قليلة الاحتفال بالضبط والدقة ، ولكنها اعتمدناها لأن فيها زيادات يتفق بعضها مع زيادات ص ومسودة المؤلف . وتنفرد ر بزيادات تتفق فيها أحياناً مع النسخة التي رمزنا لها بالحرف د من نسخ وستنفيلد .

وبعد حصولنا على هذه المخطوطات الجديدة ، أصبح من الضروري أن نعدّل في خطتنا التي جرينا عليها في الجزء الأول ؛ فقد أصبحت مسودة المؤلف تمثل أصلاً معتمداً للنص الأصلي الذي أثبتناه في المتن ، وقد كانت هذه النسخة ذات عون كبير

لنا في ترجيح القراءة المعتمدة لدى اختلاف النسخ . ثم إننا بدلاً من أن نضيف زيادات النسخ في آخر الجزء كما فعلنا في الجزء الأول ، أثبتنا الزيادات المستمدة من النسخ : ص ، ر ، د ، في المتن نفسه ، وميزنا هذه الزيادات بوضعها بين معقفين مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي . وفي هذا الجزء أيضاً أثبتنا العناوين التي وضعها المؤلف نفسه في مسودته بعد أن كنا نلتزم بعناوين مطبوعة وستنفيذ . وسيجد من يتتبع تراجم هذا الجزء والأجزاء التي تليه ترجمات إضافية لم ترد في أصل المؤلف أو في معظم مطبوعات الكتاب ، وقد أشرنا في الحواشي إلى كل إضافة من هذا النوع . وقد كان حصولنا على المخطوطة ص سابقاً لحصولنا على سائر النسخ ، ولهذا استخرجنا ما فيها من زيادات وألحقناها في آخر الجزء الأول تالية للزيادات المستخرجة من نسخة د . وهناك وجدنا أن هذه النسخة - أي ص - قد انفردت بترجمة لم ترد في غيرها من النسخ وهي ترجمة : إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك التي لم نستطع أن نعطيها رقماً منفرداً .

أما الترجمات العارضة التي تصدى لها ابن خلكان في أثناء كتابه ، فقد جرينا في هذا الجزء أيضاً على تمييزها بالرقم العربي ، وجعلنا الترقيم فيه تالياً للترقيم في الجزء الأول . وسوف يكون اعتمادنا في تحقيق الأجزاء التالية على عدد آخر من المخطوطات سنشير إليها في المواضع الملائمة لذلك .

ويطيب لي في ختام هذه الكلمة أن أتقدم بأوفر الشكر وأتمه إلى جميع الاصدقاء الذين قدموا لي العون المسعف على إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر منهم : الصديق الدكتور عزت حسن أمين المكتبة الظاهرية بدمشق الذي تفضل فأمدني بميكروفيلم من نسخة الظاهرية ؛ والصديق محمد بن تاووت الطنجي الاستاذ بالمعهد الإسلامي الاعلى في اسكدار لما قدمه لي من مساعدة كبيرة أثناء مراجعتي للمخطوطات في مكتبات استانبول ؛ والاخ الدكتور وليد عرفات الذي ذلل كل صعوبة عملية في سبيل الحصول على صورة من مسودة المؤلف ؛ كما أشكر القائمين على القسم الشرقي في المتحف البريطاني على ما لقيته لديهم من معونة صادقة . والله أسأل أن يعينني على إنجاز سائر هذا العمل بحوله وقوته .

إحسان عباس

بيروت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٩

حرف الجاء

أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن
مُر بن سعد بن كاهل^١ بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث^٢ بن طيء - واسمه
جلهمة - بن أدَدَ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان الشاعر المشهور؛ [وذكر^٣ أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى
الأمدي في كتاب «الموازنة بين الطائيين» ما صورته : والذي عند أكثر الناس
في نسب أبي تمام : أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم ، قرية من قرى دمشق ،
يقال له : تدوس ، العطار ، فجعلوه أوساً ، وقد لُفِّقَتْ له نسبة إلى طيء ،
وليس فيمن ذكر فيها من الآباء من اسمه مسعود ، وهذا باطل ممن عمله ، ولو كان
نسبه صحيحاً لما جاز أن يلحق طيئاً بعشرة آباء^٥ .

١٤٧ - ترجمة أبي تمام في طبقات ابن المعتز : ٢٨٧ والأغاني ١٦ : ٣٠٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨
وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٨ ، وفيه كتب الصولي كتابه « أخبار أبي تمام » (ط . القاهرة :
١٩٣٧) وكتب الأمدي كتاب « الموازنة » بينه وبين البحري .

١ ص س : كامل .

٢ أ ج : غوث ؛ س : الحرث .

٣ ما بين معقفين لم يرد إلا في م ر ، مع إيجاز في م .

٤ أ : ندوس ؛ م : فدرس .

٥ لم أجد هذا في « الموازنة » ، ولكنني وجدت عند ذكر البيت « إن كان مسعود ... » قول
الأمدي (١ : ٥٣٤) : « إن كان مسعود » يعني مسعوداً أخاً ذي الرمة ، ولا يعرف له
بيت واحد بكى فيه على الديار ، وهذا من معاني أبي تمام الغامضة التي يسأل عنها ، وما زلت
أرى الناس قديماً يخبطون فيه ، وإنما ذكر مسعوداً لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار ،
وذلك كقول القائل : إن كان حاتم قد شح فلست منه ، أي أنه إن كان يعد كرمه وجوده
قد رأى أن البخل حسن فلست مقتدياً به .

قلت : وذكر الآمدي هذا في قول أبي تمام :

إن كان مسمود سقى أطلالهم سبَل الشؤنِ فلست من مسمود

وقد سقط في النسب بين قيس ودفاقة^١ ستة آباء .

وقول أبي تمام : « فلست من مسمود » لا يدلّ على أن مسموداً من آباءه بل هذا كما يقال : « ما أنا من فلان ولا فلان مني » يريدون به البعد منه والأنفة ، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ولد الزنا ليس منا » و « عليّ مني وأنا منه » .

وقد ساق الخطيب أبو بكر في « تاريخ بغداد » نسبه ، وفيه تغيير يسير . وقال الصولي^٢ : قال قوم : إن أبا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني ، فغير ، فصار أوساً^٣ .

كان أوحداً^٤ عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه ، وله كتاب « الحماسة »^٥ التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه « فحول الشعراء » جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب « الاختيارات من شعر الشعراء » ، وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره ، قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة^٦ ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، ومدح الخلفاء وأخذ

١ : ودفاقة .

٢ : قال الصولي في أخبار أبي تمام : « وهو حبيب بن أرس الطائي صليبة » .

٣ : ر : واحد .

٤ : د : وفصاحة .

٥ : تصدى له شراح كثيرون ؛ ومن شروحه المشهورة شرح التبريزي وشرح المرزوقي ؛ وحاكاه في الاختيار عدد كبير في المغرب والمشرق سموا كتبهم باسم الحماسة ؛ ولأبي تمام « الحماسة الصغرى » وهو كتاب الوحشيات ، نشر بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه الأستاذ محمود محمد شاكر (دار المعارف : ١٩٦٣) .

٦ : كذا في المودة .

جوائزهم ، وجاب البلاد ، وقصد البصرة وبها عبد الصمد بن المزدل^١ الشاعر ، فلما سمع بوصوله - وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه - فخاف من قدومه أن يميل الناس إليه ويُعرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد^٢ :

أنتَ بينَ اثنتين تبرزُ لنا سرَّ وكنها بوجهٍ مذلٍ
لستَ تنفكَّ راجياً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالبٍ لِنِوالٍ
أيّ ماءٍ يبقى لوجهك هذا^٣ بينَ ذلِّ الهوى وذلِّ السؤال

فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ورجع ، وقال : قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه . وقد ذكرت نظير هذه الأبيات في ترجمة المتنبّي في حرف الهمزة .

[٤] ولما قال^٥ ابن المزدل هذه الأبيات في أبي تمام ، كتبها ودفعها إلى ورّاق كان هو وأبو تمام يجلسان إليه ولا يعرف أحدهما الآخر ، وأمر أن تُدفع إلى أبي تمام ، فلما وافى أبو تمام وقرأها قلبها وكتب :

أفنيّ تنظم قولَ الزور والفنّدِ وأنتَ أنقصُ من لا شيءٍ في العدَدِ
أشَرَجْتَ^٦ قلبك من غيظٍ على حنقٍ كأنها حرّكات الروح في الجسدِ
أقدّمتَ وملك من هجوي على خطري كالعير يُقدِّم من خوف على الأسدِ

وحضر عبد الصمد ، فلما قرأ البيت الأول قال : ما أحسن علمه بالجدل ، أوجب زيادة ونقصاً على معدوم ، ولما نظر إلى البيت الثاني قال : الإشراج

١ أ ج د هـ : المعدل .

٢ انظر الصولي : ٢٤١ - ٢٤٢ والشريشي ٢ : ١٨٩ والأغاني ١٣ : ٢٥٤ .

٣ ب ج : لحر وجهك يبقى .

٤ ما بين معقّفين انفردت به م ر .

٥ هذا الخبر مخالف للذي قبله بعض المخالفة ومن حق المؤلف أن يصدّره بمثل قوله « ويقال ان... »

الخ « وانظر الأغاني ١٣ : ٢٥٥ وديوانه ٤ : ٣٥١ .

٦ أشرج الشيء : شده بالشرح وهي العرى .

من عمل الفراشين ولا مدخل له هنا ، فلما قرأ البيت الثالث عضَّ على شفته وقال : قتل .

وقال الصولي^١ : قد ذكر ذلك أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم في كتاب « المصايد والمطارد » عند قوله فيه : وأغفل الجاحظ في باب ذكر انقياد بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكرَ الحمار الذي يرمي بنفسه على الأسد إذا شمَّ ريحه] .

ولما أنشد أبو تمام أبا دُلْفَ العجلي قصيدته البائية المشهورة التي أولها^٢ :

على مثلها منْ أربُعٍ ومَلَاعِبٍ أَذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له : والله إنها لدون شعرك ، ثم قال له : والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيتَ به محمد بن حميد الطوسي ، فقال أبو تمام : وأيَّ ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التي أولها :

كذا فليَجَلَّ الخُطْبُ وليَفْدَحِ الأمرُ^٣ فليسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُدْرُ

وددت والله أنها لك فيّ ، فقال : بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله ، فقال : إنه لم يمتْ من رُئي بهذا الشعر .

وقال العلماء : خرج من قبيلة طيء ثلاثة ، كل واحد مجيد في بابه : حاتم الطائي في جوده ، وداود بن نصير الطائي في زهده ، وأبو تمام حبيب بن أوس في شعره .

وأخباره كثيرة^٤ ورأيت الناس مطبقين على أنه مدح الخليفة بقصيدته

١ يبدو أن المؤلف هنا ينقل عن شرح الصولي لشعر أبي تمام ، فهذا التعليق لم يرد في كتابه « أخبار أبي تمام » ؛ وانظر : المصايد والمطارد : ٦ ؛ ففيه النص والخبر عن التهاجي بين أبي تمام وعبد الصمد بن المعتز وتعليق عبد الصمد على أبيات أبي تمام ؛ ولم يرد في م ر قوله « وقال الصولي » .

٢ ديوانه ١ : ٢٠٥ ، والخبر في الصولي : ١٢١ - ١٢٥ .

٣ ر : الدهر .

٤ وأخباره كثيرة : سقطت من ص .

السينية^١ ، فلما انتهى فيها إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سمحةٍ حاتم في حلمٍ أحنَفَ في ذكاءٍ إياس
قال له الوزير : أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟ فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مثلاً شَرُوداً في النَّدَى والبَاسِ
فَاللهُ قد ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مثلاً مِنَ الْمِشْكَاةِ والنَّبِرَاسِ

فقال الوزير للخليفة : أي شيء طلبه فأعطاه ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر ، فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟ قال : أريد الموصل ، فأعطاه إياها ، فتوجه إليها ، وبقي هذه المدة ومات ؛ وهذه القصة لاصحة لها أصلاً .

وقد ذكر أبو بكر الصولي في كتاب « أخبار أبي تمام »^٢ أنه لما أنشد هذه القصيدة لأحمد بن المعتصم وانتهى إلى قوله « إقدام عمرو - البيت المذكور » قال له [أبو يوسف يعقوب بن الصباح]^٣ الكندي الفيلسوف ، وكان حاضراً : الأمير فوق مَنْ وصفت ، فأطرق قليلاً ثم زاد البيتين الآخرين ، ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين ، فمجبوا من سرعته وفطنته . ولما خرج قال أبو يوسف ، وكان فيلسوف العرب : هذا الفتى يموت قريباً . ثم قال بعد ذلك : وقد روي هذا على خلاف ما ذكرته ، وليس بشيء ، والصحيح هو هذا .

وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته للموصل ، فلم أجِد سوى أن الحسن

١ مطلع هذه القصيدة (ديوانه ٢ : ٢٤٢) :

ما في وقوفك ساعة من باس نقضي تمام الأربع الادراس

٢ أخبار أبي تمام : ٢٣١ - ٢٣٢ .

٣ لم يرد في السودة .

ابن وهب ولاء بريد الموصل ، فأقام بها أقلّ من سنتين ثم مات بها . والذي يدل على أن القضية ليست صحيحة أن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء ، بل مدح بها أحمد بن المعتصم ، وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يل واحد منها الخلافة ، والحيص بيصّ ذكر في رقاعه السبع اللاتي كتبها إلى الإمام المسترشد يطلب منه بإيعقوبا أنّ الموصل كانت إجازة لشاعر طائي ، فإما أنه بنى الأمر على ما قاله الناس من غير تحقيق ، أو قصد أن يجعل هذا ذريعةً لحصول بإيعقوبا له ، والله أعلم [وتابعه في الغلط ابن دحية في كتاب « النبراس »]^١ .

[وذكر الصولي^٢ أن أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله :

دِيمَةُ سَمْحَةِ الْقِيَادِ مَكُوبٌ مُسْتَفِيتٌ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ
لَوْ سَعَتْ بُقْعَةُ لِإِعْظَامٍ أُخْرَى لَسُمِيَ نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

قال له ابن الزيات : يا أبا تمام ، إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب ، وما يُدْخِرُ لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازة . وكان بحضرتة فيلسوف ، فقال له : إن هذا الفتي يموت شاباً ، فقيل له : ومن أين حكمت عليه بذلك ؟ فقال : رأيتُ فيه من الحِدَّةِ والذكاء والفطنة مع لطافة الحسّ وجودة الخاطر ما علمتُ به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيفُ المهندِ غمْدَهُ ، وكذا كان ، لأنه مات وقد نَيَّفَ على ثلاثين سنة .

قلت : وهذا يخالف ما سيأتي في تاريخ مولده ووفاته بعد هذا إن شاء الله تعالى]^٣ .

١ ما بين معقفين سقط من ص والمودة .

٢ لم يرد هذا الخبر في كتاب أخبار أبي تمام ؛ وفي الديوان (١ : ٢٩٦) ان القصيدة في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة .

٣ هذا النص لم يرد في ص والمودة .

ولم يزل شعره^١ غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي، ورتبه على الحروف، ثم جمعه عليّ بن حمزة الأصباهاني، ولم يرتبه على الحروف، بل على الأنواع. وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وسبعين^٢ ومائة بحاسم، وهي قرية من بلد الجيدور^٣ من أعمال دمشق بين دمشق وطبرية، ونشأ بمصر، قيل إنه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر، وقيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده [بدمشق وكان أبوه خماراً بها، وكان أبو تمام أسمى طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتعاً يسيرة] ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار منه ما صار.

وتوفي بالموصل - على ما تقدم - في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل إنه توفي في ذي القعدة، وقيل في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين، وقيل تسع وعشرين ومائتين، وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، رحمه الله تعالى.

[قال^٤ البحري: وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبّة، قلت: ورأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان، على حافة الخندق، والعمامة تقول: هذا قبر تمام الشاعر.]

وحكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلني النحوي المترجم^٥، قال: سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الشاعر - الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إن شاء الله تعالى - عن معنى قوله:

سقى الله دوحَ الغوطتين ولا ارتوت^٦ من الموصل الحدباء إلا قبورها

لم حرمها وخص قبورها؟ فقال: لأجل أبي تمام.

- ١ هذا عن الفهرست: ١٦٥.
- ٢ كذا في المسودة وص، وفي سائر النسخ: وتسعين.
- ٣ أ: الجولان؛ د: حلوان.
- ٤ ما بين معقنين سقط من ص س والمسودة.
- ٥ ولد سنة ٥٨٣ وكان ماهراً بجل المترجم والألفاظ ولذلك لقب المترجم، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٦ (انظر الفوات: ٢: ١٢١ وبغية الوعاة: ٣٤٣ والنجوم الزاهرة: ٧: ٢٢٦).

وهذا البيت من قصيدة لابن عنين المذكور يمدح بها السلطان الملك المعظم
شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب - وسيأتي ذكره في حرف العين
إن شاء الله تعالى - أولها ١ :

أشاقك من عليا دمشق قصورها وولدان أرض النيرين وحورها
وهي من أحسن قصائده [.

ورثاه الحسن بن وهب بقوله ٢ :

فُجِعَ القريضُ بنخاتم الشعراء وغدير روضها حبيب الطائي
ماتا معاً فتجاورا في حفرة وكذاك كانا قبل في الأحياء

وقيل : إن هذين البيتين لديك الجن رثي بها أبا تمام ، والله أعلم .
[ورثاه الحسن أيضاً بقوله من قصيدة :

سقى بالموصل القبرَ الغريباً سحائبٌ يفتحين له نحيباً
إذا أظلله أظلال فيه شبيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمن البروق به خدوداً وشققن الرعود به جيوبا
فإن تراب ذاك القبر يحوي حبيباً كان يدعى لي حبيباً ٣

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم بقوله وهو يومئذ وزير ، وقيل
إنها لأبي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أمية :

نبأ أتى من أعظم الأنبياء لما ألمّ مُقلِّلُ الأحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم ناشدكم لا تجعلوه الطائي

١ انظر ديوان ابن عنين : ١٥ .

٢ وردت هذه المراتي في أخبار الصولي : ٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

٣ ما بين ممقين سقط من ص والمسودة .

[١] ولأبي تمام المذكور :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لظل يلثم منه موطئ القدم
وللبحتري أيضاً في هذا المعنى :

ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسمى إليك المنبر

ولما سار المأمون إلى بلاد الشام يريد غزو الروم مدحه أبو تمام بقصيدتين فلم
يجد من يوصلها إليه وذلك قبل قدوم أبي تمام العراق ، ثم صار إلى العراق في
خلافة المعتصم ، فمن ذلك قوله في المأمون قصيدة قال فيها :

ثم انبرت أيام هجرٍ أردفت نحوي أسى فكأنها أعوامُ
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلامُ

فأخذها حتى بلغ فيها :

اتضعضت عبرات عينك أن دعت ورقاء حين تضعض الإظلام
لا تشجين لها فإن بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرام
هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فأنهن حمام

حكى عن يموت بن المزرع قال^٢ : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر ولم يرض
شعره أمر غلمانه أن يمضوا به إلى المسجد فلا يفارقوه أو يصلي مائة ركعة ،
فكان هذا دأبه ؛ قال : فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون فأثاه أبو عبد الله
الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجميل فاستأذنه في النشيد فقال له :
عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، فأنشده :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً كما بالمدح تنتجع الولاية

١ انفردت نسختا رد بهذا النص الطويل الذي أثبتناه بين معقنين ولم تشترك معها نسخة ص
إلا في جزء يسير منه وقعت أجزاءه مختلفة في ترتيبها عما هي عليه في النسختين المذكورتين .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٦ - ٣٠٧ .

فقلنا أكرم الثقلين طرّاً ومن كفيه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن جوايزه عليهنّ الصلاة
فقلت لهم وما يغني عيالي صلاتي إنما الشأن الزكاة
فيأمرني بكسر الصاد منه فتصبح لي الصلاة هي الصلّات

فضحك ابن المدبر وقال : من أين أخذت هذا ومن أين وقع لك ؟ فقال :
أخذته من قول أبي تمام :

هُنَّ الحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً

قال : فأعجبه صدقهُ ووصله .

ومن قصيدته الأخرى التي مدح بها المأمون التي أولها :

كشف الغطاء فأوقدي أو أحمدي

ويقول فيها :

أوليّ أمةٍ أحدٍ ما أحد بمضيعٍ ما أوليت أمةً أحدٍ
أما الهدى فقد اقتدحت بزنده للعالمين فويل من لا يهتدي

حدث الصولي عن محمد بن يحيى قال : حدثني يحيى بن علي قال : كان محمد
ابن القاسم بن مهرويه يقدم دعبلاً على أبي تمام ، فقلت له : بأيّ شيء قدمته ؟
فلم يأت بمقنع ، فجعلت أنشده محاسنها فإذا محاسن أبي تمام أكثر وأطرز وإذا
عيوب دعبل أعظم وأفحش ، فأقام على رأيه وتعصبه لدعبل فقلت :

يا أبا جعفرٍ أتحكم في الشء ر وما فيك آلة الحكّامِ
إنّ نقد الدينار إلا على الصي رف صعب فكيف نقد الكلام
قد رأيناك ليس تفرق في الأشء مار بين الأرواح والأجسامِ
إنما يعرف العتيق من الهو دث قينٌ في وقت عرض الحسامِ
لا تقس دعبلاً إذن بحبيبٍ ليس خُفّ البعير مثل السنامِ

قال عبد الله بن المعتز : جاءني محمد بن يزيد النحوي فجري ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه ، فقال له رجل " من الكتاب كان في المجلس ، ما رأيت أحداً أحفظ لشعر أبي تمام منه : يا أبا العباس ، ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه :

لعمري لقد أقوت مغانيكمُ بعدي وحت كما حت وشائع من بردٍ
وأنجدتمُ من بعد إتهام داركم فيا دمع أنجديني على ساكني نجدٍ
ثم مرّ فيها حتى بلغ إلى قوله في الاعتذار :

أتاني مع الركبان ظن ظننته لفتتُ له رأسي حياءً من الجدي
كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي ومتى ما لمته لمته وحدي

حدث الصولي قال : كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه ، فقال له رجل : يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يُعرف ؟ فقال : وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال ؟ فأفحمه . وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان ، وكان هذا من علماء الناس ، وكان متصلاً بالطاهرية .

قال علي بن محمد بن عبد الكريم : لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها :

أرامة كنت مألَف كل ريم

فاتصل خبرها بعتبة بن عَصِيم الذي يهجوهُ أبو تمام ، وهو كلبى من قضاة ، وكان أديباً شاعراً ، فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام فقال لمن حضر : ابتوني به ، فجاءوا به فأنشده إياها ، فلما فرغ قال : أحسنت يا غلام على صغر سنك ، فسكت أبو تمام وقال : يا عم أنشدني من شعرك ، فأنشده قصيدة ، فلما فرغ قال : يا عم ما أحسنت على كبر سنك ، فقال عتبة لبني عبد الكريم : أخرجوا هذا من بلدنا فليس يصلح أن يقيم في بلدنا .

قال الصولي : ومن باب الجود قول أبي تمام :

بيمن أبي إسحاق طالت يد الهدى وقامت قناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه دعاها لقبض لم تجبه أنامله
وللبحتري في هذا المعنى :

لا يتعب النائل المبدول همته وكيف يتعب عين الناظر النظر
وهذان البيتان لا غاية وراءهما .

قال ابن أبي دواد لأبي تمام : إن لك أبياتاً أنشدتها فلو قلتها زاهداً أو
معتبراً أو حاثاً على طاعة الله تعالى لكنت قد أحسنت وبالغت ، فأنشدنيها ،
قال : ما هي ؟ قال : التي قافيتها « فأدخلها » ، فأنشده :

ما لي أرى الحجرة الفيحاء مقفلةً عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلها

حدث الصولي قال : دخل أبو تمام على أحمد بن أبي دواد فقال له : ما
أحسن هذا فمن أين أخذته ؟ قال : من قول الحاذق في الفضل بن الربيع :
وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وحدث الصولي عن الحسن بن وهب قال : لما أدخل المازيار على المعتصم
وكان عليه شديد الغيظ قيل له : لا تعجل عليه فإن عنده أموالاً جمة ، فأنشد
بيت أبي تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكرمية في المسلوب لا السلب

ثم قتله ؛ وكذلك جمال الدين بن رشيقي أفقي ببيت المتنبي في النصراني الذي سب

١ أخبار أبي تمام : ١٤٦ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما ولي الملك الصالح مصر وهو :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فمعمل بمقتضاه .

وحدث علي بن يحيى بن علي بن مهدي قال : كان المنجمون حكوا لما خرج المعتصم إلى الروم بأنه لا يرجع من وجهه ، فلما فتح ما فتح وخرب عمورية في شهر رمضان سنة ٢٢٣ وانصرف سالماً ، قال أبو تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة بين الخنسين لا في السبعة الشهب

وقيل إنه كرر إنشاد هذه القصيدة ثلاثة أيام فقال له المعتصم : لم تجلو علينا عجوزك ؟ قال : حتى أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين ، فأمر له بمائة وسبعين ألف درهم عن كل بيت منها ألف .

قال الحسن بن وهب : دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك الزيت فأنشده قصيدته التي أولها :

هأن علينا أن نقول وتفعلا

فلما بلغ إلى قوله :

ووالله لا آتيك إلا فريضة وآتي جميع المالين تنفلاً

وليس امرءاً في الناس كنت سلاحه عشية يلقي الحادثات بأعزلاً

فقال : أما والله ما أحب بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك ولكن تنقص مدحك ببذلك له لغير مستحقه ، فقال : لسان العذر معقول وإن كان فصيحاً ، ومرّ في القصيدة فأمر له بخمسة آلاف درهم وكتب إليه بعد ذلك :

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما يغالي إذا ما ضن بالشيء بايعه

فأما الذي هانت بضائع بيعه فيوشك أن تبقى عليه بضايعة
فأجابه أبو تمام :

أبا جعفرٍ إن كنت أصبحت تاجراً أساهل في بيعي له من أبياعه
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به تساهل من عادت عليك منافعه

قال الصولي : لما كلم خالد بن يزيد ابن أبي دواد في أمر أبي تمام قال
أبو تمام يشكره :

لأشكرنك إن لم أوتَ من أجلي شكراً يوافيك عني آخر الأبدِ
وإن توردتُ من بحر البحور ندًى فلم أنل منه إلا غرفةً بيدي

قال محمد بن يزيد النحوي^١ : خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد وهو بأرمينية
فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وأمره أن لا يقيم إن كان
عازماً على الخروج ، فودعه ومضت عليه أيام فركب يزيد لیتصيد فرآه تحت
شجرة وقدامه زكرة فيها نبذ و غلام بيده طنبور فقال : حبيب ؟ قال :
خادمك وعبدك ، فقال له : ما فعل المال ؟ فقال :

علّمني جودك السماح فما أبقيتُ شيئاً لديّ من صلتك
ما مرّ شهرٌ حتى سمحت به كأنّ لي قدرةً كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتبيه في سنتك
فلست أدري من أين تنفق لو لا أنّ ربّي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها وانصرف .

ولأبي تمام وقد اعتل الياس صاحب عبد الله بن طاهر :

فإن يكن وصَبُّ قاسيتَ سورَكهُ فالوردُ حلفٌ لليث الغابةِ الأضمِ^٢

١ أخبار أبي تمام : ١٥٨ ومن هنا تلتقي النسخة ص بالنسختين رد .

٢ الورد : الحى ، الأضم : الفضبان .

إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجدٍ ولم يعبأَن بالرّثم
بنات نعشٍ ونعشٍ لا كُسوفَ لها والشمسُ والبدرُ منها الدهرُ في الرقم^١
فليهنك الأجر والنعمى التي سبغت حق جلّت صدأ الصمصامة الخدم
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويتبلى الله بعض القوم بالنعم
قال محمد بن هبيرة النحوي : حُجب أبو تمام عن إسحاق بن إبراهيم
المصمعي فقال :

يا أيها الملك المرجوُّ نائله وجوده لمراعي جوده كُتب
ليس الحجاب بقصٍ عنك آمله إن السماء ترجى حين تحتجب

وقيل لأبي تمام^٢ : قد هجأك غلّدت الموصلية فلو هجوتَه ، قال : الهجاء
يرفعُ منه إذ ليس هو شاعراً ؛ لو كان شاعراً لم يكن من الموصل ، يعني ان
الموصل لا يخرج منها شاعر ، وكان غلّدت قد هجاه بقوله :

يا نبيَّ الله في الشم ر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الاله ما لم تتكلم

وكان لأبي تمام حبة إذا تكلم . قرأت في كتاب « المستنير » أن أبا تمام
والخثعمي اجتمعا في مجلس أنسٍ ، فقام أبو تمام إلى الخلاء فقال له الخثعمي :
ندخلك ؟ قال : نعم وأخرجك ، فتعجب الحاضرون من هذا الابتداء البديع
والجواب العجيب .

وكان لأبي تمام صديق قليل البضاعة في الشرب يسكر من قدحين ، فكتب
إليه يوماً يدعوه : إن رأيت أن تنام عندنا فافعل .

ودخل على جعفر بن سليمان يعزيه بأخيه محمد بن سليمان وقد كان جزع عليه
جزعاً عظيماً ، فقال جعفر حين رآه : إن يكن عند أحد فرجٌ فعند حبيب ،

١ الرقم : الداهية .

٢ أخبار أبي تمام : ٢٣٤ .

فلما سلم قال : أيها الأمير التمس ثواب الله بحسن الجزاء والتسليم لأمر الله ،
واذكر مصيبتك في نفسك تُنسِك مصيبتك في غيرك والسلام] .
ومحاسن حبيب كثيرة .

وجاسم : بفتح الجيم وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ميم .
وأما النسب فهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه .

والجَيْدورُ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة
وسكون الواو وبعدها راء - وهو إقليم من عمل دمشق يجاور الجولان .
والطائي : منسوب إلى طيء القبيلة المشهورة ، وهذه النسبة على خلاف
القياس ، فإن قياسها طيئي لكن باب النسب يحتمل التغير ، كما قالوا في النسبة
إلى الدهر دُهري وإلى سهل سُهلي - بضم أولها - وكذلك غيرها .

١٤٨

حاتم الأصم

حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ ؛ كان أُوحد من عُرف بالزهد والتقليل
واشتهر بالورع والتقشف ، وله كلام يُدَوَّن في الزهد والحكم . واسند الحديث
عن شقيق البلخي وشداد بن حكيم البلخي أيضاً ، وروى عنه حمدان بن ذي
النون ومحمد بن فارس البلخيّان . وقدم حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن
حنبل واجتمع معه ؛ قيل لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن
حنبل اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، أنت رجل أعجمي

١٤٨ - اختلف في امم أبيه فقيل : هو حاتم بن عنوان أو حاتم بن يوسف أو حاتم بن عنوان بن
يوسف ؛ وكان من أصحاب شقيق البلخي ، زاهداً صاحب مواعظ وحكم ، ولد بخراسان ، وتوفي
سنة ٢٣٧ (انظر أخباره في حلية الأولياء ٨ : ٧٣ وطبقات السلمي : ٩١ وشذرات الذهب
٢ : ٨٧ وعبر الذهبي ١ : ٢٤٤ وصفة الصفوة ٤ : ١٣٤ وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤١) ؛
قلت : وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ر ، ووردت في ص بعد ترجمة حرمة بن يحيى .

وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأيّ معنى ؟ فقال حاتم : معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي ، قالوا : أيّ شيء هي ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن له إذا أخطأ ، وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه ، فبلغ ذلك أحد بن حنبل ، فقال : سبحان الله ما أعقله من رجل !

وقال أبو جعفر الهروي : كنت مع حاتم كروّة وقد أراد الحج ، فلما وصل إلى بغداد قال : يا أبا جعفر ، أحب أن ألقى أحمد بن حنبل ، فسألنا عن منزله ومضيئنا إليه فطرقت عليه الباب فلما خرج قلت : يا أبا عبد الله أخوك حاتم ؟ قال : فسلم عليه ورحب به وقال بعد بشاشته به : أخبرني يا حاتم فيم أتخلص من الناس ؟ قال : يا أبا عبد الله في ثلاث خصال ، قال : وما هي ؟ [قال :] أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً ؛ قال : وتتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً ؛ قال : وتحمل مكروهم ولا تُكروه واحداً منهم على شيء ؛ قال : فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال : يا حاتم ، إنها لشديدة ، فقال له حاتم : وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم .

وقال رجل لحاتم : على أي شيء بنيت أمرك ؟ قال : على أربع خصال : على أن لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي وعلى أن رزقي لا يأكله غيري ، وعلى أن أجلي لا أدري متى هو ، وعلى أن لا أغيب عن الله طرفة عين ، وقال : لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه .

وقال رجل لحاتم الأصم : بلغني أنك تجوز المفاوز من غير زاد ، فقال حاتم : بل أجوزها بالزاد وإنما زادي فيها أربعة أشياء ، قال : وما هي ؟ قال : أرى الدنيا كلها ملكاً لله ، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله ، والأسباب والأرزاق بيد الله ، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أرض لله ؛ فقال له الرجل : نعم الزاد زادك يا حاتم ؛ أنت تجوز به مفاوز الآخرة .

وقال حاتم : جعلت على نفسي إن قدمت مكة أن أطوف حتى أنقطع ، وأصلي حتى أنقطع ، وأتصدق بجميع ما معي ، فلما قدمت مكة صليت حتى انقطعت وطفيت كذلك فقيوت على هاتين الخصلتين ولم أقوَ على الأخرى ؛

قال : كنت أخرج من هاهنا ويحيى من هاهنا .

وقال حاتم : وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيتي ثلاثة ومعي أصحابي فقلت : يخبرني كل رجل منكم بهمته ؛ قال : فأخبروني فإذا ليس فيهم أحد لا يريد إلا أن يتوب من تلك الهمة ؛ قال : فقالوا لي : همتك أنت يا أبا عبد الرحمن ، قال : قلت : ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين ؛ قال : وإذا رجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فابتلت ثيابه بطين ، وقال : يا [أبا] عبد الرحمن ، خذ هذا الخبز .

قال حاتم : خرجت في سفر ومعي زاد فنفد زادي في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحداً .

قيل لحاتم : من [أين] تأكل ؟ فقال : ﴿ والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ (المنافقون : ٧) .

وقال : لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد ، فما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم .

وقال حاتم : لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي بوهق فأقلبني عن فرسي ونزل عن دابته وقعد على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خفه سكيناً ليذبجني بها ، فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه إنما كان قلبي عند سيدي فأنظر ماذا ينزل به القضاء ، فقلت : يا سيدي قضيت عليّ أن يذبجني هذا فعلى الرأس والعين أنا لك وملكك . فبينما أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري أخذ بلحيتي إذ رماه المسلمون بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عني فقامت أنا إليه وأخذت السكين من يده وذبحته ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

وقال أبو بكر الوراق : حاتم الأصم لقبان هذه الأمة ؛ قيل : جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة ، فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت فخرجت ، فقال لها حاتم : ارفعي صوتك ، وأرى من نفسه أنه أصم ، فسرّت المرأة بذلك وقالت : لم يسمع الصوت ، فقلب عليه اسم الصمم .

وجاء إليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن أي شيء رأس الزهد ووسط

الزهد وآخر الزهد ؟ فقال حاتم : رأس الزهد الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الخلاص ؛ رحمه الله تعالى .

١٤٩

الحجاج بن يوسف

أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتَّب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ - وهو ثقيف - [ذكره ابن الكلبي في « جهرة النسب » وقال : فولد منه بن النبيت قسيّاً ، وهو ثقيف فيما يقال والله أعلم ، فمن ينسب ثقيفاً إلى إياد فهذا هو نسبهم ، ومن نسبهم إلى قيس فيقول : قسي بن منه بن بكر بن هوازن ، ويقولون : كانت أم قسي أميمة بنت سعد بن هذيل عند منه بن النبيت ، فتزوجها منه بن بكر ، فجاءت بقسي معها من الإيادي والله أعلم^١] الثقي عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، فلما توفي عبد الملك وتولى الوليد أبغاه على ما بيده .

وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب »^٢ : إن أم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفي الطائفي حكيم العرب ، فدخل عليها مرة سحراً فوجدها تتخلل ، فبعث إليها بطلاقها ، فقالت : لم بعثت إلي بطلاقي ؟ هل لشيء رابك مني ؟ قال : نعم ،

١٤٩ - أخباره في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير واليعقوبي والامامة والسياسة والميوس والحدائق ومروج الذهب ؛ وفي المقد ٥ : ١٣ قطعة من أخباره .

١ ما بين معقنين انفردت به ر .

٢ انظر مروج الذهب ٣ : ١٣٢ .

دخلت عليك في السحر وأنت تتخللين، فإن كنت بادرت^١ الغداء فأنت شرهة، وإن كنت بت^٢ والطعام بين أسنانك فأنت قدرة، فقالت : كل ذلك لم يكن، لكنني تخللت من شظايا السواك^٣؛ فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي، فولدت له الحجاج مشوهاً لا دُبُر له، فنقب عن دبره، وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها، فأعيأهم أمره، فيقال : إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة المتقدم ذكره، فقال : ما خبركم؟ قالوا : بُنِيَ ولد ليوسف من الفارعة، وقد أبى أن يقبل ثدي أمه، فقال : اذبحوا جدياً أسود وأولغوه دمه، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك، فإذا كان اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود وأولغوه دمه، ثم اذبحوا له أسوداً سالخاً فأولغوه دمه، واطبوا به وجهه، فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع، قال : ففعلوا به ذلك؛ فكان لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في أول أمره، وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يُقدِّم عليها غيره.

وذكر ابن عبد ربه في «العقد»^٣ أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة ابن شعبة، وأنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل؛ وذكر أيضاً أن الحجاج وأباه كانا يُعلِّمان الصبيان بالطائف، ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره، وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله، فشكا ذلك إلى روح بن زنباع، فقال له : إن في شرطي رجلاً لو قلدته أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج ابن يوسف، قال : فإننا قد قلدناه ذلك، فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع، فوقف عليهم يوماً وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين؟ قالوا له : انزل يا ابن اللِّحْناء فكل معنا، قال لهم : هيهات،

١ س : باكرت .

٢ زاد في ص هنا قال . كنت فبتت ، فقالت : والله ما فرحنا إذ كنا ولا حزنا إذ بنا ؛ وهي من قصة أخرى . ولا حاجة لإبرادها بعد قوله في صدر القصة « فبعث إليها بطلاقها » .

٣ انظر العقد ٥ : ١٣ - ١٤ .

ذهب ما هنالك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت بالنار ، فدخل روح على عبد الملك باكيًا ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج الذي كان في شرطي ضرب غلامي وأحرق فساطيطي ، قال : عليّ به ، فلما دخل عليه قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : أنا ما فعلت ، قال : ومن فعل ؟ قال : أنت فعلت ، إنما يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمني له ، فأخلف لروح ما ذهب له ، وتقدم الحجاج في منزلته ، وكان ذلك أول ما عرف من كفايته .

وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يُسمع بمثها ، ويقال : إن زياد ابن أبيه أراد أن يتشبه بأمر المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف وتجاوز الحد ، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمرًا .

وخطب يوماً فقال في أثناء كلامه : أيها الناس ، إن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله ، فقام إليه رجل فقال : ويحك يا حجاج ، ما أصفق وجهك وأقل حيائك ! فأمر به فحبس ، فلما نزل عن المنبر دعا به فقال له : لقد اجترأت علي ، فقال له : أتجترء على الله فلا تنكره ، وتجتريء عليك فتنكره ؟ فخلى سبيله .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « تلقيح فهم أهل الأثر » أن الفارعة أم الحجاج هي المتمنية ، ولما تمت كانت تحت المغيرة بن شعبة ، وقصّ قصتها ، ونذكرها مختصرة ، وهي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه طاف ليلة في المدينة فسمع امرأة تنشد في خدرها :

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها أم من سبيلٍ إلى نصرٍ بن حجاج

فقال عمر رضي الله عنه : لا أرى معي في المدينة رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن ؛ عليّ بنصر بن حجاج ، فأتي به ، فإذا هو أحسن الناس وجهاً

١ وكان للحجاج ... ودمر : سقط من رس .

وأحسنهم شعراً ، فقال عمر رضي الله عنه : عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك ، فأخذ من شعره فخرج له وجنتان كأنها شققتا قمر ، فقال : اعتم ، فاعتم ففتن الناس بعينه ، فقال عمر رضي الله عنه : والله لا تساكنني ببلدة أنا فيها ، قال : يا أمير المؤمنين ، ما ذنبي ؟ قال : هو ما أقول لك ، وسيّره إلى البصرة ؛ هذه خلاصة القصة ، وبقيتها لا حاجة إلى ذكره .

ونصر المذکور ابن حجاج بن عِلَاط السلمي ، وأبوه صحابي رضي الله عنه ، وقيل : إن التمنية هي جدة الحجاج أم أبيه ، وهي كنانية .

وحكى أبو أحمد العسكري في كتاب « التصحيف »^١ أن الناس غيروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيّفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها ، فغير الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً ، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يتبعون النقط الإعجام ، فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توف حقوقها اعتري التصحيف ، فالتمسوا حيلة ، فلم يقدرُوا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين .

[حكى القاضي أبو الفرج المعافى في كتاب « الجليس والأنيس » قال : لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة إلى مكة شرّفها الله تعالى خطب الناس فقال : يا أهل البصرة ، إني أريد الخروج إلى مكة ، وقد استخلفت عليكم عمداً ابني وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار ، فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوزَ عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته فيكم أن لا يُقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مُسيئكم ؛ ألا وإنكم قائلون بعدي كلمة ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف : لا أحسن الله له الصحابة ، واني معجل لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة]^٢ .

١ التصحيف : ١٣ .

٢ هذه الفقرة من ص ر .

[قال أبو العباس المبرد^١ في إسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثي قال :
 بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج
 الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتانا آت فقال : هذا الحجاج
 ابن يوسف قد قدم أميراً على العراق ، فإذا به قد دخل المسجد متعمماً بعمامة
 غطى بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يومئذ المنبر ، فقام الناس نحوه حتى
 صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قُبِّحَ الله بني
 أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ، قال عمير بن ضابئة البرجمي : ألا
 أحصيه لكم ؟ فقالوا : أمهل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام
 عن فيه ونهض فقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال : والله يا أهل الكوفة والعراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان
 قطافها وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللقى ، وإن أمير
 المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً ،
 فرماكم بي لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعت في مراقد الضلال ، والله
 لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، فإنكم لكأهل ﴿ قرية ﴾
 كانت آمنة مطمئنة يأتيا رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله
 لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴿ (النحل : ١١٢) . والله إني ما أقول إلا
 وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت ، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم
 أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله
 لا أجدر رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ؛ يا غلام اقرأ
 عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد
 الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم ، فلم يقل
 أحد شيئاً ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس فقال : يسلم
 عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن نهيبة ، أما والله لاؤدبنكم

١ الكامل ١ : ٣٨٠ .

غير هذا الأدب أو لتستقيمين ، اقرأ عليهم يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق أحد في المسجد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل فوضع للناس أعطيائهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال : أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بدلاً مني ؟ فقال الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولي قال له قائل : اندري من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابئ البرجي الذي يقول أبوه في عثمان بن عفان :

هممت ولم أفعل وكدت ولتيني تركت على عثمان تبكي حلاله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلعه ؛ فقال : ردوه ، فلما ردّ قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان رحمه الله تعالى بديلاً يوم الدار ؛ إن في قتلك أيها الشيخ لصلاًحاً للمسلمين ، يا حرسني اضربن عنقه ؛ فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ عميراً وإما أن تزور المهلبا

وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحارث البرجي وجب عليه حبس عند عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدب ، وذلك أنه كان استعار كلباً من قوم فأعاروه إياه ثم طلبوه منه وكان فحاشاً فرمى أمهم به ، فقال في بعض كلامه :

فأمكم لا تتركوها وكلبكم فإن عقوق الوالدات كبير

فاضطفن على عثمان رضي الله عنه ما فعل ، فلما دعي ليؤدّب شد سكيناً في ساقه ليقتل بها عثمان رحمه الله فعثر عليه فأحسن أدبه ، ففي ذلك يقول : هممت ولم أفعل [١] .

١ انفردت النسخة د بالقطعة كلها الواقعة بين معقفين .

[ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء الأموال ، بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحد من الناس ، وقد حكم عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال بردها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه ، وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل ، فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم ، وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة ، فلا يؤنسك إلا الطاعة ولا يوحشك إلا المعصية ، وظن بأمر المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ ، وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحاً ولا أسيراً؛ وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها	طلبت رضي بالذي أنت طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً	إليّ فما قد ضيع الدرّ حالبه
وإن ترّ مني غفلةً قرشيةً	فيا ربما قد غصّ بالماء شاربـه
وإن ترّ مني وثبةً أموية	فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادثُ جمة	فإنك مُجْزى بالذي أنت كاسبه
ولا تعدّ ما يأتيك مني وإن تعد	يقوم بها يوم عليك نواده
ولا ترفعن للناس حقاً علمته	ولا تقضبن ، فالدين للناس جانبـه

فأجابه الحجاج : أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال ، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهلـه وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه ، فإن كان قتلي أولئك العصاة سرفاً وإعطائي أولئك المطيعين تبذيراً فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحدّ لي حدّاً أنتهي إليه إن شاء الله تعالى ، ولا قوة إلا بالله ، ووالله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها ، ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم ، ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك ، وأما ما أتاني من أمريك فأبينها عزة أعظمها محنة ،

١ قارن بما في تهذيب ابن عساكر ٤ : ٦٧ ؛ وهذه القطعة واردة في د ص ر مع بعض اختلاف بينها .

وقد عبأت للعرزة الجلاذ وللمحنة الصبر ؛ وكتب في أسفل كتابه ١ :

إذا أنا لم أبغِ رضاك وأتقي أذاك فيومي لا تزول كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة تقيه من الأمر الذي هو كاسبه
أسالم من سالت من ذي هوادة ومن لم تسالمه فإني محاربه
إذا قارف الحجاج منك خطيئة فقامت عليه في الصباح نواده
إذا أنا لم أدن الشفيق لصنعه وأقص الذي تسري إلي عقاربه
فقف لي على حد الرضى لا أجوزه مدى الدهر حتى يرجع الدرع حالبه
وإلا فدعني والأمور فإني شفيق رقيق أهلتة تجاربه

فلما قرأ عبد الملك كتابه قال : خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره .

[و ذكر حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسه : ايتني بمحدث من المسجد ، فأناه بسبرة بن الجعد ، فدخل وسلم بلسان ذلق وقلب شديد ، فقال له الحجاج : بمن الرجل ؟ قال : من بني شيبان ، قال : ما اسمك ؟ قال : سبرة بن الجعد ، قال : يا سبرة ، قرأت القرآن ؟ قال : قد جمعت في صدري ، فإن عملت به فقد حفظته وإن خالفته فقد ضيعته ، فاتخذ الحجاج سيرا ، فما كان يتطلب شيئا من الحديث إلا وجد عنده منه . وكان يرى رأي الخوارج ، وكان من أصحاب قطري بن الفجاءة المزني التميمي ، والفجاءة أمه ، وكانت من بني شيبان ، وإنما هو رجل من تميم . وكان قطري يومئذ يحارب المهلب ، فبلغ قطري ما كان من سبرة مع الحجاج ، فكتب إليه من جملة قصيدة :

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطري ؛ وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج إلا وكتاب فيه شعر قطري الذي كان كتب به

١ هذه الأبيات لم ترد إلا في النسخة ر .

إليه وفي أسفل الكتاب أبيات من جملتها :

فمن مبلغ الحجاج أن سميره قلى كل دين غير دين الخوارج

فطرح الكتاب إلى عنبرة بن سعيد وقال : هذا من سميري الشيباني وهو [خارجي] ولا نعلم به .

قال القاضي أبو الفرج المعافى : حدث العتيبي قال : كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة ، وكانت ذات نية في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر بها ، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشة ، فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له : هذا ممن جهزته فراشة ، فخر ساجداً ثم رفع رأسه فقال : يا عدو الله ، قال : أنت أولى بها يا حجاج ، قال : أين فراشة ؟ قال : مرت تطير منذ ثلاث ، قال : أين تطير ؟ قال : ما بين السماء والأرض ، قال : أعنّ تلك سألتك عليك لعنة الله ؟ قال : عن تلك أخبرتك عليك غضب [الله] ، قال : سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك ، قال : وما تصنع بها ؟ قال : أضرب عنقها ، قال : ويلك يا حجاج ما أجهلك ، أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، قال : فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين ، قال : ولم ، لا أم لك ؟ قال : إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض ، قال : وما هي ؟ قال : استعماله إياك على رقاب المسلمين ، فقال جلسائه : ما رأيكم فيه ؟ قالوا : نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد ، قال : ويحك يا حجاج ، جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك ، قال : وأي أخويّ تريد ؟ قال : فرعون حين شاور في موسى فقالوا : ارجئه وأخاه ، وأشار هؤلاء عليك بقتلي ، قال : فهل جمعت القرآن ؟ قال : ما كان مفرقاً فأجمعه ، قال : أقرأته ظاهراً ؟ قال : معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه ، قال : فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك ؟ قال : ألقاه بعملتي وتلقاه بدمي ، قال : إذن أعجلك إلى النار ، قال : لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيت عذابك ولم أبغِ خلافتك ومناقضتك ، قال : إني قاتلك ، قال : إذن

أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك ، قال : نقممك عن الكلام السيئ ؛
يا حَرَسِيّ اضرب عنقه ، واوماً إلى السياف ألا تقتله ، فجعل يأتيه من بين
يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف ، فلما طال ذلك رشح جبينه ، قال : جزعت
من الموت يا عدو الله ؟ قال : لا يا فاسق ولكن أبطأت علي بما فيه راحة ؛
قال : يا حرسى ، أوجب جرحه ، فلما أحس بالسيف قال : لا إله إلا الله ، والله
لقد أتمها ورأسه في الأرض .

وقال القاضي ١ : لما حمل الأسرى إلى الحجاج وهو حينئذ بواسط القصب
قبل أن يبني مدينة واسط قال لحاجبه : قدم إلي سيدهم فيروز بن الحصين ، فقال
له الحجاج : أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء ؟ قال : فتنة عمت الناس ، فقال :
اكتب لي أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أولاً ، قال : ثم أنا آمن على دمي ؟
قال : اكتبها ثم أنظر ، قال : اكتب يا غلام ، ألف ألفي ألف ، حتى ذكر
مالاً كثيراً ، فقال الحجاج : أين هي وعند من هي ؟ قال : لا والله لا
جمعت بين مالي ودمي ، فأمر الحجاج فعذب بأنواع العذاب ، وكان من جملة ما
عذب به أن يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجر حتى يجرّح جسده ثم
ينضح عليه الخلّ والملح ؛ فلما أحس بالموت قال : إن الناس لا تشكنّ أني
قتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً ، فأظهروني للناس
ليعلموا أني حي فيؤدوا المال ، فأخرج فصاح في الناس : من عرفني فقد عرفني ؛
أنا فيروز ، إن لي عند أقوام مالاً فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في
حل فلا يؤدين أحد منه درهماً ، ليبلغ الشاهد الغائب ؛ فأمر به الحجاج فقتل .
وجلس الحجاج يوماً لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس ،
فقام رجل منهم فقال : أصلح الله الأمير ، إن لي عليك حقاً ، قال : وما حقك ؟
قال : سبتك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه ، فقال : من يعلم ذلك ؟ قال :
أنشد الله رجلاً سمع ذلك إلا شهد به ، فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان
ذاك أيها الأمير ، قال : خلوا عنه ، ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما
أنكر ؟ قال : لقديم بغضي إياك ، قال : ولنخلّ عنه لصدقه .

١ أوردت نسخة ر قبل هذه القصة حديث الحجاج مع الغضبان بن القبعثري .

قال أبو الحسن المدائني : لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث ، جلس لضرب أعناقهم عامة النهار ، فأتي آخرهم برجل من بني تميم قال له : والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لَمَا أحسنتَ في العقوبة ، فقال الحجاج : أف لهذه الجيف أما فيها رجل يحسن مثل هذا ؟ وعفا عنه^١ .

ولما حضر الشعبي بين يدي الحجاج سلم بالإمرة ثم قال : أيها الأمير ، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك لغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً ، قد والله خرجنا عليك واجتهدنا كل الجهد فما أَلَوْنَا فما كنا بالفجرة الأقوياء ولا البررة الأتقياء ، ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إلينا أيدينا ، وإن عفوتَ عنا فبحلمك وبعد الحجة لك علينا ، فقال له الحجاج : أنت والله أحب إليّ ممن يدخل علي يقطر سيفه من دماننا ثم يقول ما فعلتُ وما شهدتُ ؛ قد أمنتَ عندنا يا شعبي ، فأنصرف^٢ .

وقال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد ، فإن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يفرّئك شاهد الدنيا عن غائب الآخرة وأقهرها طول الأمل بقصر الأجل .

وكان إبراهيم النخعي هارباً من الحجاج مدة أيامه ثم ظهر بعده فقبل له : أين كنت ؟ قال : بحيث يقول الشاعر :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى وصوتَ إنسانٌ فكُدتُ أطيّرُ

وذكر الحسن بن محمد بن هلال الصابئ أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره فمر برجل يسقي ضيعة له ، فقال له : كيف حالكم مع أميركم ؟ فقال : لعنه

١ ورد بعد هذا الموضع في النسخة ر : وأتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل : الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ، قالت : إني أستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه .

٢ وردت هذه القصة عن الشعبي في النسخة د على نحو مغاير وهي هنالك متفقة مع ما جاء في تهذيب ابن عساكر ٧ : ١٥٠ - ١٥١ .

الله ، المبيد المبير الحقود ، عجل الله الانتقام منه ، فقال له : تعرفني ؟ قال : لا والله ، قال : أنا الحجاج ، فرأى الرجل أن دمه قد طاح فرفع عصاً كانت معه وقال : أتعرفني ؟ أنا أبو ثور المجنون ، وهذا يوم صرعي ، وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصا ، فضحك منه وانصرف .

وكان الحجاج كثيراً ما يسأل القراء ، فدخل عليه يوماً رجل فقال له : ما قبل قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ اللَّيْلِ ﴾ (الزمر : ٩) فقال : ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ قال : فما سأل أحداً بعدها .

وخطب في يوم جمعة فأطال الخطبة ، فقام إليه رجل فقال : إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرک ، فأمر به إلى الحبس ، فأناه آل الرجل فقالوا : إنه مجنون ، فقال : إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله ، فقال الرجل : لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني .

ومن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن غير الثقي ، وكان يشبب بزینب بنت يوسف أخت الحجاج وهو الذي يقول :

تضوَّع مسكاً بطن نعمان أن مشت به زينب في نسوةٍ عطرَات

فلما أتى به الحجاج قال : والله أيها الأمير إن قلتُ إلا خيراً ، إنما قلت :

يُخَضَّبْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَفِ وَيُخْرِجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مَعْتَجِرَات

قال : فأخبرني عن قولك :

ولما رأت ركبَ النميريِّ أَعْرَضْتُ وَكُنَّ مِنْ أَنْهٍ يَلْقَيْنَهُ حَذَرَات

ما كنتم ؟ قال : كنت على حمار هزيل ومعي صاحب على اتان مثله ، فعفا عنه . ولما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء والعيول ، فأمر الحجاج بالناس فيجتمعوا إلى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل مكة ، بلغني بكاؤكم واستفظاعكم قتلَ عبد الله بن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها وخلع

طاعة الله واستكنّ إلى حرم الله ، ولو كان شيء مانعاً للقضاء لمنعت آدم حرمه الجنة لأن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وإباحه جنّته ، فلما كان منه ما كان أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، فاذكروا الله يذكركم ، ونزل . قال مالك بن دينار : ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فوقع في نفسي أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه للحجج .

قال القاضي المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » : حدث الزبير ابن بكار عن الزهري قال : لما ولي الحجاج بن يوسف الحرّمين بعد قتل عبد الله ابن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقربّه في المنزلة ، فلم يزل على حاله عنده حتى خرج إلى عبد الملك زائراً له فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئاً ، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه ، فلما دخل على عبد الملك لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له والله فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والرئاسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة ووجوب الحق ، إبراهيم ابن طلحة بن عبيد الله ، وقد أحضرته بابك ليسهل عليه إذكائك وتلقاه ببشرك وتفعل به ما يفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه ، فقال عبد الملك : ذكرتنا حقاً واجباً ورحماً قريبة ؛ يا غلام ايذن لإبراهيم بن طلحة ، فلما دخل قربّه حتى أجلسه على فراشه ثم قال له : يا ابن طلحة إن أبا محمد أذكرك ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق ، فلا تدعن حاجة من خاصّ أمرك ولا عامه إلا ذكرتها ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن أولى الأمور أن تفتح بها الحوائج وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضئ ولحقّ نبيّه صلى الله عليه وسلم أداء ولك فيه ولجاعة المسلمين نصيحة ، وإن عندي نصيحة لا أجدر بدأ من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خالٍ فأخبرني تردّ عليك نصيحتي ، قال : دون أبي محمد ؟ قال : نعم . قال : قم يا حجاج ، فلما جاوز الستر قال : قل يا ابن طلحة نصيحتك ، قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : الله ، قال : إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطسه وتعجرفه

وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيها وبهما من
بهما من المهاجرين والأنصار والموالي المنتسبة الأخيار أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبناء الصحابة يسومهم الحسف ويقودهم العسف ويحكم فيهم بغير السنة
ويطوهم بطغام من أهل الشام ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ولا إزاحة
باطل ، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخلصك إذا جأئك للخصومة في أمته ؟ أما والله لا تنجو هناك إلا
بحجة تضمن لك النجاة فأبقى على نفسك أو دَعْ ، فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، فاستوى عبد الملك جالساً
وكان متكئاً فقال : كذبت لعمر الله ومننت ولؤمت فيما جئت به ، قد ظن بك
الحجاج ما لم يحده فيك وربما ظن الخير لغير أهله ، قم فانت الكاذب الماثن
الحاسد ، قال : فقامت والله ما أبصر طريقاً ؛ فلما خلفت الستر لحقني لاحق من
قبله فقال للحاجب : احبس هذا الرجل وأدخل أبا محمد الحجاج ، فلبثت ملياً
وأنا لا أشك أنها في أمري ، ثم خرج الآذن فقال : قم يا ابن طلحة فادخل ،
فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج ، فاعتنقني وقبل ما بين
عيني ثم قال : إذا جزى الله المتأخين بفضل توصلها فجزاك الله أفضل ما جزى
به أخاً ، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرَكَ ولأعلن كعبك ولأتبعن الرجال
غبار قدميك ، قال : فقلت : يهزأ بي ، فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى
أجلسني في مجلسي الأول ثم قال : يا ابن طلحة لعل أحداً من الناس شاركك في
نصيحتك ، قال : قلت : لا والله ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً ولا
أوضح يداً من الحجاج ، ولو كنت محابياً أحداً بديني لكان هو ولكني آثرت
الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، ولو أردت الدنيا لكان لي في
الحجاج أمل ، فقال : قد علمت ذلك ، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت
من ولايته عليها وأعلمته أنك استنزلتني له عنها استصغاراً ووليته العراقين لما
هناك من الأمور التي لا يرحضها إلا مثله وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له
عليها استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجز نصيحتك ،
فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته مع تقريظه إياك ويدك عنده ، قال :

فخرجت على هذه الجملة] .

[وروي عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال: دفع إلي الحجاج ازارمرد ابن الهربذ وأمرني أن أستخرج منه وأغلظ عليه ، فلما انطلقت به قال لي : يا محمد إن لك شرفاً وديناً وإني لا أعطي على القسر شيئاً وارفق بي ، قال : ففعلت ، فأدى إليّ في أسبوع خمسمائة ألف ؛ قال : فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانترعه من يدي ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب فدقّ يديه ورجليه فلم يطمع شيئاً ؛ قال محمد بن المنتشر : فإني لأمرّ يوماً في السوق فإذا به معروضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين ، فخفت الحجاج إن أتيته وتذممت فملت إليه فقال لي : إنك وليت مني ما ولي هؤلاء فأحسبت وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أعظم شيئاً ، وها هنا خمسمائة ألف درهم عند فلان فخذها فهي لك ، قال : فقلت : ما كنت لأخذ منك على معروفٍ أجراً ولا لأرزأك على هذه الحال شيئاً ، قال : فأما إذ أتيت فاستمع أحدثك ؛ حدثتني بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم قال : إذا رضي الله عن قوم أمطرهم المطر في حينه ، وجعل المال عند سمعائهم واستعمل عليهم خيارهم ، وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر في غير حينه ؛ قال : فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فأمرني بالمصير إليه ، فألفيته جالساً على فرسه والسيف منتضى بين يديه ، فقال : ادنْ ، فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : ادنْ ، فدنوتُ شيئاً ، ثم صاح الثالثة : ادنْ لا ابا لك ، فقلت : والله ما بي إلى الدنوِّ من حاجة وفي يد الأمير ما أرى ، فأضحك الله سنه وأغمد عني سيفه فقال لي : اجلس ، ما كان من حديث الأمس ؟ فقلت : والله أيها الأمير ما غششتك منذ استنصحتني ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ، ثم حدثته الحديث ، فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي عنده المال أعرض عني بوجهه وأوماً إليّ بيده ثم قال : لا تتمه ، ثم قال : إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث .

ويقال : كان الحجاج إذا استغرب ضاحكاً وإلى بين الاستغفار ، وإذا صعد المنبر تلعف بمطرقه ثم تكلم رويداً فلا يكاد يُسمع ثم يتزيد في الكلام حتى يخرج

يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها من في أقصى المسجد ؛ وكان يطعم كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وطرف من شواء وسمكة طرية ويطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة ، ثم يقول : يا أهل الشام اكسروا الخبز لثلاثا يعود عليكم ؛ وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والمسل والآخر يسقي اللبن .

ولما دخل الحجاج إلى مكة اعتذر إلى أهلها لقلة ما وصلهم به ، فقال قائل منهم : إنا والله لا نعذك وأنت أمير العراقيين وابن عظيم القرينتين ، وذلك أن عروة بن مسعود ولده من قبيل أمه ، والقرينتان مكة والطائف .

أمر الحجاج ابن القرية أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ويمتعها بعشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها : إن الحجاج يقول لك كنت فبنت ، وهذه عشرة آلاف درهم متعة لك ، فقالت : قل له كنا فما حدثنا وبنتا فما ندمنا ، وهذه الدراهم مشاركتك إياي بطلاقي^١ .

[ووفد الحجاج على الوليد بن عبد الملك في خلافته فوجده في بعض نزهه فاستقبله ، فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب أبا محمد ، فقال : يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد في خدمتك فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنه ، فعزم عليه الوليد حتى ركب . ودخل الوليد داره فتغلل في غلالة ثم أذن للحجاج فدخل في حاله تلك وأطال الجلوس عنده إذ جاءت جارية فساررتة وانصرفت ، فقال الوليد للحجاج : أتدري ما هذا أبا محمد ؟ قال : لا والله ، قال : بعثت ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول : ما بجالستك هذا الأعرابي المستلم في السلاح وأنت في غلالة ، فأرسل إليها إنه الحجاج ، فراعها ذلك وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فلا تطلعن على شرك ولا مكيدة عدوك ولا تطمعن في غير أنفسهن ولا تشغلن بأكثر من

١ قوله : وروي عن محمد بن المنتشر حتى قوله « بطلاقي » : انفردت بهذا النص كله النسخة د .

زينتهن وإياك ومشاورتهن ، وأكثرَ من ذلك . ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت : أحب أن تأمره غداً بالتسليم علي ، قال : أفعل . فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد صر إلى أم البنين فسلم عليها ، فقال : اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : لا بدّ منه ؛ فمضى الحجاج إليها فحججته طويلاً ثم أذنت له وتركتة قائماً ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت : إليه يا حجاج ، أنت المعلن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خليقته ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين ؛ فأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمر المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلمتكم رماحهم ولطالما نفّض نساء أمير المؤمنين المسك عن غداثرهن وبغنه في الأسواق حتى أخرج في أرزاق البعوث إليك ، ولولا ذلك لكنت أذل من البقة ، وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع عن بلوغ أوطاره من نسائه فإنه غير قابل منك ولا مصغٍ إلى نصيحتك ، فإن كنّ يفرجن عن مثلك فما أولاه بالقبول منك ؛ ثم قالت لجواريا : أخرجوه عني ، فدخل على الوليد من فوره فقال : يا أبا محمد ، ما كنت فيه ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما سكنت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها ، فضحك الوليد حتى فحص برجليه ثم قال : يا أبا محمد انها ابنة عبد العزيز .

وقيل إن أم البنين المذكورة كانت تهوى وضاح اليمن الشاعر ، وكان جميلاً ، وكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها ، وإذا خافت وارتقه في صندوق عندها وأقفلت عليه ؛ وهو القائل :

حَتَّامَ نَكْتَمُ حَزَنًا حَتَّامًا وَعِلَامَ نَسْتَبْقِي الدَمُوعَ عِلَامًا
يَا رَبِّ أَمْتَعْنِي بِطُولِ بَقَائِهَا وَاجْبُرْ بِهَا الْأَرْمَالَ وَالْأَيَّامَا
قَدْ أَصْبَحْتَ أُمُّ الْبَنِينَ مَرِيضَةً تَخْشَى وَتَشْفُقُ أَنْ يَكُونَ حِمَامَا

فدخل الخادم إليها مفاجأة فرأى وضاحاً عندها فأدخلته الصندوق وأقفلت عليه ، فطلب منها الخادم حجراً نفيساً كان يعرفه عندها فمنعته إياه بخلاً به ،

فمضى وأخبر الوليد بالحال ، فقالت له : كذبت يا ابن الفاعلة ، ثم جاء الوليد إلى أم البنين فدخل وهي جالسة في ذلك البيت تمشط رأسها ، وكان الخادم قد وصف له الصندوق ، فجلس الوليد فوقه ثم قال : يا أم البنين ما أحب هذا البيت إليك دون البيوت ، فلم اخترته ؟ قالت : لأنه يجمع حوائجي كلها فأنا أتناولها منه من قريب ، فقال : هي لي صندوقاً من هذه الصناديق ، فقالت : كلها بحكك يا أمير المؤمنين ، فقال : إنما أريد واحداً منها ، فقالت : خذ أيها شئت ، فقال : هذا الصندوق الذي تحتي ، فقالت : غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها ، فقال : ما أريد سواه ، فقالت : خذه ، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله حتى انتهى إلى مجلس فوضعه فيه ثم دعا عبيداً له عجباً وأمرهم بحفر بئر في المجلس فحفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال : يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد دفنك ودفننا ذكرك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فإنما دفننا الحشب وما أهون ذلك . ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط عليه ، فما رؤي الوضاح بعد ذلك اليوم ولا أبصرت أم البنين في وجه الوليد غضباً حتى فرق الموت بينهما .

وقيل : حضر بساط الحجاج رجل تعين عليه القتل وحضر أهل القود بحضوره ، فلما فرش النطع وسل السيف اتفق أن ملأ عينه في حاله تلك فرأى بريق السيف ولمعان برق فاستنظر ثم أنشد مرتجلاً :

تألّق البرق من نجد فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول
يكفيك ما قد ترى من فائر حنق في كفه كصبيب الماء مسلول

فلما رأى الحجاج ما كان من حضور ذهنه وجودة شعره عطف عليه إشفافاً له وعرض على طالبه أن يؤدي عنه ديته ، فجعلوا يأبون وجعل يتولج في تحليل القصة ويتدرج في تنفيس الدية حتى بذل لهم دية ملك ، فلما أبوا وعتوا قال لحرسه : فكوا قيده وخلوا سبيله فإن من لم ينسَ أحبته في هذا المقام لجدير أن لا يُقتل .

وقيل : أخذ الحجاج أعرابياً سَرَقَ فأمر بضربه فضرب ، فكلما ضربه بالسوط قال : اللهم شكراً ، فأناه ابن عم له وقال : والله ما دعا الأمير إلى التادي في ضربك إلا لكثرة شكرك لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (إبراهيم : ٧) فأمر بإطلاقه .

وحدث^١ محمد بن القاسم الأنباري عن المدائني عن مولى لعنبة بن سعيد بن العاص قال : كنت أدخل مع عنبة إذا دخل على الحجاج ، فدخل يوماً ودخلت معه وليس عند الحجاج أحد غير عنبة فقعدت ، فجيء الحجاج بطبق رطب فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني به ، ثم جيء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيء ، ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يأتي بشيء إلا جاءني منه شيء حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهم ؛ ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب ، فقال الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرت فإذا امرأة حسنة الخلق ومعهما جاريتان لها فإذا هي ليلي الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلي ما الذي أتى بك ؟ قالت : إخلاف النجوم وقلة الغيوم وقلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرغد ، فقال لها : صفي لنا الفجاء ، فقالت : الفجاء مغبرة والأرض مقشمة والمبرك معتل وذو العيال مختل والهالك للقل والناس مستنون ، رحمة الله يرجون ، قد أصابتنا سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هُبْعاً ولا رُبْعاً ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلك العيال ؛ ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما الـ منايا بكف الله حيث يراها
أحجاج لا تعطي العداة مناهم ولا الله يعطي للعداة مناهم
إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبّع أقصى دأها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هزّ القناة سقاها

١ انظر أمالي القاضي ١ : ٨٥ .

سقاها فرواًها بشرب سجاله دماء رجال حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج ذكر كتيبة أعدّ لها قبل النزول قراها
أعدّ لها مسمومة فارسية بأيدي رجال يجلبون صراها
فما ولد الأ Bakar والعون مثله ببحرٍ ولا أرض يحف ثراها

قال : فلما قالت هذا البيت قال الحجاج : قاتلها الله ، والله ما أصاب صفتي
شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى غنبة بن سعيد فقال : والله إني
لأعدّ للأمر عسى أن لا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حسبك ويحك ،
ثم قال : يا فلان ، اذهب بها إلى فلان فقل له : أقطع لسانها ، فأمر بإحضار
حجّام ، فقالت : ثكلتك أمك ، أما سمعت ما قال ؟ إنما أمرك بقطع لساني
بالبر والصلة ، فبعث إليه فاستشاط الحجاج غضباً وهمّ بقطع لسانه فقال : ارددها ،
فلما دخلت عليه قالت : كاد والله أيها الأمير يقطع مقولي ، ثم أنشأت تقول :

حجاج أنت الذي ما فوقه أحدُ إلا الخليفة والمستغفر الصمدُ
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت وأنت للناس نور في الدجى يقدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها
الأمير ، إلا أننا لم نرَ امرأة قط أفصح منها لساناً ولا أحسن محاورة ولا أملح
وجهاً ولا أرصن شعراً منها ، قال : هذه ليلى الأخيلية التي ماتت توبة الخفاجي
من حبها ، ثم التفت إليها فقال : أنشدنا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة ،
فقالت : نعم أيها الأمير ؛ هو الذي يقول :

حمامة بطن الوادين ترنمي سقاكِ من الغرّ الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ولا زلت في خضراء غضّ نضيرها
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها
يقول رجالٌ : لا يضيرك نأيها بلى ، كلُّ ما شفّ النفوس يضيرها
بلى قد يضير العين أن تكثر البكا ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلى بآني فاجرٌ لنفسي ثقاها أو عليها فجورها

فقال الحجاج : يا ليلي ما رابه من سفورك ؟ قالت : أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل إلي : آتيكِ ، ففطن الحي به فترصدوا له ، فلما أتاني سفرت ، فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع ، فقال : الله دركِ هل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ قالت : لا والذي أسأله أن يصلحك ، غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول :

وذي حاجة قلنا له لا تبج بها فليس إليها ما حيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونهُ وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ

لا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيننا ؛ قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاة فأوصى ابن عمه : إذا أتيتَ الحاضر من بني عبادة فنادِ بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أبينَ ليلةً من الدهر لا يسري إليَّ خيالها
فخرجت وأنا أقول :

وعنه عفا ربي وأحسن حاله فعزَّ علينا حاجةٌ لا ينالها

قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث ان مات ، فأتى ناعيه ؛ قال : فأنشدنا بعضَ مراثيكِ فيه ، فأنشدته :

لِتَبْكِ العذارى من خفاجة نسوة بـاء شؤونِ العبرة المتحدرِ

قال : فأنشدنا قولك فيه :

كانَ فتى الفتيان توبةً لم يُنخَ قلائصَ يفحصن الحمى بالكرaker

فأنشدته ، فلما فرغت من القصيدة قال محسن الفقسي - وكان من جنسَاء الحجاج - : من هذا الذي يقال هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ، فنظرت إليه ثم قالت : والله أيها الأمير إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه ، فقال الحجاج : هذا وأبيكَ الجواب وقد

كنت عنه غنياً ؛ ثم قال لها : سلي يا ليلي تعطسي ، قالت : أعط فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد فمثلك زاد فأجل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأفضل ، قال : لك ستون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زد فمثلك زاد فتمم ، قال : لك مائة واعلمي يا ليلي أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود جوداً وأجيد مجداً وأورى زنداً من أن تجعلها غنماً ، قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت : مائة ناقة برعائها ، فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : نعم أيها الأمير ، تدفع إليّ النابغة الجعدي في قيد ، قال : قد فعلت ، وقد كان يهجوها وتهجوه ، فبلغ ذلك النابغة فخرج هارباً عائداً بعبد الملك بن مروان فاتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة فماتت بقومس ، وقيل بجولان .

وكان الحجاج إذا سمع بنوح في دار هدمها ، فلما مات ابنه وأخوه حنّ إلى النوح ، وكان يعجبه أن يسمعه ، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

هل ابنك إلا ابن من الناس فاصبري فلن يرجع الموتى حين المآتم
وكان يتمثل بهذا البيت أيضاً وهو :

فإن تحتسب تزجر وإن تبكه تكن كباكية لم يُحْيِ ميتاً بكاؤها^١

وبالجملة فأخبار الحجاج كثيرة ، وشرحها يطول . وهو الذي بنى مدينة واسط وكان شروعه في بنائها في سنة أربع وثمانين للهجرة وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وإنما سماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة فكانها توسطت بين هذين المصرين ؛ وذكر ابن الجوزي في كتاب « شذور العقود » المرتب على السنين أنه فرغ من بنائها في سنة ثمان وسبعين ، وكان قد ابتدأ من سنة خمس وسبعين ، والله أعلم .

ولما حضرته الوفاة أحضر منجماً فقال له : هل ترى في علمك ملكاً يموت ؟

١ إلى هنا ينتهي هذا النص الطويل الذي انفردت به ص ر و شاركت في بعضه النسخة د .

قال : نعم ، ولستَ هو ، فقال : وكيف ذلك ؟ قال المنجّم : لأنّ الذي يموت اسمه كُتِبَ ، فقال الحجاج : أنا هو والله ، بذلك كانت سمّتي أُمي ، فأوصى عند ذلك .

ويشبه هذا قول الداعي علي بن محمد بن علي الصليحي^٢ - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وهو الذي كان داعياً باليمن وملك البلاد اليمنية كلها وقهر ملوكها ، حتى قدّر الله انقضاء مدته ، فخرج من صنعاء إلى مكة على عزم الحج في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة^٣ ، حتى إذا كان بالهجم ونزل بظاهرها بضیعة يقال لها أم الدهيم وبئر أم معبد أدركه فيها على حين غفلة سعيد بن نجاح الأحول الذي كان أبوه صاحب تهامة ، وقتله الصليحي وأخذ مملكته ، وهرب منه أولادُه سعيدُ المذكور وإخوته ، وكان سعيد في قُلٍّ ممن تابعه حتى دخل مُخَيَّم الصليحي ، والناس يعتقدون أنه من جملة العسكر وحواشيه ، فلم يشعر بأمرهم إلا عبد الله بن محمد أخو الصليحي ، فركب وقال لأخيه : يا مولانا اركب ، فهو والله الأحول بن نجاح ، والعدد الذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زبيد ، فقال الصليحي لأخيه : طِبْ نفساً فإنّي لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد ، معتقداً أنها أم معبد الخزاعية التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر ومعه أبو بكر رضي الله عنه - وهي بين مكة والمدينة مما يلي مكة بالقرب من الجُحفة - فقال له بعض أصحابه : قاتل عن نفسك ، فوالله هذا هو بئر الدهيم بن عيسى ، وهذا المسجد موضع خيمة أم معبد بن الحارث العبسي ، فأدركه لما سمع ذلك زَمَعُ اليأس من الحياة ، فلم يَرِمْ مكانه ، وقتل لوقته هو وأخوه وأهله ، وملك سعيد الأحول عسكره ومملكته^٤ .

(14) وهذا سعيد الأحول هو أخو الملك جياش المشهور الفاضل ، وأبوه نجاح

١ هذا الاستطراد لم يرد في المخطوطات التي اعتمدها ، وإنما ثبت في المطبوعات ، وسيدكر المؤلف طرفاً منه في ترجمة الصليحي فيما بعد .

٢ تجد تفصيلاً لأخباره في كتاب « الصليحيون » للهمداني وحسن محمود ٦٢ - ١١٢ .

٣ رجع مؤلفا كتاب « الصليحيون » أن وفاته كانت سنة ٤٥٩ هـ ، وانظر تاريخ عمارة اليمن : ٥٥ .

٤ وردت هذه القصة في تاريخ عمارة : ٩٣ - ٩٤ .

الملك كان عبداً لمرجان الملك ، وكان عبداً لحسين بن سلامة مولى الأستاذ رشد الحبشي ، وكان الحسين ورشد قبله كل منهما هو صاحب الأمر والملك في المعنى وفي الصورة كالوزير عن آخر ملوك بني زياد باليمن وهو طفل من أولاد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد يقال له عبد الله ، وقيل إبراهيم ، وقيل زياد ، وهو الذي انقضت دولتهم به على يد عبد يقال له قيس مولى مرجان المذكور ، وسببه أن الطفل المذكور لما مات أبوه أبو الجيش كفله موله مرجان المذكور وعمه للطفل ، وكان لمرجان عبدان أحدهما نجاح أبو سعيد والآخر قيس^١ ، فغلبا على أمره ، وكان قيس يحكم بالحضرة ونجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم وأعمالاً أخرى غيرها ، ووقع التنافس بين قيس ونجاح على وزارة الحضرة ، وكان قيس غشوماً ظالماً ونجاح رؤوفاً عادلاً ، فاتهم قيس عمه ابن زياد بالميل عليه إلى نجاح ، فقبض عليها وعلى ابن أخيها مرجان موله لأجل شكوى قيس إليه منها وسلمها إلى قيس ، فبنى عليها حائطين ، وهما قائمان بالحياة ينشأانه الله أن لا يفعل ، فهلكا سنة سبع وأربعمئة ، ونفي ذلك إلى نجاح ، فسار للأخذ بثأرها ، وحارب قيساً وجرت بينها أمور أسفرت عن ظفر نجاح بقيس ومملكه الحضرة . وقتل قيس في بعض الوقائع على باب زبيد ، ولما فتح نجاح زبيد وهي حضرة الملك يومئذ في سنة اثنتي عشرة وأربعمئة ، قال لمرجان موله : ما فعل مواليك ومواليها؟ قال : هم في ذلك الحائط ، فأخرجها وصلّى عليها ودفنها في مشهيّ بناء لها وجعل مرجاناً موضعها ، وبنى عليه الحائط حتى هلك . ومات نجاح المذكور بالسّم بجيلة تمت عليه مع جارية أهداها له الصليحي المذكور في الكدراء سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة . ولما مات نجاح كتب الصليحي في سنة ثلاث وخمسين إلى المستنصر صاحب مصر يستأمره في إظهار الدعوة لهم فأمره فخرج وكان منه ما كان ، والله أعلم .

وكان الحجاج ينشد في مرض موته هذين البيتين ، وهما لعبيد بن سفيان العُكيلي^٢ :

١ في تزيين سمارة (١٠٦) : نفيس ، وفي أصل النسخة «قيس» . وشرح الخبر كله في المصدر المذكور .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٥ : ٨٢ .

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا أَيْمَانَهُمْ أَنِّي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عِمَاءٍ وَيَحْمُومُ مَا ظَنَّهُمْ بِقَدِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارٍ
وكتب إلى الوليد بن عبد الملك كتاباً يخبره فيه بمرضه ، وكتب في آخره :

إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِياً فَإِنَّ سُرُورَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَاكَ
فَحَسْبِي حَيَاةَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
لَقَدْ ذَاقَ هَذَا الْمَوْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا وَنَحْنُ نَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

وكان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه ، ودعا بالطبيب لينظر إليها ، فأخذ
لحمًا وعلقه في خيط وسرَّحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد لصقَ به
دود كثير . وسلط الله تعالى عليه الزمهرير ، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة
ناراً وتدنئ منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها ؛ وشكا ما يجده إلى الحسن
البصري رضي الله عنه فقال له : قد كنتُ نهيتُك ألاَّ تتعرض إلى الصالحين
فلججت ، فقال له : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ، ولكني
أسألك أن تسأله أن يعجل قبضَ رُوحِي ولا يطيل عذابِي ، فبكى الحسن بكاءً
شديداً . وأقام الحجاج على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوماً ، وتوفي في
شهر رمضان ، وقيل في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وعمره ثلاث ، وقيل
أربع وخمسون سنة ، وهو الأصح .

وقال الطبري في تاريخه الكبير : توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من شهر
رمضان سنة خمس وتسعين ، وقال غير الطبري^١ : لما جاء موت الحجاج إلى حسن
البصري سجد لله تعالى شكراً ، وقال : اللهم إنك قد أمتتَ فأمتَ عنا سُنَّتَهُ .
وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها ، وعُفِّي قبره وأُجري عليه الماء ،
رحمه الله تعالى وسامحه .

وكان قد رأى في منامه أن عينيه قُلِعَتَا ، وكانت تحته هند بنت المهلب بن
أبي صفرة الأزدي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وهند بنت أسماء بن

١ خبر سجود الحسن عند موت الحجاج ورد في العقد ٥ : ٤٩ .

خارجة ، فطلق الهندين اعتقاداً منه أن رؤياه تتأول بهما ، فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه محمد من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد ، فقال : والله هذا تأويل رؤياي ، محمد ومحمد في يوم واحد ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : مَنْ يقول شعراً يُسليني به ؟ فقال الفرزدق :

إن الرزيةَ لا رزيةَ مثلها فِقدانُ مثلِ محمدٍ ومُحمَّدٍ
ملكاً كان قد خلَّتِ المنايرُ منها أخذ الحِمامُ عليها بالمرصدِ

(15) وكانت وفاة أخيه محمد لليال خلت من رجب سنة إحدى وتسعين للهجرة ، وهو والي اليمن ، فكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزبه ، فكتب الحجاج جوابه : « يا أمير المؤمنين ، ما التقيت أنا ومحمد منذ كذا وكذا سنة إلا عاماً واحداً ، وما غاب عني غيبة أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا يتفرق فيها مؤمنان » .

ومُعْتَبٌ : بضم الميم وفتح العين المهمة وتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها وبعدها الباء الموحدة .

والثقفى - بفتح التاء المثناة والقاف وبعدها الفاء - هذه النسبة إلى ثقف ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف .

١٥٠

حجاج بن أرطاة

حجاج بن أرطاة أبو أرطاة النخعي الكوفي ؛ سمع عطاء بن أبي رباح وغيره ، وروى عنه الثوري وشعبة وحامد بن زيد وهشيم وابن المبارك وزيد بن هارون ،

١ انظر العقد : ٨ ، وفيه شعر آخر للفرزدق .

١٥٠ - ترجمة حجاج بن أرطاة في شذرات الذهب ١ : ٢٢٩ ، قال أحمد : لا يحتج به ؛ خرج له =

وكان من حُفَظ الحديث ومن الفقهاء ، واستفتي وهو ابن ست عشرة سنة ،
 وتولى القضاء بالبصرة إلا أنه كان مدلساً عَمَّن لم يلقه فيرسل تارة عن مجاهد وتارة
 عن الزهري ولم يلقها . قال أبو العباس المبرد في « الكامل »^١ [وغيره] : وخبرت
 أن قاصاً كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان ، فاتفق هرم معه مرة في المسجد
 وهو يقول : حدثنا هرم بن حيان ، فقال له : يا هذا أتعرفني ؟ أنا هرم بن
 حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط ، قال له القاص : وهذا من عجائبك أيضاً ؛
 إنه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلاً اسم كل رجل منهم هرم بن حيان ،
 فكيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك ؟ ويقرب من هذا أنه
 كان في الرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر من التحدث عن بني إسرائيل فنظن
 به الكذب ، فقال له يوماً الحجاج بن حنتمة : ما كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟
 قال : حنتمة ، فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري : في أي الكتب
 وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص ؛ انتهى كلام المبرد .

وكان الحجاج بن أرطاة المذكور مع المنصور في وقت بناء مدينته وتولى
 خطها ونصب قبله مسجدها ، وهو أول من ولي القضاء لبني العباس بالبصرة ،
 وكان فيه تيه كثير خارج عن الحد ؛ جاء يوماً إلى حلقة البتشي فجلس
 في عرض الحلقة ، فقيل له : ارتفع إلى الصدر ، فقال : أنا صدر حيث كنت ؛
 وقال أبو يوسف : كان الحجاج بن أرطاة لا يشهد جمعة ولا جماعة ويقول :
 أكره مزاحمة الأنذال .

وقال عبد الملك بن عبد الحميد : حدثني أبي غير مرة قال : مكث الحجاج
 ابن أرطاة يتعيش من غزل أمة له كذا وكذا سنة ، وكأنه قال ستين سنة ،
 ثم أخرجه أبو جعفر المنصور مع ابنه المهدي إلى خراسان فقدم بسبعين مملوكاً .
 وقال : ربما رأيته — يعني الحجاج — يضع يده على رأسه ويقول : قتلتني حب الشرف .

= مسلم مقروناً بغيره ؛ وقد خرج له الاربعة وابن حبان . وانظر تذكرة الحفاظ : ١٨٦ وقال :
 لم يخرج له البخاري ، وقال : مات ظناً سنة تسع وأربعين ومائة ؛ وميزان الاعتدال ١ : ٤٥٨ ،
 واتهمه الأصمعي بقبول الرشوة ، وذكر الذهبي أن وفاته كانت سنة ١٤٥ هـ ؛ وتاريخ بغداد
 ٨ : ٢٣٠ ؛ قلت : وقد انفردت بهذه الترجمة النسخ د ر ص .

١ الكامل ٢ : ٢٠٩ .

وكان حجاج بن أرطاة يقع في أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول : إن أبا حنيفة لا يعقل الله عقلاً . وكان في أصحاب أبي جعفر وضمه إلى المهدي فلم يزل معه حتى توفي في سنة خمسين ومائة بالري ، رحمه الله تعالى ، والمهدي بها يومئذ في خلافة أبي جعفر . وكان ضعيفاً في الحديث .

١٥١

ابن مسكين

أبو عمر الحارث بن مسكين المصري مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان ؛ رأى الليث بن سعد وسأله وسمع سفيان بن عيينة الهلالي وعبد الرحمن ابن القاسم الصتقي وعبد الله بن وهب القرشي وروى عنه كافة المصريين . وكان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه ، وكان ثقة في الحديث ثبناً ، حمله المأمون إلى بغداد في أيام الحنة وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلق القرآن ، فلم يزل ببغداد محبوساً إلى أن ولي جعفر المتوكل فأطلقه وأطلق جميع من كان في السجن .

حدث الحارث ببغداد ورجع إلى مصر وكتب إليه المتوكل بعهدده على قضاء مصر فلم يزل يتولاه من سنة سبع وثلاثين ومائتين إلى أن صرف في سنة خمس وأربعين . ولما خرج الحارث من بغداد إلى مصر اغتم عليه أبو علي ابن الجروي غمّاً شديداً ، فكتب إلى سعدان بن يزيد وهو مقيم بمصر يشكو ما نزل به من غم لفقد الحارث بن مسكين ، وكان كتب في أسفل كتابه :

من كان يسليه نأيٌ عن أخي ثقةٍ فإني غيرُ سألٍ آخرَ الأبدِ

١٥١ - انفردت نسخنا من هذه الترجمة . قلت : وانظر ترجمة الحارث بن مسكين في الكندي : ٤٦٧ - ٤٧٦ ورفع الاصر : ١ - ١٦٧ - ١٨٢ وطبقات السبكي : ١ - ٢٤٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٥ وتذكرة الحفاظ : ٥١٤ والشذرات : ٢ - ١٢١ وتاريخ بغداد : ٨ - ٢١٦ .

ففرقتُ بيننا الأقدارُ واضطربتُ بالوجد والشوق نارُ الحزنِ في الكبدِ

فأجابه سعدان بن يزيد :

أيها الشاكي إلينا وحشةً من حبيبٍ نأْيُهُ عنه بعدُ
حبكُ الله أنيساً فيه يأنسُ المرءُ إذا المرءُ سعد
كل أنسٍ بسواه زائلٌ وأنيسُ الله في عزِّ الأبدِ

وكانت ولادة الحارث بن مسكين في سنة أربع وخسين ومائة ، وتوفي لثلاث
بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين ، وصلى عليه يزيد بن عبد الله - أمير
كان على مصر - وكبر عليه خمسا ، رحمه الله تعالى .

١٥٢

المحاسبي

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور ؛ أحد
رجال الحقيقة^١ ، وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن ، وله كتب في الزهد
والأصول وكتاب « الرعاية » له ، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم ،
فلم يأخذ منها شيئا ، قيل : لأن أباه كان يقول بالقدر ، فرأى من الورع أن
لا يأخذ ميراثه ، وقال : صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « لا يتوارث أهل ملتين شتى » ، ومات وهو محتاج إلى درهم .

١٥٢ - ترجمة الحارث المحاسبي في تهذيب التهذيب ٢ : ١٣٤ وصفة الصفوة ٢ : ٢٠٧ وطبقات
السلي : ٥٦ وحلية الأولياء ١٠ : ٧٣ وميزان الاعتدال ١ : ٣٠ وتاريخ بغداد ٨ : ٢١١
وطبقات السبكي ٢ : ٣٧ ؛ وللحارث عدة إراعية عدة مؤلفات منها : شرح المعرفة والمسائل
في الزهد وغيره وآداب النفوس والبعث والنشور .
١ ر : الطريقة .

ويحكى عنه أنه كان إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شُبْهة تحرك على إصبعه عِرْقٌ ، فكان يمتنع منه . وسُئِلَ عن العقل ما هو ، فقال : نور الغريزة مع التجارب ، يزيد ويقوى بالعلم والحلم . وكان يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء^١ . وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والمحاسبي : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة وبعدها باء موحدة . قال السمعاني^٢ : وعرف بهذه النسبة ، لأنه كان يُحاسب نفسه ، وقال : كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه ، وهَجَرَهُ فاستخفى من العامة ، فلما مات لم يصلِّ عليه إلا أربعة نفر . وله مع الجنيد بن محمد حكايات مشهورة .

١٥٣

أبو فراس ابن حمدان

أبو فراسٍ الحارثُ بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابنَيْ حمدان — وسيأتي تنمُّة نسبه عند ذكرهما إن شاء الله تعالى — ؛ قال الثعالبي في وصفه^٣ : « كان فَرْدٌ دهره ، وشمس

١ في اللع : ٢٤٦ : ثلاث اذا وجدت متع بهن وقد فقدناهن : حسن القول مع الديانة ، وحسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الاخاء مع الوفاء .

٢ انظر الباب ٣ : ١٠٣ .

١٥٣ - ترجمة أبي فراس الحمداني في اليتيمة ١ : ٤٨ - ١٠٣ والمنظم ٧ : ٦٨ وتهذيب ابن عساكر

٣ : ٤٣٩ وزبدة الحلب ١ : ١٥٧ وشذرات الذهب ٣ : ٢٤ ؛ وانظر ديوانه : ٤٦٠ -

٤٧٩ حيث جمع المحقق ترجمات له من مصادر مختلفة .

٣ د : في كتاب اليتيمة .

٤ ج هـ : فريد .

عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ،
 وشعره مشهور سائراً ، بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والرفعة
 والحلاوة ، ومعه رؤاء الطبع وسمّة الظرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه
 الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يُعدُّ أشعر منه عند أهل
 الصنعة ونقّدة الكلام . وكان الصاحبُ بن عباد يقول : بدى الشعر بملك
 وختم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز
 ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، وإنما لم يدحه
 ومدح مَنْ دونه من آل حمدان تهيئاً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان
 سيف الدولة يُعجّبُ جدّاً بحاسن أبي فراس ويُميّزه بالإكرام على سائر قومه
 ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله .

وكانت الروم^٢ قد أسرت في بعض وقائعها ، وهو جريح قد أصابه سهم
 بقي نصله في فخذه ، ونقلته إلى خرشنة ، ثم منها إلى قسطنطينية ، وذلك
 في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين .

قلت : هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي ، وقد نسبوه في ذلك
 إلى الغلط ، وقالوا : أسر أبو فراس مرتين ، فالمرة الأولى بمغارة الكحل في
 سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وما تعدّوا به خرشنة ، وهي قلعة ببلاد الروم
 والفرات يجري من تحتها ، وفيها يقال : إنه ركب فرسه وركضه برجله ،
 فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات ، والله أعلم ، والمرة الثانية أسره الروم
 على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين ، وحملوه إلى قسطنطينية . وأقام في
 الأسر أربع سنين ، وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه . وكانت مدينة
 منبج إقطاعاً له ، ومن شعره^٣ :

قد كنتَ عُدَّتِي التي أسطو بها ويدي إذا اشتدَّ الزمانُ وساعدي

١ أ : شائع .

٢ انظر القيمة : ٧٥ .

٣ ديوانه : ٧٣ وهي مما كتبه لسيف الدولة حين سار هذا إلى ديار بكر وتخلّف أبو فراس بالشام .

فَرُمِيتُ مِنْكَ بَضْدًا مَا أُمْلِئْتُهُ وَالْمَرْءُ يَشْرِقُ بِالزَّلَالِ الْبَارِدِ
فَصَبْرْتُ كَالْوَلَدِ التَّقِي لِبَرِّهِ أَغْضَى عَلَى أَلَمٍ لَضَرْبِ الْوَالِدِ
وله أيضاً^١ :

أَسَاءَ فَزَادَتْهُ الْإِسَاءَةُ حُظُوءًا حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ حَبِيبٌ
يَعْدُو عَلَيَّ الْوَاشِيَانِ^٢ ذُنُوبُهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْجَمِيلِ^٣ ذُنُوبُ
وله أيضاً^٤ :

سَكَرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلُهُ
فَمَا السَّلَافُ دَهَنِي بَلْ سَوَالِفُهُ وَلَا الشَّمُولُ ازْدَهَنِي بَلْ شَمَائِلُهُ
أَلْوَى بَعَزْمِي^٥ أَصْدَاغُ لُؤَيْنَ لَهُ وَغَالِ قَلْبِي بَمَا^٦ تَحْوِي غَلَائِلُهُ
ومحاسن شعره كثيرة .

وَقُتِلَ فِي وَاقِعَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَالِي أَسْرَتِهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ .
وَرَأَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ كَانَ يَنْشُدُ مَخَاطَبًا ابْنَتَهُ^٧ :

أَبْنَيْتِي لَا تَجْزَعِي^٨ كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ
نُوحِي عَلَيَّ بِجُشْرَةٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قُولِي إِذَا كَلَّمْتَنِي فَعَيَّيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا سِ لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابِ

١ ديوانه : ٣٩ .

٢ الديوان : العاذلون .

٣ الديوان : المليح .

٤ ديوانه : ٣٠٢ .

٥ ج : بصيري .

٦ ج : وغال عزمي ما .

٧ ديوانه : ٤٧ .

٨ الديوان : لا تحزني .

وهذا يدل على أنه لم يُقتل ، أو يكون قد جرح وتأخر موته ، ثم مات من الجراحة .

[وقيل إن هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم ، وكان قد جرح ثم أسر ثم خلاص من الأسر ، فدها سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين] . قال ابن خالويه : لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص ، فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلّام أبيه قرغويّه ، فأنفذ إليه من قاتله ، فأخذ وقد ضرب ضربات فمات^١ في الطريق .

وقرأت في بعض التعاليق : أن أبا فراس قتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، في ضيعة تُعرف بصدد .

وذكر ثابت بن سنان الصابئ في تاريخه^٢ ، قال : في يوم السبت لليلتين خلّتتا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، جرت حرب بين أبي فراس ، وكان مقيماً بحمص ، وبين أبي المعالي بن سيف الدولة ، واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاءه بعض الأعراب فكفنه ودفنه .

قال غيره : وكان أبو فراس خال أبي المعالي ، وقلعت أمه سخينة عينها لما بلغها وفاته ، وقيل إنها لطمت وجهها فقلعت عينها . وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي ، فلما بلغه الخبر شقّ عليه .

ويقال : إن مولده كان في سنة عشرين وثلثمائة ، والله أعلم . وقيل : سنة إحدى وعشرين .

(16) وقُتِل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل ، عَصَرَ مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها ، وحاصلها أنه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله ، ففعل ذلك سرّاً ، ومضى إليها في خمسين غلاماً ، فقبض ناصر الدولة عليه حين وصل

١ ب ٥ : ثم مات .

٢ انظر الجزء الأول : ٣١٥ والحاشية رقم : ١ .

إليها ثم قتله ، فأنكر ذلك الراضي حين بلغه ، رحمهم الله تعالى .
[وحكى ابن خالويه أيضاً قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد شخص
من حضرته إلى منزله بمنج كتاباً صدره : كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل
وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفرأ وشكراً ، فاستحسن
سيف الدولة بلاغته ووصف براعته ، وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه :

هل للفصاحة والسماحة والعلا عني محيد
إذ أنت سيدي الذي ربيتني وأبي سعيد
في كل يوم أستفيد من العلاء وأستزيد
وزيد في إذا رأيك لك للندی خلق جديد

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش
وملاسة الخطوب وممارسة الحروب ، فوافقت حضرته إحدى المحسنات من قيان
بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف
الدولة ، فكتب إليه يستحثه على استحضارها :

محلّك الجوزاء أو أرفع وصدرك الدهناء أو أوسع
وقلبك الرّحب الذي لم يزل للجدّ والهزل به موضع
رفّه بقرع العود سيفاً غداً قرع العوالي جل ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات الوزير المهلبى فأمر القيان والقوالين بتحفظها وتلحينها ،
وصار لا يشرب إلا عليها .

وأهدى الناس إلى سيف الدولة فأكثرُوا ، فكتب إليه أبو فراس :

نفسى فداؤك قد بعثت بعهدتي بيد الرسول
أهديت نفسى إنما يُدى الجليل إلى الجليل

وجعلت ما ملكت يدي صلةً المبشّر بالقبول

وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس على الشام فكتب إليه
قصيدة منها :

قالوا المسير فhez الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامة الخندم
حقاً لقد ساءني أمر ذكرت له لولا فراقك لم يوجد له ألم
لا تشغلن بأمر الشام تحرسه إن الشأم على من حلته حرم
وإن للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهله القمم
لا يحرمتي سيف الدين صحبتته فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره لكن سألت ومن عاداته نعم

وكتب إليه يعزيه :

لا بدءاً من فقدٍ ومن فاقدٍ هيات ما في الناس من خالِدٍ
كن المزمّي لا المزمّي به إن كان لا بد من الواحدِ
وله أيضاً :

المرء نصب مصايبٍ ما تنقضي حتى يوارى جسمه في رسمه
فمؤجلٌ يلقي الردى في أهله ومعجلٌ يلقي الردى في نفسه

وله أيضاً وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية وهو في الأسر فقال :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة ألنوى ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحاً لدي ضعيفة تردد في جسمٍ يُعذب بالي

أيضحك مأسور^١ وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت^٢ أولى منك بالدمع مقلّة^٣ ولكن^٤ دمعني في الحوادث غالي^٥

وخرشنة - بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الشين المثناة والتون -
وهي بلدة بالشام على الساحل ، وهي للروم^٦ .

وقسطنطينية - بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون
النون وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - من أعظم
مدائن الرّوم بناها قسطنطين ، وهو أول من تنصّر من ملوك الروم .

١٥٤

حرملة

أبو حفص وأبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قُرَاد
مولى سلمة بن مخرمة التجيبي^١ الزُّمَيْلي المصري صاحب الإمام الشافعي رضي
الله عنه ؛ كان أكثر أصحابه اختلافاً إليه واقتباساً منه ، وكان حافظاً للحديث ،
وصنف « المبسوط » و « المختصر » . وروى عنه مسلم بن الحجاج فأكثر في

١ ما بين معقفين ورد في ص د فقط .

٢ على هامش ب : سبحانه الله ، قد ذكر في هذه الترجمة أن خرشنة من بلاد الروم والفراء يجري
تحتها وفيها أمر أبو فراس ويقال أنه طاح منها بفروسه إلى الفراء ثم أعقب ذلك بقوله عن
خرشنة المذكورة : بلدة بالشام على الساحل !

١٥٤ - ترجمة حرملة صاحب الشافعي في طبقات الشيرازي ، الورقة ٢٧ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٧
وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٢٩ وميزان الاعتدال ١ : ٤٧٢ ؛ وكان حرملة أكثر الناس تحديثاً
عن ابن وهب لأن ابن وهب استخفى في منزله سنة وأشهرأ لما طلب ليتولى القضاء ، وقد أثنى
عليه ابن معين وضعفه غيره ، وقيل إنه لكثرة ما روى انفرد بفرائب .

٣ س : التجيبي بالولاء .

صحيحه من ذكره [روى عن محمد بن وهب المصري وغيره] ^١ ، ومولده في سنة ست وستين ومائة ، وتوفي ليلة الخميس لتسع بقين من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين بمصر ، وقيل أربع وأربعين ، رحمه الله تعالى .

والتَّجْيِيءُ - بضم التاء المثناة من فوقها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى تَجْيِب ، وهو اسم امرأة نسب إليها أولادها .

وقُرَاد - بضم القاف وفتح الراء المهملة وبعده الألف دال مهملة .

والزُّمَيْلِيُّ - بضم الزاي وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام - هذه النسبة إلى بني زُمَيْل ، وهو بطن من تَجْيِب .

(17) وتوفي حرمة بن عمران ، جدُّ حرمة المذكور ، في صفر سنة ستين ومائة ، ومولده سنة ثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

١٥٥

الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بويع له يوم مات أبوه رضي الله عنه ، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقتل عبد الرحمن بن ملجم ، يقال إنه ضربه .

١ زيادة من ص .

١٥٥ - أخباره في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير والمسعودي واليعقوبي ومقاتل الطالبين ، وانظر تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٥ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٩٩ وحلية الأولياء ٢ : ٣٥ وصفة الصفوة ١ : ٣١٩ ؛ الأئمة الاثنا عشر ص ٦٣ والصفحة المقابلة حيث مصادر ترجمته . وقد انفردت النسخة ص بهذه الترجمة .

بالسيف فاتقاه بيده فندرت وقتله ، ثم سار إلى معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة ، فاصطلحا وسلم إليه الأمر وبايعه الخمس بقين من شهر ربيع الأول ، ويقال إنه أعطاه خمسة آلاف ألف درهم ورجع إلى المدينة ، وقال قوم انه صالحه بأذرح في جمادى الأولى وأخذ مائة ألف دينار، روى ذلك كله الدولابي . وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام ؛ روى الشعبي قال : أنا شهدت خطبة الحسن - يعني حين سلم الأمر إلى معاوية - : قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، إن أكيس الكيس التقى وأحق الحق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لأمريء كان أحق بحقه مني أو حق لي تركه لمعاوية إرادة لصالح الأمة وحققاً لدمائهم ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

روى سفينة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم تكون ملكاً أو ملوكاً . وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة ، وقيل مات سنة خمسين ، وهو أشبه بالصواب ، وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع ، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها . وقال القتيبي : يقال ان امرأته جعدة بنت الأشعث سمته ومكث شهرين ، وانه ليرفع من تحته كل يوم كذا وكذا طست من دم . وكان يقول : سقيت السم مراراً ما أصابني ما أصابني في هذه المرة . وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاماً ، فكان الصبيان يقولون له : يا ابن مسمة الأزواج . ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه ان أقبل المطي إلي بنحبر الحسن ؛ ولما بلغه موته سمع تكبيراً من الحضر ، فكبر أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاختة زوجة معاوية : أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ، ما الذي كبرت له ؟ قال : مات الحسن ، قالت : أعلى موت ابن فاطمة تكبر ؟ قال : والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي . وكان ابن عباس بالشام ، فدخل عليه فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما حدث في أهل بيتك ؟ قال : لا أدري ما حدث

إلا أني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك وسجودك ، قال : مات الحسن ، قال :
إنا لله ، يرحم الله أبا محمد ، ثلاثاً ؛ ثم قال : والله يا معاوية لا تسد حفرتي
حفرتك ولا يزيد نقص عمره في يومك ، وإن كنا أصبنا بالحسن لقد أصبنا بإمام
المتقين وخاتم النبيين ، فسكن الله تلك العبرة وجبر تلك المصيبة وكان الله
الحلف علينا من بعده .

وكان أوصى لأخيه الإمام الحسين : إذا أنا مت فادفني مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن وجدت إلى ذلك سبيلاً ، وإن منعوك فادفني ببقيع الغرقد ،
فلبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فخرج مروان بن الحكم في بني أمية فمنعهم من ذلك .

وقيل : لما احتضر الحسن رضي الله عنه قال : أخرجوني إلى الصحراء لعلني
أنظر في ملكوت السموات ، يعني الآيات ؛ فلما أخرج قال : اللهم إني أحتسب
نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي ، فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه .

ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد أن مروان بن الحكم قال
 يوماً : إني مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبي عتيق : إن دفعتها إليك
أتقضي لي ثلاثين حاجة ؟ قال : نعم ، قال : فإذا اجتمع الناس عندك العشي
فلإني آخذ في مأثر قريش ثم أمسك عن الحسن ، فلمني على ذلك ؛ فلما أخذ
القوم مجالسهم أفاض في أولية قريش ؛ قال له مروان : ألا تذكر أولية أبي محمد
وله في هذا ما ليس لأحد ؟ قال : إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر
الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد ؛ فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن
وتبسم : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، البغلة ، فنزل عنها ودفعها إليه .

وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال : دخلت المدينة على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمناً
ولا ثوباً ولا دابة منه ، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقليل : هذا الحسن بن علي
ابن أبي طالب ، فامتأ قلبي له بغضاً وحسدت عليه أن يكون له ابن مثله ،

فصرت إليه وقلت له : أنت ابن علي بن أبي طالب ؟ قال : أنا ابنه ، قلت : فعل بك وبأبيك - أسبها ؛ فلما انقضى كلامي قال لي : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل ، قال : مل بنا ، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آسيناك أو إلى حاجة عاوناك ؛ قال : فأنصرفت عنه وما على الأرض أحب إليّ منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي .

وحكى صاحب « العقد » قال^١ : بينا معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب ، فقال معاوية : إنه إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه ، فقال له مروان بن الحكم : ائذن له فإني أسأله عما ليس عنده فيه جواب ، قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم ألهموا الكلام ، وأذن له ، فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، إن ذلك من الخوف ، قال الحسن : ليس كما بلغك ولكننا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا ، عذبة شفاهنا ، فنساؤنا يُقبِلُنَ علينا بأنفاسهن وقبلهن ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بخر شديد ، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداعكم ، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك ؛ قال مروان : أما إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء ، قال : ما هي ؟ قال : الغلظة ، قال : أجل ، نزعت الغلظة من نساءنا ووضعت في رجالنا ونزعت الغلظة من رجالكم ووضعت في نساءكم ، فما قام لأموية إلا هاشمي ؛ فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبركم فأبيتُم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد مجلسكم ؛ فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول :

ومارست هذا الدهر خمسين حجة وخمساً أرجي قابلاً بعد قابلاً
فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى كدحت بطائل
وقد أشرعت في المنايا أكفها وأيقنت أني رهن موت معاجل

قال الحسن رضي الله عنه لحبيب بن مسلمة الفهري^٢ : رب مسير لك في غير

١ العقد ٤ : ٢٠ .

٢ العقد ٤ : ٢١ .

طاعة الله ، قال : أما مسيري إلى أبيك فلا ، قال : بلى ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ، فلو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله تعالى : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ (التوبة : ١٠٢) ولكنك كما قال الله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (المطففون : ١٤) .

وقيل : دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقبل للحسين : لو أتيت أخاك فهو أكبر سنّاً منك ، فقال : إن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي ، فبلغ ذلك الحسن فأثاه .

وكان الحسن إذا فرغ من الوضوء تغير لونه ، فقبل له في ذلك فقال : حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه .

١٥٦

الحسن البصري

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة . وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سامة ، رضي الله عنها ، ثديها تعلله به إلى أن تحيي أمه ، فدرّ عليه ثديها فشربه ، فيروّون أن تلك

١٥٦ - ترجمة الحسن البصري في طبقات ابن سعد ٧ : ١٥٦ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٦٣ وميزان الاعتدال ١ : ٥٢٧ وتذكرة الحفاظ ٧١ وحلية الأولياء ٢ : ١٣١ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٤ وأقواله وأخباره منشورة في البيان والتبيين وأمثالي المرتضى وقد جمع ابن الجوزي في سيرته كتاباً ؛ ودرسه احسان عباس دراسة نقدية في كتاب بعنوان « الحسن البصري » وأشار إلى مصادر أخرى عنه (دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٥٢) .

١ : أ : لبنها .

الحكمة والفصاحة من بركة ذلك .

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصحَ من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي ، فقليل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن .
ونشأ الحسن بوادي القرى ، وكان من أجل أهل البصرة ، حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث .
وحكى الأصمعي عن أبيه قال : ما رأيتُ أعرَضَ زنداً من الحسن ، كان عرضه شبراً .

[وكان الحسن يقص في الحج ، فمر به علي بن الحسين عليها السلام ، فقال له : يا شيخ أترضى نفسك للموت ؟ قال : لا ، قال : فله في أرضه معاد غير هذا البيت ؟ قال : لا ، قال : فثم دار للعمل غير هذه الدار ؟ قال : لا ، قال : فعملك للحساب ؟ قال : لا ، قال : فلم تشغل الناس عن طواف البيت ؟ قال : فما قصَّ الحسن بعدها .

وقيل إن رجلاً أتى الحسن فقال : يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق ان الحجاج في النار فما تقول ؟ أقيم مع امرأتي أم أعتزلها ؟ فقال له : قد كان الحجاج فاجراً فاسقاً وما أدري ما أقول لك ، إن رحمة الله وسعت كل شيء ؛ وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فردَّ عليه شيئاً بما قاله الحسن ؛ وإنه أتى عمرو بن عبيد فقال له : أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا ، ذكر ذلك المختار في تاريخه .

وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهمَّ الرجل بالرجوع فقال له الحسن : يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك .
وقيل له : ألا ترى كثرة الوباء ؟ فقال : انفق بمسك واقلع مذنب ، واتعظ جاحد .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال : ما لكم تزدهمون ؟ ها تلك هي ساريتها في المسجد ، اقمعدوا تحتها حتى تكونوا مثله ؛ وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد عن من ؟ فقال : وما تصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حجبته ؛ وقال له رجل : أنا أزهد منك

[وأفصح] ، قال أما أفصح فلا ، قال : فخذ عليّ كلمة واحدة ، قال : هذه ؛ وقال لفرقد بن يعقوب : بلغني أنك [لا تأكل] الفالودج ، فقال : يا أبا سعيد أخاف ألا أوذي شكره ، قال الحسن : يا لعمري هل تقدر تؤدي شكر الماء البارد الذي تشربه ؟ وقيل الحسن : إن فلاناً اغتابك ، فبعث إليه طبق حنوى وقال : بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك فكافأتك ؛ وقريب من هذا قول سفيان بن الحسين ، قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فقلت من إنسان فقال : هل غزوت العام الترك والروم ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ وسمع رجلا يشكو عليه إلى آخر فقال : أما إنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك^١ .

ومن كلامه : ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت^٢ . ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان ، وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك ، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال لهم : إن يزيد خليفة الله استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر ، فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّةٌ ، فقال ابن هبيرة : ما تقول يا حسن ؟ فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ؛ يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تركب دين الله وعباده بسلطان الله ، فإنه لا طاعة للخلق في معصية الخالق ؛

١ زيادة انفردت بها النسخة د .

٢ بعد هذا الموضع جاءت هذه الزيادة في النسخة أ :

وكان يقول : إذا أثرب القلب حب الدنيا لم تنجع فيه المواعظ ، كالجسد إذا استحك فيه الداء لم ينجع الدواء . وقال إبراهيم بن عيسى الشكري : ما رأيت أطول حزناً من الحسن ، ما رأيت قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة .

فأجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين : سَفَسَفْنَا له ففسف لنا ^١ .

ورأى الحسن يوماً رجلاً وسيماً حسن الهيئة ، فسأل عنه ف قيل : إنه يسخر الملوكة ويحبونه ، فقال : لله أبوه ، ما رأيت أحداً طلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا .

وكانت أمه تَقْصُصُ للنساء ، ودخل عليها يوماً وفي يدها كراثة تأكلها ، فقال لها : يا أماء ، أَلْقِي هذه البقلة الخبيثة من يدك ، فقالت : يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت ، فقال : يا أماء ، أَيْتَنَا أَكْبَرُ ؟ وأكثر كلامه حِكْم وبلاغة . وكان أبوه من سَيِّ ميسان ، وهو صُقْع بالعراق .

ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ، ويقال إنه ولد على الرق ، وتوفي بالبصرة مُسْتَهْلَ رجب سنة عشر ومائة ، رضي الله عنه ، وكانت جنازته مشهودة ؛ قال حميد الطويل : توفي الحسن عشية الخميس ، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره ، وحملناه بعد صلاة الجمعة ، ودفنناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به ، فلم تقم صلاة العصر بالجامع ، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد مَنْ يصلي العصر .

وأغمي على الحسن عند موته ، ثم أفاق فقال : لقد نبهتموني من جنات وعُيون ومقام كريم .

وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين : رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد ، فقال : إن صدقت رؤياك مات الحسن ، فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن ^٣ .

١ وردت في أ بعد هذا الموضع الزيادة الآتية :

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : يا مطرف غلط أصحابك ، فقال مطرف : إني أخاف أن أقول ما لا أفعل ، فقال الحسن : رحك الله وأينا يفعل ما يقول ؟ لودّ الشيطان أنه ظفر بهذا منك فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر .

٢ وكانت أمه ... أكبر : لم يرد في المسودة .

٣ وكانت جنازته ... مات الحسن : لم يرد في المسودة ، وهاهنا أيضاً زيادة من النسخة أ : =

ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينها ، ثم توفي بعده بمائة يوم ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .
ومَيْسَان - بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف نون - قال السمعاني : هي بليدة بأسفل البصرة .

١٥٧

الزعفراني

أبو علي الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح الزعفراني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ برع في الفقه والحديث وصنَّفَ فيها كتباً ، وسار ذكره في الآفاق ، ولزم الشافعي حتى تَبَحَّرَ ، وكان يقول : أصحاب الأحاديث كانوا رقوداً حتى أيقظهم الشافعي ، وما حمل أحد مِحْبَرَةً إلا وللشافعي عليه مِنة . وكان يتولى قراءة كتب الشافعي عليه ، وسمع من سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ وَمَنْ في طبقته مثل وكيع ابن الجراح وعمرو بن الهيثم ويزيد بن هارون وغيرهم ، وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي رضي الله عنه ، ورواها أربعة : هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسي ، ورواة الأقوال الجديدة ستة : المزني والربيع بن سليمان

= وحكى المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » عن الأصمعي قال : حدثنا مبارك ابن فضالة عن ثابت البناني قال : انصرفت من جنازة الحسن فقلت لبني : والله ما رأيتم جنازة قط اجتمع فيها من الناس مثلاً اجتمع فيها وإن كان الحسن لأهلاً لذلك ، فقالت لي بنتي : يا أبة ، ما ذلك إلا لستر الله ، فحجرت والله نفسي .

١٥٧ - ترجمة الزعفراني في الفهرست : ٢١١ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٠٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٣١٨ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٨ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٠ وتذكرة الحفاظ : ٥٢٥ ، وقد أخطأ الذهبي بقوله أنه منسوب إلى درب الزعفران ونبه السبكي على هذا الخطأ ، إذ الدرب منسوب إليه .

١ يعني آراءه الفقهية في العراق قبل رحيله إلى مصر ، وبصر أصبحت للشافعي أقوال جديدة .

الجزري والربيع بن سليمان المرادي والبُوَيْطِي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى - وقد تقدم ذكر بعضهم والباقي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وروى عنه البخاري في صحيحه وأبو داود السجستاني والترمذي وغيرهم .

وتوفي سَلَخُ شَعْبَانَ - وقال ابن قانع : في شهر رمضان - سنة ستين ومائتين ، وذكر السمعاني في كتاب « الأنساب »^١ انه توفي في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والزَّعْفَرَانِي - بفتح الزاي وسكون العين المهملة وفتح الفاء والراء وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى الزَّعْفَرَانِيَّة ، وهي قرية بقرب بغداد ، والرحلة التي ببغداد تسمى درب الزعفراني منسوبة إلى هذا الإمام لأنه أقام بها . قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء » : وفيه مسجد الشافعي رضي الله عنه ، وهو المسجد الذي كنت أدرس فيه بدرب الزعفراني ، والله الحمد والمنة .

١٥٨

أبو سعيد الإصطخري

أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الإصطخري الفقيه الشافعي ؛ كان من نُظَرَاء أبي العباس ابن سُرَيْج وأقران أبي علي ابن أبي هريرة ، وله مصنفات حسنة في الفقه منها كتاب « الأقضية » ، وكان قاضي قُصَم ،

١ انظر الأنساب ٦ : ٢٩٨ .

١٥٨ - ترجمة أبي سعيد الإصطخري في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣١ وطبقات السبكي ٢ : ١٩٣ والمنتظم ٦ : ٣٠٢ وأنساب السمعاني ١ : ٢٨٦ والفهرست : ٢١٣ ومن كتبه كتاب الفرائض الكبير وكتاب الشروط والوثائق والمحاضر والسجلات ، وقد سقطت هذه الترجمة من النسخة م .

وقول حَسْبُهُ بَغْدَاد ، وكان ورعاً^١ متقللاً ، واستقضاه المقنن على سَجِسْتَانِ فسار إليها فنظر في مناكحتهم^٢ فوجد معظمها على غير اعتبار الولي ، فأنكرها وأبطلها عن آخرها .

وكانت ولادته في سنة أربع وأربعين ومائتين ، وتوفي في جمادى الآخرة يوم الجمعة ثاني عشره ، وقيل رابع عشره ، وقيل مات في شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

والإصطخري - بكسر الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الحاء المعجمة وبعدها راء - هذه النسبة إلى إِصْطَخَرَ ، وهي من بلاد فارس ، خرج منها جماعة من العلماء^٣ رحمهم الله تعالى ، وقد قالوا في النسبة إلى إِصْطَخَرَ « إِصْطَخَرِي » أيضاً بزيادة الزاي ، كما زادوها في النسبة إلى مرو والري فقالوا مَرَوَزِي ورازِي .

١٥٩

أبو علي ابن أبي هريرة

أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي العباس ابن سُرَيْج وأبي إسحاق المروزي ، وشرح « مختصر المزني » وعلق عنه الشرح أبو علي الطبري ، وله مسائل في الفروع ، ودرس ببغداد وتخرج عليه خلق كثير ، وانتهت إليه إمامة العراقيين ، وكان معظماً عند السلاطين والرعايا إلى أن توفي في رجب سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

١ : متورعاً .

٢ : مناكحتهم .

٣ : الاكابر العلماء .

١٥٩ - ترجمة ابن أبي هريرة في طبقات السبكي ٢: ٢٠٦ والفهرست: ٢١٥ وتاريخ بغداد ٧: ٢٩٨ .

أبو علي الطبري

أبو علي الحسن بن القاسم الطَّبْرِي الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي علي ابن أبي هريرة المقدم ذكره ، وعلق عنه التعليقة المشهورة المنسوبة إليه ، وسكن بغداد ودرّس بها بعد أستاذه أبي علي المذكور ، وصنف كتاب « المحرر » في النظر ، وهو أول كتاب صنّف في الخلاف المجرّد ، وصنف أيضاً كتاب « الافصاح » في الفقه ، وكتاب « العدة » وهو كبير يدخل في عشرة أجزاء ، وصنف كتاباً في الجدل ، وكتاباً في أصول الفقه . وتوفي ببغداد سنة خمس وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

والطَّبْرِيّ - بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء - هذه النسبة إلى طَبْرَسْتَانَ - بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء والسين المهملة الساكنة والتاء المثناة من فوقها المفتوحة وبعد الألف نون - وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة أكبرها آمل ، خرج منها جماعة من العلماء ، والنسبة إلى طبرية الشام « طَبْرَانِي » - على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى - ورأيت في عدة كتب من طبقات الفقهاء أن اسمه الحسن كما هو هاهنا ، ورأيت الخطيب في « تاريخ بغداد » قد عدّه في جملة مَنْ اسمه الحسين [والله أعلم بالصواب] .

١٦٠ - ترجمة أبي علي الطبري الشافعي في طبقات الشيرازي ، الورقة ٣٢ : وطبقات السبكي ٢ : ٢١٧ وسماء « الحسين » والفهرست : ٢١٤ ولم يذكر من مؤلفاته إلا مختصر مسائل الخلاف ؛ وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٨٧ (باسم الحسين) .

أبو علي الفارقي

أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقي الفقيه الشافعي ؛ كان مبدأ اشتغاله بمتافارقين على أبي عبد الله محمد الكازروني ، فلما توفي انتقل إلى بغداد واشتغل على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « المذهب » وعلى أبي نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، وتولى القضاء بمدينة واسط .

حكى الحافظ أبو طاهر السلفي ، رحمه الله تعالى ، قال : سألت الحافظ أبا الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي^١ بواسط عن جماعة منهم القاضي أبو علي الفارقي المذكور ، فقال : هو متقدم في الفقه ، وقضى بواسط بعد أبي تغلب فظهر من عقله وعدله وحسن سيرته ما زاد على الظن به . وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر ومن في طبقته ، وكان زاهداً متورعاً . له كتاب « الفوائد » على « المذهب » وعنه أخذ القاضي^٢ أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وكان يلزم ذكر الدرس من « الشامل » إلى أن توفي . وكانت وفاته يوم الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بواسط ؛ ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بمتافارقين في شهر ربيع الآخر ؛ ودفن في مدرسته ، رحمه الله تعالى .

وبرهون : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وضم الهاء وبعد الواو الساكنة نون ؛ والفارقي : معروف فلا حاجة إلى ضبطه .

١٦١ - ترجمة أبي علي الفارقي في طبقات السبكي ؛ : ٢٠٩ .

١ محدث واسط ، وكان السلفي يثني عليه ، والحوز المنسوب إليها قرية شرقي واسط ، توفي سنة ٥١٠ (تذكرة الحفاظ : ١٢٦٢) ؛ وفي أ ج : الجوزي .

٢ أ ج : الشيخ .

السيرافي

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها نيابة عن أبي محمد ابن معروف ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وشرح كتاب سيويه فأجاد فيه ، وله كتاب « ألفت الوصل والقطع » وكتاب « أخبار النحويين البصريين » وكتاب « الوقف والابتداء » وكتاب « صنعة الشعر والبلاغة » و « شرح مقصورة ابن دريد » ، وقرأ القرآن الكريم على أبي بكر ابن مجاهد ، واللغة على ابن دريد ، والنحو على أبي بكر ابن السراج النحوي ، وكان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون : القرآن الكريم والقراءات^١ وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي . وكان نزهاً عفيفاً جميل الأمر حسن الأخلاق ، وكان معتزلياً ، ولم يظهر منه شيء^٢ ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، ينسخ ويأكل منه ، وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد^٣ فأسلم فسماه ابنه أبو سعيد المذكور عبد الله ، وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

اسْكُنْ إِلَى سَكَنٍ تَسْرُهُ بِهِ ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ
تَرْجُو غَدًا وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ فِي الْحَيِّ لَا يُدْرُونَ مَا تَلْدُ

١٦٢ - ترجمة السيرافي النحوي في الفهرست : ٦٢ - ٦٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ والجواهر المضية ١ : ١٩٦ وطبقات الزبيدي : ١٢٩ والانباء ١ : ٣١٣ ومعجم الادباء ٨ : ١٤٥ ومعجم البلدان (سيراف) ونزهة الالباء : ٢١١ وفي مؤلفات التوحيد أخبار كثيرة عنه كما صنف القفطي في أخباره مؤلفاً مستقلاً ، وقد طبع كتابه أخبار النحويين البصريين بعناية الزيني وخفاجي (القاهرة ١٩٥٥) بعد طبعة بيروت ١٣٣٦ .

١ أ : والقراءات السبع .

٢ يقول القفطي : وكان يذكر عنه الاعتزال ولم يكن يظهر ذلك .

٣ : نهراذ .

وكان بينه وبين أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني » ما جرّت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس ، فعمل فيه أبو الفرج ^١ :

لَسْتُ صَدْرًا وَلَا قَرَأْتُ عَلَى صَدْرٍ وَلَا عَلِمْتُ الْبِكْيُ بِشَافٍ
لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ نَحْوٍ وَشِعْرِ وَعَرُوضٍ يَجِيءُ مِنْ سِيرَافٍ

وتوفي يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد ، وعمره أربع وثمانون سنة ، ودفن بمقبرة الخيزران ، رحمه الله تعالى ، وقيل انه توفي سنة أربع وستين ، وقيل سنة خمس وستين ، والصحيح هو الأول والله أعلم .

وقال ولده أبو محمد يوسف ^٢ : أصل أبي من سيراف ، وبها ولد وبها ابتدأ بطلب العلم ، وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عمان وتفقّه بها ، ثم عاد إلى سيراف ، ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها عند أبي محمد ابن عمر المتكلم ، وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه ، ودخل بغداد ، وخلف القاضي أبا محمد ابن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين .

والسيرافي - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد الألف فاء - هذه النسبة إلى مدينة سيراف ، وهي من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان ، خرج منها جماعة ^٣ من العلماء ، رحمهم الله تعالى ، وسيأتي في ترجمة ولده يوسف تمة الكلام على سيراف ، إن شاء الله تعالى .

١ معجم الأدباء : ١٤٨ .

٢ قارن بما في انباه الرواة : ٣١٤ .

٣ ه : طائفة .

أبو علي الفارسي

أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ؛ ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد ، ودخل إليها سنة سبع وثلثائة ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار البلاد ، وأقام بجلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة ، وكان قدومه عليه في سنة إحدى وأربعين وثلثائة ، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتني مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو ، وصنف له كتاب « الإيضاح » و « التكملة » في النحو ، وقصته فيه مشهورة .

ويحكى أنه كان يوماً في ميدان شيراز يساير عضد الدولة ، فقال له : لم انتصب المستثنى في قولنا « قام القوم إلا زيدا » ؟ فقال الشيخ : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع الشيخ ، وقال له : هذا الجواب مبداني . ثم إنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه ، وذكر في كتاب « الإيضاح » أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . وحكى أبو القاسم ابن أحمد الأندلسي قال^٢ : جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر ، فقال : إني لأعبطكم على قول الشعر ، فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من مواده ، فقال له رجل : فما قلت قط

١٦٣ - ترجمة أبي علي الفارسي في الفهرست : ٦٤ وتاريخ بغداد ٧ : ٢٧٥ وغاية النهاية ١ : ٢٠٦ ولسان الميزان ٢ : ١٩٥ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ ونزهة الألباء ٢١٧ وإنباء الرواة ١ : ٢٧٣ .

١ هـ : كيف تقديره .

٢ قارن بما في الإنباء : ٢٧٥ .

شيئاً منه ؟ قال : ما أعلم أن لي شعراً إلا ثلاثة أبيات في الشيب ، وهي قولي :

خَضَبْتُ الشيبَ لما كانَ عَيْباً وخَضَبُ الشيبِ أُولَى أن يُعَابَا
ولم أخْضَبْ مخافةَ هَجْرٍ خِلٍّ ولا عَيْباً خَشِيتُ ولا عِتَابَا
ولكنَّ الشيبَ بدا ذمياً فصيرتُ الخضابَ له عِقَابَا

ويقال إن السبب في استشهاده في باب كان من كتاب « الإيضاح » بيت أبي تمام الطائي وهو قوله^١ :

مَنْ كانَ مَرَعَى عَزَمِهِ وَهُمُومِهِ رَوَضَ الْأَمَانِي لم يَزَلْ مَهْزُولَا

لم يكن ذلك لأن أبا تمام ممن يستشهد بشعره ، لكن عضد الدولة كان يُحِبُّ هذا البيت وينشده كثيراً ، فلهذا استشهد به في كتابه .

ومن تصانيفه كتاب « التذكرة » وهو كبير ، وكتاب « المقصور والمدود » ، وكتاب « الحجة » في القراءات ، وكتاب « الأغفال » فيما أغفله الزجاج من المعاني ، وكتاب « العوامل المائة » وكتاب « المسائل الحلييات » وكتاب « المسائل البغداديات » وكتاب « المسائل الشيرازيات » وكتاب « المسائل القصريات » وكتاب « المسائل العسكرية » وكتاب « المسائل البصرية » وكتاب « المسائل المجلسيات » وغير ذلك^٢ .

وكنْتُ رأيتُ في المنام في سنة ثمان وأربعين وستمائة وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب ودخلت إلى مشهد بها فوجدته شعناً ، وهو عمارة قديمة ، ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين ، فسألتهم عن المشهد وأنا متعجب لحسن بنائه وإتقان تشييده : ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا : لا نعلم ، ثم قال أحدهم : إن الشيخ أبا علي الفارسي جاورَ في هذا المشهد سنين عديدة ،

١ من قصيدة له في مدح نوح بن عمرو السكسي ، انظر ديوانه ٣ : ٦٧ ، قال شارح الديوان : هذا البيت ذكره أبو علي الفارسي في كتابه المعروف بالعضدي وإنما ذكره على سبيل التمثيل لا أنه يستشهد به ... وقد أنكر ذلك على أبي علي لأن طبقته لم تجر عاداتهم به .

٢ سقط من النسخة من ذكر أسماء مصنفات أبي علي ؛ وانظر مزيداً منها في معجم الأدباء .

وتفاوضنا في حديثه ، فقال : وله مع فضائله شعر حسن ، فقلت : ما وقفت له على شعر ، فقال : أنا أنشدك من شعره ، ثم أنشد بصوت رقيق طيب إلى غاية ثلاثة أبيات ، فاستيقظت في أثر الإنشاد ولذة صوته في سمعي ، وعلق على خاطري منها البيت الأخير وهو :

الناسُ في الخير لا يَرْضَوْنَ عن أحد فكيف ظَنَّتْكَ سيمُوا الشرَّ أو ساموا

وبالجملة فهو أشهر من أن يُذكر فضله ويعدد ، وكان متهماً بالاعتزال^١ . وكانت ولادته في سنة ثمان وثمانين ومائتين . وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ، وقيل ربيع الأول ، سنة سبع وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى ببغداد ، ودفن بالشونيزي .

والفارسي : لا حاجة إلى ضبطه لشهرته .

ويقال له أيضاً أبو علي الفسّوي - بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو - هذه النسبة إلى مدينة فسّا^٢ من أعمال فارس ، وقد تقدم ذكرها في ترجمة البساسيري .

وقليوب - بفتح القاف وسكون اللام وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها باء موحدة - وهي بلدة صغيرة بينها وبين القاهرة مقدار فرسخين أو ثلاثة ذات بساتين كثيرة .

١ انظر طبقات المعتزلة : ١٣١ .

٢ في طبقات المعتزلة أن هذا الاسم بضم الفاء ، وقارن بما في الباب « الفسوي » .

أبو أحمد العسكري

أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ؛ أحد الأئمة في الآداب والحفظ ، وهو صاحب أخبار ونوادر ، وله رواية متسعة ، وله التصانيف المفيدة : منها كتاب 'التصحيح' الذي جمع فيه فأوعب وغير ذلك ، وكان 'الصاحب' بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلاً ، فقال لخدمته مؤيد الدولة بن بُوَيه : إن عسكر مكرم قد اختلّت أحوالها ، وأحتاج إلى كشفها بنفسي ، فأذن له في ذلك ، فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزرها ، فكتب الصاحب إليه :

وَلَمَّا أُبَيِّتُمْ أَنْ تَزُورُوا وَقَلْتُمْ ضَعُفْنَا فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى الْوَاخِدَانِ
أَتَيْنَاكُمْ مِنْ بُعْدِ أَرْضٍ نَزُورُكُمْ وَكَمْ مَنْزِلٌ بِكَرٍ لَنَا وَعَوَانٌ
نَسْأَلُكُمْ هَلْ مِنْ قَرَى لِنَزِيلِكُمْ^٢ بِلَاءُ جُفُونٍ لَا بِلَاءُ جِفَانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئاً من النثر ، فجأوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله ، وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور ، وهو :

أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أُسْطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَاتِ

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له ، وقال : والله

١٦٤ - ترجمة أبي أحمد العسكري في معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ ومعجم البلدان (عسكر مكرم) وانباء الرواة ١ : ٣١٠ وبنية الوعاة ٢٢١ والخزانة ١ : ٩٧ واللباب ٢ : ١٣٦ وابن كثير ١١ : ٣٢٠ وكتابه «التصحيح» مطبوع (القاهرة : ١٩٦٣) .

١ هذه القصة سقطت من س .

٢ أ : لنزوركم .

لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الروي .
وهذا البيت لصخر بن عمرو بن الشريد أخي الخنساء^١ ، وهو من جملة
أبيات مشهورة ، وكان صخر المذكور قد حضر مُحاربة بني أسد ، فطعنه ربيعة
ابن ثور الأسدي فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه وبقي مدة حول في أشد
ما يكون من المرض ، وأمه وزوجته سليمة تمرضانه^٢ ، فضجرت زوجته منه ،
فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله ، فقالت : لا هو حي فيرجى ، ولا ميت
فينسى^٣ ، فسمعها صخر فأنشد :

أرى أمَّ صخر لا تملُّ عيادي ومِلَّتْ سليمة مَوْضعي ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازة عليك ، ومَنْ يَغْتَرَّ بِالْحَدَّانِ
لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
وَأَيُّ امْرَأَةٍ سَاوَى بَأَمِّ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانِ
أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْسِرِ وَالنَّزْوَانِ
فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ كَأَنهَا مُعَرَّسٌ يَعْسُوبٍ بِرَأْسِ سَنَانِ

وكانت ولادته يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث
وتسعين ومائتين ، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين
وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وأخذ عن أبي بكر ابن دُرَيْدٍ ؛ وله من التصانيف كتاب « المختلف والمؤتلف »
وكتاب « علم المنطق »^٤ وكتاب « الحكم والأمثال » وكتاب « الزواجر »
وغير ذلك .

والعسكري - بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها

١ انظر الخبر والأبيات في الأغاني ١٥ : ٦٣ .

٢ ر : تمللانه .

٣ الأغاني : فينسى .

٤ ر : مضجعي .

٥ كذا سماه هنا ووقع عند التقضي « علم النظم » ويقابله عند ياقوت « كتاب صناعة الشعر » .

راء - هذه النسبة إلى عدة مواضع ، فأشهرها عسكر مكرم ، وهي مدينة من كور الأهواز ، ومكرم الذي تنسب إليه مكرم الباهلي ، وهو أول من اختطها فنُسبت إليه ، وأبو أحمد المذكور من هذه المدينة ، وسيأتي العسكري منسوباً إلى شيء آخر إن شاء الله تعالى .

١٦٥

ابن رشيق القيرواني

أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني ؛ أحد الأفاضل البلغاء ، له التصانيف المليحة منها : كتاب « العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه » ، وكتاب « الأنموذج » والرسائل الفائقة والنظم الجيد .

قال ابن بسام في كتاب « الذخيرة » : بلغني أنه ولد بالمسيلة وتادّب بها قليلاً ، ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة . وقال غيره : ولد بالمهدية سنة تسعين وثلثائة ، وأبوه مملوك رومي من موالي الأزدي ، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة . وكانت صنعة أبيه في بلده - وهي الحمدية - الصياغة ، فعلمه أبوه صنعته ، وقرأ الأدب بالحمدية ، وقال الشعر ، وناقت نفسه إلى التزديد منه وملاقة أهل الأدب ، فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ، ولم يزل بها إلى أن هاجم العربُ القيروان وقتلوا أهلها وأخربوها ، فانتقل إلى جزيرة صقلية ، وأقام بمازر إلى أن مات^١ .

١٦٥ - ترجمة ابن رشيق في انباء الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأدباء ٨ : ١١٠ وشذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة : ٢٢٠ وعنوان الأريب : ٥٢ ، وقد جمع الاستاذ الميمني شعره في كتاب سماه « النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف » ثم قام الدكتور عبد الرحمن ياغي بجمعه وزاد فيه (دار الثقافة - بيروت : ١٩٦٢) .

١ ذكر القفطي ان ابن رشيق لما حل بصقلية نزل على ابن مطكود أمير مازر فأكرمه واختصه =

ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر ،
والأول أصح ، رحمه الله تعالى ، وهي قرية بجزيرة صقلية - وسيأتي ذكرها في
ترجمة المازري إن شاء الله تعالى - وقيل إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة
سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر ، والله أعلم .

[وكانت بينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع وماجريات وهما أديبا بلاد
المغرب وشاعراهما . وكان ابن شرف أعور ؛ قيل : مر يوماً وبيده كتاب فقال
له ابن رشيق : ما في كتابك ؟ قال : الدرديدية ، يعرض بقول ابن دريد فيها :

والعبد لا يردعه إلا العصا

يشير إلى أنه مولى ، فقال له ابن رشيق :

أما أبي فرشيّق لست أنكره قل لي أبوك وصوّره من الخشب
ومن شعره أيضاً وقد غاب المعز بن باديس عن حضرته وكان العيد ماطرأ :
تجهم العيد وانهلّت بواذرُهُ وكنتُ أعهدُ منه البشر والضحكا
كأنه جاء يطوي الأرض من بُعدٍ شوقاً إليك فلما لم يحمدك بكى
وقال أيضاً وقد أمره المعز بوصف أترجة مصبغة كانت بين يديه بديها :
أترجة سبطة الأطراف ناعمة تلقى العيون بحسنٍ غير منحوسٍ
كأنها بسطت كفاً خالقها تدعو بطول بقاء لابن باديسٍ
ومن شعره أيضاً :

لو أورقت من دم الأبطال سُمُرُ قنا لأورقت عنده سُمُرُ القنا الذبل
إذا توجه في أولى كتائبه لم تفرق العين بين السهل والجبل

= وقرأ عليه كتبه؛ قال : ومن جملة ما رأيته من قراءاته عليه كتاب العمدة في صنعة الشعر...
ولم يزل عنده إلى أن مات بمازر في حدود سنة خمسين وأربعمائة .

فالجيش ينفض حويله أسنته نفض العقاب جناحيها من البلب
 هذا البيت من فرائده وهو ملتقط من قول أبي صخر الهذلي :
 وإني لتعروني لذكرك فترة^١ كما انتفض العصفور بلبه القطر^٢
 ولابن رشيقي المذكور رحمه الله تعالى :

ومن حسنات الدهر عندي ليلة^٣ من العلم لم تترك لأيامها ذنباً
 خلونا بها ننفي الكرى عن جفوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكباً
 ومِلْنَا لتقبيل الحدود ولثمها ميل جياح الطير تلتقط الحباً
 ومن شعره أيضاً :

صم^٤ من الكافور بات معانقي في حُلَّتَيْنِ تعفّف وتكرّم^٥
 فكثرت ليلة وصله في صدّه فجرت بقايا أدمعي كالمندم
 فطففت أمسح ناظري في نحره إذ شيمة الكافور إمساك الدم
 ومن شعره رحمه الله :

قالوا رأينا فلاناً ليس يوجعه^٦ ما يوجع الناس من هجو به قذفا
 فقلت لو أنه حيّ لأوجعه لكنّه مات من جهل وما عرفا
 وما هجوت فلاناً غير تجربة^٧ وذو الرماية لا يستشعر الهدفا^٨
 ومن شعره^٩ :

أحبّ أخي وإنّ أعرضت عنه^{١٠} وقلّ على مسامحه كلامي
 ولي في وجهه تقطيب راضٍ كما قطبت في وجه المدام
 وربّ تقطيب من غير بغض^{١١} وبغض كامن تحت ابتسام

١ ما بين معقّفين زيادة من د ص ر على اختلاف في الترتيب .
 ٢ هذه المقطعات في ديوانه : ١٧١ ، ٧١ ، ١٤٢ ، ٢٠٠ ، ١٧٢ .

ومن شعره :

يَا رَبِّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَبِكَ اسْتَعْنْتُ عَلَى الضَّعِيفِ الْمَوْذِي
مَا لِي بَعَثْتَ إِلَيَّ أَلْفَ بَعُوضَةٍ وَبَعَثْتَ وَاحِدَةً إِلَى غُرُودِي ؟

ومن شعره على ما حكاه ابن بسام في « الذخيرة »^٢ :

أَسْلَمَنِي حَبُّ سُلَيْمَانِكُمْ إِلَى هَوَى أَيْسَرُهُ الْقَتْلُ
قَالَتْ لَنَا جُنْدٌ مَلَا حَاتِهِ لَمَّا بَدَأَ مَا قَالَتْ النَّمْلُ
قُومُوا ادْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْطَمَكُمْ أَعْيُنُهُ النَّجْلُ

وله وقد كبر وضعف مشيه ، وهو معنى غريب :

إِذَا مَا خَفَقْتُ كَعْبِدَ الصَّبَا أَبَتْ ذَلِكَ الْخَمْسُ وَالْأَرْبَعُونَ
وَمَا ثَقُلْتُ كِبَرًا وَطَاطِي وَلَكِنْ أَجْرُ وَرَائِي السَّنِينَا

وله أيضاً :

وَقَائِلَةٌ مَاذَا الشُّحُوبُ وَذَا الضُّنَى فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ الْمُشَوِّقِ الْمُتَيَّمِ
هَوَاكِ أَتَانِي وَهُوَ ضَعِيفٌ أَعِزُّهُ فَأَطْعَمْتُهُ لَحْمِي وَأَسْقَيْتُهُ دَمِي

ومن تصانيفه أيضاً : « قراضة الذهب » وهو لطيف الجرم^٣ كبير الفائدة ،
وله كتاب « الشذوذ » في اللغة ، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .
[وكتاب « طراز الأدب » وكتاب « المادح والمذام » وكتاب « متفق
التصحيح » وكتاب « تحرير الموازنة » وكتاب « الاتصال » وكتاب « المن
والفداء » وكتاب « غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون »
وكتاب « أرواح الكتب » وكتاب « شعراء الكتاب » وكتاب « المعونة » في

١ أ : حل .

٢ في المسودة : في الحريدة ، وهو وهم .

٣ ج : الحجم .

الرخص والضرورات وكتاب « الرياحين » وكتاب « صدق المدائح » وكتاب « الأسماء المعربة » وكتاب « إثبات المنازعة » وكتاب « معالم التاريخ » وكتاب « التوسع في مضائق القول » وكتاب « الحيلة والاحتراس »^١ .
 [وكانت بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف القيرواني وقائع وماجريات يطول شرحها ، وقصدنا الاختصار]^٢ .
 ورشيق : بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف .
 والمسيلة : قد تقدم ذكرها فلا حاجة إلى إعادته .

١٦٦

ابن أبي الشخباء

الشيخ المجيد أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبّرة ؛ كان من فرسان النثر ، وله فيه اليد الطولى . ويقال : إن القاضي الفاضل ، رحمه الله تعالى ، كان جلّ اعتماده على حفظ كلامه وإنه كان يستحضر أكثره . وذكره عماد الدين الأصبهاني في « الحريدة » فقال : « المجيد مجيد كنّفته ، قادر على ابتداع الكلام ونحّته ، له الخطب البديعة والملح الصنيعة » ، وذكره ابن بسّام في « الذخيرة » وسرّد له جملة من الرسائل ، وذكر هذا المقطوع من نظمه ، وهو من بعض قصيد :

١ زيادة من رد .

٢ تكرر ما بين معقنين لتداخل الترجمات من النسخ المختلفة ، وهذا موضع العبارة في المسودة .
 ١٦٦ - ترجمة ابن أبي الشخباء في الحريدة (قسم العسقلانيين) ومعجم الأدباء ٩ : ١٥٢ وفيه الحسن ابن محمد بن عبد الصمد والذخيرة (القسم الرابع - وهو الجزء الخاص بغير الاندلسيين) وأورد له صاحب الریحان والریمان جملة من رسائله وخطبه ، ولعله اعتمد في ذلك على الذخيرة .

ما زالَ يختار الزمانُ ملوكَهُ حتى أصابَ المصطفى المتخيرا
 قل للأُلى ساسوا الورى وتقدموا قدُمّا هلموا شاهِدوا المتأخرا
 تجدوه أوسع في السياسة منكم صدراً وأحمد في العواقب مصدراً
 إن كان رأيي شاوروه أحنفاً أو كان بأس نازلُوه عنقرا
 قد صامَ والحسَناتُ مِلء كتابه وعلى مِثال صِيامِهِ قد أفطرا
 ولقدْ تخوّفَكَ العدوُّ بجهدهِ لو كانَ يَقْدِرُ أنْ يَرُدَّ مُقدَّرا
 إنْ أنتَ لم تَبْعَثْ إليه ضُمراً جرّداً بَعَثْتَ إليه كَيْداً مُضْمِرا
 يسْري وما حَمَلَتْ رجالٌ أبضاً فيه ولا ادْرَعْتَ كُهاةَ أَسْمرا
 خطروا إليك فغاطروا بنفوسهم وأمرتَ سَيْفَكَ فيهم أنْ يخطرا
 عَجَبُوا لِحَلَمِكَ أنْ تَحُولَ سَطَوَةً وزُلالَ خُلُقِكَ كَيْفَ عادَ مَكْدَرا
 لا تَعَجَبُوا مِنْ رِقَةٍ وَقَساوَةٍ فالنارُ تُثَقِّحُ مِنْ قَضِيبٍ أَخْضرا

وقد اقتصرتُ منها على هذا القدر خوفاً من التطويل ٢ .

ومن المنسوب إلى ابن أبي الشخباء أيضاً قوله :

يا سَيْفَ نصري والمُهَنْدُ يانِعُ ورَبِيعَ أرضي والسَّحابُ مُصافٍ
 أخلاقُكَ الفَرّ النَميرة ما لها حَمَلَتْ قَتْلَى الواشينَ وهي سَلافٍ
 والإفكُ في مرآة رَأْيِكَ ماله يَخْفَى وأَنْتَ الجَوْهَرُ الشَّفافِ

ورأيت في ديوانه البيتَين المشهورين :

حِجَابٌ وإِعْجَابٌ وفَرَطٌ تَصْلُفٍ ومَدٌّ يَدٍ نحو العُلا بَتَكْلُفٍ
 وَلَوْ كانَ هَذَا مِنْ وِراءِ كِفايَةٍ عَذَرْنَا وَلَكِنْ مِنْ وِراءِ تَخْلُفٍ

[ومن شعره أيضاً :

يحود بالماء غيث السُّحب منقطعاً وغيث كَفِكَ بالأموال متصل

١ المسودة : في . ٢ أ د : الإطالة .

جارى نداك ولم يظفر ببغيته فحمره البرق في حافاته خجل
ومن شعره :

ومهفف علق السقام بطرفه وسرى فخيّم في معاهد خصره
مزقت أثواب الظلام بثغره ثم اثنتيت أحوكها من شعره^١

وذكر أنه توفي مقتولاً بجزاة البنود ، وهي سجن بمدينة القاهرة المعزية ، سنة
اثنتين وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والشّخّباء : بفتح الشين المثلثة وسكون الحاء المعجمة وبعد الباء الموحدة
ألف ممدودة .

والعسقلاني : نسبة إلى مدينة عسقلان وهي مشهورة على الساحل .

١٦٧

ابن زولاق

أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد^٢ بن راشد بن
عبد الله بن سليمان بن زولاق الليثي مولاهم^٣ المصري ، كان فاضلاً في التاريخ ، وله فيه
مصنف جيد ، وله كتاب في خِطَط مصر استقصى فيه ، وكتاب « أخبار قضاة
مصر » جعله ذيلًا على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي الذي ألفه في

١ البيتان الأروان في د وهامش س والتاليان في د وحدهما .

١٦٧ - ترجمة المؤرخ ابن زولاق في ابن كثير ١١ : ٣٢١ وتاريخ ابن الوردي ١ : ٣٥١ ولسان
الميزان ٢ : ١٩١ ، ومن كتابه « سيرة الاخشيد » احتفظ ابن سعيد في المغرب بقطعة وافرة .
وله أيضاً سيرة ابن طولون وسيرة خاراويه (انظر تاريخ بروكلمان ١ : ١٢٩) .

٢ س : خلف .

٣ مولاهم : سقطت من س .

أخبار قضاة مصر وانتهى فيه إلى سنة ست وأربعين ومائتين ، فكله ابن زولاق المذكور ، وابتدأ بذكر القاضي بكار بن قتيبة ، وختمه بذكر محمد بن النعمان ، وتكلم على أحواله إلى رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ؛ وكان جده الحسن بن علي من العلماء المشاهير .

وكانت وفاته - أعني أبا محمد - يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

ورأيت في كتابه الذي صنفه في أخبار قضاة مصر ، في ترجمة القاضي أبي عبيد ، أن الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير توفي في جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ، ثم قال : قبل مولدي بثلاثة أشهر ، فعلى هذا التقدير تكون ولادة ابن زولاق المذكور في شعبان سنة ست وثلثمائة . وروى عن الطحاوي .

وزولاق : بضم الزاي وسكون الواو وبعد اللام ألف قاف .

والليثي - بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثناة - هذه النسبة إلى ليث بن كنانة ، وهي قبيلة كبيرة . قال ابن يونس المصري : هو ليثي بالولاء .

١٦٨

ملك النحاة

أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة ؛ ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : كان من الفضلاء المبرزين ، وحكى ما جرى بينها من المكاتبات بدمشق ، وبرع في

١٦٨ - ترجمة ملك النحاة في تهذيب ابن عساكر ٤ : ١٦٦ وافياء الرواة ١ : ٣٠٥ و امرأة الزمان : ٢٩٥ وابن الديبشي : ٢٨١ ومعجم الأدباء ٨ : ١٢٢ وطبقات السبكي ٤ : ٢١٠ وابن كثير ١٢ : ٢٧٢ وبغية الوعاة : ٢٢٠ والخريدة (قسم العراق) .

النحو حتى صار أنحى أهل طبقته^١ ، وكان فهماً فصيحاً ذكياً إلا أنه كان عنده عجبٌ بنفسه وتيه^٢ ، لقب نفسه مَلِكَ النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك . وخرج عن بغداد بعد العشرين^٣ وخمسة ، وسكن واسط مدة ، وأخذ عنه جماعة من أهلها أدباً كثيراً ، واتفقوا على فضله ومعرفته .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال : ورد إربل وتوجه إلى بغداد وسمع بها الحديث ، وقرأ مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني ، والخلاف على أسعد الميهني ، وأصول الفقه على أبي الفتح ابن برهان صاحب « الوجيز » و « الوسيط » في أصول الفقه ، وقرأ النحو على الفصيحى ، وكان الفصيحى قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب « الجمل الصغرى^٤ » . ثم سافر إلى خراسان وكيرمان وغزنة ، ثم رحل إلى الشام واستوطن دمشق ، وتوفي بها يوم الثلاثاء ثامن شوال ، ودفن يوم الأربعاء تاسعه سنة ثمان وستين وخمسة وقد ناهز الثمانين ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، رحمه الله تعالى .

[ثم ظفرت بمولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الرقيق]^٥ .

وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصول والنحو ، وله ديوان شعر ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة^٦ ، ومن شعره :

سَلَوْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَنْهَا فَأَصْبَحْتُ دَوَاعِي الْهَوَى مِنْ نَحْوِهَا لَا أَجِيبُهَا

١ ر : زمانه .

٢ ص : بعد العشر .

٣ س : الصغير .

٤ ما بين معقنين انفردت به س .

٥ من مصنفاته: الحاوي والعمد والمنتخب وكلها في النحو، وله أيضاً المقتصد في التصريف وأسابيق الحق في القراءات والتذكرة السلفية والحاكم في فقه الشافعي ومختصر في أصول الفقه ومختصر في أصول الدين .

٦ ص : بقصائد .

على أنني لا شامتٌ إن أصابها بلاء ، ولا راضٍ بواشٍ يعييبها
وله أشياء حسنة ، وكان مجموع فضائل .

١٦٩

أبو محمد العسكري

أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق بن
محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ؛
أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، وهو والد المنتظر صاحب السرداب
ويُعرف بالعسكري ، وأبوه علي يُعرف أيضاً بهذه النسبة - وسيأتي ذكره وذكر
بقية الأئمة إن شاء الله تعالى - .

وكانت ولادة الحسن المذكور يوم الخميس في بعض شهور سنة إحدى وثلاثين
ومائتين وقيل سادس شهر ربيع الأول ، وقيل الآخر ، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين^١ .
وتوفي يوم الجمعة ، وقيل يوم الأربعاء لثاني ليال خلون من شهر ربيع الأول ،
وقيل جمادى الأولى سنة ستين ومائتين يسرَّ مَنْ رأى ، ودفن بجنب^٢ قبر
أبيه ، رحمه الله تعالى .

والعسكري - بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها
راء - هذه النسبة إلى سرَّ من رأى . ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره

١٦٩ - ترجمة أبي محمد العسكري في الأئمة الاثني عشر : ١١٣ ، وراجع الصفحة المقابلة في مصادر
ترجمته وانظر مصادر أخرى في حاشية الأعلام للزركلي ٢ : ٢١٦ .

١ وقيل سادس ... ومائتين ، سقط من س م ر .

٢ ص : إلى جانب .

قيل لها العسكرية^١ ، وإنما نسب الحسن المذكور إليها لأن المتوكل أشخص أباه
عليًا إليها^٢ وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، فنسب هو وولده إليها .

١٧٠

أبو نواس

أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نُوَاس
الحكّمي الشاعر المشهور ؛ كان جدّه مولى الجراح بن عبد الله الحكّمي والي
خراسان ، ونسبته إليه .

ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتاب « الورقة »^٣ أن أبا نواس ولد بالبصرة
ونشأ بها ، ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب ، ثم صار إلى بغداد . وقال
غيره : إنه ولد بالأهواز ونقل منها وعمره سنتان . وأمه أهوازية اسمها جُلْبَان ،
وكان أبوه من جند مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، وكان من أهل
دمشق ، وانتقل إلى الأهواز للرباط فتزوج جلبان وأولدها عدة أولاد منهم :
أبو نواس وأبو معاذ ؛ فأما أبو نواس فأسلمته أمه إلى بعض العطارين ، فرآه أبو
أسامة والبة بن الحباب ، فاستحلّه^٤ ، فقال له : إني أرى فيك مخايل ،

١ س : العسكرية .

٢ أ : أباه عاملاً عليها .

١٧٠ - ترجمة أبي نواس في الأغاني ٢٠ : ٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٣٦٤ والشعر والشعراء : ٦٨٠
وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٥٤ وطبقات ابن المعتز : ١٩٣ والموشح : ٢٦٣ ونزهة اللبّاء :
٢٤٩ ، ولابن منظور كتاب مفرد في أخباره وكذلك لأبي هفان ، وانظر بروكلمان ٢ : ٢٤
(من الترجمة العربية) .

٣ لم يرد هذا في كتاب الورقة المطبوع ، وهذا القسم الذي طبع لا يمثّل كتاب الورقة لأنه أخل
بترجمات كثيرة .

٤ ر : فاستحسنه .

أرى لك أن لا تضعيها ، وستقول الشعر ، فاصحَبني أخرَجْكَ^١ ، فقال له :
ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو أسامة والبةُ بن الحباب ، فقال : نعم ، أنا والله في
طلبك ، ولقد أردتُ الخروج إلى الكوفة بسبك لأخذ عنك وأسمع منك
شعرك ؛ فصار أبو نواس معه وقدم به بغداد ، فكان أول ما قاله من الشعر ،
وهو صي^٢ :

حَامِلُ الْهُوَى تَعِبُ يَسْتَخِفُّهُ^٣ الطَّرَبُ
إِنْ بِكِي يَحَقُّ لَهُ لَيْسَ مَا بِهِ لَعِبُ
تَضْحَكِينَ لَاهِيَةً وَالْحُبُّ يَنْتَحِبُ
تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمِي صِحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ

وهي أبيات مشهورة .

وروي أن الخصب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبه
فقال : أغنائي أدبي عن نسي ، فأمسك عنه .

وقال إسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط أوسعَ علماً من أبي نواس ، ولا
أحفظ منه مع قلة كتبه ، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قِمَطرًا
فيه جُزْاز مشتمل على غريب ونحو لا غير .

وهو في الطبقة الأولى من المولدين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في
العشرة ، وقد اعتنى يجمع شعره جماعة من الفضلاء : منهم أبو بكر الصولي
وعلي بن حمزة وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون ، فلهذا يوجد
ديوانه مختلفاً ، ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه .

[وكان أبو نواس قوي البدنية والارتجال ؛ روي أن الخصب قال له مرة

١ أخرَجْكَ : سقطت من س .

٢ ديوانه : ٣٦٦ ؛ ولم يرد في س من هذه الأبيات غير بيت واحد .

٣ رس : يستغزه .

٤ الديوان : فحق له .

وهو بالمسجد الجامع : أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب ، فقام من
فوره فقال مرتجلاً :

نحلتكم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية أكل لحيات البلاد شروب
فإن يك باقي إثم فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت ؟ فاعتذر
إليه وحلف : ما كنت إلا مازحاً^١ .

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول : لو وصفت الدنيا نفسها لما
وصفت بمثل قول أبي نواس^٢ :

ألا كل حي هالك^٣ وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس^٤ :

فبعض اللوم عاذلي فإني سيكفني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى .
وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول^٥ :

[تكثّر ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم على كريم
وقال وهي من رواية أخرى :^١

١ زيادة من د .

٢ ديوانه : ١٩٢ .

٣ الديوان : أرى كل حي هالكاً .

٤ ديوان امرئ القيس : ٩٧ - ٩٨ .

٥ لم ترد في باب الزهد من ديوانه .

تَكْتَرُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا فَإِنَّكَ بِالسَّخْرِ رَبَّنَا غَفُورًا
سَتَبْصِرُ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ عَقُوفًا وَتَلْقَى سَيِّدًا مُلْكًا كَبِيرًا
تَعْصُ نَدَامَةً كَفَيْكَ مِمَّا تَرَكْتَ مَخَافَةَ النَّارِ الشَّرُورَا^١
وهذا من أحسن المعاني وأغربها ؛ وأخباره كثيرة .

ومن شعره الفائق المشهور قصيدته الميمية التي حسده عليها أبو تمام حبيب
المقدم ذكره ووازنها بقوله^٢ :

دَمَنْ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمْ حُلْ عُقْدَةٍ صَبَرَهُ الْإِلَامُ
وأول قصيدة أبي نواس المشار إليها ، وهي مما مدح به الأمين محمد بن هارون
الرشيد أيام خلافته^٣ :

يَا دَارُ مَا صَنَعْتَ^٤ بِكَ الْإَيَّامُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ^٥
يقول من جملتها في صفة ناقته :

وَتَجَشَّمْتُ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ هَوْنِجَاءَ فِيهَا جُرْأَةٌ إِقْدَامُ
تَذَرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقْدَمُ مِنْهُ^٥ وَهِيَ إِمَامُ
وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَى بَلَعْنُ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

وهذا البيت له حكاية سيأتي ذكرها في ترجمة ذي الرمة غيلان الشاعر
المشهور .

(18) وقد أذكرني هذا البيت واقعة جرت لي مع صاحبنا جمال الدين محمود

١ أ د : الشرورا .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٥٠ .

٣ ديوان أبي نواس : ٦٣ .

٤ الديوان : فعلت .

٥ الديوان : ضامتك والأيام ليس تضام .

ابن عبد الله الإربلي الأديب المجيد في صناعة الألحان وغير ذلك ، فإنه جاءني إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة في بعض شهور سنة خمس وأربعين وستائة وقعد عندي ساعة ، وكان الناس يزدهون^١ لكثرة أشغالهم حينئذ ، ثم نهض وخرج ، فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

يا أيها المولى الذي بوجوده أبدت محاسنها لنا الأيام
إني حججت إلى مقامك حجة^٢ لا أشواق لا ما يوجب الإسلام
وأخنت بالحرم الشريف مطيبي فتسرّبت واستاقها الأقوام
فظللت أنشد عند نشداني لها بيتاً لمن هو في القريض إمام
« وإذا المطي بنا بلفن محمداً فظهورهن على الرجال حرام »

فوقفت عليها وقلت لغلامه : ما الخبر ؟ فذكر أنه لما قام من عندي وجد مداسه قد سُرِق ، فاستحسننت منه هذا التضمين . والعرب يشبهون النعل بالراحلة ، وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتأخرين ، واستعمله المتنبي في مواضع من شعره .

ثم جاءني من بعد جمال الدين المذكور ، وجرى ذكر هذه الأبيات ، فقلت له : ولكن أنا اسمي أحمد ، لا محمد ، فقال : علمت ذلك ، ولكن أحمد ومحمد سواء ، وهذا التضمين حسن ولو كان الاسم أي شيء كان .

وكان محمد الأمين المقدّم ذكره قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه ، فتهدّده بالقتل وحبسه ، فكتب إليه من السجن^٣ :

بك أستجير من الردى متعوّذاً من سطور باسك
وحياة رأسك لا أعو دُ لملها ، وحياة رأسك
من ذا يكون أبانوا سِكَ إن قتلت أبانوا سِكَ^٣

١ هـ : مزدحين .

٢ ديوانه : ١٠٧ .

٣ قوله : ومن شعره الفائق حتى هذا الموضع لم يرد في المسودة ، وعند موضعه علامة تحويل .

وله معه وقائع كثيرة .

[حدث أحمد بن معاوية الباهلي عن عطاء الملك قال : دخلنا المسجد الجامع فإذا على السارية - مكتوب بخط جليل - التي إليها أبو عبيدة يجلس :

صلى الإله على لوطٍ وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال : فقال لي أبو عبيدة : احبه ، قلت : لا أنا له ، فركع وارتفعت على ظهره حتى محوته فقلت : لم يبقَ إلا الطاء ، فقال : الطامة في الطاء ، فمحوتها ، فلما جلس قال : والله ما أتهم بهذا إلا الخبيث الماجن المتهتك - يعني أبا نواس - ؛ قال : فبلغ قوله أبا نواس ، فحلف أنه لم يفعل ذلك ، فقبل يمينه .

وكان أبو عبيدة يحب أبا نواس ويقدمه لظرفه وأدبه ، وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويشنأ الأصمعي ويهجوّه ، فقبل له : ما تقول في الأصمعي ؟ فقال : بلبل في قفص ؛ قبل : فما تقول في خلف الأحمر ؟ قال : جمع العلم وفهمه ؛ قبل : فما تقول في أبي عبيدة ؟ قال : ذاك أديم طوي على علم^١ .

[وكان بمصر رجل يُعرف بالحسن بن عمر الأجهري يقول الشعر الضعيف ، وكان ناقص العقل ، فقبل له : إن أردت أن يعلو شأنك في الشعر فاهجُ أبا نواس ، فأثاه وهو جالس في المجلس والناس حوله فأنشده :

ألا قل للنواصي الضعيف الحال والقدر
خبرنا منك أحوالاً فلم نحمدك في الخبر
وما روعت بالمنظر لكن رعت بالكدر

قال : وكان هذا الشاعر من أوحش الناس صورة ، فنظر إليه أبو نواس وقال : بمَ أهجوك وبأي شيء أصفك وقد سبقني الله تعالى إلى توخُّش منظرِكَ وتقبيح خبرك ؟ وهل أكون إن قلت شيئاً إلا سارقاً من ربي ومتكلفاً

١ زيادة من رص .

على ما قد كفاني ؟ فقال له بعض من معه : اهجه على حال لا نقول إنه أفحمك ، فقال من وزن شعره :

بما أهجوك لا أدري لساني فيك لا يجري
إذا فكرت في هجو ك أبقيت على شعري

قال : فقاموا على أبي نواس فقبلوا رأسه وشفقوا الأيدي جهراً^١ .
[حدث الصولي عن عبد الله بن محمد بن حفص قال : غلت يوماً إلى المسجد فإذا بأبي نواس يكلم امرأة عند باب المسجد ، وكنت أعرفه في مجالس الحديث والآداب ، فقلت له : مثلك يقف هذا الموقف بحق أو باطل ! فاعتذر ثم كتب إليّ ذلك اليوم هذه الأبيات :

إن التي أبصرتها سحراً تكلني رسوز
دست إلي رسالة كادت لها نفسي تزول
من واضح الخدين يقر صر خطوه ردق ثقيل
متكعب قوس الصبا يرمي وليس له رسيل
فلو ان أذنك عندنا حق تسمع ما تقول
لأريت ما استقبحت من أمري لديك هو الجليل^٢]

[وحكى الصولي عن إسماعيل بن نصر أخيه محمد بن نصر الذي يقول فيه أبو نواس من جملة قصيد :

فصلى هذه في وقت هذي فكل صلاته أبداً قضاء
وذاك محمد تفديده نفسي وحق له وقل له الفداء

قال : رأيت أبا نواس وقد صلى الظهر وقام يتطوع فقلت له : ما بدا لك في

١ زيادة انفردت بها ر .

٢ زيادة من ص ر وقد استطردت النسختان بعد ذلك إلى ذكر حكاية طويلة قليلة الأهمية في ترجمة أبي نواس ، لا نظن أن المؤلف يتورط في إيراد أمثالها ، ولذلك لم نثبتها .

هذا ؟ قال : ليصعد إلى السماء اليوم خبر ظريف .
حكى الصولي عن أبي العتاهية قال : لقيت أبا نواس في المسجد الجامع
فعدلته وقلت له : أما آن لك أن ترعوي ؟ أما حان لك أن تزدرج ؟ فرفع
رأسه إلي وقال :

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي
أتراني مفسداً بالنسك عند القوم جاهي

قال : فلما ألححت عليه بالعدل أنشأ يقول :

لن ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

قال : فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلته .
وقال أبو العتاهية : قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد وددت أن لي مكانها
الآبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي :

يا نواسي توقّر وتعزّ وتصبّر
إن يكن ساءك دهرٌ فلما سرّك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله عن ذنبك أكبر

وأشيع عن أبي نواس انه رجع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر وزهد
في اللذات ، فاجتمع أصحابه وأقبلوا عليه يهنئونه بذلك ، فوضع بين يديه
باطية وجعل لا يدخل عليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلاً وأنشد :

قالوا نزعنا ولما يعلموا وطري في كل أغيد ساجي الطرف مياسر
كيف النزوع وقلبي قد تقسمه لحظ العيون وقرع السن بالكاسر

قال محمد بن نافع : كان أبو نواس لي صديقاً ، فوقع بيني وبينه هجرة في
آخر عمره ، ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن ، فبينما أنا بين النائم واليقظان
إذ رأيته فقلت : أبا نواس ؟ قال : لا ، حين كنية ، قلت : الحسن بن هانئ ؟

قال : نعم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بأبيات قلتها في علي قبل موتي وهي تحت الوسادة ؛ فأتيت أهله فلما رأوني أجشوا بالبكاء فقلت لهم : قال أخي شعراً قبل موته ، قالوا : لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو ، قلت : ايدنوا لي أدخل ؛ قال : فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد ، فرفعت وسادة فلم أر شيئاً ثم رفعت أخرى فإذا أنا برقعة فيها مكتوب :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يدعوك إلا بحسن فمن الذي يرجو ويدعو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجيل عفوك ثم أني مسلم^١

وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن درّاج القسطلّي ذكر بعض قصيدة أبي نواس الرائية^٢ .

وذكره الخطيب أبو بكر في « تاريخ بغداد » وقال : وُلد في سنة خمس وأربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة ، وتوفي في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ، ودفن في مقابر الشونيزي ، رحمه الله تعالى . وإنما قيل له أبو نواس لذوّابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه .

والحكّمي^٣ - بفتح الحاء المهملة والكاف وبعدها ميم - هذه النسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة ، قبيلة كبيرة باليمن منها الجراح بن عبد الله الحكمي ، وكان أمير خراسان ، وقد تقدم أن أبا نواس من مواليه فنسب إليه . وقد تقدم الكلام على سعد العشيرة في ترجمة المتنبي في حرف الهمة .

وأما الصولي فتأتي ترجمته في الحمدني ، وعلي بن حمزة لم أقف له على ترجمة^٤

١ زيادة من ص ر .

٢ انظر الجزء الأول ص : ١٣٥ : ١٨٨ .

٣ قد صرح ابن التديم (الفهرست : ١٦٠) أن علي بن حمزة الاصفهاني عمل ديوان أبي نواس على الحروف ، وقد ترجم ياقوت (معجم الأدباء ١٣ : ٢٠٣) لعلي بن حمزة الاصفهاني هذا ويؤخذ من ترجمته أنه من رجال القرن الثالث .

(19) وتوزون أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وبرع فيه ، وكان يسكن بغداد ، وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلثائة ، رحمه الله تعالى .

١٧١

ابن وكيع التنيسي

أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور ؛ أصله من بغداد ومولده بتنيس . ذكره أبو منصور الثعالبي في « يتيمة الدهر » ، وقال في حقه : « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام » ، وذكر مزدوجته المربعة^٢ ، وهي من جيد النظم ، وأورد له غيرها ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بيتن فيه سرقات أبي الطيب المتني سماء « المنصف »^٣ ، وكان في لسانه عجمة ، ويقال له العاطس ، ومن شعره^٤ :

سلا عن حُبِّكَ القلبَ المَشُوقُ فما يَصْبُو إليك ولا يَتَوَقُّ
جَفَاؤُكَ كانَ عَنكَ لَنَا عَزَاءٌ وقد يُسْئِلُ عن الولدِ العَقُوقُ

وله أيضاً :

١٧١ - ترجمة ابن وكيع التنيسي في اليتيمة ١ : ٣٧٢ - ٤٠٠ .

١ أ ج : نظم يسحر .

٢ قصيدة كل أربعة أشطار منها على قافية وأولها :

رسالة من كلف عميد حياته في قبضة الصدود

بلغه الشوق مدى الجهود ما فوق ما يلقاه من مزيد

٣ من هذا الكتاب قطعة تمثل الجزء الأول (جامعة بيل : ١٦٧) .

٤ هذه القطعة والتي تليها في اليتيمة : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

[كأنها في الكؤوس إذ جُلّيت
أغضبها الماء حين مازجها
در حباب يودّ مبصره
لو كان يوماً لأذنه شفا
وله أيضاً :^١

إن كان قد بَعَدَ اللقاءَ فَوَدُّنا
كم قاطعٍ للوصلِ يُؤمِّنُ ودُّهُ
دانٍ، ونحنُ على النوى أحبابُ
ومواصِلٍ يودّاه يُرتابُ
وله أيضاً :

لقد شَمِتُ بقلبي
كم لُمتَ في هَوَاهُ
لا فرَجَ اللهَ عَنْهُ
فقال لا بُدَّ مِنْهُ

ولقد أَلَمَ به بعضهم فقال :

لا رعى الله عَزْمَةً ضَمِنْتُ لي
ما وفّتْ غيرَ ساعةٍ ثمَّ عادتُ
سَلَوَةَ القلبِ والتَّصَبُّرَ عَنْهُ
مثلَ قلبي تقولُ لا بُدَّ مِنْهُ
ومثله قول أسامة بن مُنقِذٍ الشيزري المقدم ذكره^٢ :

لا تَسْتَعِزْ جَلَدًا على هِجْرانهم
واعلم بأنك إن رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ
فقُواك تَضَعُفُ عن صدودٍ دائمٍ
طوعاً ، وإلا عُدْتَ عَوْدَةً راعِمٍ

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد بن مقلد القضاعي الشيزري المدرس كان بترية الإمام الشافعي رضى الله عنه بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قَنِعْتُ همي بالحمول وصدَّتْ عن الرتب العاليه

١ زيادة من ر .

٢ ديوان أسامة : ٤٢ .

وما جهلت طيب طعم العلا ولكنها تؤثر العافية
فأنشدني لنفسه على البديهة :

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتبَ العاليه
وكن في مكان إذا ما سقطت تقومُ ورجلاك في عافيه
وله أيضاً - أعني ابن وكيع^١ - :

أبصره عاذلي عليه ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لي لو هويت هذا ما لامك الناس في هواه
قل لي إلى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري يأمرُ بالحب من نهاه

وكننت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ
تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيمي فأنشدني لنفسه في المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلي لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن في التورية .
وله كل معنى حسن .

وكانت وفاة ابن وكيع المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة
ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس^٢ ، ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي
بنيت له بها ، رحمه الله تعالى .

(20) وويع^٢ - بفتح الواو وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها

١ البيتية : ٣٩٦ .

٢ انظر ترجمة وكيع «محمد بن خلف» في الفهرست : ١١٤ حيث ورد باسم أبي محمد بكر بن
محمد بن خلف (وهو خطأ فيما يبدو) والواقى ٣ : ٤٣ والمنظوم ٦ : ١٥٢ وابن كثير ١١ :
١٣٠ وغاية النهاية ٢ : ١٣٧ ، ومن كتبه المطبوعة «أخبار القضاة وتواريخهم» . وله سوى ما
ذكره ابن خلكان : كتاب الغرر (أو الغرة) وكتاب المسافر وكتاب التصرف والنقد والسكة
وكتاب البعث .

وبعدها عين مهملة - وهو لقب جده أبي بكر محمد بن خلف ، وكان نائباً في الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقي . وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، فمنها : كتاب « الطريق »^١ وكتاب « الشريف »^٢ وكتاب « عدد آي القرآن والاختلاف فيه » وكتاب « الرمي والنضال » وكتاب « المكايل والموازن » وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء . وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبّدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم ، رحمه الله تعالى .

والتَّنْثِيسِيُّ - بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة - نسبة إلى تَنْثِيسَ مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط ، بناها تَنْيس بن حام بن نوح عليه السلام فسميت باسمه .
(21) وتوفي المرتضى الشيرازي المذكور في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بمصر ، ودفن بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى .

١٧٢

ابن العلاف الشاعر

أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد المعروف بابن العلاف الضير النهرواني الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء المجيدين ، وحدث عن أبي عمر

١ هذا الكتاب يسمى أيضاً كتاب « النواحي » ويحتوي على أخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه .
٢ هو على مثال كتاب المعارف لابن قتيبة .

١٧٢ - انظر ترجمة ابن العلاف الشاعر في نكت الهميان : ١٣٩ ، وقد أورد قصيدته في رثاء الهر ، والمنتظم ٦ : ٢٣٧ .

الدوري المقرئ، وحيد بن مسعدة البصري ونصر بن علي الجسّضيّ ومحمد بن إسماعيل الحسّاني، وروى عنه عبد الله بن الحسن بن النخاس وأبو الحسن الخراجي القاضي وأبو حفص ابن شاهين وغيرهم^١، وكان ينادم الإمام المعتضد بالله . وقال^٢ : بت ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه ، فأثانا خادماً ليلاً فقال : أمير المؤمنين يقول : أرقت الليلة بعد انصرافكم فقلت :

ولما انتبهنّا للخيال الذي سرى إذا الدار قفرَ والمزار بعيدُ

وقد أرّيجَ عليّ تمامه ، فمن أجازته بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة ، قال : فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل ، فابتدرت وقلت :

فقلت لعيني عاودي النومَ واهجمي لعلّ خيالاً طارقاً سيعُودُ

فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال : أمير المؤمنين يقول : قد أحسنت ، وقد أمر لك بجائزة .

وكان لأبي بكر المذكور هير^٣ يأنس به ، وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها ، وكثر ذلك منه ، فأمسكه أربابها فذبجوه ، فقرأه بهذه القصيدة وقد قيل : إنه رثى بها عبد الله بن المعتز - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وخشي من الإمام المقتدر أن يتظاهر بها لأنه هو الذي قتله ، فنسبها إلى الهر وعرضَ به في أبيات منها ، وكانت بينهما صعبة أكيدة .

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه « المعارف المتأخرة » في ترجمة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات ما مثاله : قال صاحب أبو القاسم ابن عباد : أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف وهو الأكلول المقدم في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك قصائد أبيه في الهر ، وقال : إنما كنى بالهر عن المحسن بن الفرات أيام محنته لأنه لم يحسر أن يذكره ويرثيه . قلت أنا : وهذا المحسن ولد الوزير المذكور ، وسيأتي خبر ذلك في ترجمة

١ وحدث عن ... وغيرهم : سقط من س .

٢ انظر المنتظم : ٢٣٧ .

أبيه أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إن شاء الله تعالى .
 وذكر صاعد اللغوي في كتاب « الفصوص » قال : حدثني أبو الحسن المرزباني
 قال : هويتُ جارية لعلي بن عيسى غلاماً لأبي بكر ابن العلاف الضرير ، ففطن
 بها فقتلها جميعاً وسلخا وحشيت جلودهما تنبأ ، فقال أبو بكر مولاه هذه
 القصيدة يرثيه بها وكنى عنه بالهر ، والله أعلم .
 وهي من أحسن الشعر وأبدعه ، وعددها خمسة وستون بيتاً ، وطولها يمنع
 من الإتيان بجميعها فنأتي بمحاسنها ، وفيها أبيات مشتملة على حكم فنأتي بها ،
 وأولها :

يا هراً فارقتنا ولم تعد	وكنت عندي بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد	كنت لنا عدّة من العدد
تطرد عنا الأذى وتحرسنا	بالغيث من حيّة ومن جرّد
وتخرج الفأر من مكائنها	ما بين مفتوحها إلى السدّ
يلقاك في البيت منهم مدد	وأنت تلقاهم بلا مدد
لا عدد كان منك منفلتاً ^١	منهم ولا واحد من العدد
لا ترهب الصيف عند هاجرة	ولا تهاب ^٢ الشتاء في الجدد
وكان يجري ولا سداد لهم	أمرّك في بيتنا على سدّ
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا	ولم تكن للأذى بمعتقد
وحسنت حول الردى بظلمهم	ومن يحمّ حول حوضه يرد
وكان قلبي عليك مرّعداً	وأنت تنساب غير مرّعد
تدخل برّج الحمام متّداً	وتبلع الفرخ غير متّيد
وتطرح الريش في الطريق لهم	وتبلع اللحم بلع مزدرّد
أطعمك الغي لحماً فرأى	قتلك أربابها ^٣ من الرشد

١ د : منقلباً .

٢ د : تخاف .

٣ النكت : أصحابها .

حتى إذا داوموك واجتهدوا
كادوك دهرأ فها وقعتَ وكم
فحين أخفرت وانهمكت وكا
صادوك غيظاً عليك وانتقموا
ثم شفوا بالحديد أنفُسَهُمْ

ومنها :

فلم تزل للحمام مُرتَصِداً
لم يرحموا صوتك الضعيف كما
أذاقك الموت ربُّهُنَّ كما

ومنها :

كانَّ جبلاً حوى يحوِّدته
كانَّ عيني تراك مُضطرباً
وقد طلبتَ الخلاصَ منه فلم
فجدتَ بالنفس والبخيلُ بها
فما سمعنا بمثل موتك إذ
عشتَ حريضاً يقوده طمعٌ

ومنها :

يا مَنْ لذيذُ الفراخ أوقعه
ألم تخفَ وثبة الزمان كما
عاقبةُ الظلم لا تنام وإن
أردتَ أن تأكل الفراخ ولا
هذا بعيد من القياس وما
لا بارك الله في الطعام إذا

ويحك هلاً قنعتَ بالغدد
وثبتَ في البرُج وثبة الأسد
تأخرتَ مدة من المدد
يا كلك الدهرُ أكلَ مضطهد
أعزه في الدنو والبُعْد
كان هلاك النفوس في المعد

كَمْ دَخَلْتَ لَقْمَةً حَشَا شَرِّهِ فَأُخْرِجَتْ رُوحَهُ مِنْ الْجَسَدِ
 مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ تَسْوَرِّكَ إِلَـهَ بَرَجٍ وَلَوْ كَانَ جَنَّةَ الْخُلْدِ
 قَدْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي دَعَاٍ مِنَ الْعَزِيزِ الْمُهَيْمِنِ الصَّمَدِ
 تَأْكُلُ مِنْ فَأْرِ بَيْتِنَا رَغَدًا وَأَيْنَ بِالشَّاكِرِينَ لِلرَّغَدِ
 وَكُنْتَ بَدَأْتَ شَمْلَهُمْ زَمَنًا فَاجْتَمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْبَدَدِ
 فَلَمْ يُبْقُوا لَنَا عَلَى سَبَدٍ فِي جَوْفِ أَيْبَاتِنَا وَلَا لَبَدٍ
 وَفَرَّغُوا قَعَرَهَا وَمَا تَرَكَوا مَا عَلَّقْتَهُ يَدٌ عَلَى وَتَدِ
 وَفَتَّتُوا الْحَبْزَ فِي السَّلَالِ فَكَمْ تَفَتَّتَ لِلْعِيَالِ مِنْ كَبِدِ
 وَمَزَّقُوا مِنْ ثِيَابِنَا جُدُدًا فَكَلَّنَا فِي الْمَصَائِبِ الْجَدَدِ

ونقتصر من هذه القصيدة على هذا القدر فهو زبدتها .
 وكانت وفاته سنة ثمانٍ عشرة ، وقيل تسع عشرة وثلاثمائة ، وعمره مائة
 سنة ، رحمه الله تعالى .
 والنَهْرَوَانِيُّ - بفتح النون وسكون الهاء وفتح الراء والواو وبعد الألف
 نون - هذه النسبة إلى النهْرَوَانِ ، وهي بلدة قديمة بالقرب من بغداد ، وقال
 السمعاني : هي بضم الراء ، وليس بصحيح .

١٧٣

أبو الجوائز الواسطي

أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد بن باري الكاتب الواسطي ؛ كان من
 الفضلاء ، سكن بغداد دهرًا طويلًا ، وذكره الخطيب في تاريخه فقال : وعلقت

١٧٣ - ترجمة أبي الجوائز الواسطي في تاريخ بغداد ٧ : ٣٩٣ .

عنه أخباراً وحكايات وأناشيد وأمثال عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ، ولم يكن ثقة ، فإنه ذكر لي أنه سمع من ابن سكرة وكان يصغر عن ذلك . وكان أديباً شاعراً حسن الشعر في المديح والأوصاف وغير ذلك ، فما أنشدني لنفسه قوله :

دع الناس طُراً واصرف الودَّ عنهمُ إذا كنت في أخلاقهم لا تسامحُ
ولا تبغ من دهر تظاهَرَ رَنَقُهُ صفاء بنيه فإلطباعُ جوامح
وشيئان معدومان في الأرض : درهمٌ حلالٌ وخلٌ في الحقيقة ناصح

انتهى قول الخطيب .

وله تواليف حسان وخط جيد وأشعار رائقة ، وقفت له على مقاطيع كثيرة ولم أر له ديواناً ولا أعلم هل دُوِّنَ شعره أم لا . ومن أشعاره السائرة قوله :

براني الهوى بَرِّيَ المدى وأذابني صُدودك حتى صرت أحملَ من أَمَس
فلستُ أرى حتى أراك وإنما بين هباءِ الذرِّ في أَلقِ الشمس
[ومن شعره :

أقول وجرس الحلي يمنع وصلها وقد عاد ذاك القرب وهو بعدُ
هي كل ذي نطق يغار عليكمُ فكيف يغار الحلي وهو جمادُ]

ومن شعره أيضاً وفيه لزوم ما لا يلزم :

واحزني من قولها خان عهدِي ولها
وحقٌّ من صيَّرتني وقفاً عليها ولها
ما خطرَت بخاطري إلا كستني ولها

وكانت وفاته سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . وقال الخطيب :

سمعت أبا الجوازئ يقول : ولدت في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، وغاب عني خبره في سنة ستين وأربعمائة ، انتهى كلام الخطيب .
قلت : وقد صح أن وفاته كانت في سنة ستين كما ذكرته أولاً ، والله أعلم ، وإن كان الخطيب لم يصرح به بل اقتصر على انقطاع خبره لا غير .

١٧٤

العلم الشاتاني

أبو علي الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بُندار بن إبراهيم الشاتاني الملقب علم الدين ؛ كان فقيهاً غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به ، وكان قد ترك بلده ونزل الموصل واستوطنها^١ ، وكان يتردد منها إلى بغداد ، وكان الوزير أبو المظفر ابن هُبيرة كثير الإقبال عليه والإكرام له .
وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » [وأثنى عليه] وأورد له أشعاراً ، وقال : مدح صلاح الدين بقصيدة أولها :
أرى النّصر معقوداً برايتك الصفرا فسرّ وافتح الدنيا فانت بها أخرى
ومنها :

١٧٤ - ترجمة الشاتاني في مختصر الديبشي : ٢٧٩ وطبقات السبكي ٤ : ٢١٠ ومعجم البلدان « شاتان » وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٧٧ وقال : قدم دمشق في سنة ٥٣١ هـ ، وعقد مجلس الوعظ وعاد إلى وطنه ثم انتقل إلى الموصل وخدم دولة أتابك زنكي وولده محمود الملقب نور الدين وورسل إلى الخليفة المقتضي وإلى عدة أطراف وعاد إلى دمشق سنة ٥٦٨ هـ ، وانظر أيضاً معجم الألقاب ١/٤ : ٥٧٥ ، ولقبه علم الدين ، وكان يعرف بقاع ؛ قال العماد : « وكان إذا قيل له يا علم الدين قاع ، جرى عليه من ذلك أمر عظيم » ، وكان يحفظ جل أشعاره ويوردها من خاطره حتى كأنها يقرأها من كتاب .

١ هـ : واستوطن بها .

٢ هـ : واملِك .

يَمِينُكَ فِيهَا الْيَمْنُ وَالْيُسْرُ فِي الْيُسْرِ فَبُشْرَى لِمَنْ يَرْجُو النَّدَى بِهَا بُشْرَى
 وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَتَوَفَّى فِي شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ
 بِالْمَوْصِلِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
 وَذَكَرَهُ ابْنُ الدُّبَيْشِيِّ فِي ذَيْلِهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ .
 وَشَاتَانُ - بَفَتْحِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ تَاءً مَثْنَاءً مِنْ فَوْقِهَا وَبَعْدَ الْأَلْفِ
 الثَّانِيَةِ نُونٌ - وَهِيَ بَلَدٌ بَنُو أَحْيٍ دِيَارِ بَكْرٍ^١ .

١٧٥

ناصر الدولة ابن حمدان

أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْسَنُ الْمُلُوكِ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ابْنُ أَبِي أَهْيَجَاءَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ
 ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَقْمَانَ بْنِ رَاشِدِ بْنِ الْمُثَنَّى بْنِ رَافِعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَطِيفِ بْنِ
 مُحَرَّبَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ أَسَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ
 حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلِبِ ، التَّغْلِبِيُّ ؛ كَانَ صَاحِبَ الْمَوْصِلِ وَمَا وَالَاهَا ،
 وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ تَارَاتٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ الْمَوْصِلَ بَعْدَ أَنْ كَانَ نَائِبًا بِهَا عَنْ أَبِيهِ ،
 ثُمَّ لَقِبَهُ الْخَلِيفَةُ الْمُتَّقِيُّ اللَّهُ « نَاصِرُ الدَّوْلَةِ » وَذَلِكَ فِي مُسْتَهْلَ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ
 وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَلَقِبَ أَخَاهُ « سَيْفُ الدَّوْلَةِ » فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْضًا ، وَعَظُمَ شَأْنُهَا .
 وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمَكْتَفِيُّ بِاللَّهِ قَدْ وَلَّى أَبَاهُمَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ الْمَوْصِلَ وَأَعْمَالَهَا فِي
 سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَدَخَلَهَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
 وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَكْبَرَ سِنًا مِنْ أَخِيهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَقْدَمَ مَنَزَلَةً عِنْدَ

١ أ : بديار بكر من نواحيه .

١٧٥ - أخبار ناصر الدولة في تجارب الأمم وتاريخ ابن الأثير (صفحات كثيرة من الجزء الثامن) .

الخلفاء ، وكان كثير التأدب معه ؛ وجرت بينهما يوماً وحشة^١ . فكتب إليه
سيف الدولة :

لستُ أجفؤ وإن جُفيتُ ولا آذ رُكاً حقّاً عليّ في كلّ حال
إنما أنت والِدٌ والأب الجا في يجزى بالصبر والإحتل

[١ حكي هلال بن المحسن عن معز الدولة ابن بويه وكان منازلًا لناصر الدولة
أبي محمد بن حمدان ، فجاءه غلام فقال : إن اغتلت ابن حمدان وقتلته ما يكون
لي عليك ؟ قال : اقترحك ؛ ووعدته وعداً مدأ به صدره ، فمضى واختلط
بمسكر ناصر الدولة وتوصل إلى أن عرف موضع منامه ليلاً من خيمته ، ثم جاء
وقد اشتمل على دشنة فدخل الخيمة من تحت الضرب وقد تفرق الناس وتام
الحراس فوجد ناصر الدولة نائماً على سرير وفي جانب الخيمة شمعة وعلى بعد منه
جماعة ، فتأمل موضع رأسه من رجله ثم أطفأ الشمعة لئلا يصيح إذا جرحه فينذر
به ويؤخذ ، وجاءه يريد الموضع الذي فيه رأسه ، فاتفق أن ناصر الدولة تقلب
من جنب إلى جنب فزال عن مكان وجاء الغلام يريد موضعه ففرز الدشنة
غرزاً استقصى فيه وظن أنه قد بلغ المراد ، فأحس ناصر الدولة بعدوه فانتبه
فرأى الشمعة وقد أطفئت وأطناب الخيمة مرفوعة ، فصاح بالغلمان فبادروا
وجاءوا بضوء وشاهدوا الصورة فجزع ، وأمر بالزيادة في الاحتراس ولم يعلم
كيف جرى الأمر ، وعاد الرجل فأخبر معز الدولة أنه قد قتل ناصر الدولة فلم
يعطه ما وعده به لكنه أطلق له شيئاً وقال لأبي جعفر الصيمري : من يُقدم
على الملوك مثل إقدام هذا لا يجوز استبقاؤه فضلاً أن يوثق بمكانه ، وما الذي
يؤمننا أن يبذل لأعدائنا مثل ما بذل لنا ؟ فأرحني منه كيف شئت ، فأخذه
الصيمري ففرقه] .

وكتب إليه مرة أخرى وذكرها الثعالبي في « اليتيمة »^٢ :

١ ما بين معقيد زيادة من د ، وقارن تجارب الزمعة ٢ : ٩٤ .

٢ اليتيمة ١ : ٤٦ وان الأثير ٨ : ٥٨٠ .

رضيتُ لك العلياً وقد كنت أهلها وقلتُ لهم بيني وبين أخي فرقُ
ولم يكُ بي¹ عنها نكول وإنما تجاوزت² عن حقي فتم لك الحقُ
ولا بُدَّ لي من أن أكون مُصلّيًا إذا كنتُ أَرْضَى أن يكون لك السبقُ
[وأورد له أيضاً قوله :

قد جرى في دمه دمه فإلى كم أنت تظلمه
ردّ عنه الطرف منك فقد خرقتك منك أسهمه
كيف يستطيع التجلد من خطرات الوهم تؤله³]

وكان ناصر الدولة شديد المحبة لأخيه سيف الدولة ، فلما توفي سيف الدولة — في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى — تغيرت أحوال ناصر الدولة وساءت أخلاقه وضعف عقله ، إلى أن لم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته ، فقبض عليه ولده أبو تغلب فضل الله الملقب عدة الدولة المعروف بالفضنفر بمدينة الموصل باتفاق من إخوته ، وسيّره إلى قلعة أَرْدَمَشْت⁴ في حصن السلامة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن هذه القلعة هي التي تسمى الآن قلعة كواشي ، وذلك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ولم يزل محبوساً بها إلى أن توفي يوم الجمعة وقت العصر ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ونقل إلى الموصل ودفن بتل توبة شرقي الموصل ؛ وقيل إنه توفي سنة سبع وخمسين .

وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتاب « عنوان السير » في آخر ترجمة ناصر الدولة ما مثاله : ولم يزل — يعني ناصر الدولة — مستولياً على ديار الموصل وغيرها حتى قبض عليه ابنه الغضنفر في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، وكانت

١ د : وما كان لي .

٢ د : تجاوزت .

٣ زيادة من د .

٤ ه : اودمست ؛ أ : ازدمشت .

إمارته هناك اثنتين وثلاثين سنة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثلثمائة^١ ، رحمه الله تعالى ، وقتل أبوه ببغداد وهو يدافع عن الإمام القاهر بالله - وقصته مشهورة - لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

(22) وأما الغضنفر^٢ بن ناصر الدولة فإنه جرت له مع عضد الدولة ابن بُوَيَهِ لما ملك بغداد بعد قتله بختيار ابن عمه المقدم ذكره - وقد كان معه في الواقعة التي قتل فيها - قضايا يطول شرحها ، وحاصلها أن عضد الدولة قصده بالموصل فهِرَبَ منه إلى الشام ونزل بظاهر دمشق ، والمستولي عليها قسام العيار ، فكتب إلى العزيز بن المعز صاحب مصر يسأله تولية الشام ، فأجابه إلى ذلك ظاهراً ومنعه باطناً . فتوجه إلى الرملة في المحرم سنة سبع وستين ، وبها المفرج بن الجراح البدوي الطائي ، فهرب منه ثم جمع له جموعاً وعاد إليه ، فالتقى على بابها في يوم الاثنين ليلة خلت من صفر من السنة ، فانهزم أصحابه وأسر وقتل يوم الثلاثاء ثاني صفر المذكور ، ومولده يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة^٣ .

ونقلت نسبهم على هذه الصورة من كتاب « أدب الخواص » للوزير أبي القاسم الحسين ابن المغربي ، وقال محمد بن أحمد الأسدي النسابة : اسم تغلب دثار ، وإنما سمي تغلب لأن أباه واثلاً قصده اليمن في داره لتسبي أهله ، فصرخ في أهله وعشيرته ، فنُصِرَ على اليمن ، وكان تغلب طفلاً ، فتبرك به وقال : هذا تغلب ، فسمي به^٤ .

١ وقال محمد بن عبد الملك ... وثلثمائة : سقط من س .

٢ انظر تاريخ ابن الأثير ٨ : ٦٩٢ .

٣ وأما الغضنفر ... وثلثمائة : سقط من س .

٤ ص : أحمد بن محمد .

٥ وقال محمد ... فسمي به : سقط من س .

ركن الدولة ابن بويه

أبو علي الحسن بن بُويَه بن فَنَّاخُسَرُو الدَّيْلَمِي الملقب بركن الدولة ؛ وقد تقدمت تنمة نسبه في حرف الهمزة عند ذكر أخيه معز الدولة أحمد . وكان ركن الدولة المذكور صاحب أصبهان والري ومزدان وجميع عراق العجم ، وهو والد عضد الدولة فَنَّاخُسَرُو ومؤيد الدولة أبي منصور بُويَه وفخر الدولة أبي الحسن عي ، وكان منكأ جليل القدر عالي الهمة ، وكان أبو الفضل ابن العميد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وزيره ، ولما توفي استوزر ولده أبا الفتح علياً ؛ وكان صاحب بن عباد وزير ولده مؤيد الدولة ، ولما توفي وزرَ لفخر الدولة - وقد تقدم ذلك في حرف الهمزة في ترجمة صاحب - . وكان مسعوداً ورزق السعادة في أولاده الثلاثة ، وقسم عليهم الممالك فقاموا بها أحسن قيام . وكان ركن الدولة المذكور أوسط الاخوة الثلاثة ، وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة المذكور ومعز الدولة أبو الحسين أحمد - وقد سبق ذكره - وكان عماد الدولة أكبرهم ، ومعز الدولة أصغرهم .

[ولما كان في سنة ٣٣٩ سار الخراسانيون منصور بن قراتكين ومن معه إلى الري ، وكان ركن الدولة ببلاد فارس ، فلما وصل جرت بينه وبينهم حروب عدة ، وضاعت الميرة على الطائفتين وذبحوا دوابهم ، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل ، فاستشار وزيره أبا الفضل ابن العميد في بعض الليالي في الحرب ، فقال : لا ملجأ لك إلا إلى الله تعالى ، فانور للمسلمين خيراً وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان فإن الخيل البشرية كلها تقطعت بنا وإن انهزمنا تبعونا وأهلكونا وهم أكثر منا فلا يفلت منا أحدٌ ، فقال له : قد سبقتك إلى هذا ،

١٧٦ - أخبر ركن الدولة ابن بويه في سن الأثير وتجارب الأمم وتاريخ ابن خلدون والمنظوم ؛ وراجع آدم متر : ١ : ٣٠ .

فلما كان ثلث الليل الأخير أتهم الخبر أن منصوراً وعسكره قد عادوا إلى الريّ وتركوا خيامهم ، وكان سبب ذلك أن الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضاً إلا أن الديلم كانوا يصبرون ويقتنعون بالقليل من الطعام وكان الخراسانية بالضدّ منهم . وحكى أبو الفضل ابن العميد^١ قال : استدعاني ركن الدولة تلك الليلة في الثلث الأخير وقال لي : قد رأيت الساعة في منامي كأنني على دابتي فيروزٍ وقد انهزم عدونا وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحسب فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتماً فأخذته وإذا فسه من فيروزج فجعلته في إصبعي فتبركت به وانتبهت وقد أيقنت بالظفر ، فإن الفيروزج معناه الظفر ، وكذلك لقب الدابة فيروز ، قال ابن العميد : فأنا الخبر والبشارة بأنّ العدو قد رحل فما صدقنا حتى تواردت الأخبار ، فركبنا ولا نعرف سبب هزيتهم ، وسرنا حذرين من كمينٍ ، وسرت إلى جانب ركن الدولة وهو على فرسه فيروز ، فصاح ركن الدولة لفلان بين يديه : ناولني ذلك الخاتم ، فأخذ خاتماً من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج فجعله في إصبعه وقال : هذا تأويل رؤياي ، وهذا الخاتم الذي رأيت من ساعة ، وهذا من أحسن ما يحكى وأعجبه . وكان ركن الدولة يقول : مثل خراسان في صعوبة فتحها ونزارة دخلها كابن آوى : يصعب صيده ولا يحصل خيره ؛ وهو معنى قول الشاعر :

إن ابن آوى لشديد المقتنص وهو إذا ما صيد ربح في قفص^٢

وتوفي ركن الدولة ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة بالريّ ، ودفن في مشهده . ومولده تقديراً في سنة أربع وثمانين ومائتين ، قاله أبو إسحاق الصابئ ، وملك أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام ، وتولى بعده ولده مؤيد الدولة ، رحمه الله تعالى .

١ قارن بما في تجارب الأمم ٢ : ١٤١ .

٢ ما بين معقنين انفردت به النسخة د .

الحسن بن سهل

أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ؛ تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذي الرياستين الفضل وحظي عنده ، وقد تقدم في حرف الباء ذكر ابنته بُوران وصورة زواجها من المأمون والكلفة التي احتفل بها والدها الحسن فلا حاجة إلى إعادتها . وكان المأمون قد ولاه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين - وقد ذكرته في ترجمته - وكان عالي الهمة كثير العطاء للشعراء وغيرهم ، وقصده بعض الشعراء وأنشده :

تَقُولُ خَلِيلَتِي لَمَّا رَأَتْنِي أَشَدُّ مَطِيقِي مِنْ بَعْدِ حَلٍّ
أَبْعَدَ الْفَضْلُ تَرَحُّلُ الْمَطَايَا فَقُلْتُ نَعَمْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ

فأجزل عطيته . وخرج مع المأمون يوماً يُشَيِّعُهُ ، فلما عزم على مفارقتها قال له المأمون : يا أبا محمد ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين تحفظ عليّ من قلبك ما لا أستطيع حفظه إلا بك . وقال بعضهم : حضرت مجلس الحسن ابن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعته ، فجعل الرجل يشكره ، فقال الحسن : يا هذا ، علام تشكرنا ؟ إنا نرى الشفاعات زكاة مروءاتنا [ثم أنشأ يقول :

فَرَضْتُ عَلَيَّ زَكَاةَ مَا مَلَكَتْ يَدِي وَزَكَاةَ جَاهِي أَنْ أَعِينَ وَأَشْفَعَا
فَإِذَا مَلَكَتْ فَجَدٌ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاجْهَدْ بَوْسَعَكَ كُلَّهُ أَنْ تَنْفَعَا^١

١٧٧ - أخبار الحسن بن سهل في الطبري وابن الأثير وتاريخ بغداد لابن طيفور والوزراء والكتاب للجهشياري وتاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٣٠٩ وتاريخ ابن الوديعي ١ : ٢١٧ والفخري : ٢٠٣ ، وله أخبار وأقوال منشورة في كتب الأدب كعميون الأخبار والكمال والبيان وغيرها .

١ - زيادة من ص .

قال الحارثي : وحضرته يوماً وهو يُملي كتاب شفاعه ، فكتب في آخره : إنه بلغني أن الرجل يُسأل عن فضل جاهه يوم القيامة ، كما يُسأل عن فضل ماله . وقال لبنيه : يا بنيّ تعلموا النطق ، فإن فضل الإنسان على سائر البهائم به ، وكلما كنتم بالنطق أحذق كنتم بالإنسانية أحق .

[وكان سهل والد الحسن المذكور يتقهرم^١ ليحيى بن خالد بن برمك ، وضم يحيى الحسن والفضل ابني سهل إلى ابنيه الفضل وجعفر يكونان معها ، فضم جعفر بن سهل إلى المأمون وهو ولي عهد فغلب عليه ولم يزل معه إلى أن قتل بخراسان ، فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل وهو ببغداد يعزیه بأخيه ويعلمه أنه قد استوزره وأجراه مجراه ، فلم يكن أحد من بني هاشم ولا من القواد يخالف للحسن أمراً ولا يخرج له من طاعة ، إلى أن بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا بالعهد ، فغضب بنو العباس وخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي ، فحاربه الحسن بن سهل ، فضعف عنه ، فانحدر الحسن إلى فم الصلح فأقام به ، ووجه من فم الصلح من حارب إبراهيم ، فضعف أمر إبراهيم واستتر ، وقد تقدم ذكر ذلك . ثم دخل المأمون بغداد وكتب إلى الحسن بن سهل فقدم عليه ، فزاد المأمون في كرامته وتشريفه عند تسليمه عليه وذلك في سنة أربع ومائتين . قال ثعلب : قيل للحسن وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس في السرف خير ، فقال : بل ليس في الخير سرف . فردّ اللفظ واستوفى المعنى .

ودخل على الحسن أعرابي مدحه بشعر استحسّنه ، فلما فرغ منه قال له الحسن : اجلس واحتكم ، وهو يظن أن الأعرابي صغير الهمة ؛ فقال : ألف ناقة ، فوجم الحسن ولم تكن في وسعه يومئذ ، وكره أن يفتضح ، فأطرق إطراقة ثم قال : يا أعرابي ، ليس بلدنا بلد إبل ولكن كما قال امرؤ القيس^٢ :

إذا ما لم تكن إبلاً فمعزى كأنّ قرونَ جلّتها العصي^٣

قال : قد رضيت ، قال : فالحق يحيى بن خاقان يعطيك ألف شاة ، فصار إلى

١ يتقهرم : يعمل قهرماناً .

٢ ديوانه : ١٣٦ .

يحيى فأعطاه عن كل شاة ديناراً .

وكتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطحب في يوم غيم لم يطر :
أما ترى تكافؤ الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده كأنه قول كثير :

وإني وتهيامي بعزة بعدما [تخلتُ مما بيننا] وتخلتِ
لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كما تبوأ منها للمقبل اضمحلَّت

وما أمنيقي إلا في لقائك ، ورقعتي هذه الأبيات ، وقد أدت زجاجات أخذت
من عقلي ولم تتحيفه ، وبعثت نشاطاً حركني على الكتاب إليك ، فرأيتك في
إمطاري سروراً بشارٍ خبرك ، إذ حرمت السرور بالمطر في هذا اليوم ، موفقاً
إن شاء الله تعالى . فأجابه الحسن بن وهب : وصل كتاب الأمير أيده الله ويدي
عاملة وفي طاعم ، فلذلك تأخر الجواب قليلاً ، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا
اليوم وإساءته وما استحق ذمّاً لأنه إن أشمس حكى ضياءك وحسنك ، وإن
أمطر أشبه سخاءك وجودك ، وإن أغام فلم يشمس ولم يطر فقد أشبه طيب
ظلك ولذة فنائك ؛ وسؤال الأمير أيده الله عني نعمة من الله أعفني بها آثار
الزمان السيئ ، وأنا كما يحبُّ الأمير ، صرف الله الحوادث عنه وعن حظي منه .
ووقع الحسن بن سهل في رقعة : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك إلى
استحقاق وفوق الكفاية مع الاختصار .

وتعرض إليه رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذي أحسنت إليّ عام
كذا ، فقال : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

وافتمل رجل على الحسن كتاباً إلى إبراهيم الرازي - وكان أمير الأهواز -
فقال له : والله لئن كنت صادقاً فما في ملكي ما يفي بحق الوزير ، وإن كنت
مفتعلاً فما في قدرتي ما يفي بعقوبتك ، فحبسه وبعث يستعلم أمر الكتاب ، وبلغ
ذلك الحسن فأمر أن يكتب إليه : أما كان في صغير ما أنعمنا به عليك ما
تصدق به نخيلة رجل توسل بنا إن كان مبطلاً فكيف وهو محق ؟

١ من تائيته التي أوردها القاضي في أماليه ٢ : ١٠٥ .

وكان الحسن بن سهل يقول : عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه .

ونظر يوماً إلى رجل في مجلسه يعبس في كأسه فقال : ما أنصفتها : تضحك في وجهك وتعبس في وجهها .

وكان يقول : من أدمن شم الترجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف^١ .
ولم يزل على وزارة المأمون إلى أن ثارت عليه المِرَّةُ السوداء ، وكان سببها كثرة جزعه على أخيه الفضل لما قُتِلَ - وسيأتي خبره في حرف الفاء إن شاء الله تعالى - واستولت عليه حتى حبس في بيته ومنعته من التصرف . وذكر الطبري في تاريخه أن الحسن بن سهل في سنة ثلاث ومائتين غلبت عليه السوداء ، وكان سببها أنه مرض مرضاً شديداً فهاج به من مرضه تغير عقله حتى شد في الحديد وحبس في بيت ، فاستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد . وكانت وفاته سنة ست وثلاثين في مستهل ذي الحجة ، وقيل خمس وثلاثين ومائتين ، بمدينة سَرَخْسَ ، رحمه الله تعالى . ومدحه يوسف الجوهري بقوله :

لو أن عَيْنَ زُهَيْرٍ عَابَتْ حَسَنًا وكيف يَصْنَعُ في أمواله الكَرَمُ
إذا لقال زهيرٌ حينَ يُبْصِرُهُ هذا الجَوَادُ على العلاتِ ، لا هَرَمُ

قلت : وحديث زهير وهرم بن سنان مذكور في آخر هذا الكتاب في ترجمة يحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح فليكشف منه ؛ وللحسن بن سهل في ترجمة أبي بكر محمد الخوارزمي الشاعر ذكر فلينظر هناك .

والسَّرَخْسِي - بفتح السين والراء المهملتين وسكون الخاء المعجمة - وبعدهم سين مهملة - هذه النسبة إلى سَرَخْسَ وهي من بلاد خراسان .

١ زيادة من ص ، لم ترد في المسودة وسائر النسخ .

الوزير المهلي

أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلي الوزير ؛ كان وزير مُعز الدولة أبي الحسين أحمد بن بُؤَيْه الديلمي - المقدم ذكره في حرف الهمزة - تولى وزارته يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة . وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وقيض الكف على ما هو مشهور به ، وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله . وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة ، وكان قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجلاً^١ :

ألا مَوْتُ يُباعُ فأشتريه فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيه
ألا مَوْتُ لذيذُ الطعم يأتي يُخلِّصُنِي من العيش الكريه
إذا أَبْصَرْتُ قَبْرًا من بعيدٍ ودِدْتُ لَوْ أَنِّي مِمَّا يَلِيهِ
ألا رَحِمَ المَهِيمِينَ نَفْسٌ حُرٌّ تَصَدَّقَ بالوفاء على أخيه

وكان معه رفيق يقال له : أبو عبد الله الصوفي ، وقيل أبو الحسين العسقلاني ، فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحماً وطبخه وأطعمه ، وتفاقرا . وتنقلت بالمهلي الأحوال ، وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور ، وضاعت الحال

١٧٨ - ترجمة الوزير المهلي وأخباره في كتب التاريخ العامة ، وانظر المنتظم ٧ : ٩ والبيضة ٢ : ٢٢٤ والفوات ١ : ٢٥٦ وورودها في الفوات وهو استدراك على ابن خلكان مما يحسن التوقف عنده ، وشذرات الذهب ٣ : ٩ ومعجم الأدباء ٩ : ١١٨ .

١ البيضة : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ د : روح .

برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم^١ ، وبلغه وزارة المهلي فقصده وكتب إليه :

ألا قلُّ للوزير فدته^٢ نفسي مقالة مذكر^٣ ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضنك عيش^٤ « ألا موت يباع فأشتريه »

فلما وقف عليه تذكره وهزته أريحية^٥ الكرم ، فأمر له في الحال بسبعائة درهم ووقع في رقعة^٦ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء^٧ ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به .

ولما ولي المهلي الوزارة بعد تلك الإضافة عمل :

رَقَّ الزمانُ لفاقي ورثي لطول تحرُّقي
فأنا لني ما أرتجيه وحادَ عما^٨ أتقي
فلأصفحن^٩ عما أنا من الذنوب السُّبق
حتى جنايته^{١٠} بما صنع المشيبُ بفرقي

وله أيضاً^{١١} :

قال لي مَنْ أحبُّ والبين^{١٢} قد ج د وفي مُهْجتي لبيبُ الحريق^{١٣}
ما الذي في الطريق تصنع بعمدي قلت أبكي عليك طولَ الطريق

ومن المنسوب إليه في وقت الإضافة من الشعر ما كتبه إلى بعض الرؤساء ،

١ أ ج : في السفارة التي اشترى له فيها اللحم .

٢ أ واليتيمة : مقال مذكر .

٣ أ : لضيق ؛ ج : حال .

٤ د : قصته .

٥ اليتيمة : ما أرتجي وأجار بما .

٦ ج : فلأغفرن له الكثير .

٧ اليتيمة : ٢٣٩ والفوات : ٢٥٨ .

٨ اليتيمة : والبين قد بدد دمعني مواصلاً للشهيق .

وقيل إنها لأبي نواس :

ولو أني استزدتك فوق ما بي من البلوى لأعوزك المزيء
ولو عريضت على الموتى حياة بعيشٍ مثل عيشي لم يُريدوا

وقال أبو إسحاق الصابي، صاحب الرسائل : كنت يوماً عند الوزير المهلي
فأخذ ورقة وكتب ، فقلت بديها^١ :

له يدٌ برعتْ جوداً بنائلها ومنطقٌ درّه في الطرس ينتثر
فحاتمٌ كامنٌ في بطن راحته وفي أناملها سحبانٌ مُستترٌ

وكان لمعز الدولة^٢ مملوك تركي في غاية الجمال ، يدعى تكين الجامدار ، وكان
شديد المحبة له ، فبعث سريةً لمحاربة بعض بني حمدان وجعل المملوك^٣ المذكور
مقدم الجيش ، وكان الوزير المهلي يستحسنه ويرى أنه من أهل الهوى لا مدد
الوغي ، فعمل فيه :

طفل يرقّ الماء في وجناته ويرفُّ عُوده
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمقدٍ خصره سيفاً ومنطقه تؤوده
جعلوه قائدَ عسكرٍ ضاع الرعيلُ ومن يقوده

وكذا كان ، فإنه ما أنجح في تلك الحركة ، وكانت الكرة عليهم .
ومن شعره النادر في الرقة قوله^٤ :

تصارمت الأجفان لما صرمتني فما نلتقي إلا على عبدة تجري

١ الفوات : ٢٥٩ .

٢ اليتيمة : ٢٢٦ .

٣ ص : تكين .

٤ اليتيمة ٢ : ٢٣٩ والفوات : ٢٦٠ .

ومحاسن الوزير المهلي كثيرة .

وكانت ولادته ليلة الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بالبصرة . وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة في طريق واسط ، وحمل إلى بغداد ، فوصل إليها ليلة الأربعاء فحسب خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن في مقابر قريش في مقبرة النوبختية ، رحمه الله تعالى .

والمُهَلِّيُّ - بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى المهلب المذكور أولاً ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ولما مات الوزير المذكور رثاه أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور^١ - وسيأتي ذكره - بقوله :

يَا مَعشَرَ الشعراءِ دَعْوَةَ مُوجِعٍ لَا يُرْتَجَى فَرَجُ السُّلُوكِ لَدَيْهِ
عَزَّوْا الْقَوَافِي بِالْوَزِيرِ فَلَمَّهَا تَبْكِي دَمًا بَعْدَ الدُّمُوعِ عَلَيْهِ
مَاتَ الَّذِي أَمْسَى الثَّنَاءُ وَرَاءَهُ وَالْعَفْوُ عَفْوُ اللَّهِ^٢ بَيْنَ يَدَيْهِ
هَدَمَ الزَّمَانُ بَمَوْتِهِ الْحَصْنَ الَّذِي كُنَّا نَقْرُؤُ مِنَ الزَّمَانِ إِلَيْهِ
فَلْيَعْلَمَنَّ بَنُو بُوَيْهِ أَنَّهُ فَجَعَتْ بِهِ أَيَّامُ آلِ بُوَيْهِ

١ ر : لثلاث بقين من المحرم .

٢ معجم الأدياء ٩ : ١٣٨ .

٣ ياقوت : وجيل عفو الله .

الوزير نظام الملك

أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي ؛ ذكر السمعاني ، في كتاب « الأنساب » في ترجمة الرّاذ كان ، أنها بليدة صغيرة بنواحي طوس ، قيل إن نظام الملك كان من نواحيها ، وكان من أولاد الدّهّاقين ، واشتغل بالحديث والفقه ، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بكنج - وكان يكتب له - فكان يصادره في كل سنة ، فهرب منه وقصد داود بن ميكائيل بن سلجوق ، والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصيح والمحبة ، فسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له : اتخذ والدك ولا تخالفه فيما يشير به ، فلما ملك ألب أرسلان - كما سيأتي في موضعه من حرف الميم إن شاء الله تعالى - دبّر أمره فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين ، فلما مات ألب أرسلان وازدحم أولاده على الملك وطّدت المملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان إلا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة .

ودخل على الإمام المقتدي بالله ، فأذن له في الجلوس بين يديه ، وقال له : يا حسن ، رضي الله عنك برضاء أمير المؤمنين عنك .

وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية ، وكان كثير الإنعام على الصوفية ، وسئل عن سبب ذلك فقال : أأاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال : اخذم من تنفعك خدمته ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غداً ، فلم أعلم

١٧٩ - أخبار نظام الملك في الكتب التاريخية العامة ، وانظر كتاب الروضتين ١ : ٢٥ وابن العبري : ١٩٢ - ١٩٥ وتاريخ الدولة السلجوقية : ٦٦ - ٧١ وطبقات السبكي ٣ : ١٣٥ - ١٤٥ وشذرات الذهب ٣ : ٣٧٣ .

١ ذكر السمعاني ... نواحيها : سقط من س .

معنى قوله ، فشرب ذلك الأمير من الغد [إلى الليل] وكانت له كلاب كالسباع
تفترس الغرباء بالليل ، فقلبه السكر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته ،
فعلت أن الرجل كوشف بذلك ، فأنا أخدم الصوفية لعلّي أظفر بمثل ذلك .
وكان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه . وكان إذا قدم عليه إمام
الحرمين أبو المعالي وأبو القاسم القشيري صاحب الرسالة بالغ في إكرامها وأجلسها
في مُسنده . وبنى المدارس والرُّبُطَ والمساجد في البلاد^١ ، وهو أول من أنشأ
المدارس فاقتدى به الناس . وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين
وأربعمائة ، وفي سنة تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ
أبو إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، فلم يحضر ، فذكر الدرس أبو نصر ابن
الصباغ ، صاحب « الشامل » ، عشرين يوماً ، ثم جلس الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك .
وهذا الفصل قد استقصيته في ترجمة أبي نصر عبد السيد بن الصباغ صاحب
« الشامل » فليُنظر هناك . وكان الشيخ أبو إسحاق إذا حضر وقت الصلاة
خرج منها وصلى في بعض المساجد ، وكان يقول : بلغني أن أكثر آلاتها غصب^٢ .
وسمع نظام الملك الحديث وأسمعه ، وكان يقول : إني لأعلم أني لست أهلاً
لذلك ، ولكني أريد أربط^٣ نفسي في قطار^٤ النَّقْلَةِ لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم .
ويروى له من الشعر قوله :

بَعْدَ الثَّمَانِينَ لَيْسَ قُوَّةٌ قَدْ ذَهَبَتْ شِرَّةُ الصُّبُوَّةِ
كَأَنِّي وَالْعَصَا بِكَفِّي مُوسَى وَلَكِنْ بِلَا نُبُوَّةِ

وقيل : إن هذين البيتين لأبي الحسن محمد بن أبي الصقر الواسطي - وسيأتي
ذكره إن شاء الله تعالى - .

١ انظر المدارس التي بناها في السبي : ١٣٧ .

٢ ص : مفصولة .

٣ ج : أريد ربط .

٤ هـ : كتاب .

[ويروى له أيضاً - أعني نظام الملك - :

تقوَّس بعد طول العمر ظهري وداستني الليالي أيّ دوس
فأمشي والنمص تشي أمامي كأن قوامها وتر بقوس]¹

وكانت ولادة نظام الملك يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة بنوَقانَ ، إحدى مدينتي طوس ، وتوجّه صُحبة ملك شاه إلى أصبهان ، فلما كانت ليلة السبت عاشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة أفطر وركب في محفته² ، فلما بلغ إلى قرية قريبة من نهاوند³ يقال لها سَحَنَة⁴ ، قال : هذا الموضع قُبلَ فيه خلق كثير من الصحابة زمنَ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنهم أجمعين ، فطوبى لمن كان معهم ، فاعترضه في تلك الليلة صبيّ ديلمى على هيئة الصوفية معه قصة ، فدعا له وسأله تناولها ، فمدّ يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده ، فحمل إلى مضره فمات ، وقتل القاتل في الحال بعد أن هرب ، فعثر في طُنُب خيمة فوقع ، وركب السلطان إلى معسكره ، فكشّهم وعزّاهم ، وحل إلى أصبهان ودفن بها .

وقيل : إن السلطان دَسَّ عليه من قتله فإنه سَم طول حياته ، واستكثر ما بيده من الاقطاعات ، ولم يعيش السلطان بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً ، فرحمه الله تعالى لقد كان من حسنات الدهر .

ورثاه شبل الدولة أبو الهيثجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وكان خَتَنه فإن نظام الملك زوَّجَه ابنته - فقال⁵ :

كان الوزيرُ نظامُ الملك لؤلؤةً نفيسة صاغها الرَّحمنُ من شرفِ
عزّت فلم تعرف الأيامُ قيمتها فردّها غيرةً منه إلى الصّدْفِ

١ زيادة من ص س .

٢ أ ج هـ : محفة .

٣ سحنة : إلى الشمال الغربي من نهاوند ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم .

٤ أخبار الدولة السلجوقية : ٧١ .

وقد قيل : إنه قتل بسبب تاج الملك أبي الغنائم المرباط بن خسرو فيروز المعروف بابن دارست^١ ، فإنه كان عدو نظام الملك ، وكان كبير المنزلة عند مخدومه ملك شاه ، فلما قتل رتبته موضعه في الوزارة ، ثم إن غلمان نظام الملك وثبوا عليه فقتلوه وقضوه إرباً إرباً في ليلة الثلاثاء ثاني عشر المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وعمره سبع وأربعون سنة ، وهو الذي بنى على قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى .

١٨٠

فخر الكتاب الجويني

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الملقب بفخر الكتاب الجويني الأصل البغدادي الكاتب المشهور ، كتب كثيراً ، ونسخ كتباً توجد في أيدي الناس بأوفر الأثمان لجودة خطها ورغبتهم فيه ، وذكره العماد الكاتب في « الحريدة » وبالغ في الثناء عليه ، وقال : كان من ندماء أتاك زندي بالشام ، وأقام بعده عند ولده نور الدين محمود في ظل الإكرام ، ثم سافر إلى مصر في أيام ابن رزّيك ، وتوطن بها إلى هذه الأيام ، وليس بصر الآن من يكتب مثله ، وأورد له مقصوع^٢ شعر كتبه إلى القاضي الفاضل ، ولولا أنه ضویل لذكرته .
وتوفي سنة أربع وثمانين ، وقيل : ست وثمانين وخمسمائة ، بالقاهرة ، رحمه الله تعالى^٣ .

١ انظر شرح هذا في أخبار الدولة السلجوقية : ٦٧ .

١٨٠ - ترجمة فخر الكتاب الجويني في معجم الأدباء ٩ : ٤٣ ومعجم الألقاب ٤/٣ : ١٤٣ .

٢ أ : مقاطيع .

٣ هامش س : الصحيح أنه توفي سنة ست وثمانين لأنني رأيت جزءاً بخطه ذكر أنه كتبه في سنة خمس وثمانين وأن عمره حينئذ إحدى وثمانون سنة ونصف .

والجَوْنِي - بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها
نون - هذه النسبة إلى جَوْنٍ ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، ينسب
إليها جماعة كثيرة من العلماء .

وكان^١ كثيراً ما ينشد لبعض العراقيين^٢ :

يَنْدَمُ المرءُ على ما فاتهُ من لُباناتٍ إذا لم يَقْضِها
وتراه فَرِحاً مُسْتَبْشِراً بالتي أَمْضى كأن لم يَعْضِها
إنها عِنْدِي وأَحْلَامُ^٣ الكرى لَقَرِيبٌ بَعْضُها مِنْ بَعْضِها

١٨١

الكرابيسي صاحب الشافعي

أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي ؛ صاحب الإمام
الشافعي ، رضي الله عنهما ، وأشهرهم بانتساب مجلسه وأحفظهم لمذهبه ، وله
تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه . وكان متكلماً عارفاً بالحديث ، وصنف
أيضاً في الجرح والتعديل وغيره ، وأخذ عنه الفقه خلق كثير .

١ من هنا حتى آخر الترجمة سقط من م .

٢ نسبت هذه الأبيات لعمران بن حطان (انظر مجموع شعر الخوارج : ١٩ وديوان المعاني : ٤) .
٣ هـ : كأحلام .

١٨١ - ترجمة الكرابيسي في تاريخ بغداد ٨ : ٦٤ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٨ وتهذيب
التهذيب ٢ : ٣٥٩ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥١ والفهرست : ١٨١ . وانظر «الكرابيسي»
في الأنساب واللباب .

وكان الكرابيسي أولاً على مذهب أهل الرأي ثم تفقه للشافعي ، وقد اختلف مع أحمد بن
حنبل في بعض المسائل ، وكان من متكلمي أهل السنة وله كتاب في المقالات عول عليه من بعده
في فهم مذاهب الخوارج وأهل الأهواء ، وله كتاب المدلسين في الحديث وكتاب «الامامة» .

وتوفي سنة خمس وأربعين ، وقيل : سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وهو أشبه بالصواب ، رحمه الله تعالى .

والكرابيسي - بفتح الكاف والراء وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها سين مهملة - هذه النسبة إلى الكرابيس ، وهي الثياب الغليظة ، واحدها كِرْبَاس - بكسر الكاف - وهو لفظ فارسي 'عُرْب' وكان أبو علي المذكور يبيعها فنسب إليها .

١٨٢

ابن خيران

أبو علي الحسين بن صالح بن خَيْرَانَ الفقيه الشافعي ؛ كان من جُلَّةِ الفقهاء المتورِّعين وأفاضل الشيوخ ، وعُرِضَ عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر فلم يفعل ، فَوَكَّلَ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بداره مترسماً ، فخطب في ذلك فقال : إنما قصدت ذلك ليقال كان في زماننا من وكل بداره ليتقلد القضاء فلم يفعل ، وكان يُعَاتَبُ أبا العباس ابن سُرَّيج على توليته ، ويقول : هذا الأمر لم يكن فينا ، وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة ، رضي الله عنه .

[ومثل هذا : دعا عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عمر فقال : اذهب ، كن قاضياً . قال : أوتعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، اذهب كن قاضياً ، قال : لا تعجل يا أمير المؤمنين ، ألم تسمع رسول الله (ص) يقول : من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ ؟ قال : بلى ، قال : فإني أعوذ بالله أن أكون قاضياً ، قال : وما يمنعك من ذلك وأبوك كان يقضي بين الناس ؟ قال : يمنعني قول النبي

١ د س : عجمي .

١٨٢ - ترجمة ابن خيران في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣١ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٥٣ والمنظوم ٦ : ٢٤٤ .

(ص) : من كان قاضياً بين المسلمين ففرضي يحل فهو في النار ، ومن كان قاضياً بحق أو بعدل سأل أن ينفلت كفافاً ، فما أرجو من القضاء بعد هذا ؟^١ . وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة عشرين وثلثمائة ، قاله أبو العلاء ابن العسكري ، وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : توفي في حدود سنة عشر وثلثمائة ، وصوبه الحافظ أبو بكر الخطيب في ذلك ، وقال : وهم أبو العلاء العسكري^٢ ، رحمه الله تعالى .
وخيران : بفتح الحاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد الألف نون .

١٨٣

القاضي حسين

أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي الفقيه الشافعي المعروف بالقاضي صاحب التعليقة في الفقه ؛ كان إماماً كبيراً صاحباً وجوه غريبة في المذهب ، وكلما قال إمام الحرمين في كتاب « نهاية المطلب » والفزالي في « الوسيط والبسيط » : « وقال القاضي » فهو المراد بالذكر لا سواه . أخذ الفقه عن أبي بكر القفال المروزي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في العبادلة - وصنّف في الأصول والفروع والخلاف ، ولم يزل يحكم بين الناس ويُدّرّس ويفي ، وأخذ عنه الفقه جماعة من الأعيان ، منهم أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي صاحب كتاب « التهذيب » وكتاب « شرح السنة » وغيرهما .

١ ما بين معقنين زيادة من د .

٢ الصواب أن أبا عبد الله (لا أبو العلاء) الحسين بن محمد بن عبيد العسكري ينقل عن أبي العلاء محمد الواسطي تاريخ وفاة ابن خيران ، فالذي وقع في الوم هو الواسطي .

١٨٣ - ترجمة القاضي حسين المروزي في طبقات السبكي ٣ : ١٥٥ .

وتوفي في سنة اثنتين وستين وأربعمائة بمرو وروذ ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم الكلام على مرورود في حرف الهمزة .

١٨٤

أبو علي السنجي

أبو علي الحسين بن شعيب بن محمد السنجي الفقيه الشافعي ؛ أحدُ الأئمة المتقنين^١ ، أخذ الفقه بخراسان عن أبي بكر عبد الله القفّال المروزيّ هو والقاضي حسين الذي تقدم ذكره والشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وشرح الفروع التي لأبي بكر ابن الحداد المصري^٢ شرحاً لم يُقاربه فيه أحد ، مع كثرة شروحها ، فإن القفال شيخ شرحها ، والقاضي أبو الطيب الطبري شرحها ، وغيرها ، وشرح أيضاً كتاب « التلخيص »^٣ لأبي العباس ابن القاص شرحاً كبيراً ، وهو قليل الوجود ، وله كتاب « المجموع » وقد نقل عنه أبو حامد الغزالي في كتاب « الوسيط » وهو أول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان ، وكان فقيه أهل مرو في عصره . وكان يقال في عصره : الأئمة بخراسان ثلاثة : مكثر محقق ومقلّ محقق ومكثر غير محقق ، فالمكثر المحقق أبو علي السنجي والمقلّ المحقق أبو محمد الجويني

١٨٤ - ترجمة السنجي في طبقات السبكي ٣ : ١٥٠ .

١ ج : المتقين ، وفي سائر النسخ : المتقدمين ، وأثبتنا ما في مسودة المؤلف .

٢ توفي أبو بكر ابن الحداد سنة ٣٤٥ وكتبه للفروع في حذع الشافعي صغير الحجم إلا أنه حقق المسائل فيه غاية التدقيق ، ومن شراحها عدا من ذكره المؤلف أبو إسحاق الاسفرايني (٤١٨) وأبو القاسم الفوراني (٤٦١) وأبو بكر الصيدلاني .

٣ هو التلخيص في الفروع لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب ابن القاص الطبري (-٣٣٥) . ومن شرحه القفال والاستراباذي محمد بن الحسن (-٣٨٦) .

والمكثر غير المحقق ناصر المروزي^١ .

وكانت وفاته في سنة نيّفٍ وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والسنّجي - بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم - نسبة إلى
ننّج ، وهي قرية كبيرة من قرى مرو .

١٨٥

الفراء البغوي

أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ، المعروف بالفراء ، البَغَوِيُّ الملقب ظهير الدين^٢ الفقيه الشافعي المحدث المفسر ؛ كان بجرأ في العلوم ، وأخذ الفقه عن القاضي حسين بن محمد - كما تقدم في ترجمته - وصنف في تفسير كلام الله تعالى ، وأوضح المشكلات من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى الحديث ودَرَسَ ، وكان لا يُلقِي الدرس إلا على الطهارة ، وصنف كتباً كثيرة ، منها كتاب « التهذيب » في الفقه ، وكتاب « شرح السنة » في الحديث ، و « معالم التنزيل » في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب « المصابيح » و « الجمع بين الصحيحين » وغير ذلك .

توفي في شوال سنة عشر وخمسمائة^٣ بمرو رود ، ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان ، وقبره مشهور هنالك ، رحمه الله تعالى .
ورأيت في كتاب « الفوائد السلفية » التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين

١ وكان يقال ... المروزي : ثبت في مسودة المؤلف ونسخة ص وحدهما .

١٨٥ - ترجمة الفراء البغوي في طبقات السبكي ٤ : ٢١٤ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٤٥ .
(استطرداً لا من أصل التاريخ) .

٢ الملقب ظهير الدين : من ص ومسودة المؤلف وحدهما .

٣ س : ست عشرة وخمسمائة ؛ ص : عشرين .

عبد العظيم المنذري أنه توفي في سنة ست عشرة وخمسمائة^١ ، ومن خطه نقلت هذا ، والله أعلم . ونقلت عنه أيضاً أنه ماتت له زوجة فلم يأخذ من ميراثها شيئاً ، وأنه كان يأكل الخبز البَحْتَ ، فعُذِلَ في ذلك ، فصار يأكل الخبز مع الزبيب^٢ .

والفرّاء : نسبة إلى عمل الفرّاء وبيعها .

والبَغَوِي - بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة وبعدها واو - هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها بَغ وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين وبعدها واو ساكنة ثم راء - وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل ، هكذا قال السمعاني في كتاب « الأنساب » .

١٨٦

الحليمي

أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حَكيم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني؛ ولد بجرّجان^٣ سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، وحمل إلى بخارى، وكتب الحديث عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب وغيره ، وتفقه على أبي بكر الأودني؛ وأبي بكر القفال ، ثم صار إماماً معظماً مرجوعاً إليه بما وراء

١ كذا ورد أيضاً في طبقات السبكي .

٢ قوله : ورأيت ... الزبيب : سقط من س ؛ ص ر : بالزبيب .

١٨٦ - ترجمة الحليمي في طبقات السبكي ٣ : ١٤٧ والأنساب واللباب : « الحليمي » .

٣ ج : بخراسان .

أ : الاودي ، والأودني بضم الألف وسكون الواو وفتح الدال المهملة والنون نسبة إلى أودنة وهي من قرى بخارى .

النهر ، وله في المذهب وجوه حسنة ، وحدث بنيسابور وروى عنه الحافظ الحاكم وغيره .

وتوفي في جمادى الاولى - وقيل في شهر ربيع الأول - سنة ثلاث وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، ونسبته إلى جده حليم المذكور .

١٨٧

الوني الحاسب

أبو عبد الله الحسين بن محمد الونتي الفَرَضِي الحاسب ؛ كان إماماً في الفرائض وله فيها تصانيف كبيرة مليحة أجاد فيها ، وسمع الحديث من أصحاب أبي علي الصفَّار وغيرهم ، وسمع منه أبو حَكيم عبد الله بن إبراهيم الحَبْرِي صاحب « التلخيص » في الحساب والخطيب التبريزي وغيرها ، وهو شيخ الحَبْرِي في علم الحساب والفرائض ، وانتفع به وبكتبه خلق كثير .

وتوفي شهيداً ببغداد في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة في فتنة البساسيري المقدم ذكره .

والونتي - بفتح الواو وتشديد النون - هذه النسبة إلى وَنْ ، وهي قرية من أعمال قَهْستان أظهره منها .

١٨٧ - ترجمة الوني في طبقات السبكي ٣ : ١٦٣ والأنساب واللباب « وني » ونكت الهميان : ١٤٥ .

ابن خميس الكعبي

أبو عبد الله^١ الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس بن عامر المعروف بابن خميس الكعبي الموصل الجبني الملقب تاج الإسلام مجد الدين الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي حامد الغزالي ببغداد وعن غيره ، وولي القضاء برحبة مالك بن طوق ، ثم رجع إلى الموصل وسكنها ، وصنف كتباً كثيرة ، منها « مناقب الأبرار »^٢ على أسلوب رسالة القشيري ، ومنها « مناسك الحج » و « أخبار المناجات » .

ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في تاريخه ، وأثنى عليه .
وكان يروي عن أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي الشاعر - المقدم ذكره - في وزير عميد الدولة ابن جبير ، قوله :

من آلة الدست لم يؤت الوزير سوى (البيتين)^٣

وخمس جدّه الأعلى .

وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمسة^٤ ، رحمه الله تعالى .
والجُبْنِي - بضم الجيم وفتح الهاء وبعدها نون - هذه النسبة إلى جُبْنَة ، وهي قرية قريبة من الموصل تُجاور القرية التي فيها العين المعروفة بعين القيارة

١٨٨ - ترجمة ابن خميس الكعبي في طبقات السبكي ٤ : ٢١٧ .

١ م : أبو عبد الرحمن .

٢ ذكر فيه أنه تتبع مسموعاته وما جمعه العلماء من أخبار الصالحين كطبقات السلمي والحليّة وبهجة الأسرار والرسالة القشيرية ، فجمع الجميع بحذف الأسانيد .

٣ انظر ج ١ : ٥٩ من هذا الكتاب .

٤ ولد الكعبي في ٢٠ محرم سنة ٤٦٦ بالموصل .

التي ينفع الاستحمام بماؤها من الفالج والرياح الباردة ، وهي مشهورة ، وهما في برّ الموصل أسفل من الموصل ، وجهينة أقرب من عين القيارة ؛ والجهني أيضاً نسبة إلى جهينة وهي قبيلة كبيرة من قضاة .

والكعبي - يفتح الكاف وسكون العين المهمة وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى بني كعب ، وهم أربع قبائل ينسب إليها ، ولا أعلم المذكور إلى أيها ينتسب .

والموصلي معروف .

١٨٩

الحلاج

أبو مُعَيْث^١ الحسين بن منصور الحلاجُ الزاهد المشهور ؛ هو من أهل البَيْضاء وهي بلدة بفارس ، ونشأ بواسط والعراق ، وصحب أبا القاسم الجُنَيْد وغيره ، والناس في أمره مختلفون : فمنهم مَنْ يبالغ في تعظيمه ، ومنهم من يكفره . ورأيت في كتاب « مشكاة الأنوار » تأليف أبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله ، وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله « أنا الحق » وقوله « ما في الجبة إلا الله » وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها

١٨٩ - ترجمة الحلاج وأخباره في الفهرست : ١٩٠ - ١٩٢ وطبقات السلمي : ٣٠٧ ولسان الميزان ٢ : ٣١٤ وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٨ وتاريخ بغداد ٨ : ١١٢ ومراة الجنان ٢ : ٢٥٣ وتاريخ ابن الأثير ٨ : ١٢٦ والمنتظم ٦ : ١٦٠ والفخري : ٢٣٤ وابن كثير ١١ : ١٣٢ وتجارب الأمم ١ : ٧٦ وصلة عريب : ٨٦ ، وانظر أخبار الحلاج من جمع ماسينيون (باريس ١٩٥٧) وديوانه (جمع ماسينيون ، المجلة الآسيوية ، باريس ١٩٣١) وقد نشر ماسينيون أيضاً « الأصول الأربعة » وتتعلق بسيرة الحلاج (باريس ١٩١٤) وألف فيه رسالة بعنوان : La Passion d'al-Hosayn-ibn-Mansour al-Hallaj (Paris 1922) .

١ كنيته في بعض المصادر تختلف عما أثبتته المؤلف .

وحملها كلها على محامل حسنة ، وأولّها ، وقال : هذا من فرط المحبة وشدة
الوَجْد ، وجعل هذا مثل قول القائل ^١ :

أنا مَنْ أهْوَى وَمَنْ أهْوَى أنا نحنُ رُوحان حَلَلنا بَدَنًا
فإذا أبصرتني أبصرتَه وإذا أبصرتَه أبصرتنا

[وكان ابتداء حاله على ما ذكره عز الدين ابن الأثير في تاريخه انه كان يظهر
الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة
الصيف في الشتاء ويمد يده إلى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب : قل
هو الله أحد ، ويسميا دراهم القدرة ، ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في
بيوتهم ، ويتكلم بما في ضمائر الناس ، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول؛
وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح عليه السلام ، فمن قائل إنه
حل فيه جزء إلهي ويدعي فيه الربوبية ، ومن قائل إنه ولي الله تعالى وان
الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ، ومن قائل انه ممخوق ومستغش
وشاعر كذاب ومتكهن والجنّ تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها .

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر
لا يستظل تحت سقفٍ شتاء ولا صيفاً ، وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء
أحضر له الخادم كوز ماء وقرصاً فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من
جوانبه ويترك الباقي ولا يأكل شيئاً آخر إلى آخر النهار . وكان شيخ الصوفية
بمكة عبد الله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل
قد صعد إلى جبل أبي قبيس ، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوفاً
الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض ، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال :
هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته؛
وعاد الحسين إلى بغداد . انتهى كلام ابن الأثير ^٢ .

١ ديوان الحلاج : ٩٣ .

٢ زيادة من النسخة أ (قارن ابن الأثير ٨ : ١٢٦) .

[وكان في سنة ٢٩٩ ادعى للناس أنه إله وأنه يقول بجلول اللاهوت في الأشراف من الناس ، وانتشر له في الحاشية ذكر عظيم ، ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية ، فبعث به المقتدر إلى عيسى ليناضره ، فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة ، فحكى أنه تقدم إليه وقال له في بينه وبينه : قف من حيث انتهيت ولا تزدد علي شيئاً وإلا خسفت الأرض من تحتك ، وكلاماً في هذا المعنى ، فتهيب عيسى مناظرته واستعفى منها فنقل في سنة ٣٠٩ إلى حامد بن العباس الوزير ، فحدث غلام حامد كان موكلاً بالحلاج قال : دخلت عليه يوماً ومعى الطبق الذي عادتي أن أقدمه إليه كل يوم ، فوجدته قد ملأ البيت بنفسه وهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه ليس فيه موضع ، فهالني ما رأيت منه ورميت الطبق من يدي وهربت ؛ وحم هذا الغلام من هول ما رأي وبقي مدة محموراً ، فكذبه حامد وشمته وقال : ابعد عني ؛ وكان دخوله إلى بغداد مشهراً على جل وحس في دار المقتدر ، وأفقى العلماء بإباحة دمه .

وكان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل ووافقه على حبة يعملها ، فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم ، فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه عمي فكان يقاد إلى مسجده ويتعامى في كل أحد شهوراً ، ثم أظهر أنه زَمِنَ فكان يحبو ويحمل إلى المسجد حتى مضت سنة وتقرر في النفوس عماه وزماتته فقال لهم بعد ذلك : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول انه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه ، فاطلبوا لي كل من يحتاز من الفقراء أو من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرج عني ، فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح ، ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرّد في الجامع فقال الأعمى : احمولوني إليه ، فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له : يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادعُ الله تعالى لي ، فقال : ومن أنا وما تحكي ؟ ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصراً صحيحاً ، فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج ، فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعامي المبرأ مما فيه

شهوراً ثم قال لهم: ان من حق الله عندي ورده جوارحي عليّ أن أنفرد بالعبادة
انفراداً أكثر من هذا ، وأن يكون مقامي في الغزو ، وقد عملت على الخروج
إلى طرسوس ، فمن كانت له حاجة يحملها ، فأخرج هذا ألف درهم وقال : اغز
بهذه عني ، وأخرج هذا مائة دينار وقال : اخرج بها غزاة من هناك ، وأعطاه
كل أحد شيئاً فاجتمع له ألوف دنانير ودرهم ، فلحق بالحلاج وقاسمه عليها .

وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي
عمر وقد قرئ عليه رقعة بخطه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه افرد في
داره شيئاً لا يلحقه نجاسة ولا يدخله أحد ومنع من يطرقه فإذا حضرت أيام
الحج طاف حوله طوافه بالبيت الحرام ، فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك
ما يقضي بمكة مثله جمع ثلاثين يتيماً وعمل لهم ما يمكنه من الطعام وأحضرهم
إلى ذلك البيت وقدم إليهم ذلك الطعام وتولى خدمتهم بنفسه ، فإذا أكلوا
وغسلوا أيديهم كسا كل واحد منهم قميصاً ودفع إليه سبعة دراهم أو ثلاثة ،
فإذا فعل ذلك قام له قيام الحج ، فلما فرغ منها التفت إليه أبو عمر القاضي
وقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب « الإخلاص » للحسن البصري ،
فقال له أبو عمر : كذبت يا حلاج ، اللهم قد سمعنا كتاب « الإخلاص » للحسن
بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت^١ الخ .

ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله^٢ :

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ كنتُ ، ولا
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ لم أكن .

وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح^٣ :

ألقاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال له إياكَ إياكَ أن تبتلَّ بالماءِ

١ زيادة من النسخة د .

٢ ديوانه : ١١٨ .

٣ ديوانه : ١٢٢ .

وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبني على هذا الأسلوب .
وقال أبو بكر ابن ثوابة القصري : سمعت الحسين بن منصور وهو على
الحشبة يقول :

طلبتُ المستقرَّ بكلِّ أرضٍ فلم أرَ لي بأرضٍ مُستقرًّا
أطعتُ مطامعي فاستبعدتني ولو أني قنعتُ لكنتُ حرًّا
والبيت الذي قبل قوله :

لا كنت إن كنت أدري . . .

أرسلتَ تسألُ عني كيفَ كنتُ وما لاقيتُ بعدك من همٍّ ومن حزنٍ
وقيل : إن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد يسأله عن
حاله ، فكتب إليه هذين البيتين ، والله أعلم .

وبالجملة فحديثه طويل وقصته مشهورة والله يتولى السرائر .
وكان جدُّه مجوسياً وصحب هو أبا القاسم الجنيد ومن في طبقته ، وأفتى
أكثر علماء عصره بإباحة دمه .

ويقال : إن أبا العباس ابن سريج كان إذا سئل عنه يقول : هذا رجل خفي
عني حاله ، وما أقول فيه شيئاً . وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن
العباس وزير الإمام المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر ، فأفتى بحل دمه وكتب خطه
بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء ، فقال لهم الحلّاج : ظهري
حِمَى ودمي حرام ، وما يحلّ لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه^١ ، وأنا اعتقادي
الإسلام ومذهبي السنّة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من

١ عن إبراهيم بن شيان قال : دخلت على ابن سريج يوم قتل الحلّاج فقلت : يا أبا العباس ما
تقول في فتوى هؤلاء في قتل هذا الرجل ؟ قال : لعلمهم نسوا قول الله تعالى « أتقتلون رجلاً أن
يقول ربي الله » . وقال الواسطي : قلت لابن سريج : ما تقول في الحلّاج ؟ قال : أما أنا فأراه
حافظاً للقرآن عالماً به ماهراً في الفقه عالماً بالحديث ... (أخبار الحلّاج : ١٠٦) .
٢ أ : يبيحه الأئمة .

الصحابه ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ولي كتب في السنّة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي ، ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس ، وحُمِلَ الحلاج إلى السجن .

وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى ، فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله فليُسَلِّمُوا إلى صاحب الشرطة ، وليتقدم إليه بضربه ألف سوط ، فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ، ثم تُضرب عنقه ، فسلمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر ، وقال : إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبتة وتحرق جثته ، وإن خدعك وقال لك : أنا أُجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة ، فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه ، فتسلمه الشرطي ليلاً ، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين ، وقيل لست بقين من ذي القعدة^١ ، سنة تسع وثلثمائة ، فأخرجه عند باب الطاق ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم ، وضربه الجلاد ألف سوط ، ولم يتأوّه بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة : ادع بي إليك ، فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية^٢ ، فقال له : قد قيل لي عنك إنك تقول هذا وأكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل ، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ، ثم حزّ رأسه وأحرق جثته ، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ، ونصب الرأس ببغداد على الجسر ، وجعل أصحابه يَعِدُونَ أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً .

واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة ، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها . وادّعى بعض أصحابه أنه لم يُقتل ، وإنما ألقى شبهه على عدوّ له .

[وادعى بعضهم أنه رآه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من الحال التي جرت عليه وهو راكب على حمار في طريق النهروان وقال لهم : لعلكم مثل هؤلاء النفر الذين ظنوا أني هو المضروب والمقتول ؛ ومن شعره المنسوب إليه :

١ ج : ذي الحجة . ٢ في المسودة : قسطنطينية .

مضى سهرت عيني لغيرك أو بكيت فلا بلغت ما أملت وتمنيت
وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت بأرض المنى من وجنتيك وجنتي^١

وشرح حاله فيه طول ، وفيما ذكرناه كفاية .

والحلّاج : بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها ألف ثم جيم . وإنما لقب بذلك لأنه جلس على حانوت حلّاج واستقضاه شغلاً ، فقال الحلّاج : أنا مشغول بالحلّج ، فقال له : امض في شغلي حتى أحلّج عنك ، فمضى الحلّاج وتركه ، فلما عاد رأى قُضْطَهُ جميعه محلوجاً . [وقيل إنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه على الأمرار ويخبر عنها ، فسمي بذلك حلّاج الأسرار]^١ .

والبيضاء : بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الضاد المعجمة وبعدها همزة مدودة^٢ .

قلت : وبعد انقراغ من هذه الترجمة ، وجدت في كتاب « الشامل » في أصول الدين ، تصنيف الشيخ العلامة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني رحمه الله تعالى - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فصلاً ينبغي ذكره هنا وانتبيه على الوهم الذي وقع فيه ، فإنه قال ، وقد ذكر طائفة من الأثبات الثقات : إن هؤلاء الثلاثة تواصلوا على قلب الدولة ، والتعرض لإفساد المملكة . واستعطاف القلوب واستمالتها ، وارتاد كل واحد منهم قطراً : أما الجَنْتَابِيُّ فأكناف الأحساء ، وابن المقفع توغل في أضراف بلاد الترك ، وارتاد الحلّاج قطر بغداد ، فحكم عليه صاحبه بالهلكة والقصور عن درك الأمانة لبعده أهل العراق عن الانخداع ؛ هذا آخر كلام إمام الحرمين ، رحمه الله .

قلت : وهذا كلام لا يستقيم عند أرباب التواريخ ، لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد : أما الحلّاج والجَنْتَابِيُّ فيمكن اجتماعهما لأنها كانا في عصر واحد ، ولكن لا أعلم هل اجتماعهما أم لا . والمراد بالجَنْتَابِيُّ هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي ، رئيس القرامطة ،

١ زيادة من د .

٢ إلى هنا انتهت الترجمة في س .

وحديثهم وحروبهم وخروجهم على الخلفاء والملوك مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بشرحه في هذا المكان ، بل إن يسر الله تعالى تحرير التاريخ الكبير ، فسأذكر فيه حديثهم مستوفى ، إن شاء الله تعالى .

وبعد أن جرى ذكرهم ، فينبغي أن نذكر منه فصلاً مختصراً ههنا ، حتى لا يخلو هذا الكتاب من حديثهم ، فأقول :

إن شيخنا عز الدين أبا الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير ذكر في تاريخه الكبير الذي سماه « الكامل » أول أمرهم ، وأطال الحديث فيه ، وشرح في كل سنة ما كان يجري لهم فيها . فاخترت ههنا شيئاً من ذلك طلباً للإيجاز .

وأول ما شرع فيه في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فقال^١ : في هذه السنة تحرك قوم بسواد الكوفة يُعرفون بالقرامطة ، ثم بسد القور في ابتداء أمرهم ، وحاصله : أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف ، وكان ينفذ الخوص ويأكل من كسبه ، وكان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت ، رضي الله عنهم ؛ وأقام على ذلك مدة . فاستجب له خلق كثير . وجرت له أحوال أوجبّت له حسن الاعتقاد فيه ، وانتشر ذكرهم بسواد الكوفة .

(23) ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا في سنة ست وثمانين ومائتين^٢ : وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنّبي بالبحرين ، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل تلك القرى . وكان أبو سعيد المذكور يبيع للناس الطعم ، ويحسب لهم بيعهم ، ثم عظم أمرهم وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز إليهم الخليفة المعتضد بالله جيشاً يقاتلهم مُقدّمه العباس بن عمرو الغنوي . فتواقعوا وقعة شديدة ، وانهمز أصحاب العباس وأسر العباس ، وكان ذلك في آخر شعبان سنة سبع وثمانين فيما بين البصرة والبحرين . وقتل أبو سعيد الأسرى وأحرقهم ، واستبقى

١ تاريخ ابن الأثير ٧ : ٤٤٤ .

٢ المصدر السابق : ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥١١ .

العباس ثم أطلقه بعد أيام وقال له : امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت ،
فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة ، وحضر بين يدي المعتضد فخلع عليه .
ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت
بين الطائفتين وقعات يطول شرحها .

ثم قُتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلثمائة^١ ، قتله خادم له في الحمام
وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد ، ولما قُتل أبو سعيد كان قد
استولى على هَجَرَ والقَطِيفِ والطائف وسائر بلاد البحرين .

(24) وفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة^٢ في شهر ربيع الآخر منها ، قصد
أبو طاهر وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال ، بل صعدوا إليها ليلاً بسلام
الشَّعْر ، فلما حصلوا بها وأحسُّوا بهم ثاروا إليهم فقتلوا متولي البلاد ووضعوا
السيف في الناس فهربوا منهم ، وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها
الأموال ، ثم عاد إلى بلده ، ولم يزلوا يعيشون في البلاد ويكثرُونَ فيها الفساد
من القتل والسيب والنهب والحريق إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، فحجج الناس
فيها ، وسلموا في طريقهم .

ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، فنهبوا أموال الحجاج
وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه ؛ وقلع الحجر الأسود وأنفذه
إلى هَجَرَ ، فخرج إليه أميرُ مكة في جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين
وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجلاً ليقطع الميزاب فسقط فمات ، وطرح القتلى في
بئر زمزم ودفن الباقيين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة على
أحد منهم . وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهَّب دور أهل مكة ،
فلما بلغ ذلك المهدي عبيد الله صاحبَ إفريقية - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى -
كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ، ويقول له :
حققت على شيعتنا ودُّعاة دولتنا الكفرَ واسمَ الإلحاد بما قد فعلت ، فإن لم

١ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٨٣ .

٢ المصدر السابق : ١٤٣ ، ١٤٧ .

تردّ على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما قد أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة الكعبة ، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة . فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر ، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فردّه . ثم ذكر شيخنا ابن الأثير في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة أن القرامطة ردّوا الحجر إلى مكة وقالوا : أخذناه بأمرٍ وأعدناه بأمرٍ . وكان بجكّم التركي أمير بغداد والعراق قد بذل لهم في ردّه خمسين ألف دينار فلم يرّدوه ، وردّوه الآن . وقال غير شيخنا : إنهم ردّوه إلى مكانه من الكعبة المعظمة لخمس خلون من ذي القعدة ، وقيل من ذي الحجة من السنة ، في خلافة المطيع لله ، وإنه لما أخذوه تفسّخ تحته ثلاثة جمال قوية من ثقله ، وحملوه لما أعادوه على جمل واحد ضعيف فوصل به سالماً .

قلت : وهذا الذي ذكره شيخنا — من كتاب المهدي إلى القرمطي في معنى الحجر ، وأنه رده لذلك — لا يستقيم ، لأن المهدي توفي سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين ، فقد ردّوه بعد موته بسبع عشرة سنة ، والله أعلم .

ثم قال شيخنا عقيب هذا : ولما أرادوا ردّه حملوه إلى الكوفة ، وعلّقوه بجامعها حتى رآه الناس ، ثم حملوه إلى مكة ، وكان مكّنه عندهم اثنتين وعشرين سنة .

قلت : وقد ذكر غير شيخنا أن الذي رده هو ابن سَنَبَر ، وكان من خواص أبي سعيد .

ثم ذكر شيخنا في سنة ستين وثلثمائة^١ أن القرامطة وصلوا إلى دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين — وقد سبق في ترجمة جعفر المذكور طرّف من خبر هذه القضية — ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم ، ثم انتصر أهل مصر عليهم فرجعوا عنهم .

قلت : وعلى الجملة فالذي فعلوه في الإسلام لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من

١ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٦١٤ .

المسلمين ، وقد ملكوا كثيراً من بلاد العراق والحجاز وبلاد الشرق والشام إلى باب مصر ، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هَجَرَ ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

والقِرْمِطِي : بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ؛ والقِرْمِطَةُ في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض ، يقال : خط مُقَرِّمَط ، ومَشْنِي مُقَرَّمَط ، إذا كان كذلك . وكان أبو سعيد المذكور قصيراً مُجْتَمِعَ الخلق أسمر كريب المنظر ، فذلك قيل له قِرْمِطِي . وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلائي فصلاً طويلاً من أحوالهم في كتاب « كشف أسرار الباطنية » .

وأما الجَنْبَانِي : فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الألف باء موحدة ، وهذه النسبة إلى جَنْبَاة ، وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف ، والقرامطة منها ، فنسبوا إليها .

والأحساء - بفتح الهزة وسكون الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ثم همزة ممدودة - وهي كورة في تلك الناحية ، فيها بلاد كثيرة منها جَنْبَاة المذكورة وهَجَرَ والقَطِيفُ - وهي بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء - وغير ذلك من البلاد ؛ والأحساء : جمع حِسِي - بكسر الحاء وسكون السين المهملة - والحسي : ماء تنشفه الأرض من الرمل ، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه . ولما كانت هذه الأرض كثيرة الأحساء سميت بهذا الاسم ، وصار علماء عليها لا تُعرف إلا به .

وأما البحرين فقد قال الجوهري في كتاب « الصحاح » : البحرين بلد ، والنسبة إليه بَحْرَانِي ، وقال الأزهري : إنما ثَنُوا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هَجَرَ بينها وبين البحر الأخضر الأعظم عشرة فراسخ ، وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يفيض ماؤها ، وهو راكد زُعَاق ، وهذه النواحي كلها بلاد العرب ، وهي وراء البصرة تتصل بأطراف الحجاز وهي على ساحل البحر المتصل باليمن والهند ، بالقرب من جزيرة قيس ابن عمية وهي التي تسميها العامة كيش ، وهي في وسط البحر بين عمان وبلاد فارس ، وفي تلك الناحية أيضاً رامهرمز وغيرها من البلاد ، والله أعلم .

(25) وأما ابن المقفع^١ فهو عبد الله ابن المقفّع^٢ الكاتب المشهور بالبلاغة ، صاحب الرسائل البديعة ، وهو من أهل فارس ، وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عمّ السفاح والمنصور الخليفين الأولين من خلفاء بني العباس ، ثم كتب له واختص به . ومن كلامه « شربت من الخُطْبِ رِيتاً ، ولم أضبط لها رَويّاً ، ففاضت ثم فاضت ، فلا هي هي نظاماً ، وليست غيرُها كلاماً » . وقال الهيثم ابن عدي : جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي فقال له : قد دخل الإسلام في قلبي ، وأريد أن أسلم على يدك ، فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس ، فإذا كان الغد فاحضر ؛ ثم حضر طعام عيسى عشيّة ذلك اليوم ، فجلس ابن المقفع يأكل ويُزَمِّم على عادة المجوس ، فقال له عيسى : أترمزم وأنت على عزم الإسلام ؟ فقال : أكره أن أبيت على غير دين ، فلما أصبح أسلم على يده . وكان ابن المقفع مع فضله يُتَّهَم بالزندقة ، فحكى الجاحظ أن ابن المقفع ومُطِيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يُتَّهَمون في دينهم ؛ قال بعضهم : فكيف نسي الجاحظ نفسه ؟ وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع ؛ وقال الأصمعي : صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها « الدرة اليتيمة » التي لم يصنّف في فنّها مثلها ؛ وقال الأصمعي : قيل لابن المقفع : مَنْ أدَبَكَ ؟ فقال : نفسي ، إذا رأيت من غيري حسناً أتيتّه وإن رأيت قبيحاً أتيتّه . واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض ، فلما افترقا قيل للخليل : كيف رأيتّه ؟ فقال : علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : عقله أكثر من علمه . ويقال : إن ابن

١ وضع وستيفل هذه الترجمة رقماً .

٢ ترجمة ابن المقفع في الجهشاري : ١٠٩ والفهرست : ١١٨ وابن أبي أصيبعة : ١ : ٣٠٨ ، وله ترجمة في أنساب الأشراف نشرها الدكتور محمد نجم بمجلة الأبحاث (بيروت ١٩٦٣) وقد كتبت عن ابن المقفع كتب عديدة منها خليل مردم وعباس اقبال (بالفارسية) وعبد اللطيف حمزة وغفراني الخراساني ، وفي الجزء الاول من ضحى الإسلام فصل عنه وكذلك الجبرائيلي بحث (مضمن في كتاب من تاريخ الاحاد في الاسلام) وبحث لكرأوس (مضمن في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية للدكتور عبد الرحمن بدوي) وانظر بروكلمان (٣ : ٩٢ - ١٠٢ من الترجمة العربية) .

المقفع هو الذي وضع كتاب « كليلة ودمنة » ، وقيل : إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعرّبه ونقله إلى العربية ، وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه . وكان ابن المقفع يعث بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أمير البصرة وينال من أمه ولا يسميه إلا بابن المقتلة ، وكثر ذلك منه ، فقدم سليمان وعيسى ابنا علي البصرة - وهما عما المنصور - ليكتبنا أماناً لأخيها عبد الله بن علي من المنصور ، وكان عبد الله المذكور قد خرج على ابن أخيه المنصور وطلب الخلافة لنفسه ، فأرسل إليه المنصور جيشاً مُقَدِّمَهُ أبو مسلم الخراساني ، فانتصر أبو مسلم عليه . وهرب عبد الله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى ، واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور ، فتوسّطاً له عند المنصور ليرضى عنه ، ولا يؤاخذه بما جرى منه ، فقبل شفاعتهما ، واتفقوا على أن يُكْتَبَ له أمانٌ من المنصور ، وهذه الواقعة مشهورة في كتب التواريخ . وقد أتيت منها في هذا المكان بما تدعو الحاجة إليه لينبني الكلام بعضه على بعض . فلما أتيا البصرة قالوا لعبد الله ابن المقفع : اكتبه أنت وبالحق في التأكيد كي لا يقتله المنصور . وقد ذكرت أن ابن المقفع كان كاتباً لعيسى بن علي ، فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله : « ومتى غدرَ أمير المؤمنين بعمة عبد الله بن علي ، فנסأؤه طوالتي ، ودّأوبه حُبُس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حِلٍّ من بيعته » .

وكان ابن المقفع يتنوّق في الشروط ، فلما وقف عليه المنصور عَظُمَ ذلك عليه ، وقال : مَنْ كُتِبَ هذا ؟ فقالوا له : رجل يقال له عبد الله ابن المقفع يكتب لأعمامك ، فكتب إلى سفيان متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله ، وكان سفيان شديد الحنق عليه للسبب الذي تقدم ذكره ، فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان ، فأخر إذنه حتى خرج مَنْ كان عنده ، ثم أذن له فدخل ، فعدل به إلى حجرة فقتلَ فيها .

وقال المدائني : لما دخل ابن المقفع على سفيان ، قال له : أتذكر ما كنت تقول في أُمي ؟ فقال : أنشدك الله أيها الأمير في نفسي ، فقال : أُمي مغلّمة إن لم أقتلك قتلَته لم يقتل بها أحد ، وأمر بَسْئُورٍ فسُجِّر ، ثم أمر بابن المقفع

فقطعت أطرافه عضواً عضواً ، وهو يلقيها في التنور ، وهو ينظر ، حتى أتى على جميع جسده ، ثم أطبق عليه التنور ، وقال : ليس عليّ في المشلة بك حرَج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس .

وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل : إنه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها ، فخاصمه إلى المنصور ، وأحضراه إليه مقيداً ، وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج ، فأقاموا الشهادة عند المنصور ، فقال لهم المنصور : أنا أنظر في هذا الأمر ، ثم قال لهم : أرايتم إن قتلتم سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت - وأشار إلى باب خلفه - وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم ؟ أأقتلكم بسفيان ؟ ! فرجعوا كلهم عن الشهادة ، وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره ، وعلموا أن قتله كان برضا المنصور . ويقال : إنه عاش ستاً وثلاثين سنة .

وذكر الهيثم بن عدي أن ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيراً ، وكان أنفُ سفيان كبيراً ، فكان إذا دخل عليه قال : السلام عليكما ، يعني نفسه وأنفه ؛ وقال له يوماً : ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة ؟ يسخرُ به على رؤوس الناس ، وقال سفيان يوماً : ما ندمت على سكوت قنطُ ، فقال له ابن المقفع : الحرسُ زينٌ لك فكيف تندم عليه ؟ ! وكان سفيان يقول : والله لأقطعنه إرباً إرباً وعيْنُه تنظر ، وعزم على أن يفتاله ، فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله .

وقال البلاذري : لما قدم عيسى بن علي البصرة في أمر أخيه عبد الله بن علي قال لابن المقفع : اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا ، فقال : ابعث إليه غيري ، فأني أخاف منه ، فقال : اذهب فأنت في أمان ، فذهب إليه ففعل به ما ذكرناه ، وقيل : إنه ألقاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة ، وقيل أدخله حماماً وأغلق عليه بابه فاختنق .

قلت : ذكر صاحبنا شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سماه « مرآة الزمان » أخبار ابن المقفع وما جرى له وقتله في سنة خمس وأربعين ومائة ، ومن عادته أن يذكر كل واقعة في السنة التي كانت فيها ، فيدل على أن قتله كان في

السنة المذكورة ، وفي كلام عمر بن شبة في كتاب « أخبار البصرة » ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين .

ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين ومائة ، وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثار ابن المقفع ، فبدل أيضاً على أنه قتل في هذه السنة ، والله أعلم .

وابن المقفع له شعر ، وهو مذكور في كتاب « الحماسة » ، وسيأتي في ترجمة أبي عمرو ابن العلاء المقرئ له مرثية فيه . وقد قيل : إنها لولده محمد بن عبد الله ابن المقفع على ما ذكرته هناك من الخلاف ، فليُنظر فيه^١ . وكيفما كان ، فإن تاريخ قتله لم يكن بعد سنة خمس وأربعين ومائة وإنما كان فيها أو فيما قبلها ، وإذا كان كذلك ، فكيف يتصور أن يجتمع بالحلاج والجنائبي - كما ذكره إمام الحرمين رحمه الله تعالى - ومن هاهنا حصل الغلط ، وأيضاً فإن ابن المقفع لم يفارق العراق ، فكيف يقول : إنه توغل في بلاد الترك ، وإنما كان مقيماً بالبصرة ويتردد في بلاد العراق ، ولم تكن بغداد موجودة في زمنه ، فإن المنصور أنشأها في مدة خلافته : فاخْتَصَطَهَا في سنة أربعين ومائة ، واستتم بناءها وزلها في سنة ست وأربعين ، وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها ، وهي بغداد القديمة التي كانت بالجانب الغربي على دجلة ، وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تنشأ مدينة في هذا المكان ، وهذا الحديث هو الذي ذكره الخطيب أبو بكر البغدادي في أول تاريخه الكبير وقد غاب عني الآن لفظه فلماذا لم أذكره . وبغداد في هذا الزمان هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دُورُ الخلفاء ، وهي قاعدة الملك في هذا الوقت ، وكان السفاح وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة ، ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية ، فانتقلا إليها ، ثم انتقلا إلى الأنبار ، وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها ، وأقام المنصور على ذلك إلى أن بنى بغداد فانتقل إليها .

١ هي الحماسة : ٢٨٢ (شرح المروزقي : ٨٦٣) في رثاء يحيى بن زياد وسبورها المؤلف في ترجمة أبي عمرو ابن العلاء ؛ ولكن لعل الأرجح أن « أبا عمرو » الرثي في القصيدة ليس هو أبا عمرو ابن العلاء وتكون القصيدة صحيحة النسبة لعبد الله ابن المقفع ، قال ابن خلدان : « ولكنها مشهورة في أبي عمرو المذكور » وإذا كان الأمر كذلك فأنها ليست لعبد الله بن المقفع .

والمُقَفَّعُ - بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها وبعدها عين مهملة - واسمه داذويه ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام ولايته العراق وبلاد فارس قد ولاه خراج فارس فمده يده وأخذ الأموال ، فعذبه فَتَقَفَّعَتْ يده فقيل له المقفع ، وقيل : بل ولاه خالد بن عبد الله القسري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وعذبه يوسف بن عمر الثقفي الآتي ذكره لما تولى العراق بعد خالد ، والله أعلم أي ذلك كان .

وقال ابن مكّي في كتاب « تثقيف اللسان » ويقولون : ابن المقفّع والصواب ابن المقفّع - بكسر الفاء - لأن أباه كان يعمل القِفَاعَ ويبيعه . قلت : والقِفَاعُ بكسر القاف جمع قَفْعَةٍ بفتح القاف ، وهي شيء يعمل من الخوص شبيه الزبيل لكنه بغير عُرْوَةٍ ، والقول الأول هو المشهور بين العلماء ، وهو فتح الفاء .

قلت : ولما وقفت على كلام إمام الحرمين - رحمه الله تعالى - ولم يمكن أن يكون ابن المقفع أحد الثلاثة المذكورين قلت : لعله أراد المقنع الخراساني الذي ادعى الربوبية ، وأظهر القمر - كما شرحته في ترجمته بعد هذا في حرف العين - فإن اسمه عطاء ، ويكون الناسخ قد حرّف كلام إمام الحرمين فأراد أن يكتب المقنع فكتب المقفّع فإنه يقرب منه في الخط . فيكون الغلط والتحريف من الناسخ لا من الإمام ، ثم أفكرت في أنه لا يستقيم أيضاً ، لأن المقنع الخراساني قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة - كما ذكرناه في ترجمته - فما أدرك الحلاج والجنتابي أيضاً .

(26) وإذا أردنا تصحيح هذا القول وأن ثلاثة اجتمعوا واففقوا على الصورة التي ذكرها إمام الحرمين فما يمكن أن يكون الثالث إلا ابن الشلمغاني ، فإنه كان في عصر الحلاج والجنتابي ، وأموره كلها مبنية على التموهيات ، وقد ذكره جماعة من أرباب التاريخ ، فقال شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فصلاً طويلاً اختصرته^١ ، وهو : وفي هذه

١ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٢٩٠ ومعجم الادباء ١ : ٢٣٤ (في ترجمة إبراهيم بن أبي عون) ومعجم البلدان « شفقان » والانساب واللباب « الشلمغاني » .

السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر، وسبب ذلك أنه أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه ، إلى غير ذلك مما يحكيه ، وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن روح الذي تسميه الامامية « الباب » فطُلبَ ابن الشلمغاني فاستتر وهرب إلى الموصل وأقام سنين ، ثم انحدر إلى بغداد وظهر عنه أنه يدّعي الربوبية ، وقيل : إنه تبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله وابنا بسطام وإبراهيم بن أحمد بن أبي عون وغيرهم ، وطُلبوا في أيام وزارة ابن مُقْلَةَ للمقتدر فلم يوجدوا ، فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلثائة ظهر ابن الشلمغاني، فقبض عليه ابن مقلة وحبسه وكبس داره ، فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدعي أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً ، فعُرِضت على ابن الشلمغاني فأقرّ أنها خطوطهم وأنكر مذهبهم ، وأظهر الإسلام ، وتبرأ مما يقال فيه . وأحضر ابن أبي عون وابن عبدوس معه عند الخليفة، فأمرّا بصفّعه فامتنعا ، فلما أكرها مدّ ابن عبدوس يده فصفعه ، وأما ابن أبي عون فإنه مد يده إلى لحيته ورأسه، وارتعدت يده وقبّلَ لحية ابن الشلمغاني ورأسه وقال : إلهي وسيدي ورازقي ، فقال له الخليفة الراضي بالله : قد زعمت أنك لا تدعي الإلهية فما هذا ؟ فقال : وما عليّ من قول ابن أبي عون ؟ والله يعلم أنني ما قلت له إنني إله قط ، فقال ابن عبدوس : إنه لم يدع إلهية ، إنما ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر ، ثم أحضروا مرات ومعهم الفقهاء والقضاة ، وفي آخر الأمر أفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فأحرق بالنار في ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وثلثائة .

(27) وذكره محب الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » في ترجمة ابن أبي عون المذكور وقال : إن ابن أبي عون ضربت عنقه بعد أن ضرب بالسياط ضرباً مبرحاً لمتابعته ابن الشلمغاني ، وصلب ثم أحرق بالنار ، وذلك في يوم الثلاثاء ليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة .

قلت : وابن أبي عون هو صاحب التصانيف المليحة منها « التشبيهات » و « الأجوبة المسكّنة » وغير ذلك ، وكان من أعيان الكتاب .

والشلمغاني — بفتح الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها ميم ثم غين معجمة
وبعد الألف نون — هذه النسبة إلى شلمغان، وهي قرية بنواحي واسط، وقد
ذكره السمعاني في كتاب « الأنساب » أيضاً ، والله أعلم .

١٩٠

ابن سينا

الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور ؛ كان أبوه من
أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى ، وكان من العمال الكفاءة ، وتولّى
العمل بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثنا^١ من أمهات قرأها ، وولد الرئيس
أبو علي وكذلك أخوه بها ، واسم أمه ستارة^٢ وهي من قرية يقال لها أفشنة
بالقرب من خرميثنا . [ولما ولد أبو علي كان الطالع السرطان درجة شرف
المشتري والقمر على شرف درجته والزهرة على درجة شرفها وسهم السعادة في
تسع من السرطان وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعرى اليمانية]^٣ .
ثم انتقلوا إلى بخارى ، وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد ، واشتغل بالعلوم
وحصّل الفنون ، [ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز
والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة ، ثم توجه

١٩٠ - ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا في تاريخ الحكماء : ٤١٣ وابن أبي أصيبعة : ٢٣٩ وابن
العبري : ١٨٧ وخزانة الأدب : ٤ : ٤٦٦ ولسان الميزان : ٢ : ٢٩١ ، وانظر البحوث التي
نشرت في كتاب المهرجان الألفي وكتاب مؤلفات ابن سينا وضع الأب جورج قنواي (القاهرة
١٩٥٠) .

١ هـ : خرقش .

٢ ر : سارة ؛ م : شادة .

٣ زيادة من ر .

٤ ولما بلغ ... وكان نادرة : سقط من س ص والمسودة .

نحوهم الحكيم أبو عبد الله الناتلي^١ ، فأنزله أبو الرئيس أبي علي عنده ، فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب إيساغوجي وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي وفاقه أضعافاً كثيرة ، حتى أوضح له منها رموزاً وفهمه إشكالات لم يكن للئاتلي يدٌ بها ، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد ، يقرأ ويبعث وينظر ، ولما توجه الناتلي نحو خوارزم شاه مأمون بن محمد اشتغل أبو علي بتحصيل العلوم كالطبيعي والإلهي وغير ذلك ، ونظر في النصوص والشروح وفتح الله عليه أبواب العلوم ، ثم رغب بعد ذلك في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه ، وعالج تأديباً لا تكسباً ، وعلمه حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة وأصبح فيه عديم القرن فقيد المثل ، واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبرائه يقرءون عليه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة ، وسنَّه إذ ذاك نحو ست عشرة سنة . وفي مدة اشتغاله لم يَتَمَّ ليلة واحدة بكلامها ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة ، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع ، وصلى ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقتها له .

وذكرَ عند الأمير نوح بن نصر الساماني^٢ صاحب خراسان في مرض مرضه فأحضره وعالجه حتى برى ، واتصل به وقرب منه ، ودخل إلى دار كتبه وكانت عديمة المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته ، فظفر أبو علي فيها بكتب من علم الأوائل وغيرها وحصلَ نخبَ فوائدها واطلع على أكثر علومها ، واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة ، فتفرد أبو علي بما حصله من علومها ، وكان يقال : إن أبا علي توصل إلى إحراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها وينسبه إلى نفسه .

ولم يستكمل ثمانى عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عاناها ، وتوفي أبوه وسنُّ أبي علي اثنتان وعشرون سنة ، وكان يتصرف

١ ب هـ : الباطلي .

٢ تولى حكم خراسان وما وراء النهر بعد أبيه نصر بن أحمد سنة ٣٣١ هـ ولقب بالأمير الحميد ، وبقي في الحكم حتى توفي سنة ٣٤٣ هـ ، وكان حسن السيرة كريم الأخلاق .

هو ووالده في الأحوال ويتقلدان للسلطان الأعمال .

ولما اضطربت أمور الدولة السامانية خرج أبو علي من بخارى إلى كُرْكانج ، وهي قصبة خوارزم ، واختلف إلى خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد ، وكان أبو علي على زي الفقهاء ويلبس الطَّيْلَسَان ، فقرروا له في كل شهر ما يقوم به . ثم انتقل إلى نسا وأبيورد وطُوسَ وغيرها من البلاد ، وكان يقصد حضرة الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير في أثناء هذه الحال ، فلما أُخِذَ قابوس وحُبِسَ في بعض القلاع حتى مات - كما سيأتي شرحه في ترجمته في حرف القاف من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى - ذهب أبو علي إلى دهستان ومرض بها مرضاً صعباً ، وعاد إلى جُرْجان ، وصنف بها الكتاب الأوسط - ولهذا يقال له « الأوسط الجرجاني » - واتصل به الفقيه أبو عبيد الجوزجاني ، واسمه عبد الواحد ، ثم انتقل إلى الري واتصل بالدولة ، ثم إلى قَرْوِين ثم إلى هَمْدَان ، وتولى الوزارة لشمس الدولة ، ثم تشوش المسكر عليه ، فأغاروا على داره ونهبوها وقبضوا عليه وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ، ثم أُطْلِقَ فتواري ، ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فأحضره لمداواته واعتذر إليه وأعادته وزيراً ، ثم مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة فلم يستوزره ، فتوجه إلى أصبهان وبها علاء الدولة أبو جعفر ابن كاكويه ، فأحسن إليه .

وكان أبو علي قوي المزاج ، وتغلب عليه قوة الجماع حتى أنهكته ملازمته وأضعفته ولم يكن يداوي مزاجه ، وعرض له قولنج ، فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات فقرح بعض أمعائه وظهر له سحج ، واتفق سفره مع علاء الدولة ، فحصل له الصرع الحادث عقيب القولنج ، فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في جملة ما يحقن به ، فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسة دراهم منه ، فازداد السحج به من حدة الكرفس فطرح بعض غلمانته في بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أن غلمانته خانوه في شيء ، فخافوا عاقبة أمره عند برئه ؛ وكان منذ حصل له الألم يتحامل ويجلس مرة بعد أخرى ولا يحتمي ويجامع ، فكان يمرض أسبوعاً ويصلح أسبوعاً ، ثم قصد علاء الدولة همدان من أصبهان ومعه الرئيس أبو علي ، فحصل له القولنج في الطريق ووصل إلى همدان وقد

ضعف جداً وأشرفت قوته على السقوط ، فأهمل المداواة وقال : المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا تنفعني المعالجة ، ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ، وردّ المظالم على من عرفه وأعتق ممالكه وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ، ثم مات في التاريخ الذي يأتي في آخر ترجمته إن شاء الله تعالى^١ .

وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه ، وصنف كتاب « الشفاء » في الحكمة ، و « النجاة » و « الإشارات » و « القانون » وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى . وله رسائل بديعة : منها رسالة « حي بن يقظان » ورسالة « سلامان وإيسال » ورسالة « الطير » وغيرها ، وانتفع الناس بكتبه ، وهو أحد فلاسفة المسلمين .

وله شعر ، فمن ذلك قوله في النفس :

هَبَطْتَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ	وَرَقَاءَ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ
مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مَقْلَةٍ عَارِفٍ	وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ فَلَمْ تَتَبَرَّقَعْ
وَصَلْتَ عَلَى كَرَمِهِ إِلَيْكَ وَرَبِّهَا	كَرِهْتَ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفَجُّعٍ
أُفْتُتْ وَمَا أَلْفَتْ فَلَمَّا وَاصَلْتُ	أَلْفَتْ بِجَاوِرَةِ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ
وَأَظُنُّهَا نَسِيتْ عَهْدَ الْبَالِحِيِّ	وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ
حَتَّى إِذَا اتَّصَلْتُ بِهَا هُبُوطُهَا	مِنْ مِمْ مَرَكْزِهَا بِذَاتِ الْأَجْرَعِ
عَلِقَتْ بِهَا ثَاءُ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ	بَيْنَ الْمَعَالِمِ وَالطُّلُولِ الْخُضْعِ
تَبْكِي وَقَدْ نَسِيتْ عَهْدَ الْبَالِحِيِّ	بِدَامِعِ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلَعِ
حَتَّى إِذَا قَرَّبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحَمِيِّ	وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ
وَعَدَتْ تَفَرُّدُ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَاهِقٍ	وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَرْفَعِ
وَتَعُودُ عَالِمَةٌ بِكُلِّ خَفِيَّةٍ	فِي الْعَالَمِينَ فَخَرَقُهَا لَمْ يُرْقَعْ
فَهَبُوطُهَا إِذْ كَانَ ضَرْبَةُ لَازِمٍ ^٢	لِتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ تَسْمَعِ
فَلَأَيُّ شَيْءٍ أَهْبَطَ مِنْ شَاهِقٍ	سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحُضِيِّضِ الْأَوْضَعِ

١ انفردت به ر . ٢ ج : لازب .

إن كان أهبطها إلهة لحكمة طُويتْ عن الفطن اللبيب الأروع^١
إذعاقها الشَّرْكُ الكثيف فصدَّها قفص عن الأونجِ الفسيح الأربع
فكانها برق تألَّقَ بالحمى ثم انطوى فكانه لم يلمع
ومن المنسوب إليه أيضاً ، ولا أتحققه ، قوله :

اجْعَلْ غِذاءَكَ كُلَّ يومٍ مرةً واحذرْ طعاماً قبل هَضْمِ طعامٍ
واحفظْ مِنْكَ ما استطعت فإنه ماءُ الحياة يُراق في الأرحامِ

وينسب إليه البيتان اللذان ذكرهما الشهرستاني في أوّل كتاب « نهاية
الاقدام » وما^٢ :

لَقَدْ طُفْتُ في تلك المعاهد كُلِّها وسيَّرتُ طرقي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائِرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سِنَّ نادِمٍ
[ومن شعره أيضاً :

هذب النفس بالعلوم لترقى فترى الكلَّ فهي للكلِّ بيت
إنما النفس كالزجاجة والعلَمُ سراج وحكمة الله زيت
فهي إن أشرقت فإنك حيٌّ وهي إن أظلمت فإنك ميت^٣]

وفضائله كثيرة ومشهورة .

وكانت ولادته في سنة سبعين وثلثمائة في شهر صفر ، وتوفي بهمدان يوم الجمعة
من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها . وحكى شيخنا عزّ الدين
أبو الحسن علي بن الأثير في تاريخه الكبير أنه توفي بأصبهان ، والأول أشهر ،
رحمه الله تعالى .

١ ج : اللوذعي .

٢ انظر نهاية الاقدام : ٣ .

٣ زيادة من ص .

٤ تاريخ ابن الاثير ٩ : ٤٥٦ .

وكان الشيخ كمال الدين بن يونس^١ رحمه الله تعالى يقول : إن نخدمه سَخِطَ عليه واعتقله ، ومات في السجن ، وكان ينشد :

رَأَيْتُ ابْنَ سَيْنَا يُعَادِي الرِّجَالَ وَفِي السَّجْنِ مَاتَ أَخْسَرُ الْمَمَاتِ
فَلَمْ يَشْفَرْ مَا نَابَهُ بِالشَّقَا وَلَمْ يَنْجُ مِنْ مَوْتِهِ بِالنَّجَاةِ
وسينا : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون
وبعدها ألف ممدودة .

١٩١

الخليع الشاعر

أبو علي الحسين بن الضَّحَّاك بن ياسر الشاعر البصري المعروف بالخليع ،
مولى لولد سَلْمَانَ بن ربيعة الباهلي^٢ الصحابي رضي الله عنه ، وأصله من خُرَّاسَان ؛
وهو شاعر ماجن مضبوع حسن الافتنان في ضروب الشعر وأنواعه ، واتصل في
مجالسة الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلی ، فإنه
قاربه في ذلك أو ساواه ، وأول من صحب منهم الأمين محمد بن هارون الرشيد ،
وكان اتصاله به في سنة ثمان وتسعين ومائة وهي السنة التي قتل فيها الأمين ، ولم
يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين ، [ما عدا المأمون ، فإنه لم يدخل

١ هو أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة ، كان حكيماً متزهداً يدرس بالموصل وقد أجاب
عن مسائل بعث بها الانبرور (فردريك الثاني) وله عدد من المؤلفات (انظر ابن أبي أصيبعة
١ : ٣٣٨) .

١٩١ - ترجمة الخليع في طبقات ابن المعتز : ٢٦٨ والأغاني ٧ : ١٤٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٥٤
ومعجم الأدباء ٩ : ٥ وشذرات الذهب ٢ : ١٢٣ ، وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستار فراج
(دار الثقافة - بيروت : ١٩٦٠) .

عليه ولم يختلط به وذلك لأنه رثى الأمين فقال :

هلا بقيتَ لسدِّ فافتنا أبداً وكان لغيرك التلفُ
قد كان فيك لمن مضى خلفُ فاليومَ أعوزَ بعدك الخلفُ

فلما ورد المأمون ببغداد أمر أن يكتب من يصلح لمناذمته من أهل الأدب ،
فأثبت له قوم وذكر فيهم الحسين بن الضحاك فقال : أليس القائل : وكان لغيرك
التلف ؟ والله لا أرى وجهه على الطريق ؛ فلم يحظَ في أيام المأمون بشيء^١ .
[وقد كان وقت خدمته المتوكل ضعف كبيراً فكتب إليه يستعفيه من الخدمة
بأبيات^٢ :

سُلفت أسلافك من خدمتي في مدتي إحدى وستينا
كنت ابن عشرين وخمس وقد وفيتُ بضعاً وثمانينا
إني لمعروفٍ بضعفِ القوى وإن تجللت أحيينا
فإن تحملتُ على كبرتي خدمةً أبناء الثلاثينا
هذتُ قواي ووهتُ أعظمي وصرت في العلة عزونا

وعزونا هذا كان نديماً للمعتصم ثم للمتوكل^٣ .

وهو في الطبقة الأولى من الشعراء المجيدين وبينه وبين أبي نواس ماجريات
لطيفة ووقائع حلوة . وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته . ذكره ابن المنجم
في كتابه « البارع » وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » وكل منها أورد طرفاً
من محاسن شعره ، فمن ذلك قوله^٤ :

١ زيادة من ر ليست في المسودة ؛ وانظر الشعر في ديوانه : ٧٩ .

٢ الأبيات في ديوانه : ١٢١ .

٣ زيادة من د ر ليست في المسودة .

٤ وردت هذه المقطعات في ديوانه : ٥٨ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ٥٥ ، ٤٣ .

صل بخدي خديك تلقَ عجباً من معانٍ يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياضٌ وبخدي للدموع غدير
وله أيضاً :

أيا مَنْ طرفه سحرُ ويا من ريقه خمرُ
تجاسرتُ فكاشفتُ لكَ لما غلب الصبر
وما أحسن في مثلكَ أن ينهتك الستر
فإن عنفني الناس ففي وجهك لي عذر
وله :

لا وجبَّيك لا أصا فحُ بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استرا ح وإن كان موجعا
كبدي في هواك أس قم من أن تقطعا
لم تدعُ صورة الضنى في السقم موضعاً

وذكر في كتاب « الأغاني » أن هذه الأبيات أوردها أبو العباس ثعلب النحوي
- المقدم ذكره - للخليع المذكور وقال : ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا.
وله :

إذا خُنتُم بالغيب عهدي فما لكم تُدِلّون مإدلالَ المقيم على العهدِ
صِلوا وافعلوا فعل المدلِّ بوصله وإلا فصدّوا وافعلوا فعل ذي الصدِّ
وله من قصيدة :

سقى الله عصراً لم أبت فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيبٍ على وعد
[وذكر أبو عبد الله ابن حمدون عن الحسين بن الضحاك قال : كان يألّفني

أ : عهد مودتي .

فتى من أهل الشام عجيب الحلقة والشكل غليظ جلف جاف ، فكنت أحتمل ذلك منه وكان حظي التعجب منه ، وكان يأتيني بكتب عشقية له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أشكل من معانيها ، ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي أن الشامي يجمله لا يميز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرق بين الابتداء والجواب ، فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبت على إفساد حاله عندها فسألته عن اسمها فقال : بصص ، فكتبت إليها عنه في جواب كتاب منها كان جاءني به :

أرقصني حبك يا بصص والحب يا سيدتي يرقص
أرمصت أجفاني لطول البكا فما لأجفانك لا ترمص
أوحشني وجهك ذاك الذي كأنه من حسنه عصص

قال : فجاءني بعد ذلك فقال : يا أبا علي ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إلي : إني مشتاقة إليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية ، فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا ، فقف بحباله حتى أراك ؛ فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع ، فبينما أنا واقف أنتظر مكلماً لي أو مشيراً إلي وإذا شيء قد صب علي فملأني من فرقي إلى قدمي فأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر ، وإذا هو ماء قد خلط ببولٍ وسواد وسرجين ، وانصرفت بخزي وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائر من مررت به من الطنز والضحك والصياح أعظم مما جرى علي ولحقني من أهلي ومن منزلي ، وشر من ذلك وأعظم من كل ما ذكرت أن رسلها انقطعت عني جملة ، قال : فجعلت أعتذر إليه وأقول : إن الآفة أنها لم تفهم الشعر لجودته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسر بالشامة به [١] .

[حدث محمد بن جعفر بن قدامة عن محمد بن عبد الملك قال : كنا في مجلس

١ زيادة من د ص لم ترد في المسودة ، وانظر ديوانه : ٦٩ .

ومعنا الحسين بن الضحاك ونحن على شراب وعندنا مغنية فعبث الخليع بالمغنية
وجمها فصاحت بالحسين واستخفت به ، فأثأ الخليع يقول^١ :

لها في خدما عَكَنُ وثلثا وجهها ذَقَنُ
وأَسنان كَرِيش البطَّ بين أصولها عَقَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنية حتى قلنا إنها عميت وما انتفعنا بها بقية يومنا ؛
وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلها ، وكانت إذا حضرت في مجلس أنشدوا
البيتين فتجن ؛ ثم إنها هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً .
حدث الصولي عن أحمد بن حمدون قال : أمر المتوكل بأن يناديه الحسين بن
الضحاك ويلازمه فلم يطق ذلك لكبر سنه ، فقليل له : هو يطيق الذهاب إلى
القرى والمواخير فيشرب فيها ويعجز عن خدمتك ، فبلغه ذلك ؛ قال ابن حمدون :
فدفع إليّ أبياتاً قالها فأوصلتها إلى المتوكل وهي قوله^٢ :

أما في ثمانين وفَّيتُها عذيرُ وإن أنا لم أعتذرُ
فكيف وقد جُزَّتها صاعداً مع الصاعدين بتسع آخر
وقد رفع الله أقلامه عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصرَّ على فتنةٍ وألحد في دينه أو كفر
وإني لمن أسراء الإله في الأرض نصب صروف القدر
فإن يقض لي عملاً صالحاً أثاب وإن يقض سوءاً غفر
وقد بسط الله لي عذره فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وما للحود وأشياعه وكذب بالوحي إلا حجر^٣

قال ابن حمدون : فلما أوصلتها شفعتها بكلام أعتذر وأقول : لو أطاق خدمة

١ ديوانه : ١٠٩ .

٢ ديوانه : ٥٢ .

٣ ديوانه : ومن كذب الحق إلا حجر .

أمير المؤمنين لكان أسعد بها ، فقال المتوكل : صدقت ، خذ له عشرة آلاف درهم فاحملها إليه ، فأخذتها وحملتها^١ .

حدث أبو العيناء قال : حج الحسين بن الضحاك فمر في منصرفه على موضع يعرف بالقريتين ، وإذا جارية كأنها القمر في ليلة اللم تتطلع من تحت ثيابها وتنظر إلى حرها ثم تضربه بيدها وهي تقول : ما أضيعني وأضيعك ، فأنشأ الحسين يقول^٢ :

مررت بالقريتين منصرفاً من حيث يقضي ذوو الهوى النسا
إذا فتاة كأنها قمرٌ للتم لما توسط الفلكا
واضعة كفها على حرها تقول واضيعني واضيعك

قال : فلما سمعت قوله ضحكت وغطت وجهها وقالت : وافضيحتاه وقد سمعت ما قلت !

وقال الحسين بن الضحاك : كنت جالساً في داري في يوم شاتٍ وقد أفطر البامون وأمر الناس بالإفطار فجاءتني رقعة الحسن بن رجاء يقول فيها^٣ :

هزرتك للصَّبوح وقد نهاني أميرُ المؤمنين عن الصيام
وعندي من قبان الكرخ عشر يطيب بها مصافحة المدام
ومن أمثالهن إذا انتشينا ترانا نجتني ثمر الحرام
فكن أنت الجوابَ فليس شيء أحبَّ إليّ من حذف الكلام

فوردت رقعة وقد أرسل إلى محمد بن الحارث غلاماً له نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمان حسان ، ومعه رقعة منشورة قد ختم أسفلها مثل المناشير فيها^٤ :

سر على امم الله يا أحسنَ من غصنِ لجينِ

١ وردت بعد هذا الموضع حكاية تقدمت في ترجمة المتوكل ١ : ٣٥٣ ولذلك حذفناها .

٢ ديوانه : ٩١ .

٣ ديوانه : ١٠٢ .

٤ المصدر نفسه .

في ثلاثٍ من بني الروم إلى دار حسين
فاشخص الكهل إلى مولاك يا قسرة عيني
أره العنف إن استعصى وطالبه بدين
ودع اللفظ وكلّمته بغمز الحاجبين
واحذر الرجعة من وجهك في خُفّي حنين

قال : فمضيت مع غلمان محمد بن الحارث وتركت الحسن^١ .
وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين وقد قارب مائة سنة ، رحمه الله تعالى .
وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » ، يقال : إنه وُلِدَ في سنة اثنتين وستين
ومائة .

١٩٢

ابن الحجاج الشاعر

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جَعْفَر بن محمد بن الحجاج ؛ الكاتب
الشاعر المشهور ذو المجون والحلاعة والسخف في شعره ، كان فَرَدَ زمانه في
فَنِّهِ ، فإنه لم يُسبق إلى تلك الطريقة ، مع عذوبة الألفاظ وسلامة شعره
من التكلف ، ومدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، وديوانه كبير ،
أكثر ما يوجد في عشر مجلدات ، والغالب عليه الهزل ، وله في الجد أيضاً
أشياء حسنة .

وتولى حِسْبَةَ بغداد وأقام بها مدة ، ويقال : إنه عُرِلَ بأبي سعيد

١ ما بين معقنين زيادة من رد ص مع اختلاف بينها في الترتيب، ولم ترد هذه الزيادات في المسودة.
١٩٢ - ترجمة ابن الحجاج في تاريخ بغداد ٨: ١٤ وقيمة الدهر ٣: ١٣٦ وابن كثير ١١: ٣٢٩
ومطالع البدور ١: ٣٩ والامتناع والمؤانسة ١: ١٣٧ ومعجم الأدباء ٩: ٢٠٦ .

الإصطخري الفقيه الشافعي ، وله في عزله أبيات مشهورة لا حاجة إلى إثباتها هاهنا .

ويقال : إنه في الشعر في درجة امرئ القيس ، وإنه لم يكن بينها مثلها لأن كل واحد منها مخترع طريقة .
[وقد أفرد أبو الحسن الموسوي المعروف بالرضي من شعره في المديح والغزل وغيرها ما جانب السخف ، وكان شعراً متخيراً حسناً جيداً]^١ ومن جيد شعره وجده هذه الأبيات :

يا صاحبي استيقظا من رقدة تزري على عقل اللبيب الأكيس
هذي المجرة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غلست بنسيمها فعلام شرب الراح^٢ غير مغلس
قوما اسقياني قهوة رومية^٣ من عهد قيصر دنتها لم يمسه
صرفاً تضيف إذا تسلط حكمها موت العقول إلى حياة الأنفس
[وأورد له أيضاً :

نمت بسري في الهوى أدمعي ودلت الواشي على موضعي
يا معشر العشاق إن كنتم مثلي وفي حالي فموتوا معي
وأورد له أيضاً :

يا من إليها من ظلمها الهرب ردّي فؤادي فقل ما يجب
ردّي حياتي إن كنت منصفة^٤ ثم إليك الرضا أو الغضب
طلبت قلبي فلم أفتك به سبحان من لا يفوته الطلب^٥
ومن شعره :

١ البيتية : ٦٩ ، وما بين معقنين زيادة من ر وحدها .

٢ البيتية : شربي الراح .

٣ زيادة من د لم ترد في المسودة .

قالَ قَوْمٌ لَزِمْتَ حَضْرَةَ حَنْدٍ وَتَجَنَّبْتَ سَائِرَ الرُّؤَسَاءِ
قُلْتُ مَا قَالَهُ الَّذِي أَحْرَزَ الْمَدَّ نِي قَدِيمًا قَبْلِي مِنَ الشَّعْرَاءِ
«يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُلْتَقَطُ الْحَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرَمَاءِ»

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد ، وقد ضمنه شعره .
[وأورد له أيضاً في الورد :

جنى من البستان لي وردةً أحسن من إنجازهِ وعدي
وقال والوردة في كفه من قدحٍ أذكى من الندِّ
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي ريقِي من كفي على خدي
ودعي ابن الحجاج إلى دعوةٍ وتأخر عنه الطعام قليلاً فقال :

يا ذاهباً في داره جائئاً بغير معنَى وبلا فائده
قد جنَّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة^١

[ومثل هذا ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » قال : دعانا
أبو محمد ابن الشاب يوماً ودعا جحظة البرمكي وأطال حبس الطعام جداً ، وجاع
جحظة فأخذ دواة وقرطاساً وكتب :

ما لي وللشباب وأولاده لا قدس الوالد والوالده
قد حفظوا القرآن واستعملوا ما فيه إلا سورة المائدة

ورمى بها إلي فقرأتها ودفعتها إلى ابن الشاب فقرأها ووثب مسرعاً وقدم الطعام
وأكلنا وانصرفنا وقطعه جحظة بعد ذلك ، فكان يجهد جهده في أن يجيبه فلا
يفعل ، فإذا عاتبناه قال : حتى يحفظ تلك السورة^٢ .

١ زيادة من د لم ترد في المسودة ، وانظر البيتين الآخرين في البيعة ٣ : ٨٢ .

٢ زيادة من ص ر ولم ترد في المسودة كما لم ترد في الأغاني .

وكانت وفاة ابن الحجاج يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنَّيْل ، وحُمِلَ إلى بغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن عند مشهد موسى بن جعفر ، رضي الله عنه . وأوصى أن يدفن عند رجله ، وأن يكتب على قبره ﴿وَكَلْبَهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْنِهِ بِالْوَصِيدِ﴾ . وكان من كبار الشعراء الشيعة ، ورآه^١ بعد موته بعض أصحابه في المنام ، فسأله عن حاله ، فأنشد :

أَفْسَدَ سُوءُ مَذْهَبِي فِي الشَّعْرِ حُسْنَ مَذْهَبِي
[وَحَمَلِيَ الْجَدَّ عَلَى ظَهْرِ حِصَانِ اللَّعْبِ]
لَمْ يَرْضَ مَوْلَايَ عَلَيَّ سَبِّي لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ
[وَقَالَ لِي وَيَحْكُ يَا أَحْمَقُ لَمْ لَمْ تَتَّبِعْ
مَنْ سَبَّ قَوْمَ مَنْ رَجَا آلَاءَهُمْ لَمْ يَخْبِ
رَمَتْ الرُّضَى جَهْلًا بِمَا أَصْلَاكَ نَارَ اللَّهَبِ]^٢

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة من جملتها^٣ :

نَعَوُهُ عَلَى حُسْنِ ظَنِّي بِهِ فَلَهُ مَاذَا نَعَى النَّاعِيَانِ
رَضِيعَ وَلَاءٍ لَهُ شُعْبَةً مِنْ الْقَلْبِ مِثْلَ رَضِيعِ اللَّبَانِ
وَمَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ الزَّمَانَ يَقْلُثُ مُضَارِبَ ذَاكَ اللِّسَانِ
بِكَيْتِكَ لِلشُّرُودِ السَّائِرَاتِ تَعْنِقُ أَلْفَاظُهَا بِالْمَعَانِي
لَيْبِكَ الزَّمَانُ طَوِيلًا عَلَيْكَ فَقَدْ كُنْتَ خِفَّةَ رُوحِ الزَّمَانِ

والنَّيْل - بكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام - وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، والأصل

١ في د : ورآه أبو الفضل ابن الحازن في النوم .

٢ الأبيات بين معقفين زيادة من ر لم ترد في المسودة .

٣ ديوان الشريف الرضي ٤ : ٤٤٦ .

فيه نهر حفره الحجاج بن يوسف في هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم
نيل مصر ، وعليه قرى كثيرة .

١٩٣

الوزير المغربي

أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام
ابن المرزبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس
ابن فيروز بن يزْدَجِرْد بن بهرام جُورَ المعروف بالوزير المغربي ؛ ورأيت
جماعة من أهل الأدب يقولون : إن أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي
الذي مدحه المتنبّي بقصيدته التي أولها :

أَمِنْ أَرْدِيَارِكِ فِي الدَّجَى الرِّقَبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظُّلَامِ ضِيَاءُ

خاله ، ثم إنني كشفت عنه فوجدت المذكور خال أبيه ، وأما هو فأمه بنت
محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني ، ذكره في « أدب الخواص » . وكانت وفاة
الأوارجي المذكور في جُمَادَى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة^١ .

والوزير أبو القاسم المغربي المذكور هو صاحب الديوان : الشعر والنثر ، وله
« مختصر إصلاح المنطق »^٢ وكتاب « الإيناس » ، وهو مع صغر حجمه كثير
الفائدة ويدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب « أدب الخواص » وكتاب « المأثور في
ملح الخدور » وغير ذلك .

١٩٣ - ترجمة الوزير المغربي في معجم الأدباء ٩ : ٧٩ ورجال النجاشي : ٥١ والشذرات ٣ : ٢١٠
ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وانظر الإشارة إلى من نال الوزارة : ٦٦ وصفحات متفرقة من
ج : ٩ من تاريخ ابن الاثير .

١ ورأيت جماعة ... وثلثمائة : سقط النص من س .

٢ أهدى منه نسخة إلى المعري فكتب إليه أبو العلاء رسالته المعروفة برسالة الاغريض .

وجدت في بعض المجاميع ما صورته : وجد بخط والد الوزير المعروف بالمعري على ظهر « مختصر إصلاح المنطق » الذي اختصره ولده الوزير ما مثاله : « ولَدَ - سلمه الله تعالى ، وبلغه مبالغ الصالحين - أول وقت طلوع الفجر من ليلة صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة ، واستظهر القرآن العزيز وعدة من الكتب المجردة في النحو واللغة ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر وتصرف في النثر وبلغ من الخط إلى ما يقصر عنه نظرائه ، ومن حساب المولد والجبر والمقابلة إلى ما يستقل بدونه الكاتب ، وذلك كله قبل استكمالهِ أربع عشرة سنة . واختصر هذا الكتاب ، فتناهى في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفت شيء من ألفاظه ، وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار ، وجمع كل نوع إلى ما يليق به . ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره فابتدأ به ، وعمل منه عدة أوراق في ليلة ، وكان جميع ذلك قبل استكمالهِ سبع عشرة سنة ، وأرغب إلى الله سبحانه في بقائه ودوام سلامته » . انتهى كلام والده .

ومن شعر الوزير المذكور^١ :

أقولُ لها والعيسُ تحَدَجُ لِسُرَى أعدِي لِفَقْدِي ما اسْتَطَعَتِ من الصبرِ
سَأَنفِقُ رِيْعانَ الشَّيْبَةِ آتِفًا عَلى طَلَبِ العَلِيَاءِ أو طَلَبِ الأجرِ
أَلَيْسَ مِنَ الحُسرانِ^٢ أنَّ لِياليًا تمرُّ بلا نَفْعٍ وتُحسَبُ مِن عُمري
، ومن شعره أيضًا :

أرى الناسَ في الدُّنيا كَراعٍ تنكُرت مراعيه حتى ليسَ فيهنَّ مَرَتَعُ
فمَاءٌ بلا مَرَعَى ومَرَعَى بغيرِ ما وحيثُ تَرى ماءً ومَرَعَى فمَسْبَعُ
وله في غلام حسن الوجه حلَّقَ شعره :

١ : هـ .

٢ هذه المقطعات في معجم الأدباء : ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٩ .

٣ ص : الحرمان .

حَلَقُوا شَعْرَهُ لِيَكْسُوهُ قَبْحًا غَيْرَةً مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحًا
كَانَ صُبْحًا عَلَيْهِ لَيْلَ بِهِمْ فَمَحَوْا لَيْلَهُ وَأَبْقَوْهُ صُبْحًا
ومن شعره أيضاً :

إِنِّي أَبْشُكُ عَنْ حَدِيدِ شِي وَالْحَدِيثُ لَهُ شُجُونُ
غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي لَيْلاً فَفَارَقَنِي السَّكُونُ
قُلْ لِي فَأُولَ لَيْلَةٍ فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى أَكُونُ

ولما ولد للوزير المذكور ولده أبو يحيى عبد الحميد كتب إليه أبو عبد الله محمد
ابن أحمد صاحب ديوان الجيش بمصر أبياتاً منها :

قد أطلعَ الفألُ منه معنَى يُدْرِكُهُ الْعَالَمُ الذِّكِيُّ
رَأَيْتُ جَدَّ الْفَقِي عَليّاً فَقُلْتُ جَدُّ الْفَقِي عَلِيٌّ

وكان الوزير المذكور من الذُّهَاءِ العارفين [وكان خبيث الباطن ، إذا دخل
عليه الفقيه سأله عن النحو وإذا دخل عليه النحوي سأله عن الفقه والفرائض] .
ولما قتل الحاكمُ صاحبُ مصر أباه وعمه وأخويه ، وهرب الوزير وصلَ إلى
الرملة ٠ واجتمع بصاحبها المتغلب عليها حسان^٢ بن مفرج بن دغفل بن الجراح
الطائي وبنيه وبني عمه ٠ وأفسد نياتهم على الحاكم صاحب مصر المذكور^٣ .

١ سرد في سبعة دهن ، فسه نصر بن حجاج ، وقد وردت في ترجمة الحجاج بن يوسف في هذا
الجزء (رقم ١٤٩) فأغنى عن اعادةها في هذا الموضع .

٢ سقطت كلمة « حسان » من النسخ .

٣ عند هذا الحد زاد في دمايي : (وقد رأينا اثبات النص في الحاشية لأن إدراجها في المتن يحدث
اضطراباً في سياق الترجمة) :

وقال حسان إن أنا الفتوح الحسن بن جعفر صاحب مكة لا مطعن في نسبه ، والصواب أن
تنسبه إماماً وأضعفه في الملك وحقق له سهولة الأمر ، فأضفى إلى ذلك وبإيعه ، وبإيعه شيوع
الحسينيين ٠ وحسن له أبو القاسم أن أخذ مال البيت وما فيه من فضة ، فضربه دراهم وتلقب
الراشد بالله وخضب بركة لنفسه وسار لاحقاً « بن الجراح » فمما قرب من الرملة تلقاه مفرج وسائر
العرب وقبوا الأرض بين يديه وسموا عليه بـ « أمير المؤمنين » ، ولقيهم متقلداً بسيف زعم -

ثم توجه إلى الحجاز، وأطمعَ صاحبَ مكة في الحاكم ومملكة الديار المصرية، وعمل في ذلك عملاً قلقى الحاكم بسببه وخاف على ملكه، وقصته في ذلك طويلة، إلى أن^١ أَرْضَى الحاكم بني الجراح ببذل الأموال لهم ، واستألمهم إليه .

وكان صاحب مكة - وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي - قد استدعوه ووصل إليهم وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالرَّشيد بتدبير أبي القاسم المذكور، فلم يزل الحاكم يعمل الحيل حتى استأل بني الجراح إليه ، وانتقض أمر أبي الفتوح وهرب إلى مكة .

وقصد الوزير أبو القاسم العراقَ هارباً من الحاكم ومفارقاً لبني الجراح، وقصد فخر الملك أبا غالب ابن خلف الوزير ، ورفع خبره إلى الإمام القادر بالله فاتهمه أنه ورَدَ لإفساد الدولة العباسية ، وراسل فخر الملك في إبعاده ، فاعتذر عنه فخر الملك وقام في أمره . واتفق النحदार فخر الملك من بغداد إلى واسط، فأخذ أبا القاسم في جلته ، وأقام معه بواسط على جملة من الرعاية ، إلى أن توفي فخر الملك مقتولاً ، وشرع الوزير أبو القاسم في استعطاف قلب الإمام القادر بالله

= انه ذو الفقار، وفي يده قضيب ذكر انه قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه الف عبد أسود ونزل الرملة وبادر بالأمر بالمعروف وإقامة العدل وخطب له بالرملة ، وقلق الحاكم بسببه وخاف وأرسل إلى بني الجراح أموالاً كثيرة واستألمهم بها عن أبي الفتوح ، فأحس بذلك أبو الفتوح فقال للمغربي : غررتني بوعدك وأخرجتني من بلدي ونعمتي وحصلتني في أيدي العرب يبيعوني إلى الحاكم ولا آمن على نفسي ويجب أن تخلصني كما أوقعتني ، فأنني راض من الغنيمة بالأياب ، فشجعه المغربي ، ثم ركب أبو الفتوح إلى المفرج وقال له : فارقت نعمتي وكشفت في عداوة الحاكم صفحتي أنا لسكوني إلى ذمامك وثقتي بقولك ولي في عنقك عهود وأرى حساناً ولذلك قد أصلح أمره مع الحاكم فأنا خائف من غدره وما أريد إلا العود إلى وطني ، فسيره المفرج إلى وادي القرى ، واستجار المغربي بالمفرج وسأله أن يسيره إلى العراق فأنفذه ، ثم ورد بغداد وقصد فخر الملك ، فاتهمه القادر بالله انه ورد في افساد على الدولة ، فراسل فخر الملك فأخرجه عن بغداد ، فمضى إلى الموصل وتقلد كتابة فراس بن المقلد ، ولما توفي فخر الملك عاد إلى بغداد فقلده مشرف الدولة الوزارة بغير خلع ولا لقب ، ثم استشعر المغربي الخوف من نزول بغداد فهرب منها إلى قرواش بالأنبار فكانت وزارته عشرة أشهر ، وتوجه إلى ديار بكر ووزر ... الخ .

١ من هنا حتى قوله ... توجه إلى ديار بكر : لم يرد في السودة .

والتنصل مما نبذ به ، حتى صلح له بعض الصلاح ، وعاد إلى بغداد وأقام قليلاً ، ثم أّصعد إلى الموصل .

واتفق موتُ أبي الحسن ابن أبيّ الوزير كاتب معتمد الدولة أبي المنيع قرواش أمير بني عقيل ، فتقلد كتابته موضعه ، ثم شرع أبو القاسم يسمّى في وزارة الملك مشرف الدولة البويهى ، ولم يزل يعمل السعي إلى أن قبض على الوزير مؤيد الملك أبي علي ، فكوتب الوزير أبو القاسم بالحضور من الموصل إلى الحضرة ، وقلّد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدّرّاعة ، وأقام كذلك حتى جرى من الأحوال ما أوجب مفارقة مشرف الدولة بغداد ، فخرج معه منها وقصدا أبا سنان غريب بن محمد بن مقن ونزلا عليه وأقاما بأوانا . وبينما هو على ذلك إذ عرض له إشفاق من مخدومه مشرف الدولة دعاه إلى مفارقتة ، فانتقل بعد ذلك إلى أبي المنيع قرواش بالموصل ، وأقام عنده ، ثم تجدد من سوء رأي الإمام القادر فيه ما ألجأته الضرورة بسبب ما كوتب به قرواش وغريب في مناه إلى مفارقتة والإبعاد عنه ، وقصد أبا نصر ابن مروان بيمّافارقين وأقام عنده على سبيل الضيافة إلى أن توفي ، وقيل : إنه لما توجه إلى ديار بكر وزرّ لسلطانها أحمد بن مروان المقدم ذكره ، فأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر شهر رمضان سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، وقيل : ثمان وعشرين ، والأول أصح ، وكانت وفاته بيمّافارقين ، وحمل إلى الكوفة بوصية منه ، وله في ذلك حديث يطول شرحه ، ودفن بها في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأوصى أن يكتب على قبره^٢ :

كنتُ في سَفَرَةِ الغَوَايَةِ والجَمِّ ل مقيماً^٣ فحان مني قدومُ
تبتُ من كل مأثمٍ فعسى يُنمَّ حى بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمسٍ وأربعين ، لقدُ ما طَلْتُ ، إلا أن الغريم كريم

١ د : توفي يوم الجمعة الخامس عشر وقيل السادس عشر من شهر رمضان .

٢ معجم الأدباء : ٨٢ ولم ترد الأبيات في السودة .

٣ أ ج هـ : زماناً .

وكان قتل أبيه وعمه وأخويه في الثالث من ذي القعدة سنة أربعمائة، رحمهم الله تعالى .

ورأيت في بعض المجاميع أنه لم يكن مغربياً ، وإنما أحد أجداده ، وهو أبو الحسن علي بن محمد كانت له ولاية في الجانب الغربي ببغداد ، وكان يقال له : المغربي ، فأطلق عليهم هذه النسبة ، ولقد رأيت خلقاً كثيراً يقولون هذه المقالة ، ثم بعد ذلك نظرت في كتابه الذي سماه « أدب الخواص » فوجدت في أوله « وقد قال المتنبي : وإخواننا المغاربة يسمونه المتنبي ، فأحسنوا » :

أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وأتيناه على الهرم^١

فهذا يدل على أنه مغربي حقيقة لا كما قالوه ، والله أعلم . ثم أعاد هذا القول بعينه لما ذكر النابغة الجعدي وشعره وأنشد عنده قول المتنبي :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولو أن ما في الوجه منه حراب^٢

ونقلت نسبه المذكور في الأول من خط أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي المصري صاحب الرسائل ، وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور ، والله أعلم بصحته .

١ شرح الواحدي : ٧٢٣ .

٢ شرح الواحدي : ٦٨١ .

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي ؛ أصله من هَمَذَانَ ولكنّه دخل بغداد وأدرك جِلَّةَ العلماء بها مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرئ وأبي عمر الزاهد وابن دريد ، وقرأ على أبي سعيد السيرافي ، وانتقل إلى الشام واستوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآلُ حَمْدَانَ يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه . وهو القائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حَمْدَانَ فلما مثلت بين يديه قال لي : اقعد ، ولم يقل اجلس ، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب ، واطلاعه على أسرار كلام العرب ، وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم : اقعد ، وللنائم أو الساجد : اجلس ، وعكّله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفلى ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مُقْعَدٌ ، والجلوس هو الانتقال من السفلى إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جَلَسْنَا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جَلَسَ ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قُلْ لِلْفَرَزْدَقِ وَالسَّفَاهَةِ^١ كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أي : اقصد الجلوس ، وهي نَجْدٌ . وهذا البيت من جملة أبيات ولها قصة طويلة ، وهذا كله وإن جاء في غير موضعه لكن الكلام شجون .

١٩٤ - ترجمة ابن خالويه في الفهرست : ٨٤ وبتيمة الدهر ١ : ١٢٣ ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٠ وانباء الرواة ١ : ٣٢٤ وبتيمة الوعاة : ٢٣٦ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٢ ونزهة الالباء : ٢١٤ والشذرات ٣ : ٧١ .

١ أ : والفهامة .

ولابن خالويه المذكور كتاب كبير^١ في الأدب سماه « كتاب ليس » وهو يدل على اطلاع عظيم ، فإن مبنى الكتاب^٢ من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا ، وله كتاب لطيف سماه « الآل » وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً ، وما أقصرَ فيه ، وذكر فيه الأئمة الاثني عشر وتواريخ مواليدهم ووفياتهم وأمهاتهم ، والذي دعاه به ذكرهم أنه قال في جملة أقسام الآل « وآل محمد بنو هاشم » . وله كتاب « الاشتقاق » ، وكتاب « الجمل » في النحو ، وكتاب « القراءات » وكتاب « إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز » وكتاب « المقصور والمدود » وكتاب « المذكر والمؤنث » وكتاب « الألفات »^٣ وكتاب « شرح المقصورة لابن دريد » وكتاب « الأسد » ، وغير ذلك .

ولابن خالويه مع أبي الطيب المتني مجالس ومباحث عند سيف الدولة ، ولولا خوفُ الاطالة لذكرت شيئاً منها .

وله شعر حسن ، فمنه قوله على ما نقله الثعالبي في كتاب « اليتيمة »^٤ :

إذا لم يكن صدّرَ المجالس سيدٌ فلا خيرَ فيمن صدّرتَه المجالسُ
وكم قائلٍ : ما لي رأيْتُك راجلاً فقلت له : من أجل أنك فارسُ

وخالويّه : بفتح الحاء الموحدة وبعد الألف لام مفتوحة وواو مفتوحة أيضاً وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة .

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلاثمائة بحلب ، رحمه الله تعالى .

١ كذا وصفه المؤلف ؛ وقد نشره ديرنبرغ في مجلة Hebraica (المجلد العاشر) والنص يحتل

ص ١١ - ٦٤ .

٢ ج : الكلام .

٣ س : الالقاب .

٤ اليتيمة : ١٢٤ .

أبو علي الجبائي

أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الفسّاني الجبائي^١ الأندلسي المحدث ؛ كان إماماً في الحديث والأدب، وله كتاب مفيد سماه « تقييد المهمل » ضبط فيه كل لفظ يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين ، وما أقصر فيه ، وهو في جزأين ، وكان من جهابذة المحدثين ، وكبار العلماء المسنين^٢ ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له معرفة بالغريب والشعر والأنساب ، وكان يجلس في جامع قرطبة ويسمع منه أعيانها ، ولم أقف على شيء من أخباره حتى أذكر طرّفاً منها .

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وطلب الحديث سنة أربع وأربعين ، وتوفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والجبائي - بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى جبّان ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس ، وبأعمال الريّ قرية يقال لها جبّان أيضاً .

والفسّاني : قد تقدم الكلام عليه .

١٩٥ - ترجمة أبي علي الجبائي المحدث في الصلة : ١٤١ وتذكرة الحفاظ : ١٢٣٣ وبغية الملتبس :

٢٤٩ وأزهار الرياض ٣ : ١٤٩ .

١ ذكر ابن بشكوال أن أبا علي لم يكن من جبان وإنما أصلهم من الزهراء ، وانتقل أبوه في الفتنة البربرية (حوالي ٤٠٠) إلى جبان .

٢ كذا في ص والمسودة ؛ وفي النسخ الأخرى : المفيد .

البارع الدباس

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير الحارثي من بني الحارث ابن كعب بن عمرو الدباس البدرى المنعوت بالبارع الشاعر المشهور الأديب النديم البغدادي ؛ كان نحوياً لغوياً مقرئاً حسن المعرفة بصنوف الآداب ، وأفاد خلقاً كثيراً ، خصوصاً بإقراء القرآن الكريم .

وهو من بيت الوزارة ، فإن جده القاسم كان وزير المعتضد [والمكتفي بعده] وهو الذي سَمَّ ابن الرومي الشاعر - كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى - وعبيد الله كان وزيراً أيضاً ، وسليمان بن وهب الوزير تغني شهرته عن ذكره - وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى - .

والبارع المذكور من أرباب الفضائل ، وله مصنفات حسان وتوالياً غريبة ، وديوان شعر جيد ، وكان بينه وبين الشريف أبي يعلى ابن الهبّارية مُداعبات لطيفة ، فإنهما كانا رفيقين ومُتَّحِدَيْنِ في الصّحبة ، فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الأمراء ، وحج ، فلما عاد حضر الشريف إليه مراراً فلم يجده ، فكتب إليه قصيدة طويلة دالّة يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة ، وأولها :

يا ابن وُدِّي وأين مني ابن وُدِّي غيَّرتُ طَرَفَهُ الرِّياسَةُ بَعْدِي¹

١٩٦ - ترجمة البارع الدباس في معجم الأدباء ١٠ : ١٤٧ وإنباه الرواة ١ : ٣٢٨ وبغية الوعاة : ٢٣٦ وغاية النهاية ١ : ٢٥١ والشذرات ٤ : ٦٩ وابن كثير ١٢ : ٢٠١ .
١ أ : عندي .

ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها^١ ، فكتب إليه البارع المذكور جوابها ، وأطال فيها ، وضمنها أيضاً شيئاً من الفحش ، وأولها :

وصلت رُقعةُ الشريف أبي يعلى فحللت محلَّ لُقياء عُندي
فتلقيتها^٢ بأهلاً وسهلاً ثم ألصقتها بطرفي وخدِّي
وفَضضتُ الحَتَامَ عنها فما ظَنُّكَ كَ الصَّابِرِ إِذْ يُشَابُ بِشُهِدِ
بَيْنَ حُلُوٍّ مِنَ الْعِتَابِ وَمُرٍّ هُوَ أَوَّلِي بِهِ وَهَزَلٍ وَجِدٍّ
وَتَجَنٍّ^٣ عَلَيَّ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ بِلَامٍ يَكَادُ يَحْرِقُ جِلْدِي
يَدَّعِي أَنَّنِي حَجَبْتُ^٤ وَقَدْ زَا رَمَرَاراً ، حَاشَاهُ مِنْ قَبْحِ رَدِّ
ثُمَّ دَعَا ، مَا لِلرِّيَاسَةِ وَالْحِجِّ أُنْ بِي مِنْ حُلِّ أَنْفٍ وَعَقْدِ
فَبَإِذَا عَلِمْتَ بِاللَّهِ أَنِّي قَدْ تَنَكَّرْتُ^٥ أَوْ تَغْيِرَ عَهْدِي
مَنْ تَرَانِي : أَعَامِلْ أَمْ وَزِيرٌ لَأَمِيرٍ أَمْ عَارِضٌ لِلْجُنْدِ
أَنَا إِلَّا ذَاكَ الْخَلِيعَ الَّذِي تَعْرِفُ أَرْضِي وَلَوْ يَجَرَّةٌ دَرْدِي
وَإِذَا صَحَّ لِي مَلِيحٌ فَذَاكَ الْيَوْمَ عَيْدِي وَصَاحِبُ الدِّسْتِ عَيْدِي
أَتَرَانِي لَوْ كُنْتُ فِي النَّارِ مَعَ هَآ مَانَ أَنْسَاكَ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ

١ ذكر في روهامش من أبياتنا منها وهي :

عقدت أنفه عليّ فطبعني وهو ضدان بين حل وعقد
صدّ عني وليس أول خل راع ودي منه بهجر وصدّ
شغلته عني الرياسة فاستعمل فخلبته وذلك جهدي
افلما حجبت لا قبل الله تعالى معاك أخلفت وعدي
أي فرق بيني وبينك هل أنت سوى شاعر وأنت مكدي
وحرّام الزمان فهي يمين برة أنفي سأبعث جندي
وأجازيك بالتبظرم والتهيه وكيل الهجاء مدأ بمدّ

٢ أ ج : فتأملتُها .

٣ هـ : وتجنّ .

٤ د هـ : احتجبت .

٥ أ : تغيرت .

أولَ آنِي عَصَبْتُ بِالتَّاجِ أَسْلُو كَ وَلَوْ كُنْتَ عَانِيًا فِي الْقِدِّ
أَنَا أضعافُ ما عهدت على العم د وإن كنت لا تجازي بود
ومنها :

أَمْ لَأَنِّي قَنَعْتُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ بِفَرْدٍ بَيْنَ الْأَكْرَامِ فَرْدٌ
صَانٌ وَجَبِي عَنْ اللَّثَامِ وَأَوَّلَا نِي جَمِيلًا مِنْهُ إِلَى غَيْرِ حَدٍّ
فَتَعَفَّفْتُ وَأَقْتَنَعْتُ بِتَدْفِيعِ عِزِّ زَمَانِي وَقُلْتُ إِنِّي وَحْدِي
لَا لَأَنِّي أَنْفَتُ مَعَ ذَا مِنَ الْكُدِّ ية ، أَيْنَ الْكِرَامِ حَتَّى أَكْذِي

ونقتصر من هذه القصيدة على هذه الأبيات ، ففيها سخف لا يليق ذكره
وغيره مما لا حاجة إليه .
ومن شعره أيضاً ١ :

أَفْتَيْتُ مَاءَ الْوَجْهِ مِنْ طُولِ مَا أَسْأَلُ مَنْ لَا مَاءَ فِي وَجْهِهِ
أَنْهِيَ إِلَيْهِ شَرْحَ حَالِي الَّذِي يَا لَيْتَنِي مِتَّ وَلَمْ أَنْهَ
فَلَمْ يَنْتَلْنِي كَرَمًا رَفَنْدُهُ وَلَمْ أَكْذِ أَسْلَمَ مِنْ جَنْبِهِ
وَالْمَوْتُ مِنْ دَهْرِ نَحَارِيرِهِ مَمْدَةَ الْأَيْدِي إِلَى بُلْهِ

[وأورد له الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وذكر أنه نقلها من خطه
وذكر أنه قال هذه القصيدة بمكة في سنة ٤٧٢ :

ذَكَرَ الْأَحْبَابَ وَالْوَطَنَا وَالْهُوَى وَالْإِلْفَ وَالسَّكَنَا
فَبَكَى شَجْوًا وَحَقًّا لَهُ مُدْنَفٌ بِالشَّوْقِ حَلْفَ ضَنْى
أَبْعَدْتُ مَرْمَى يَدِي رَجَمْتُ مِنْ خِرَاسَانٍ بِهِ الْيَمْنَا
خَلَسْتُ مِنْ بَيْنِ أَضْلَعِهِ بِالنَّوَى قَلْبًا لَهُ ضَمْنَا

١ زيادة لم ترد في المسودة .

من لَمَشْتاقٍ يَمِيلُهُ ذاتِ سَجْعٍ مِثْلَتِ فَنَنَّا
 كَلِمًا هَاجَ الْهَدِيلُ بِهِ طَرِبًا هَاجَتْ لَهُ شَجْنَا
 لَمْ تَعْرِضْ بِالْحَنِينِ بِيَمَنٍ مَسْعَدٌ إِلَّا وَقَالَ أَنَا
 لَكَ يَا وَرَقَاءُ أَسْوَةٌ مِنْ لَمْ تَذِيقِي جَفْنَهُ الْوَسْنَا
 بِكَ أَنَسِي مِثْلَ أَنَسِكَ بِي فَتَعَالَى نَبْدٍ مَا كُنَّا
 تَتَشَاكِي مَا نَجْنُ إِذَا نَحْنُ شَجَوْنَا صَحْتُ وَاحِزْنَا
 غَيْرَ أَنِّي مِنْكَ أَعْدَلُ إِنْ عَادَ سَرِي فِي الْهَوَى عَلْنَا
 أَنَا لَا أَنْتَ الْبَعِيدُ هَوَى أَنَا لَا أَنْتَ الْغَرِيبُ هَنَا
 أَنَا فَرْدٌ يَا حَامٍ وَهَا أَنْتَ وَالْإِلْفُ الْقَرِينُ ثَنَا
 أَنْصَفُونَا يَا بَنِي حَسَنِ لَيْسَ هَذَا مِنْكُمْ حَسَنًا
 كَمْ أَحْلَلْتُ مُحَرَّمَاتِكُمْ بِالْعَيُونِ النَّجْجَلُ أَنْفُسَنَا
 نَحْنُ وَفَدَ اللَّهُ عِنْدَكُمْ مَا لَكُمْ جِيرَانَهُ وَلَنَا
 لَمْ يَحْرِثْنَا مِنْكُمْ حَرَمٌ مَنْ أَنَاهُ خَائِفًا أَمِنَا^١

وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد .
 وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة ، وقيل الأولى ، سنة أربع
 وعشرين وخمسمائة ، وكان قد عمي في آخر عمره ، رحمه الله تعالى .

والدباس - بفتح الدال المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف سين مهملة -
 وهذا يقال لمن يعمل الدُّبْسَ أو يبيعه .

والبَدْرِي - بفتح الباء الموحدة وسكون الدال المهملة وبعدها راء - هذه
 النسبة إلى البَدْرِيَّة ، وهي محلة ببغداد المحروسة وكان البارِع المذكور يسكنها
 فنسب إليها .

١ ريدة من رد لم ترد في المسودة .

الطغرائي

العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصهباني المثنى المعروف بالطغرائي ؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع ، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر .
ذكره أبو سعد ابن السمعاني في نسبة المثنى من كتاب « الأنساب » ، وأثنى عليه ، وأورد قطعة من شعره في صفة الشمعة ، وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمائة .

والطغرائي المذكور له ديوان شعر جيد ، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم ، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمائة يصف حاله ويشكو زمانه ، وهي التي أولها :

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَلِ وحِلْيَةُ الفَضْلِ زانتني لدى العَطَلِ
[مَجْدِي أخيراً ومَجْدِي أولاً شَرَعُ]

والشمسُ رَأَدَ الضحَى كالشمس في الطَّفَرِ
فيمَ الإقامَةَ بالزَّوْرَاءِ لا سَكْنِي بها ولا نَاقِي فِيهَا ولا جَمَلِي
نَاءٍ عن الأهلِ صِفَرُ الكَفِّ منفرد كالسيفِ عُرِّيَ متناهٍ عن الخَلَلِ
فلا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكِي حَزَنِي ولا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَدَلِي

١٩٧ - ترجمة الطغرائي في معجم الأدباء ٩ : ٦٥ والانساب واللباب : « المثنى » . ومقدمة الغيت المسجم في شرح لامية العجم للصفدي ، ولالأستاذ علي جواد الطاهر كتاب عنه (بغداد : ١٩٦٣) .
١ في ص س والمسودة وهي طويلة تنيف على ستين بيتاً أودعها كل غريبة وهي من غنثار الشعر ونقاوته ولولا طولها لذكرتها لكنها مشهورة بوجوده بأيدي الناس . أما ر فقد أوردت القصيدة كاملة .

طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي
 وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَعَجَّ لَمَّا
 أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا
 وَالدَّهْرُ يَعْكُسُ آمَالِي وَيُقْنَعُنِي
 وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرَّمَحِ مُعْتَقِلٍ
 حُلُوِّ الْفَكَاهَةِ مُرًّا الْجَدُّ قَدْ مُزِجَتْ
 طَرْدَتْ سَرَحَ الْكَرَى عَنْ وَرْدِ مُقْلَتِهِ
 وَالرَّكْبُ مِيلَ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ
 فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجَلْسَى لَتَنْصُرَنِي
 تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ
 فَهَرُ تَعِينُ عَلَى غَيٍّ هَمَّتْ بِهِ
 إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ
 يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ
 فِيرُ بِنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا
 فَالْحُبُّ حَيْثُ الْعَدَا وَالْأُسْدُ رَابِضَةٌ
 نَوْمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجَزَعِ قَدْ سَقِيَتْ
 قَدْ زَادَ طَيْبُ أَحَادِيثِ الْكَرَامِ بِهَا
 تَبَيَّتْ ذُرُ الْهَوَى مِنْهُمْ فِي كَبْدٍ
 يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لَا حَرَكَاتٍ بِهَا
 يُشْفَى لَدِيغُ الْعَوَالِي فِي بَيُوتِهِمْ
 لَعَنَ الْإِمَامَةَ بِالْجَزَعِ ثَانِيَةً
 لَا أَكْرَهُ الطَّعْنَ النِّجْلَاءَ قَدْ شَفِيعَتْ
 وَلَا أَهَابُ الصَّفَاحَ الْبَيْضَ تَسْعِدُنِي
 وَلَا أَخْلُ بِغِزْلَانٍ تَفَارِزْنِي

وَرَحَلُهَا وَقِرَى الْعَسَالَةِ الذُّبُلُ
 يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرِّكْبُ فِي عَذَابِي
 عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ الْعَمَلِ قَبْلِي
 مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفْلِ
 بِثَلْهِ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلٍ
 بِشِدَّةِ الْبَاسِ مِنْهُ رَقَّةُ الْغَزَلِ
 وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمُقْلِ
 صَاحٍ وَآخَرَ مِنْ خَمَرِ الْهَوَى ثَمَلٍ
 وَأَنْتَ تَحْذِلْنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ
 وَتَسْتَحِيلُ وَصَبَّغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلْ
 وَالْغَيُّ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الْفَسْلِ
 وَقَدْ حَمَاهُ رُءُوسُ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ
 سُودَ الْغَدَائِرِ حُمَرَ الْحَلِيِّ وَالْحَلَلِ
 فَنَفْحَةُ الطَّيْبِ تَهْدِينَا إِلَى الْحَلَلِ
 حَوْلَ الْكِنَاسِ لَهَا غَابُ مِنَ الْأَسَلِ
 نَصَاهَا بِمَاءِ الْغَنَجِ وَالْكَحَلِ
 مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخَلٍ
 حَرَّى وَنَارُ الْقِرَى مِنْهُمْ عَلَى قُلُلٍ
 وَيَنْتَحِرُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
 بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الْحَمْرِ وَالْعَسَلِ
 يَدِبُ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرَى فِي عَلَيَّ
 بِرَشْقَةٍ مِنْ نَبَالِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
 بِالْمَحِ مِنْ خَلَلِ الْأَسْتَارِ وَالْكِلَلِ
 وَلَوْ دَهْتَنِي أَسُودُ الْفِيلِ بِالْقَيْلِ

حُبُّ السَّلامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَنَحَتْ إِلَيْهِ فَاتَّخَذَ نَفَقًا
وَدَعَ غِيَارَ الْعُلَا لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى
رَضَى الذَّلِيلِ بِخَفْضِ الْعِيشِ مَسْكَنَةً
فَادْرَأَ بِهَا فِي نُحُورِ الْبِيدِ حَافِلَةً
إِنَّ الْعُلَا حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مُنَى
أَهْبَتْ بِالْحِظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمْعًا
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَنَقَضَهُمْ
أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا
لَمْ أَرْضَ بِالْعِيشِ وَالْأَيَّامِ مُقْبِلَةً
غَالِي بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيَمَتِهَا
وَعَادَةُ النِّصْلِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ
مَا كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
تَقَدَّمَ مَنِّي أَنَا كَانَتْ شَوَاطِئُهُمْ
هَذَا جَزَاءُ أَمْرِيءَ أَقْرَانِهِ دَرَجُوا
وَإِنْ عَلَانِي مَن دُونِي فَلَا عَجَبُ
فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِيرٍ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَن وَثَقَتْ بِهِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ
غَاضَ الْوَفَاءَ وَفَاضَ الْغَدْرُ وَانْفَرَجَتْ
وَشَانَ صَدَقَتُكَ عِنْدَ النَّاسِ كَذِبُهُمْ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ

عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْفِرِي الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ
فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَمًا فِي الْجَوِّ وَاعْتَزَلَ
رُكُوبَهَا وَاقْتَنَعَ مِنْهُمْ بِالْبَلَلِ
وَالْعِزُّ تَحْتَ رَسِيمِ الْإِيْنِقِ الذَّلِيلُ
مَعَارِضَاتُ مِثَالِي اللَّجْمِ بِالْجِدْلِ
فِيمَا تَحَدَّثُ أَنْ الْعِزُّ فِي النُّقْلِ
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ
وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجَهْلِ فِي شُغْلِ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
مَا أَضْيَقَ الْعِيشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلٍ
فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيسِ الْقَدْرِ مُبْتَدِّلَ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بِطَلٍ
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ
وَرَاءَ خَطَوِي إِذْ أَمْشِي عَلَى مَهَلٍ
مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الْأَجَلِ
لِي أَسْوَأَ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحُلٍ
فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يَغْنِي عَنِ الْحَيْلِ
فَحَازِرِ النَّاسِ وَاصْحَبَهُمْ عَلَى دَخَلٍ
مَنْ لَا يَعُولُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ
فَظُنُّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
مَسَافَةَ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَهَلْ يَطَابِقُ مَعُوجٌ بِمُتَدَلٍ
عَلَى الْعُهُودِ فَسَبَقُ السَّيْفِ لِلْعَدَلِ

يا وارداً سُورَ عيشٍ كله كدرُ
فيمَ اقتحامك لُجَّ البحرِ تركبهُ
ملكُ القناعةِ لا يُخشى عليه ولا
ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثباتَ لها
ويا خبيراً على الأسرارِ مُطليماً
قد رَشَّحوكَ لأمرٍ لو فطنتَ لهُ
أنفقتَ صفوكَ في أيامك الأول
وأنتَ يكفيكَ منه مَصَّةُ الوِشَلِ
يُحتاجُ فيه إلى الأنصارِ والخولِ
فهل سَمِعتَ بظلٍ غيرِ مُنتقلِ
اصمتَ ففي الصمتِ مَنجاةٌ من الزللِ
فارُباً بنفسك أن ترعى مع الهملِ]

ومن رقيق شعره قوله :

يا قلبُ مالكَ والهوى من بعدما
أوما بدا لك في الإفاقةِ والألى
مَرِضَ النسيمِ وصَحَّ والداءُ الذي
وهذا خُفوقُ البرقِ والقلبُ الذي
وله أيضاً :

أجِماً البكا يا مقلتي فإننا
إذا جمعَ العشاقَ موعدُهُمُ غداً
ومن شعره :

ولا غرو إن أهديت من فيض بره
فإني رأيت الغيمَ يحملُ ماءه
ومن شعره :

لا تحقرنَّ الرأيَ وهو موافقُ
فالدُّرُّ وهو أجلُّ شيءٍ يُقتنى
وله أيضاً :

أخاك أخاك فهو أجلُّ دُخْرِ
إذا نابتك نايبةُ الزمانِ

وايت رابتُ إساءته فهبها لما فيه من الشيم الحسان
تريدُ مهذباً لا غش فيه وهل عودٌ يفوح بلا دُخان
ومن شعره :

ما فلانٌ إلا كجيفةٍ ميتٍ والضرورات أحوجتنا إليه
فمن اضطر غير باغٍ ولا عا دٍ فلا إثم في الكتاب عليه
وله من أبيات :

لا غرو إن حزت المروءة والتثقي والدين والدنيا ولم تتصدع
إن النواظر والقلوب صغيرةٌ تحوي الكبير وليس بالمستبدع
وله :

جامل أخاك إذا استربت بودٍ وانظر به عقب الزمان يعاود
فإن استمر على الفساد فخلّهُ فالعضو يُقطعُ للفساد الزائد^١

وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وذكر له مقاطيع ،
وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » وقال : إنه ولي الوزارة
بمدينة إربل مدة ، وذكر العماد الكاتب في كتاب « نصره الفترة وعصرة الفطرة »
- وهو تاريخ الدولة السلجوقية - أن الطغرائي المذكور كان يُنعت بالأستاذ ،
وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ، وأنه لما جرى المصاف^٢
بينه وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همدان وكانت النصره لمحمود ، فأول
من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود ، فأخبر به وزير محمود ، وهو الكمال
نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السُمَيْرمي ، فقال الشهاب أسعد
- وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب - : هذا الرجل
ملحد ، يعني الأستاذ ، فقال وزير محمود : من يكن ملحداً يُقتل ، فقتل ظلماً.

١ تتفاوت النسخ ص در في عدد المقطوعات التي أوردتها عن شعر الطغرائي ، ولم يرد منها في
المسودة الا المقطوعتان الأوليان .

وقد كانوا خافوا منه ، ولا قبيل عليه لفضله ، فاعتدوا قتله بهذه الحجة ، وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسة ، وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة ، وقيل ثمانى عشرة ، وقد جاوز ستين سنة ، وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعاً وخمسين سنة لأنه قال وقد جاءه مولوداً :

هذا الصغير الذي وافى على كبري أقرّ عيني ولكن زاد في فكري
سبعٌ وخمسون لو مرّت على حجر لبان تأثيرها في صفحة الحجر

والله تعالى أعلم بما عاش بعد ذلك ، رحمه الله تعالى .

(28) وقبيل الكمال السميّمي الوزير المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية ، وقيل : قتله عبد أسود كان للطغرائي المذكور ، لأنه قتل أستاذه .

والطغرائي - بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وبعدها ألف مقصورة - هذه النسبة إلى من يكتب الطغرى ، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسمة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه ، وهي لفظة أعجمية .

والسميّرmi - بضم السين المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ثم ميم - هذه النسبة إلى سُميرم ، وهي بلدة بين أصبهان وشيراز . وهي آخر حدود أصبهان .

١ ديوانه : ٧٨ ، وهما من أبيات قالها في ابنه الأصغر علي .

أبو الفوارس ابن الخازن

أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين المعروف بابن الخازن الكاتب ؛ كان فريداً عصره في الكتابة ، وكتب ما لم يكتبه أحد ، فإنه كتب فيما كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين ربعة وجامع ، وله شعر حسن ، فمن ذلك قوله :

عَنَّتِ الدُّنْيَا لَطَالِبَهَا واستراح الزاهدُ الفطِنُ
كُلُّ مُلْكٍ نَالٌ زُخْرُفُهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ
يَقْتَنِي مَالًا وَيَتْرَكُهُ فِي كَلَا الْحَالِينَ مُفْتَنُ
أُمْلِي كُوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرْتَنُ
أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَسْخُو بِهِ وَسَنُ
لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلَمَّاذَا أَلْهَمْتُ وَالْحَزَنُ

قال محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ في « ذيل تجارب الأمم » لمسكويه : توفي ابن الخازن المذكور في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة فجأة ، رحمه الله تعالى . وقال الشريف أبو العمر المبارك بن أحمد الأنصاري : توفي ليلة الثلاثاء ، ودفن من الغد ، وهو اليوم السادس والعشرون من الشهر المذكور .

أبو عبد الله الشيعي

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي القائم بدعوة عبّيد الله المهدي جَدَّ ملوك مصر ؛ وقصته في القيام بالغرب مشهورة ، وله بذلك سيرة مَسْطُورَة ، وسيأتي في حرف العين عند ذكر المهدي عبّيد الله طَرَفٌ من أخباره إن شاء الله تعالى .

وأبو عبد الله المذكور من أهل صنعاء اليمن ، وكان من الرجال الذّهاء الخبيرين بما يصنعون ، فإنه دخل إفريقية وحيداً بلا مال ولا رجال ، ولم يزل يسعى إلى أن ملكها ، وهرب ملكها أبو مُصَرَّ زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب منه إلى بلاد المشرق وهلك هناك ، وحديثه يطول .

ولما مهد القواعد للمهدي ووطّد له البلاد وأقبل المهدي من المشرق ، وعجز عن الوصول إلى أبي عبد الله المذكور ، وتوجه إلى سجلماسة ، وأحسن به صاحبها اليسع آخر ملوك بني مدرار ، فأمسكه واعتقله ، ومضى إليه أبو عبد الله وأخرجه من الاعتقال وفوّض إليه أمر المملكة - اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد ، وكان هو الأكبر ، أعني أحمد ، ونَدّمه على ما فعل ، وقال له : تكون أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى من جملة الأتباع ، وكرر عليه القول ، فندم أبو عبد الله على ما صنع وأضرّ الغدر ، واستشعر منها المهدي ، فـدسّ عليها مَن قتلها في ساعة واحدة ، وذلك في منتصف جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رَقَادَة بين القصيرين ، رحمها الله تعالى .

١٩٩ - أخبار أبي عبد الله الشيعي القائم بدعوة العبيديين في ابن الأثير وابن عذاري واتعاض الخفا والدرة المضية وابن خلدون ، وتعد رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان من أكثر المصادر اسباباً في تبيان جهوده في سبيل الدعوة العبيدية .

والشيعي - بكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة - هذه النسبة إلى من يتولى شيعة الإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

ورقادة - بفتح الراء وتشديد القاف وبعد الألف دال مهملة وبعد الدال هاء ساكنة - مدينة من أعمال القيرَوان من بلاد إفريقية^١ .

(29) وأما زيادة الله فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال^٢ : هو أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم بن سالم بن عقّال بن خفاجة ، وهو زيادة الله الأصغر ، آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية ، التميمي ، وقال : قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثمائة مجتازاً إلى بغداد حين غلبَ على ملكه بإفريقية ، ثم قال في آخر الترجمة : بلغني أن زيادة الله توفي بالرملة في سنة أربع وثلاثمائة في جمادى الأولى منها ، ودفن بالرملة ، فساخ قبره فسُفِّفَ عليه وترك مكانه ، وهو من ولد الأغلب بن عمرو المازني البصري ، وكان الرشيد ولّى عمرأ المضر بعد أن مات إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، فما زال بالمغرب إلى أن توفي وخلف ولده الأغلب ثم أولاده إلى أن صار الأمر إلى زيادة الله هذا . انتهى ما ذكره ابن عساكر .

وفي ترجمة أبي القاسم علي بن القطاع اللغوي هذا النسب ، وبينها اختلاف قليل ، لكنني نقلته على ما وجدته في الموضعين .

وقال غير ابن عساكر : توفي أبو مضر زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب بالرقّة ، وحمل تابوته إلى القدس الشريف ، ودفن بها في سنة ست وتسعين ومائتين ، وكانت مدة مملكته إلى أن خرج عن القيروان خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان سبب خروجه من القيرَوان أن أبا عبد الله الشيعي المذكور لما هزم إبراهيم بن الأغلب^٣ ، بلغ الخبر زيادة الله المذكور فشد

١ هنا تنتهي هذه الترجمة في س ؛ وكل ما يلي موجود على هوامش مسودة المؤلف .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٩٥ (ولم يسق نسبه كاملاً) ، وراجع الحلة السيرة ١ : ١٧٥ .

٣ في افتتاح الدعوة : إبراهيم بن أبي الأغلب .

أمواله وأخذ خواص حرمه وخرج من رَقَّادَة ليلاً ، وبعد خروجه بُويعَ إبراهيم بن الأغلب^١ . وكانت مملكة بني الأغلب مائتي سنة واثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً ، والشرح في ذلك يطول فاحتصرته .

٢٠٠

حسان التنوخي

أبو ليلى حسان بن سنان بن أوفى بن عوف التنوخي وهو جد إسحاق بن البهلول ؛ [سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ؛ روى عنه ابن ابنه إسحاق ، وقال أبو حاتم محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول : قال جدي إسحاق بن جدي حسان^٢ قال : خرجت في وفد من أهل الأنبار إلى الحجاج إلى واسط فنظم إليهم من غامه غيث الرقيير . فدخلنا ديوانه فرأيت شيخاً والناس حوله يكتمون عنه . فسألت عنه ففيل لي : أنس بن مالك ، فوقف عليهِ فقال لي : من أين ؟ فقلت : من الأبرار . جننا إلى الأمير ننظم إليه ، فقال لي : بارك الله حيث . فقلت : حدثني بشي . سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعته يقول : مر بالمعروف وإنه عن المنكر ما استنعت : وأعجلني أصحابي فلم أسمع منه غير هذا الحديث ؛ [قال أبو حاتم] وكان إسحاق^٣ يقول : أرجو أن أكون ممن سبقت [فيه] دعوة

١ يؤحد ما ورد في افتتاح الدعوة (الورقة ١٠٣) أن بيعة إبراهيم لم تتم وأن أهل القيروان قالوا له : اخرج عنا لا نبقي من أجلك .

٢٠٠ - ترجمته في البداية والنهاية ١٠ : ١٧٥ وفيه حسان بن أبي سنان ابن أبي أوفى . وقد انفردت بهذه الترجمة الفسخ : د ص ر . ووردت في ص بعد الترجمة التالية ، ولم ترد في مسودة المؤلف .

٢ زيادة من ر

٣ كذا ربيعة . حسان

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : طوبى لمن رأى ولمن رأى من رأيي . وكان من بركة دعاء أنس لحسان أنه عاش مائة سنة وعشرين سنة ، وخرج من أولاده جماعة فقهاء وقضاة ورؤساء وصلحاء [ولكتاب ورهاد : ولد حسان سنة ستين من الهجرة] ، وتوفي سنة ١٨٠ هـ ، رحمه الله تعالى [وكان أحياناً يكتب أب العلاء] ولد بالأنبار على المصرية وكانت دينه ودين آبائه [وكان له حين أسلم ابنة بالغة فأقامت على المصرية فلما حضرتها الوفاة أوصت لدبر تنوخ بالأنبار] ؛ وكان حسان يتكلم ويقرأ ويكتب بالفارسية والسريانية والعربية ولحق الدولتين ، فلما قلد أبو العباس السفاح ربيعة الرأي قضاء الأنبار ، أتى بكتب مكتوبة بالفارسية فلم يحسن أن يقرأها ، [فطلب رجلاً] ثقة دينا يحسن قراءتها فدُلَّ على حسان بن سنان فجاء به فكان يقرأ له الكتب الفارسية ، فلما اختبره رضي مذهبه واستكتبه على جميع أمره .

٢٠١

أبو سلمة الخلال

أبو سلمة حماد بن سفيان خلال همداني مولى السبيعي وزير أبي العباس السجاح أول خلفاء بني العباس ؛ وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير ، وشهر بالورارة في دولة بني العباس ولم يكن من قبله يُعرف بهذا اللقب ، لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول . وكان السفاح يأنس به ، لأنه كان ذا مفاكة

٢٠١ - ترد أخبار أبي سلمة في مصادر الدعوة العباسية ، وانظر في مفتحه تاريخ الطبري (حوادث : ١٣٢) والفخري : ١٣٧ - ١٣٩ ومصادر التاريخ المتعلقة بتلك الفترة .

١ - تكاد المصادر تجمع على هذا غير أن ابن خلدون يقول في مقسمته (٣ : ٦٠٦) عن بني أمية : « ثم استعمل لذلك بعد ديب فطير لشاور ونمعي في أمور القبائل والمصائب والاستلاب » اختلق حنيه اسم الوزير .

حسنة ومتمعا في حديثه ، أديبا ، عالما بالسياسة والتدبير ، وكان ذا يسار ويعالج
الصراف بالكوفة ، وأنفق أموالا كثيرة في إقامة دولة بني العباس ، وصار إلى
خُرَاسان في هذا المعنى ، وأبو مسلم الخراساني يومئذ تابع له في هذا الامر ، وكان
يدعو إلى بيعة إبراهيم الإمام أخى السفاح ، فلما قتله مروان بن محمد آخر خلفاء
بني أمية بجرّان وانقلبت الدعوة إلى السفاح ، توهموا من أبي سلمة المذكور أنه
مال إلى العلويين ، فلما ولي السفاح واستوزره بقي في نفسه منه شيء ، فيقال :
إن السفاح سيّرَ إلى أبي مسلم وهو بخراسان يُعرِّفه بفساد نية أبي سلمة ويحرّضه
على قتله ، ويقال : إن أبا مسلم لما اطلع على ذلك كتب إلى السفاح وعرفه
بحاله وحسّن له قتله ، فلم يفعل ، وقال : هذا الرجل بذل ماله في خدمتنا
ونصحنا ، وقد صدرت منه هذه الزلة ، فنحن نغفرها له .

فلما رأى أبو مسلم امتناعه من ذلك سيّر جماعة كَمَنُوا له ليلا ، وكانت
عادته أن يَسْمُرَ عند السفاح ، فلما خرج من عنده وهو في مدينته بالأنبار ولم
يكن معه أحد وثبّوا عليه وخطبوه بأسيا فهم ، وأصبح الناس يقولون : قتله
الخوارج ، وكان قتله بعد خلافة السفاح بأربعة أشهر ، وولي السفاح الخلافة ليلة
الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ولما سمع السفاح
بقتله أنشد :

إلى النار فليذهبْ ومن كان مثلهُ على أي شيء فاتنا منه نأسفُ

وذكر في كتاب « أخبار الوزراء » أن قتله كان في رجب سنة اثنتين
وثلاثين ومائة .

وكان أبو سلمة يقال له : وزير آل محمد ، فلما قُتِلَ عمل في ذلك سليمان
ابن المهاجر البجلي :

إنَّ المساءَ قد تسرُّ وربما كان السرورُ بما كرهتَ جديرا

إنَّ الوزيرَ وزيرَ آلِ محمدٍ أودى فمن يشنّك كان وزيرا

ولم يكن خلافاً ، وإنما كان منزله بالكوفة في حارة الحلالين ، فكان يجلس

عندهم لقرب داره منهم ، فسمي خلا^١لاً .
والهمداني - بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة وبعد الألف
نون - وهذه النسبة إلى همدان ، وهي قبيلة عظيمة باليمن .
والسبيع : يذكر في حرف العين عند ذكر أبي إسحاق السبيعي إن شاء
الله تعالى .

وقد اختلف أرباب اللغة في اشتقاق الوزارة على قولين : أحدهما أنها من
الوزر - بكسر الواو - وهو الجمل ، وكان الوزير قد حمل عن السلطان الثقل ،
وهذا قول ابن قتيبة ، والثاني : أنها من الوزر - بفتح الواو والزاي - وهو
الجل الذي يعتصم به لينجى به من الهلاك ، وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد
عليه الخليفة أو السلطان ويلتجئ إلى رأيه ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ،
والله أعلم^٢ .

٢٠٣

حفص بن غياث القاضي

أبو عمرو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة
ابن عامر بن ربيعة بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج

- ١ في ترجيح تلقيبه بالخلال رأيان آخران : أنه كانت له حوانيت يعمل فيها الخل أو أن اللقب
نسبة إلى خلل السيوف وهي أغمادها .
- ٢ زاد الماوردي (الاحكام السلطانية : ٢٤) رأياً ثالثاً وهو أن الوزارة مشتقة من «الأزر» وهو
الظهر ، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر .
- ٢٠٢ - ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ وعبر الذهبي ١ : ٢١٤ وتاريخ بغداد ٨ :
١٨٨ ورجال النجاشي : ٩٧ وميزان الاعتدال ١ : ٦٧ وتذكرة الحفاظ : ٢٩٧ وطبقات
ابن سعد ٦ : ٢٧١ (الطبعة الأوروبية) وتهذيب التهذيب ٣ : ٤١٥ . وقد وردت هذه
الترجمة في ص ر ، وثبت بعضها في مطبوعة وستفيلد ، ولم ترد في مسودة المؤلف .

النخعي الكوفي ؛ سمع عبد الله بن عمر العمري وهشام بن عمرو وإسماعيل بن أبي خالد وأبا إسحاق الشيباني والأعمش وخلفاً سواهم ؛ روى عنه ابنه عمر وأمه نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلمة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعامة الكوفيين . ولي القضاء بعدد وحدث بها ثم عزل ووحي القضاء الكوفة ؛ قال حميد بن الربيع : لما حيي بعد الله بن إدريس وحفص بن عباث ووكيع ابن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليولهم القضاء دخلوا عليه . فأما ابن إدريس فقال : 'سلام عليك ' وطرح نفسه كأنه مفلوج . فقال هارون . خذوا به الشيخ ، لا فضل في هذا ؛ وأما وكيع فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أتصرف بها منذ سنة . ووضع إصبعه على عينه . وعني إصبعه ، فأعقاه ؛ وأما حفص بن غياث فقال : لم إلا علة الدين والعدل ما وليت .

وكان حفص المذكور لما قربوا من بغداد طرأ خضابه فالتفت ابن إدريس إلى وكيع فقال : أما هذا فقد قبل .

وقال حفص وهو قاض على الشرقية لرجل يسأل عن مسائل القضاء : لعلك تريد أن تكون قاضياً ؟ لأن يدخل الرجل إصبعه في عينه فيقلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضياً .

وكان حفص يقول : لو رأيت أنني أسر بما أنا فيه هلك . قال عمرو بن حفص بن غياث : لما حضرت أبي الوفاة أغشي عليه ، فبكيت عند رأسه فأفاق فقال : ما يبكيك ؟ قلت : أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر ، يعني القضاء ، فقال لابنه : يا بني ما حالت سراويلي على حرام قط ولا جلس بين يدي خصمان فبالت على من توجه الحكم بينهما .

وقال الخطيب : كان حفص بن غياث المذكور جالساً في الشرقية للمساء . فأرسل إليه الخليفة يدعو . فقال لرسوله : حتى أفرغ من أمر الخصوم . كنت أجيراً لهم . وأصير إلى أمير المؤمنين ؛ ولم يبق حتى تفرق الخصوم .

وقال غنام بن حفص . مرض أبي خمسة عشر يوماً ، فدفعت إلي مائة درهم وقال : امض بها إلى العامل وقد له هذه روق خمسة عشر يوماً لم أحكم فيها بين المسلمين لا حظ لي بها .

وقال : باع رجل من أهل خراسان جملاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان
المجوسي وكييل أم جعفر فمطله ثمنها وحبسه عن سفره ، وطال ذلك على الرجل ،
فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له : اذهب إليه فقل له :
أعطني ألف درهم وأحيل عليك ببقية المال وأخرج إلى خراسان ، فإذا فعلت
هذا فأخبرني حتى أشير عليك ؛ ففعل الرجل وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم
فرجع إلى الرجل فأخبره فقال : عد إليه فقل له : إذا ركبت غداً فطريقك
على القاضي تحضر ، وأوكل رجلاً بالقبض على المال وأخرج فإذا جلس إلى القاضي
فادّع عليه بما بقي لك من المال ، فإذا أقر حسبه القاضي وأخذت مالك .
فرجع إلى مرزبان فسأله فقال : انتظرني بباب القاضي ؛ فلم يركب من الغد
وثب إليه الرجل وقال : إن رأيت أن تترك إلي القاضي حتى أوكل بقبض المال
وأخرج ، فنزل مرزبان إلى حفص المذكور فقال الرجل : أصلح الله القاضي ،
لي على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم ، فقال حفص : ما تقول يا مجوسي ؟
قال : صدق ، أصلح الله القاضي ، فقال القاضي : ما تقول يا رجل فقد أقرّ
لك ، فقال : يعطيني مالي ، فأقبل حفص على المجوسي فقال : ما تقول ؟ فقال :
هذا المال على السيدة ، فقال : أنت أحق تقر ثم تقول على السيدة ؟ ما تقول
يا رجل ؟ قال : أصلح الله القاضي إن أعطاني مالي وإلا حبسته ، قال حفص :
ما تقول يا مجوسي ؟ قال : المال على السيدة ، فقال حفص : خذوا بيده إلى
الحبس ؛ فلما حبس بلغ الخبر أم جعفر ففضبت وبعثت إلى السندي : وجهه إلى
المرزبان ، وكانت القضاة تحبس الغرماء في مجلس الشرط ، فأخرجه . وبلغ الخبر
حفصاً فقال : أحبس أنا ويخرج السندي ؟ لا جلست مجلسي هذا أو يرد
مرزبان إلى الحبس ، فجاء السندي إلى أم جعفر فقال : الله في . إنه حفص
ابن غياث وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لي : بأمر من أخرجته ؟ رديه إلى
الحبس ، وأنا أكله حفصاً في أمره ؛ فرجع مرزبان إلى الحبس فقالت أم جعفر
لهارون : قاضيك هذا أحق ، حبس وكييل واستخف به ، فمره لا ينظر في الحكم
وقولتي أمره أبا يوسف ، فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصاً الخبر فقال : أحضري
شهوداً حتى أسجل لك على المجوسي ؛ وجلس حفص وسجل على المجوسي بالمال ،

وورد كتاب هرون مع خادم فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين، فقال: مكانك ؛ نحن في شيء حتى نفرغ منه ، فقال : كتاب أمير المؤمنين ، فقال : انظر ما يقال لك ، فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه فقال : تراء على أمير المؤمنين السلام وقل له إن كتابه ورد وقد أنفذت الحكم ، فقال الخادم : قد عرفت ما صنعت ، أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد؛ والله لأخبرنَّ أمير المؤمنين بما فعلت ! فقال حفص : قل له ما أحببت ، فجاء الخادم فأخبر هارون فضحك وقال للحاجب : مر لحفص بثلاثين ألف درهم ، فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصاً منصرفاً من مجلس القضاء فقال : أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين وأمر لك بثلاثين ألف درهم فما السبب ؟ فقال: تم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ما زدت على ما أفعل كل يوم ، سجلت على مرزبان الجوسي بما وجب عليه ؛ قال يحيى بن خالد : فمن هذا سر أمير المؤمنين ، فقال حفص : الحمد لله كثيراً ، فقالت أم جعفر لهارون : لا أنا ولا أنت إلا أن تغزل حفصاً ، فأبى عليها ، ثم ألحت عليه فعزله عن الشرقية وولاه قضاء الكوفة ، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة .

وكان أبو يوسف لما ولي حفص القضاء قال لأصحابه : تعالوا نكتب نوادر حفص ، فلما وردت احكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه : أين النوادر التي زعمت بكتبتها ؟ قال : ويحكم إن حفصاً أراد الله فوفقه .

وقال حفص : والله ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة .

ومات رحمه الله ولم يخلف درهماً وخلف عليه تسعمائة درهم ديناً .

وكان يقال : خُتم القضاء بحفص بن غياث .

وقال الحسين بن المغيرة : رأى بعض الصالحين كأن زورقاً غرق بين الجسرين وفيه عشرون قاضياً ، فما نجا منهم إلا ثلاثة على سوءاتهم : حفص بن غياث والقاسم بن معن وشريك .

وقال يحيى بن معين : جميع ما حدث به حفص بن غياث ببغداد والكوفة إنما هو من حفظه ، لم يخرج كتاباً ؛ كتبوا عنه ثلاثة آلاف وأربعة آلاف حديث من حفظه .

قال عبيد الله بن صالح العجلي : حدثني أبي قال : حفص بن غياث ثقة مأمون فقيه وكان على قضاء الكوفة ، وكان وكيع ربما يُسأل عن الشيء فيقول : اذهبوا إلى قاضينا فاسألوه ، وكان شيخاً عفيفاً مسلماً .

ولد حفص بن غياث سنة سبع عشرة ومائة ومات سنة أربع وتسعين ومائة في العشر من ذي الحجة ، وقيل مات سنة ست وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

٢٠٣

الحكم بن عبدل

الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال الأسدي ؛ شاعر مجيد مقدم في طبقة هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، وكان أعرج أحذب ، ومنزله ومنشؤه الكوفة .

حدث العتيبي قال : كان الحكم بن عبدل الشاعر الأسدي أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يجبس له رسول ولا تؤخر له حاجة ، فقال في ذلك يحيى بن نوفل :

عص حكم في الدار أول داخلٍ ونحن على الأبواب نُقصى ونحجبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب في المرواة منها ويرهب

٢٠٣ - ترجمته في الأغاني ٢ : ٣٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٩٦ والمختلف والمؤلف : ٢٤٢ والفوات ١ : ٢٨٦ ويرود ترجمته في الفوات يعد استدراكاً على ابن خلكان ومعنى ذلك أن ابن شاعر لم يجد هذه الترجمة في النسخة التي اطلع عليها من وفيات الأعيان ؛ وذكر ابن شاعر أن وفاة ابن عبدل كانت في حدود المائة ، وسياق الترجمة متابع لما في الأغاني ؛ وقد وردت في نسختي ص ر ومطبوعة وستنفيد ولم ترد في مسودة المؤلف .

قال : فشاعت هذه الأبيات وضحك الناس منها ، فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة ، واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع .
وكان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عليّة ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل بعض اخوانها والحكم يحمل وأبو عليّة يقاد ، فلقبها صاحب العسس بالكوفة فأخذها فحبسها ، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي عليّة موضوعة إلى جانب عصاه فضحك وأنشأ يقول :

حبسي وحبس أبي علي من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد لا الرّجل منه ولا اليدان
هذا بلا بصر هناك وبني يخب الحاملان
يا من رأى ضب الفلاة قرين حوت في مكان
طرفي وطرف أبي علي دهرنا متوافقان
من يقتحم يجواده فجوادنا عكازتان
طِرفان لا علفاهما يشرى ولا يتصاولان
هبني وإياه الحريق أكان يسطع بالدخان

وكان اسم أبي عليّة يحيى ، فقال الحكم فيه أيضاً :

أقول ليحيى ليلة السجن سادراً ونومي به نوم الأسير المقيد
أعني على رعي النجوم ولحظها أعنيك على تحبير شعر مقيد
ففي حالتينا عبرة وتفكرت وأعجب منها حبس أعمى ومقعد
كلانا إذا العكاز فارق كفه يخرّ صريعاً بل على الوجه يسجد
فعكازه يهدي إلى السبل اكهما وأخرى مقام الرّجل قامت مع اليد

قال : وولي الشرطة بالكوفة رجل أعرج ثم ولي الإمارة آخر أعرج وخرج ابن عبدل - وكان أعرج - فلقي سائلاً أعرج قد تعرض للأمير يسأله فقال ابن عبدل للسائل :

ألقِ العصا ودع التحامل^١ والتمس عملاً فهذي دولة العرجان
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً يا قومنا لكليهما رجلاً
فإذا يكون أميرنا ووزيره وأنا فإن الرابع الشيطان

فلغت أبياته ذلك الأمير فبعث له مائتي درهم وسأله أن يكف عنه .
وقيل : قدم الحكم بن عبدل واسطاً على ابن هبيرة وكان بخيلاً ، فأقبل حتى
وقف بين يديه فقال :

أنتك في أمر من أمر عشيرتي وأعلى الأمور المفضعات جسيمها
فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعل فقد ثلجت نفسي وولت همومها

قال : أنا فاعل إن اقتصدت فها حاجتك ؟ قال : غرم لزمنا ، قال : كم هو ؟
قال : أربعة آلاف درهم ، قال : نحن مناصفوها ، قال : أصلح الله الأمير ،
أتخاف علي التخمة إن أتممتها ؟ قال : أكره أن أعود الناس هذه العادة ، قال :
فأعطني جميعها سرّاً وامنعني جميعها ظاهراً حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر
واقع عليك إن عودتهم نصف ما يطلبون ، فضحك ابن هبيرة وقال : ما عندنا
غير ما بذلناه لك ، فجثا بين يديه ، وقال : امرأتي طالق إن أخذت أقل من
أربعة آلاف درهم أو انصرفت وأنا غضبان ، فقال : اعطوه إياها قبجه الله فإنه
ما علمت حلافاً مهيناً ، فأخذها وانصرف .

وقيل لما وقع الطاعون بالكوفة ومات منهم بنو زر بن حبیش العامري
صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا ظرفاء وبنو عم لهم ، فقال
الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم :

أبعد بني زرّ وبعده ابن جندل وعمر وأرجى لذة العيش في خفض
مضوا وبقينا نأمل العيش بعدهم ألا إن من يبقى على إثر من يمضي

حدث الأصمعي قال : كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس

١ الأغني : التحامل .

ديون، فاستعانت بابن عبدل في دينها وقالت : إني امرأة ليس لي زوج ، وجعلت تعرض بأنها تزوجه نفسها ، فقام ابن عبدل في دينها حتى استوفته فلما طالها بالوفاء كتبت إليه :

سيخطبك الذي حاولت مني فقطع حبل وصلك من حبال
كما أخطاك معروف ابن بشر . وكنت تعد ذلك رأس مال

وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله فقال : أخسمائة أحب إليك العام أم ألف في قابل ؟ فقال : ألف في قابل ، فلما أتاه قال : ألف أحب إليك أم ألفان في قابل ؟ قال : فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً . قال : ودخل ابن عبدل على عبد الملك بن مروان بن بشر فقال : ما أحدثت بعدي ؟ قال : خطبت امرأة من قومي فردت عليّ جواب رسالتي بيتي شعر ، قال : وما هما ؟ وأنشده البيتين المذكورين ، فضحك عبد الملك وقال : ما أجود ما ذكرت بنفسك ، وأمر له بألفي درهم .

ومثل هذا قال عبد الملك بن مروان لرجل : ما مالك ؟ قال : ما أكفّ به وجهي وأعود منه على صديقي ، قال : لقد لطفت في المسألة ، وأمر له بمال . وقريب من هذا قال قيس بن سعد لعجوز : كيف حالك ؟ قالت : ما في بيتي جرد ، فقال : ما أطف ما سألت ! لأملأن بيتك جرداناً ، وأمر لها بمال .

وشخص الحكم بن عبدل مع عمر بن هبيرة إلى واسط فشكا إليه الضيقة فوهب له جارية من جواريه فوائها ليلة صارت إليه فنكحها تسعة أو عشرة طلقاً واحداً ، فلما أصبحت قالت له : جعلت فداك من أي الناس أنت ؟ قال : امرؤ من أهل الشام ، قالت : بهذا العمل غلبتم أهل العراق في حربكم .

حماد بن أبي حنيفة

أبو إسماعيل حماد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ؛ كان على مذهب أبيه ، رضي الله تعالى عنه ، وكان من الصلاح والخير على قَدَمٍ عظيم ، ولما توفي أبوه كانت عنده ودائع كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك وأربابها غائبون وفيهم أبتام ، فحملها ابنه حمّاد المذكور إلى القاضي ليتسلّمها منه ، فقال له القاضي : ما نقبلها منك ولا نخرجها عن يدك فإنك أهل لها وموضعها ، فقال حماد للقاضي : زنّها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة أبي حنيفة ، ثم افعل ما بدا لك ، ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياماً ، فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره .

(30) وكان ابنه إسماعيل قاضي البصرة وعزل عنها بالقاضي يحيى بن أكرم ، ورأيت في كتاب « أخبار أبي حنيفة » أن القاضي يحيى بن أكرم لما وصل إلى البصرة وعزم إسماعيل بن حماد على السفر شيعته القاضي يحيى بن أكرم فكان الناس يدعون لإسماعيل ويقولون له : عففت عن أموالنا ودمائنا ، فيقول إسماعيل : وعن أبنائكم ، وكان يُعرّضُ بما يُنتهم به القاضي يحيى بن أكرم . وقال إسماعيل المذكور : كان لنا جار طحان رافضي ، وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر ، فرمحه ذات ليلة أحدُ البغلين فقتله ، فأخبر جدّي أبو حنيفة به ، فقال : انظروا فلاني إخال أن البغل الذي سماه عمر هو الذي رمحه ، فنظروا ، فكان كما قال .

وكانت وفاة حماد المذكور في ذي القعدة سنة ست وسبعين ومائة ، رحمه الله تعالى ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى .

٢٠٤ - انظر طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ .

١ - ترجمة القاضي إسماعيل حفيد أبي حنيفة في الجواهر المضية ١ : ١٤٨ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٤٣ .

أبو القاسم حمّاد بن أبي ليلى سابور - وقيل ميسرة - بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل المعروف بالراوية ، وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » وفي كتاب « طبقات الشعراء » : « إنه مولى مكنف بن زيد الخيل الطائي الصحابي رضي الله عنه : كان من أعم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وهو الذي جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس ، وكانت ملوك بني أمية تُقدّمه وتؤثّره وتستزّره ، فيغد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها .

وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً وقد حضر مجلسه : بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ، ثم لا ينشدني أحداً شعراً قديماً ومحدثاً إلا ميزت القديم من الحديث ، فقال له : فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ فقال : كثير ، ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام ، قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد ، فأنشد حتى ضجّر الوليد ، ثم وكّل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

٢٠٥ - ترجمة حماد الراوية في الأغاني ٦ : ٦٧ وتهذيب ابن عسّكر ٤ : ٤٢٧ ولسان الميزان ٢ :

٣٥٢ وخزانة البغدادى ٤ : ١٢٩ ونزهة الألباء : ٢٣ .

١ انظر المعارف : ٣٣٣ ، ٥٤١ ، والشعر والشعراء : ٢٠٦ .

٢ : قال له عبد الملك : لأي شيء سميت بالراوية ؟ فقال : أروي لكل شاعر قدم أو يحدث ... الخ .

[قال الطرمّاح : أنشدت حماداً الراوية قصيدةً لي ستين بيتاً فسكت ساعة ثم قال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، ثم ردها عليّ كلها وزيادةً عشرين بيتاً زادها في وقته .

دخل مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية فإذا سراجة على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين ، فقال له يحيى : يا حماد ، إنك لمترف متبذل بجرّ المتاع ، وقال له مطيع : ألا تببيع هذه المنارة وتشترى بأقلّ ثمناً منها منارة تزيل بها عذرك وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع ؟ وقال له يحيى : ما أحسن ظنك به ! ومن أين له هذه المنارة ؟ هذه وديعة أو عارية ، وقال مطيع : إنه لعظيم الأمانة عند الناس ، قال يحيى : وعلى عظم أمانته فما أجهل من يخرج هذه من داره ويأمن عليها غيره ، قال مطيع : ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال وإلا فمن يخرج هذه من بيته ؟ فقال حماد : يرهنها من يدخلها على بيته ليلقى عليها من أنواع المداعبة ، وهل عند أحد من المال ما يرهن ؟^١ .

وذكر أبو محمد الحريري صاحب كتاب « المقامات » في كتابه « دُرّة الغوّاص » ما مثاله^٢ : قال حمّاد الراوية : كان انقطاعي^٣ إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته ، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك ، فلما مات يزيد وتولى هشام خيفته ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا إلى مَنْ أثق إليه من إخواني سرّاً ، فلما لم أسمع أحداً ذكرني في السنة أمنت^٤ ، فخرجت أصلي الجمعة ، وصليت في جامع الرّصافة الجمعة ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالوا : يا حماد ، أجيب الأمير يوسف بن عمر الثقفي - وكان والياً على العراق - فقلت في نفسي : من هذا كنت أخاف ، ثم قلت لهما : هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودّعهم وداع مَنْ لا يرجع إليهم أبداً ثم أصير معكما ؟ فقالا :

١ زيادة من دلم ترد في المسودة .

٢ انظر دُرّة الغوّاص : ١٧٧ وفي نقل ابن خلكان بعض اختلاف . والقصة أيضاً في تهذيب

ابن عساكر .

٣ الدرة : كنت منقطعاً .

ما إلى ذلك سبيل ، فاستسلمت في أيديها ، ثم صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام ورمى إلي كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ؛ أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية مَنْ يأتيك به من غير تَرْويع^١ ، وادفع له خمسمائة دينار وجَمَلاً مَهْرِيّاً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق » . فأخذت الدنانير ، ونظرت فإذا جمل مرحول ، فركبته وسرتُ حتى وافيت دمشق في اثنتي عشرة ليلة ، فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قَوْرَاء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تَضَمَّحَ بالمسك والعنبر ، فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام واستدنانني فدنوت حتى قَبَلْتُ رجله ، فإذا جاريتان لم أر مثلها قط في أذن كل جارية حلقَتان فيها لؤلؤتان تتَقَدَّان ، فقال : كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، فقال : أتدري فيمَ بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعثت بسبب بيتٍ خطر ببالي لا أعرف قائله ، قلت : وما هو ؟ قال :

ودَعَوْا بالصَّبُّوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إبريقُ

فقلت : يقوله عديُّ بن زيد العباديُّ في قصيدة ، قال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بَكَرَ العاذِلون في وضَحِ الصبِّ حر يقولون لي أَمَا تستفيقُ
ويلومونَ فيكَ يا ابنة عبد الله ٤ والقلبُ عِنْدكم مَوْهُوقُ
لستُ أدري إذا كثروا العَدْلَ فيها أعدُوْهُ يلومني ، أم صديقُ^٢

قال حماد : فانتبهت فيها إلى قوله :

ودَعَوْا بالصَّبُّوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إبريقُ

١ الدرة : بغير ترويع .

٢ وردت القصيدة في ردون حذف .

فدّمته على عُقار كعين الـ ديكِ صَفَى سُلَافَهَا الراووق
مَزَّةٍ قَبْلَ مَزْجِهَا فَإِذَا مَا مُزِجَتْ لَذَّةٌ طَعْمُهَا مِنْ يَنْدُوقِ
وطفأ فوقها فقاقيعُ كالِيبَا قُوْتِ حُمْرُ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ
ثم كان المزاجُ ماءً سحابٍ لا صَرَى آجِنٌ ولا مطرُوق

قال : فطرب هشام ، ثم قال : أحسنت يا حماد - وفي هذه الحكاية زيادة
فانه قال : اسقيه يا جارية ، فسقتني ، وهذا ليس بصحيح ، فإن هشاماً لم يكن
يشرب ، فلا حاجة إلى ذكر تلك الزيادة - ثم قال : يا حماد ، سل حاجتك ، فقلت :
كأئنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، قال : هما جميعاً لك
بما عليهما ومالهما ، وأنزله في داره ، ثم نقله من غدي إلى منزل أعدّه له ، فوجد
فيه الجاريتين ومالهما وكل ما يحتاج إليه ، وأقام عنده مدة ، ووصله بمائة ألف
درهم . [قال حماد : فسرت وأنا أيسر خلق الله إلى الكوفة فقلت :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حالٍ
وما مددت مدى طرف إلى أحدٍ إلا قضيت بأرزاق وآجال
تروم شحاً فتمسي البيض [...] وتستهل فتبكي أعين المال] ١

قلت : هكذا ساق الحريري هذه الحكاية ، وما يمكن أن تكون هذه الواقعة
مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم يكن والياً بالعراق في التاريخ المذكور بل كان
متوليه خالد بن عبد الله القسري - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - حتماً
يقتضيه تاريخ ولايته وانفصاله وولاية يوسف بن عمر في ترجمته أيضاً .
وأخبار حماد ونوادره كثيرة .

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائة ، ومولده في سنة خمس وتسعين للهجرة .
وقيل إنه توفي في خلافة المهدي ، وتولى المهدي الخلافة يوم السبت لست خلون
من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم

١ زيادة من ر ولم ترد في درة الفواص أو في مسودة المؤلف .

سنة تسع وستين ومائة بقرية يقال لها الرذا ، من أعمال ماسبذان ، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

وأكرمُ قبرٍ بعدَ قبرٍ محمدٍ نبيُّ الهدى قبرُ ماسبذانِ
عجبتُ لأيندٍ هالتِ الثُّرْبَ فوقه ضحَى كيفَ لم تُرجعِ بغيرِ بنانِ

ولما مات حماد الراوية رثاه أبو يحيى محمد بن كناسة ، وهو لقبه ، واسمه عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفة بن نَضْلَةَ بن أنَيْفَ بن مازن بن ذؤيبه بن أسامة ابن نصر بن قُعَيْن ، بقوله :

لو كانَ ينجي مِنَ الردى حذرُ نَجَّاكَ بما أصابَكَ الحذرُ
يرحمكَ الله منْ أخِي ثقةٍ لم يكُ في صفو ودّه كدر
فهكذا يفسدُ الزمانُ وفيه نى العلم فيه ويدرسُ الأثر

وكان حماد المذكور قليل البضاعة من العربية ، قيل إنه حفظ القرآن الكريم من المصحف ، فصحّف في نَيْفٍ وثلاثين حرفاً ، رحمه الله تعالى .

٢٠٦

حماد عجرد

أبو عمرو - وقيل أبو يحيى - حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي - وقيل الواسطي - مولى بني سَوَّاة بن عامر بن صَعَصَعَة المعروف بعَجْرَد

١ ذكرها ياقوت وقال إنها قرية بماسبذان قرب البندنيجين ، بها قبر أمير المؤمنين المهدي ؛ وعند ستيفيد وص : الود ، وفي ر م : ألود .

٢٠٦ - ترجمة حماد عجرد في طبقات ابن المعتز : ٦٧ والشعر والشعراء : ٦٦٣ والأغاني : ١٤ : ٣٠٤ وتاريخ بغداد ٨ : ١٤٨ والمؤتلف والمختلف : ١٥٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٤٩ .

الشاعر المشهور ؛ هو من مُخَضَّرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية ، ونادم الوليد بن يزيد الأموي ، وقدم بغداد في أيام المهدي ، وقال علي بن الجعد : قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم : حماد عجرد ومطيع بن إياس الكِنَاني ويحيى بن زياد ، فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يُطَاقون خبثاً ومجانة . وهو من الشعراء المجيدين ، وبينه وبين بشار بن برد أهاجٍ فاحشة ، وله في بشار كل معنى غريب ، ولولا فحشها لذكرت شيئاً منها ، وكان بشار يضح منه ، وقال بشار في حماد^١ :

إِذَا جِئْتَهُ فِي الْحَيِّ أَغْلَقَ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ
فَقُلْ لَّأَبِي يَحْنِي مَتَى تَبْلُغَ الْعُلَا وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ
وفيه يقول بشار أيضاً^٢ :

نِعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَغْبُدُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
وَابْتِضَّ مِنْ شُرْبِ الْمَدَامَةِ وَجْهُهُ وَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ^٣ سَوَادُ

وكان يَبْري النَّبْلَ ، وقيل إن أباه كان يَبْري النَّبْلَ ، وإنه هو لم يتعاط شيئاً من الصنائع . وكان ماجناً ظريفاً خليعاً مُتَّهِماً في دينه بالزندقة ؛ يحكى أنه كانت بينه وبين أحد الأئمة الكبار - وما يليق التصريح بذكر اسمه^٥ - مودة ، ثم تقاطعا ، فبلغه عنه أنه يتنقصه ، فكتب إليه :

إِنْ كَانَ نَسْكَكَ لَا يَتِمُّ بِغَيْرِ شَتْمِي وَانْتِقَاصِي
فَاقْعُدْ وَقُمْ بِي كَيْفَ شِئْتَ مَعَ الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي

١ ديوان بشار : ٢٢٠ - ٢٢١ ، وذكر جامع الديوان أن الأبيات في هجاء عبد الله بن قزعة .

٢ ديوان بشار : ٧٠ .

٣ م : المعاد .

٤ اكتفى في م بقوله : وكان وأبوه يبريان النَّبْلَ .

٥ صرّحت به المصادر وتحرّج في ذكره المؤلف ، انظر الاغاني ١٤ : ٣١٦ .

فَلَطَمَا زَكَيْتَنِي وَأَنَا الْمَصْرُ عَلَى الْمَعَاصِي
أَيَّامَ نَأْخُذُهَا وَنَعَطِي فِي أَبَارِيقِ الرَّصَاصِ

ومن شعره أيضاً :

فَأَقْسَمْتُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي قَبْضَةِ لَهْوَى لَأَقْصَرْتُ عَنْ لُومِي وَأَطْنَبْتُ فِي عُذْرِي
وَلَكِنْ بَلَايَ مِنْكَ أَنْكَ نَاصِحٌ وَأَنْكَ لَا تَدْرِي بِأَنْكَ لَا تَدْرِي

[وذكر ابن قتيبة في كتاب « طبقات الشعراء » قال^٢ : كان في الكوفة
ثلاثة يقال لهم الحمادون : حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي،
وكانوا يتعاشرون وكانوا كلهم يُرمون بالزندقة .

وقيل إن حماد عجرد أهدى إلى مطيع بن إلياس غلاماً وكتب معه : قد أهديت
إليك من يتعلم عليه كظم الغيظ .

ولما أقعد حماد عجرد للتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد :

قُلْ لِلْأَمِينِ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً لَا تَجْمَعُ الدَّهْرُ بَيْنَ السَّخْلِ وَالذُّبِيبِ
فَالسَّخْلُ يَعْلَمُ أَنَّ الذُّبِيبَ آكَلَهُ وَالذُّبِيبُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّخْلِ مِنْ طِيبِ

وقال أيضاً :

يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَمِمْ وَقَعَ الذُّبِيبُ فِي الْغَنَمِ
إِنَّ حَمَادَ عَجْرَدٍ شَيْخٌ سَوِيٌّ قَدْ اغْتَلَمَ
بَيْنَ فَخْذَيْهِ حَرْبَةً فِي غِلَافٍ مِنَ الْأَدَمِ
إِنْ رَأَى سَهْمًا غَفَلَةً حَجَّ الْمِمْ فِي الْقَلَمِ

فشاعت الأبيات ، فأمر الأمين أن يخرج حماد .

١ الاغاني : المقيم .

٢ انظر الشعر والشعراء : ٦٦٣ .

ومن شعر حماد عجرد :

إن الكريم ليخفي عنك أسرته مدحى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا يمنعك قلته فكل ما سدّ فقراً فهو محمود^١

وأشعاره وأخباره مشهورة .

وتوفي في سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى . وقيل : كان من أهل
واسط ، وقتله محمد بن سليمان بن علي عامل البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة
في سنة خمس وخمسين ومائة ، وقيل : خرج من الأهواز يريد البصرة ، فمات في
طريقه ، فدفن على تل هناك ، وقيل : مات سنة ثمان وستين ومائة .
ولما قتل المهدي بشار بن برد المقدم ذكره بالبطيحة ، حُمل ودفن على
حماد عجرد ، فمرّ على قبريهما أبو هشام الباهلي ، فكتب عليهما^٢ :

قد تبع الأعمى قفا عَجْرَدٍ فأصْبَحَا جَارَيْنِ في دارٍ
صارا جميعاً في يَدَي مالِكٍ في النار ، والكافِرُ في النار
قالتْ بقاعُ الأرض لا مَرَحَباً بقُرْبِ حَمَادٍ وبَشَارِ

وعَجْرَد - بفتح العين المهملة وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها دال مهمة -
وهو لقب عليه ، وإنما قيل له ذلك لأنه مر به أعرابي وهو غلام يلعب مع
الصبيان في يوم شديد البرد وهو عُرْيَان ، فقال له : لقد تَعَجَّرَدْتَ يا غلام ،
والمتعجرد : المتعرّي .

والمخضرم - بضم الميم وفتح الحاء المعجمة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء
وبعدها ميم - أصل هذه اللفظة أن تطلق على الشاعر الذي أدرك الجاهلية

١ زيادة من ص د ولم ترد في مسودة المؤلف .

٢ انظر الاغاني ١٤ : ٣٦٣ .

والإسلام مثل لبيد والنايفة الجعدي وغيرهما ، ثم توسّع فيها حتى صارت تطلق على من أدرك دولتين ، وسمع في ذلك أيضاً محضراً بالحاء المهملة وسمع بكسر الراء أيضاً .

٢٠٧

أبو سليمان الخطابي

أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب الخطّابي البُستيّ ؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها « غريب الحديث » و « معالم السنن في شرح سنن أبي داود » و « أعلام السنن في شرح البخاري » وكتاب « الشحاح »^١ وكتاب « شأن الدعاء » وكتاب « إصلاح غلط المحدثين » وغير ذلك .
سمع بالعراق أبا علي الصّفّار وأبا جعفر الرّزّاز وغيرهما ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ابن البيّح النيسابوري وعبد الغفار بن محمد الفارسي وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطّابي وغيرهم ، وذكره صاحب « يتيمة الدهر » ، وأنشد له^٢ :

وما غمّة^٣ الإنسان في شقّة النّوى ولكنّها والله في عدَمِ الشّكلِ

٢٠٧ - ترجمة أبي سليمان الخطّابي في انباء الرواة ١ : ١٢٥ (تحت أحمد) و يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٦ وشذرات الذهب ٣ : ١٥٠ وبغية الوعاة : ٢٣٩ ، وانظر أنساب السمعاني واللباب : (الخطّابي) وتذكرة الحفاظ : ١٠١٨ وخزانة الادب ١ : ٢٨٢ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٨ ، ومن كتبه المنشورة : رسالة له في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل، نشر دار المعارف) ورسالة في المزلة (إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة : ١٣٥٢ هـ) ومعالم السنن (في مجلدين) . وله مؤلفات أخرى ذكرها ياقوت .
١ وكتاب الشحاح : لم يذكر إلا في ص ر والمسودة .
٢ اليتيمة : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
٣ كذا في المسودة ؛ وفي سائر النسخ : غربة .

وإني غريبٌ بين بُسْتٍ وأهلها وإن كان فيها أشرقي وبها أهلي
وأنشد له أيضاً :

شر السباع العَوادي دُونَهُ وزرُ والناسُ شَرُّهُمْ ما دونه وزرُ
كم معشرٍ سلموا لم يؤذِهِم سَبْعٌ وما ترى بشراً لم يؤذه بَشَرٌ
وأنشد له أيضاً :

فسامح ولا تَسْتوفِ حَقَّكَ كله وأبق فلم يَسْتَقْصِرِ قَطُّ كَرِيمٌ
ولا تَعْلُ في شيء من الأمرِ واقتصد كلا طرفَيَّ قصدِ الأمورِ ذمِي

وذكر له أشياء غير ذلك . وكان يشبه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام
علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتديساً وتأليفاً . وكانت وفاته في شهر ربيع الأول
سنة ثمان وثمانين وثلثمائة بمدينة بُسْتٍ ، رحمه الله تعالى .

والخطَّابي - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وبعد الألف باء
موحدة - وهذه النسبة إلى جده الخطَّاب المذكور ، وقيل إنه من ذرية زيد بن
الخطَّاب ، رضي الله تعالى عنه ، فنسب إليه ، والله أعلم .

والبُسَتي - بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مشناة من
فوقها - هذه النسبة إلى بُسْتٍ ، وهي مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة
كثيرة الأشجار والأنهار .

وقد سمع في اسم أبي سليمان حمداً المذكور أحدٌ أيضاً - بإثبات الهزة -
والصحيح الأول ؛ قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن البيَّع : سألت أبا القاسم المظفر
ابن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطَّابي أحمد أو حمداً فإن
بعض الناس يقول أحمد ، فقال : سمعته يقول : اسمي الذي سميت به حمداً ،
ولكن الناس كتبوا أحمد ، فتركته عليه ١ . وقال أبو القاسم المذكور : أنشدنا
أبو سليمان لنفسه :

١ . وقد سمع ... عليه : سقطت هذه الفقرة من م .

ما دُمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهمْ فإنما أنت في دار المُداراةِ
مَنْ يدرِ دارى ومن لم يدر سوف يُرى عَمَّا قليلٍ نديماً للنداماتِ

٢٠٨

حمزة الزييات

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزييات ،
مولى آل عِكرِمةَ بنِ رَبِيعٍ التيميِّ ؛ كان أحد القُرَّاء السبعة ، وعنه
أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة ، وأخذ هو عن الأعمش ، وإنما قيل له « الزييات »
لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حُلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز
إلى الكوفة ، فعُرف به .

وتوفي سنة ست وخمسين ومائة بحلوان وله ست وسبعون سنة ، رحمه
الله تعالى .

وحُلوان - بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الألف نون -
وهي مدينة في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل .
وربعميَّ : بكسر الراء وسكون الباء الموحدة وكسر العين المهملة وتشديد الياء .

٢٠٨ - ترجمته في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٧ وغاية النهاية ١ : ٢٦١ وميزان الاعتدال ١ : ٦٠٥
وقد ولد حمزة بن حبيب سنة - ٨ هـ هو وأبو حنيفة في عام واحد . قال الذهبي : قد انعقد
الاجماع باخوة على تلقي قراءة حمزة بالقبول والانكار على من تكلم فيها ، فقد كان من بعض السلف
في الصدر الأول فيها مقال . وقيل توفي سنة ١٥٨ هـ .

حنين بن إسحاق

أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور ؛ كان إمام وقته في صناعة الطب ، وكان يعرف لغة اليونانيين^١ معرفة تامة وهو الذي عرّب كتاب أقليدس ونقله من لغة اليونان إلى اللغة العربية ، وجاء ثابت بن قُرة المقدم ذكره فنقحه وهذبه ، وكذلك كتاب المجسطي ، وأكثر كتب الحكماء والأطباء فإنها كانت كلها بلغة اليونان فعربت ، وكان حنين المذكور أشدّ الجماعة اعتناء بتعريبها ، وعرّب غيره أيضاً بعض الكتب ، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان ، لا جرم كل كتاب لم يعرّبه باقي على حاله ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة . وكان المأمون مُغرماً بتعريبها وتحريها وإصلاحها ، ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضاً اعتنوا بها ، لكن عناية المأمون كانت أتم وأوفر . وحنين المذكور في الطب مصنفات مفيدة كثيرة — وقد تقدم ذكر ولده إسحاق في حرف الهمزة — ؛ ورأيت في كتاب « أخبار الأطباء » أن حنيناً المذكور كان في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء ، ويخرج فيلتف في قטיפة ، ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة ، ويتكئ حتى ينشف عرقه ، وربما نام ، ثم يقوم ويتبخّر ويقدم له طعامه وهو قسّروج كبير مُسمّن قد طبخ زيرباجاً ورغيف وزنه مائتا درهم فيحسّو من المرقّة ويأكل الفروج والحُبّز وبنام ، فإذا انتبه شرب أربعة أرتال شراباً عتيقاً ، فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامى^٢ ، والسّفَرْجَل ،

٢٠٩ - ترجمة حنين بن إسحاق في الفهرست : ٢٩٤ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٨٤ وتاريخ الحكماء : ١١٧ وقال ابن النديم انه كان فصيحا في اليونانية والسريانية والعربية . وله مؤلفات عدا ما نقله .

١ أ ح : اللغة اليونانية .

٢ هـ : الدمشقي .

وكان ذلك دأبه إلى أن مات يوم الثلاثاء^١ لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين .
وقد سبق في ترجمة ولده نسبة العبادي إلى أي شيء هي .
واليونانيون كانوا حكماء متقدمين على الإسلام ، وهم من أولاد^٢ يوفان بن يافث
ابن نوح عليه السلام ، وهو بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبين
النونين ألف .

٢١٠

ابن حيان صاحب المقتبس

أبو مروان حَيَّان بن خَلَف بن حَسين بن حيان بن محمد بن حيان بن
وَهَب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن
مروان ؛ هو من أهل قُرطبة ، وله كتاب « المقتبس في تاريخ الاندلس » في
عشر مجلدات ، وكتاب « المتين »^٣ في تاريخها أيضاً في ستين مجلداً .
ذكره أبو علي الغساني فقال : كان عالي السن ؛ قوي المعرفة متبحراً في
الآداب بارعاً فيها ، صاحب لواء التاريخ بالاندلس ، أفصح الناس فيه وأحسنهم
نظماً له ، لزم الشيخ أبا عمرو ابن أبي الحباب النحوي صاحب أبي علي القالي
وأبا العلاء صاعد بن الحسن الرُّبَعيّ البغدادي ، وأخذ عنه كتابه المسمى

١ هـ : السبت ؛ وفي الفهرست كما ثبت في المتن .

٢ أ ج : من ولد .

٣١٠ - ترجمة ابن حيان مؤرخ الاندلس في جذوة المقتبس : ١٨٨ والصلة : ١٥٤ وتكلمة بروكلمان
١ : ٥٧٨ وقد نشر من كتابه « المقتبس » قطعتان ، احدهما بعناية ملشور انطونية (باريس
١٩٣٧) والثانية بعناية الدكتور عبد الرحمن الحجي (بيروت ١٩٦٥) ويعد الثالثة للنشر
الدكتور محمود مكي .

٣ يرد هذا الكتاب أحياناً في المصادر باسم « المين » .

٤ أ : الهمة .

بـ « الفصوص » وسمع الحديث . وسمعه يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة^١ ، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة .

وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وأربعمائة ، ودفن من يومه بعد العصر بمقبرة الرِّبَض . ومولده سنة سبع وسبعين وثلثمائة . ووصفه الفسائي بالصدق فيما حكاه في تاريخه . وأخبر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عون قال : كان ابن حيان فصيحاً في كلامه ، بليغاً فيما يكتبه^٢ بيده ، وكان لا يتعمد كذباً فيما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار ، قال : ورأيت في النوم بعد وفاته مقبلاً إلي ، فقممت إليه وسلم علي وتبسم في سلامه ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت له : فالتاريخ الذي صنفت ندمت عليه ؟ قال : أما والله لقد ندمت عليه ، إلا أن الله عز وجل بلطفه عفا عني وغفر لي .

وذكره أبو عبد الله الحميدي في « جذوة المقتبس » وابن بَشْكُوَال في « الصلة » ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

١ : بالمولود .

٢ أ ج : يحكيه .

حرف الجاء

خارجة بن زيد

أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ؛
 — وقد تقدم ذكر أبي بكر ابن عبد الرحمن في حرف الباء ، وذكرت في ترجمته
 البيتين الجامعين لأسماء الفقهاء السبعة — وكان خارجة المذكور تابعياً جليلاً القدر ،
 أدرك زمان عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وأبوه^١ زيد بن ثابت رضي الله
 عنه من أكابر الصحابة . وفي حقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « أفرَضُكُمْ زيد » .

توفي خارجة سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل سنة مائة ، رضي الله عنه ،
 بالمدينة .

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في « الطبقات »^٢ أن خارجة قال: رأيت
 في المنام كأني بنيت سبعين درجةً ، فلما فرغت منها تدهورت^٣ ، وهذه
 السنة لي سبعون سنة قد أكملتها ؛ قال : فمات فيها . وروى عنه الزهري ،
 رحمها الله تعالى .

٢١١ - ترجمة خارجة بن زيد في رجال ابن حبان : ٦٤ والعبر ١ : ١١٩ وحلية الارلياء ٢ :
 ١٨٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ .

١ ج : وكان أبوه .

٢ انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٢٦٢ - ٢٦٣ .

٣ الطبقات : تهورت .

خالد بن يزيد بن معاوية

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ؛ كان من أعلم قريش^١ بفنون العلم ، وله كلام في صناعة^٢ الكيمياء والطب ، وكان بصيراً بهذين العلمين مُتَقِنًا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الصناعة عن رجل من الرُّهْبَان يقال له مريانس الراهب^٣ الرومي ، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهُنَّ ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور ، وصورة تعلمه منه ، والرموز التي أشار إليها ، وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه . وله شعر جيد فمنه :

تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ ، وَلَا أَرَى لِرَمَلَةٍ خَلْخَالًا يَحُولُ وَلَا قَلْبًا
[فَلَا تَكْثُرُوا فِيهَا الْمَلَامَ فَإِنِّي تَخَيَّرْتُهَا مِنْهُمْ زَبِيرِيَةَ قَلْبًا]^٥

٢١٢ - ترجمة خالد بن يزيد الأموي في الفهرست : ٣٥٤ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ١١٦ ، وانظر تاريخ الحكماء : ٤٤٠ وكتاب :

Julius Ruska, Arabische Alchemisten, 1 Chaliid ibn Jazid ibn Mu'awija, Heidelberg, 1924.

ويقول دي مييلي في كتابه العلم عند العرب (الترجمة العربية ص ٩٩ ط. القاهرة ١٩٦٢) في الحديث عن صلة خالد بالعلوم القديمة : « وليس ذلك كله إلا أسطورة محضاً على الأخص ما ذكره من تبحره في علم الصنعة » .

١ أ ج : الناس .

٢ هـ : صنعة ، وسقطت الكلمة من م .

٣ أثبتنا كلمة « الراهب » عن م ولم ترد في المسودة ؛ وفي أ : بريانس ؛ هـ : مرياقش ؛ ولعل مريانوس أو مورينوس هو الصورة الأصلية للاسم عند من يشبه وجود مثل هذا الراهب .

٤ ج : تدل .

٥ زيادة من ص وحدها .

أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحَبَّتْ أُخْوَالَهَا كُلَّهَا

وهي طويلة ، ولها قصة مع عبد الملك بن مروان أضربنا عن ذكرها لشهرتها .
وكان له أخ يسمى عبد الله ، فجاءه يوماً وقال : إن الوليد بن عبد الملك
يعيث بي ويحتقرني ، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، الوليد ابن أمير المؤمنين قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره ، وعبد
الملك مضطرب فرفع رأسه وقال : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعَزَّ أَهْلِهَا أَذْلَهُ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل : ٣٤) فقال خالد : ﴿ وَإِذَا
أَرَدَ أَنْ يَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا
تَدْمِيرًا ﴾ (الاسراء : ١٦) فقال عبد الملك : أفي عبد الله تكلمني ؟ والله لقد
دخل علي فيما أقام لسانه لحناً ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعول ؟ فقال عبد
الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان عبد الله
يلحن فإن أخاه خالد ، فقال له الوليد : اسكت يا خالد ، فوالله ما تعدُّ في
الغير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل على الوليد
فقال : ويحك ! ومن العيرُ والنفير غيري ؟ جدي أبو سفيان صاحب العير ،
وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت : غنيمات وحبيبات
والطائف ورَاحِمَ الله عثمان ، لقلنا صدقت .

وهذا الموضع يحتاج إلى تفسير ، فقلوه « العير » فهي عيرُ قريش التي أقبل بها
أبو سفيان من الشام ، فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
ليغنموها ، فبلغ الخبر أهل مكة فخرجوا ليدفعوا عن العير ، وكان مقدّم القوم

١ زاد في د بعد هذا البيت :

فإن تسلمي نسلم وإن تنتصري يخط رجال بين أعينهم صلباً

وذكر هذا البيت الأخير لعبد الملك فقال خالد : يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله . اهـ (ثم
أورد الحكاية التالية بصورة أخرى وفيها : ان عبد الله قال لأخيه خالد : هممت اليوم أن
أفتك بالوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بشئ ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد
المسلمين ، فقال عبد الله : ان خيلي مرت فتعبت بها وأصغرتني ، فقال له خالد : أنا أكفيك ،
ودخل بن عبد الملك ... الخ) .

عُتْبَةُ^١ بن ربيعة ، فلما وصلوا إلى المسلمين كانت وقعة بدر ، وكل واحد من أبي سفيان وعتبة جد خالد المذكور ، أما أبو سفيان فمن جهة أبيه ، وأما عتبة فلأن ابنته هند أم معاوية جد خالد .

وقوله « غنيات وحبيلات - إلى آخر كلامه » فإنه أشار إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبي العاص وكان جد عبد الملك المذكور إلى الطائف كان يرعى الغنم ويأوي إلى حُبَيْلَةٍ وهي الكَرْمَةُ ، ولم يزل كذلك حتى ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة فردّه ، وكان الحكم عمّه ، ويقال: إن عثمان رضي الله عنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في ردّه متى أفضى الأمر إليه .

وأخبار خالد كثيرة ، وفي هذا القدر منها كفاية . وكانت وفاته سنة خمس وثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

٢١٣

خالد بن عبد الله القسري

أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرُزَ البَجَلِيّ ثم القَسْرِيّ ؛ ذكره هشام بن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » ، فقال : هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرُزَ بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس ابن غنمة بن جرير بن شِقّ بن صَعْب بن يَشْكُر بن رهم بن أفرك بن أفصى بن نَذِير بن قَسْر ، وهو مالك ، بن عَبْقَر بن أُنْمار بن أراش بن عمرو بن

١ م : يقدمهم عتبة .

٢١٣ - ترجمة خالد بن عبد الله القسري في كتب التاريخ التي تتحدث عن خلافة هشام كاطبري والسعودي واليعقوبي وابن الاثير وابن خلدون ... الخ . وراجع الاغانى ٢٢ : ه وابن عساكر ٥ : ٦٧ .

الْعَوْتُ بْنُ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأِ بْنِ يَشْجُبِ بْنِ يَعْزُبِ
ابْنِ قَحْطَانَ^١ ، قَالَ ابْنُ مَكُولَا : يُقَالُ الْقَسْرِيُّ وَالْقَصْرِيُّ .

كَانَ أَمِيرَ الْعِرَاقِينَ مِنْ جِهَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيِّ ، وَلِي مَكَّةَ
سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَأُمُّهُ نَصْرَانِيَّةٌ ، وَكَانَ لَجْدُهُ يَزِيدُ صَحْبَةً مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ خَالِدٌ مَعْدُوداً مِنْ جُمْلَةِ^٢ خُطْبَاءِ الْعَرَبِ
الْمَشْهُورِينَ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ^٣ ، وَكَانَ جَوَاداً كَثِيرَ الْعَطَاءِ ، دَخَلَ عَلَيْهِ شَاعِرٌ
يَوْمَ جُلُوسِهِ لِلشُّعْرَاءِ وَقَدْ مَدَحَهُ بَبَيْتَيْنِ ، فَلَمَّا رَأَى اتِّسَاعَ الشُّعْرَاءِ فِي الْقَوْلِ
اسْتَصْفَرَ مَا قَالَ ، فَسَكَتَ حَتَّى انْصَرَفُوا ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقَالَ :
مَدَحْتَ الْأَمِيرَ بَبَيْتَيْنِ ، فَلَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الشُّعْرَاءِ احْتَقَرْتَ بَيْتِي^٤ ، فَقَالَ : مَا هُمَا ؟
فَأَنشَدَهُ^٥ :

تَبَرَّعْتَ لِي بِالْجُودِ حَتَّى نَعَشْتَنِي وَأَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُكَ تَلْعَبُ
فَأَنْتَ النَّدَى وَابْنُ النَّدَى وَأَبُو النَّدَى حَلِيفُ النَّدَى مَا لِلْنَدَى عَنْكَ مَذْهَبُ

فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقَالَ : عَلِيٌّ دِينَ ، فَأَمَرَ بِقَضَائِهِ وَأَعْطَاهُ مِثْلَهُ .
[وَحَكَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُرَيْبٍ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : دَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ
فَقَالَ : قَدْ امْتَدَحْتُكَ بَبَيْتَيْنِ وَلَسْتُ أَنُشِدُكُمَا إِلَّا بِمِثْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخَادِمٍ ،
قَالَ : قُلْ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

لَزِمْتَ « نَعَمْ » حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ سَمِعْتَ مِنَ الْأَشْيَاءِ شَيْئاً سِوَى نَعَمْ
وَأَنْكَرْتَ « لَا » حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ سَمِعْتَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ وَالْأَمَمِ
فَقَالَ : أَعْطِهِ يَا غَلَامُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخَادِماً ، فَتَسَلَّمَ بِهَا ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ

- ١ ذكره... قحطان : سقط من س م . والنسب وارد في الاغاني ؛ وسقط من الاغاني « أفصى »
وزيد « لحيان » بعد عمرو ؛ وزيد « القرز » أو « الفرز » بعد الغوث .
٢ جملة : ثبتت في المسودة ونسخة ص .
٣ هكذا يقول المؤلف ، وصاحب الاغاني يزعم أن خالداً كان لحنة (ه : ٣١) .
م : فقال له وقد تقروض المجلس : من أنت ؟ قال شاعر مدحتك بيتين استقلتهما في جنب ما
قيل فيك ، فاستنشه فأنشده ؛ وفي أ ج : استصغرت بيتي .

أعرابي فقال : قد قلت شعراً ، وأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرِكَ حاجة سوى أنني عافٍ وأنت جوادُ
أخالد إن الأجر والحمد حاجتي فأيهما تأتي وأنت عمادُ

فقال له خالد : سل يا أعرابي ؛ قال ، وجعلتَ المسألة إليّ أصلح الله الأمير ؟ قال : نعم ، قال : مائة ألف درهم ، قال : أكثرت يا أعرابي ، قال : فأحطتُك ؟ قال : نعم ، قال : قد حططتُك تسعين ألفاً ، قال له خالد : يا أعرابي لا أدري من أيّ أمريك أعجب ، فقال : أصلح الله الأمير ، أنت جعلتَ المسألة إليّ فسألتُك على قدرِك وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحطّ حططت على قدري وما استأمله في نفسي ، فقال له خالد : والله يا أعرابي لا تغلبي ؛ يا غلام أعطه مائة ألف درهم ، فدفعها إليه ^١ .

وكتب إليه هشام بن عبد الملك : « بلغني أن رجلاً قام إليك فقال : إن الله جواد وأنت جواد ، وإن الله كريم وأنت كريم ، حتى عدّ عشر خصال ، والله لئن لم تخرج من هذا لأستحلّن دمك » ؛ فكتب إليه خالد : « نعم يا أمير المؤمنين قام إليّ فلان فقال : الله كريم يحب الكريم ، فأنا أحبك لحب الله إياك ، ولكن أشد من هذا مقام ابن شقي البجلي إلى أمير المؤمنين فقال : خليفتك أحب إليك أم رسولك ؟ فقلت : بل خليفتي ، فقال : أنت خليفة الله ومحمد رسول الله » والله لقتلُ رجل من بحيلة أهون على الخاصة والعامة من كفر أمير المؤمنين ، هكذا ذكره الطبري في تاريخه .

وكان خالد يُتهم في دينه ^٢ ، وبنى لأمه كنيسة تتعبد فيها ، وفي ذلك يقول الفرزدق يهجوّه :

ألا قبحَ الرحمنُ ظهرَ مطيِّبٍ أتتنا تهادى من دمشق بخالدٍ

١ زيادة من رد ، ووردت في ص متأخرة عن هذا الموضع ، ولم ترد في المسودة .

٢ أن من يقرأ كتاب الاغاني ويحد اتهام خالد بالزندقة وانصباب اللعن عليه واتهامه بالتخذث يستطيع أن يدرك أسباب ذلك ، ويقف وقفة المتأمل طويلاً طويلاً !

وكيف يؤم الناس من كانت أمه^١ تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب^٢ لأمه ويهدم من بغض منار المساجد

ثم إن هشاماً عزل خالداً عن العراقيين في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة ،
وذكر الطبري في تاريخه أن هشام بن عبد الملك عزل عمر بن هبيرة عن العراق وولاه
خالداً في شوال سنة خمس ومائة ، ثم عزله وولى يوسف بن عمر الثقفي - وهو ابن
عم الحجاج - وكان سبب عزل خالد^٣ أن امرأة أخته فقالت : أصلى الله الأمير !
إني امرأة مسلمة ، وإن عاملك فلاناً المجوسي وثب علي فأكرهني على الفجور
وغصبني نفسي ، فقال لها : كيف وجدت قلفته ؟ فكتب بذلك حسان النبطي
إلى هشام ، وعند هشام يومئذ رسول يوسف بن عمر ، وقد كان يوسف وجهه
إليه من اليمن في بعض حاجته فاحتبسه^٣ هشام عنده يوماً ، حتى إذا جئته
الليل دعا به فكتب معه إلى يوسف بولاية العراق ومحاسبة خالد وعماله ، وأمره
أن يستخلف ابنه الصلت على اليمن ، فخرج يوسف في نفر يسير ، فسار من
صنعاء إلى الكوفة على الرحال في سبع عشرة مرحلة حتى قدم الكوفة سحراً ،
ثم أخذ خالداً وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ،
قيل : إنه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصا ، ثم رفع الخشبتيين
إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه ، فلما انقص
صلبه مات وهو في ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق ، وكان ذلك في الحرم سنة
ست وعشرين ، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة بالحيرة ، ودفن
في ناحية منها ليلاً ، رحمه الله تعالى .

والحيرة بينها وبين الكوفة فرسخ ، كانت منزل آل النعمان بن المنذر
ملوك العرب .

١ الاغاني : وكيف يؤم المسلمين وأمه .

٢ ذكر الطبري (في حوادث سنة ١٢٠) أسباباً متعددة لعزل خالد ليس فيها هذا السبب ،
وكذلك لم يرد هذا النص في المسودة حتى قوله : سحراً .

٣ أ ج د : فعقبه .

ولما كان خالد في سجن يوسف مدحه أبو الشغب العبسي بهذه الأبيات ،
وهي في « كتاب الحماسة »^١ :

ألا إنَّ خيرَ الناسِ حيًّا وميتًا - أسيرُ ثقيفٍ عندهم في السلاسلِ
لعمري لئن عَمَّرْتُمُ السجنَ خالدًا وأوطأتموه وَطْأَةً المتثاقِلِ
لقد كان نَهَاضًا بكلِّ مُلِمَّةٍ ومُعْطِي اللِّثا غَمْرًا كثيرِ النوافلِ
وقد كان يبني المكرمات لقومه ويعطي اللِّثا في كلِّ حقٍّ وباطلِ
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا مَعْرُوفَهُ في القبائلِ

وكان يوسف جعلَ على خالد في كل يوم حمل مال معلوم ، إن لم يقم به في
يومه عَذَّبَهُ ، فلما مدحه أبو الشغب بهذه الأبيات وأوصلها إليه كان قد حصل
في قسط يومه سبعين ألف درهم ، فأنفذها له ، وقال : اعذرني فقد ترى ما أنا
فيه ، فردّها أبو الشغب وقال : لم أمدحك لمالٍ وأنت على هذه الحال ، ولكن
لمعروفك وإفضالك ، فأنفذها إليه ثانياً وأقسم عليه ليأخذنها فأخذها ، وبلغ
ذلك يوسف فدعاه وقال : ما حملك على فعلك ، ألم تحش العذاب ؟ فقال : لأن
أموت عذاباً أسهل عليّ من كفي بذلي ، لا سيما على من مدحني^٢ .

وذكر أبو الفرج الاصبهاني^٣ أن خالداً كان من ولد شِقِّ الكاهن ، وهو
خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز ، وذكر أن كرزاً كان دعيّاً ، وأنه
كان من اليهود ، فجنى جناية فهرب إلى بحيلة فانتسب فيهم ، ويقال : كان
عبدًا لعبد القيس ، وهو ابن عامر ذي الرُّقعة ، وسمي بذِي الرُّقعة لأنه كان
أعور يغطي عينه برُّقعة ، وذو الرُّقعة هو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقِّ
الكاهن بن صعب ؛ انتهى كلام أبي الفرج .

قلت أنا : كان شق المذكور ابنَ خالة سطيح الكاهن الذي بشر بالنبي صلى
الله عليه وسلم ، وقصته في تأويل الرؤيا في ذلك مشهورة ، وهي مستوفاة في

١ شرح المرزوقي: ٩٢٧، واسم أبي الشغب العبسي عكرشة (وفي المسودة: أبو الشغب بالعين المهملة).

٢ وكان يوسف ... مدحني : سقط من م س والمسودة .

٣ الاغانى ٥ : ١٧ .

السيرة ، وكان شق وسطيح من أعاجيب الدنيا ، أما سطيح فكان جَسَداً مُلقى لا جوارح له ، وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان لا يقدر على الجلوس ، إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس ، وكان شق نصفَ إنسان ، ولذلك قيل له شق ، أي شق إنسان ، فكانت له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وفتح عليها في الكهانة ما هو مشهور عنها ، وكانت ولادتها في يوم واحد ، وفي ذلك اليوم توفيت طريفة ابنة الخير الحميرية الكاهنة زوجة عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، ولما ولدا دعت بكل واحد منها وتَقَلَّتْ في فيه ، وزعمت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها ، ثم ماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة ، وعاش كل واحد من شق وسطيح ستائة سنة .

وكرر : بضم الكاف وسكون الراء وبعدها زاي .

والقَسْري - بفتح القاف وسكون السين المهملة وبعدها راء - هذه النسبة إلى قَسْر بن عَبْر ، وهي بطن من بحيلة .

٢١٤

خالد المهلي

أبو الهيثم خالد بن خدّاش بن عجلان المهلي مولى آل المهلب بن أبي صفرة ؛ من أهل البصرة ، سكن بغداد وحدث بها عن مالك بن أنس والمغيرة بن عبد الرحمن ومهدي بن ميمون وحامد بن زيد وغيرهم [وروى عنه أحمد بن حنبل

١ علق بعض الموقفين على هذا الموضع في هامش النسخة د بقوله : « ومن جملة عجائب شق أن يكون له ولد وهو كما ذكر » قلت : حين تتحول الاسطورة إلى تاريخ يعيش شق أيضاً ستائة سنة ولا يحّد من يعجب من ذلك .

٢١٤ - ترجمته في ميزان الاعتدال ١ : ٦٢٩ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٠٤ وتهذيب التهذيب ٣ : ٨٥ ؛ وقد قال فيه أبو حاتم : صدوق ؛ وقد انفردت ص ر بهذه الترجمة ، ولم ترد في مسودة المؤلف وسائر النسخ .

وأحمد بن إبراهيم الدورقي وحاتم بن الليث الجوهري وغيرهم^١ . قال محمد بن المثنى : انصرفت مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلى ، فلقي خالد بن خدّاش المحدث ، فسلم عليه فقصر بشر في السلام ، فقال خالد : بيني وبينك مودة أكثر من ستين سنة فما تغيرت عليك فما هذا التغير ؟ قال بشر : ما هاهنا تغيير ولا تقصير ولكن هذا يوم تستحب فيه الهدايا وما عندي من عرض الدنيا شيء أهدي لك وقد روي في الحديث أن المسلمين إذا التقيا كان أكثرهما ثواباً أبشّها بصاحبه فتركك لتكون أفضل ثواباً مني ؛ مات خالد بن خدّاش في سنة ثلاث وعشرين ومائتين في جمادى الآخرة ، رحمه الله تعالى .

٢١٥

خالد التميمي

أبو الهيثم خالد بن يزيد [بن الهيثم] التميمي الخراساني ؛ كان أحد كتّاب الجيش ببغداد وله شعر مدوّن وشعره كله في الغزل ؛ حكى أبو الحسن البرمكي قال : كنا جلوساً على باب عبد الصمد بن المعذل بن علي ومعنا رجل ينشدنا أشعار عبد الصمد ، إذ أقبل خالد بن يزيد الكاتب فجلس إلينا فقال : فيم كنتم ؟ فقلنا بجهلنا : هذا ينشدنا شيئاً من أشعار عبد الصمد ، فالتفت إليه خالد فقال : يا فتى من ذا الذي يقول :

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي كأنك بعد الضرّ خالٍ من النفعِ

١ زيادة من ص .

٢١٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ٨ : ٣٠٨ والاغاني ٢٠ : ٢٣٤ والمنتظم ٥ : ٣٥ وطبقات ابن المعتز : ٤٠٥ ومعجم الأدباء ١١ : ٤٧ والفوات ١ : ٢٩٦ ، وتوفي خالد الكاتب سنة ٢٦٩ ببغداد ، وقال ابن شاکر : توفي في حدود السبعين ومائتين ؛ وله اشعار في الديارات : ١٠ - ١٣ ، وهذه الترجمة من ر ص ولم نرد في مسودة المؤلف وسائر النسخ .

ثم قال : يا فتى هل أحسن عبد الصمد أن يجعل للسمع سمعاً ؟ فقال : لا .
ثم أنشد :

لئن كان أضحى فوق خديه روضة فإن على خدي غديراً من الدمع

ثم نهض ، فقال لنا المنشد : من هذا ؟ فقلنا : خالد الكاتب ، فعدا خلفه
وانقطعت نعله وانقلبت محبرته حتى كتب البيتين ؛ ومن شعر خالد المذكور :

هبك الخليفة حين ير كـب في مواكبه وجنده
أو هبك كنت وزيره أو هبك كنت وليّ عهده
هل كنت تقدر أن تزيد المبتلى بك فوق جهده

وقال ثعلب : ما أحد من الشعراء تكلم في الليل إلا قارب إلا خالد الكاتب
فإنه أبدع في قوله :

رقدت فلم ترثٍ للساھرٍ وليلُ الحبّ بلا آخر
ولم تدْرِ بعد ذهاب الرقادِ ما صنع الدمعُ بالناظرِ

فإنه لم يجعل ليل آخرأ ، وقيل لخالد : من أين قلت في قصيدتك « وليل
الحب بلا آخر » ؟ فقال : وقفت على باب وعليه سائل مكفوف وهو يقول :
الليل والنهار عليّ سواء ، فأخذت هذا منه .

وذكر ميمون بن حماد قال : دخلت يوماً على أبي عبد الله ابن الأعرابي
فقلت له : أسمعت من شعر هذا العليم شيئاً ؟ قال : من هو ؟ قلت : خالد بن
يزيد ، فقال : لا وإني لأحبّ ذلك ، فصاح به فجاء حتى وقف عليه ، فقلت :
أنشد أبا عبد الله من شعرك ، فقال : إنما أقول في شجون نفسي ولا أمدح ولا
أهجو ، فقلت : أنشده ، فأنشده :

أقول للسقيم عُدْ إلى بسدي شوقاً لشيء يكون من سببك

فقال ابن الأعرابي : حسبك يا غلام فقد خيل لي ان الرقة قد جمعت لك في هذا البيت .

قال جحظة^١ : حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال : لم أشعر إلا ورسول إبراهيم ابن المهدي قد وافاني ، فدخلت إليه فقال : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأت من البدر والشمس المضيئة بالأرض
عشية حيّاني بوردٍ كأنه خدودٌ أضيفت بعضهم إلى بعض
وناولني كأساً كأنّ حباها دموعي لما صدّ عن مقلتي غضي
وراح وفعل الراح في حركاته كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

فزحف حتى صار في ثلثي المصلّى ثم قال : يا بني شبّه الناس الحدود بالورد وشبّهت أنت الورد بالحدود ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عائبت نفسي في هواك فلم أجدها تقبل
وأجبت داعيها إليك ولم أطمع من يعذل
لا والذي جعل الوجوه لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبر عنك من التصابي أجل

فزحف - حتى صار خارج المصلّى ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

ظفر الحبّ بقلبٍ دنف بك والسقم يحسم ناحل
وبكى العاذل من رحمة فبكائي لبكاء العاذل

فصح وقال : يا بليق^٢ كم معك من العين ؟ قال : ستائة وخمسون ديناراً ، فقال : اقسّمها بيني وبينه واجعل الكسر للغلام كاملاً .
وذكر أحمد بن صدقة المغني^٣ قال : اجتزت بخالد الكاتب يوماً فقلت له :

١ انظر هذه القصة في الاغانى ٢٠ : ٢٣٨ والديارات : ١١ .

٢ في الاغانى : يا رشيق .

٣ الديارات : ١٢ .

اعمل لي أبياتاً أغني بها أمير المؤمنين - يعني المأمون - فقال : وأيَّ حظٍّ لي في ذلك ؟ تأخذ الجائزة وأحصل أنا على الإثم ، فحلف له أنه إن وصله بشيء قاسمه إياه فقال لي : أنت أنذل من ذلك ولكن ذكرته بي فلعله أن يصلني بشيء ، قلت : أفعل ، فأنشدني :

تقول سلا فمن المدنفُ ومن عينه أبداً تذرفُ
ومن قلبه قَلِقٌ خائفٌ عليك وأحشاؤه ترجفُ

فحفظت الشعر وعملت فيه لحناً وحضرنا عند أمير المؤمنين من الغد وكان بينه وبين بعض حظاياه هجرة فوجهت إليه بتفاحة عليها مكتوب بالغالية : يا سيدي سلوت ، وابتدأت أغني بشعر خالد ، فلما غنيته إياه انقلبت عيناه ودارتا في رأسه وظهر الغضب في وجهه وقال : لكم على حُرَمي أصحابُ أخبار !! فقمتم إعظاماً لما شهدت منه وقلت : أعيد أمير المؤمنين بالله أن يظن بعبد من عبيده هذا الظن وأنزه داره أن يكون لأحد عليها صاحبُ خبر ، قال : فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غنيت في معنى ما بيننا ؟ فحدثته حديثي مع خالد ، فلما انتهيت إلى قوله : أنت أنذل من ذلك فقال : أشهد أنك كذلك ، وأسفر وجهه وقال : ما أعجب هذا الاتفاق ! وأمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها .

وقال بعض من كان يحضر مجلس أبي العباس المبرد : كنا نختلف إليه فإذا كان في آخر المجلس أملى علينا من طرف الأخبار وملح الأشعار ما نرتاح إلى حفظه ، فأنشدنا يوماً مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب وهي :

إن الساحة والمروة والندى قبرٌ بمرَّ على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقرُ به كومَ الهجان وكلَّ طيرفٍ سابح
وانضح جوانبَ قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذباح
مات المغيرة بعد طول تعرُّضٍ للموت بين أسنةٍ وصفائح

قال : فخرجت من عنده وأنا أدير بها لساني لأحفظها ، فإذا بشيخ قد خرج

من خربةٍ وفي يده حجرٌ ، فهمٌ أن يرميني به ، فتترستُ منه بالحبرة والدفتري ، فقال : ماذا تقول ؟ أتشتني ؟ قلت : اللهم لا ، ولكني كنت عند أستاذنا أبي العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب ، فقال : إيه إيه أنشدني ما أنشدكم باردكم لا مبردكم ، فأنشدته الأبيات فقال : والله ما جوّد الراثي ولا أنصف المرثي ولا أحسن الراوي ، قلت : فما عساه أن يقول ؟ قال : كان يقول :

احملاني إن لم يكن لكما عة ر إلى جنب قبره فاعقراني
وانضعا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

قال : فقلت : هل رأيت أحداً واسى أحداً بنفسه ؟ قال : نعم ، هذا الفتح ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ، ثم تركني وولى ؛ قال : فلما عُدت إلى المبرد قصصت عليه القصة فقال : أتعرفه ؟ قلت : لا ، قال : ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء في أيام الباذنجان .
وقيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده فوسوس ؛ قال بعضهم : فرأيت به بغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به : يا بارد يا بارد ، فأسند ظهره إلى قصر المعتمم وقال لهم : كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول :

بكي عاذلي من رحمتي فرحمته وكم مثله من مسعد ومعين
ورقّت دموع العين حتى كأنها دموع دموعي لا دموع جفوني

وحكى أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة قال : حدثني أبي عن عمه قال : اجتاز بي خالد الكاتب وأنا على باب داري بسرّ من رأى والصبيان حوله يولعون به ، فجاء إلي وسألني صرفهم عنه ففعلت وأدخلته داري فقلت له : ما تشتهي تأكل ؟ قال : هريسة ، فتقدمت بإصلاحها له ، فلما أكل قلت له : أي شيء تحب بعد هذا ؟ قال : رطب ، فأمرت بإحضاره فأكل ، فلما فرغ من أكله قلت : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدني قوله :

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي كأنك بعد الضرّ خالٍ من النفع

أما عند عينيك اللتين هما لمكتبٍ يرجوك شيئاً سوى المنع
فإن كنت مطبوعاً على الصدِّ والجفا فمن أين لي صبر فأجعله طبعي
فإن يك أضحى فوق خديك روضةً فإن على خدي غديراً من الدمع
سل المطر العام الذي عمَّ أرضكم أجاء بمقدار الذي فاض من دمعي
فقلت : زدني ، فقال : لا يصيبك بهريسة ورطب غير هذا ، والله أعلم .

٢١٦

الشيخ الخضر بن عقيل الإربلي

أبو العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإربليُّ الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب والفرائض والخلاف ، اشتغل ببغداد على الكيا الهراسي وابن الشاشي ولقي عدة من مشايخها ، ثم رجع إلى إربل ، وبنى له بها الأمير أبو منصور سَرَفَتَكِينُ بن عبد الله الزيني ، نائبُ صاحب إربل ، مدرسة القلعة ، وتاريخها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ودرّس فيها زماناً ، وهو أول من درّس بإربل ، وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك ، وله كتاب ذكر فيه ستاً وعشرين خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلها مسندة ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً متقللاً ونَفَسُهُ مباركاً .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق »^١ وأثنى عليه ، وكان قد قدم دمشق فأقام بها مدة ثم رجع إلى إربل .
ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى

٢١٦ - ترجمة الخضر بن نصر الإربلي في طبقات السبكي ٥ : ٢١٨ (بإيجاز) .

١ انظر تهذيب ابن عساكر ٥ : ١٦٥ .

ابن درباس الهذلي ، الذي شرح « المذهب » - وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى - وتخرج عليه أيضاً ابن أخيه عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل ابن نصر وغيرهما .

وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة^١ وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة بإربل ودفن بها في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة ، وقبره يزار وزرته كثيراً ، رحمه الله تعالى .

(31) ولما توفي تولى موضعه ابن أخيه المذكور في المدرستين ، وكان فاضلاً ، ومولده بإربل سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وسخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل وأخرجه منها ، فانتقل إلى الموصل ، فكتب إليه أبو الدر الرومي - الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - من بغداد ، وكان صاحبه^٢ :

أيا ابنَ عَقِيلٍ لَا تَخَفْ سَطْوَةَ الْعَدَا وَإِنْ أَظْهَرْتَ مَا أَضْمَرْتَ مِنْ عِنَادِهَا
وَأَقْصَرْتَ يَوْمًا عَنْ بِلَادِكَ فِتْيَةً رَأَتْ فِيكَ فَضْلًا لَمْ يَكُنْ فِي بِلَادِهَا
كَذَا عَادَةُ الْغُرَبَانِ تَكْرَهُ أَنْ تَرَى بَيَاضَ الْبُرْزَةِ الشُّهْبِ بَيْنَ سَوَادِهَا

أشار بذلك إلى الجماعة الذين سَعَوْا به حتى غيروا خاطر الملك عليه ، وكان ذلك في سنة اثنتين أو ثلاث وستائة ، كذا أعرفه ، وقال ابن باطيش : في سنة ست وستائة ، والله أعلم .

(32) وفي تلك السنة خرجت الكرج على مدينة مرند ، من أعمال أذربيجان ، وهي قريبة من إربل ، فقتلوا وسَبَّوْا وأسروا ، فعمل شرف الدين محمد ولد عز الدين أبي القاسم المذكور في إخراجهم من إربل :

إِنْ يَكُنْ أَخْرَجُوا النِّسَاءَ مِنَ الْأَو طَانِ ظُلُمًا وَأَسْرَفُوا فِي التَّعَدِّي

١ قال ابن عساكر : سئل عن مولده فقال : لا أتحققه لكني سمعت والدتي تقول : كنت في قبل شرف الدولة ففساء بك ؛ قال : وأظنه سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

٢ ج : صديقه .

فلنأسو بمن جارت الكر ج عليهم وأخرجوا من مرند

وهذا الشرف له في عمل الدوبيت اليد الطولى ، ولولا خوف التطويل لذكرت شيئاً منها .

وسكن عز الدين ظاهر الموصل في رباط ابن الشهرزوري ، وقرّر له صاحب الموصل راتباً ، ولم يزل هناك حتى توفي يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وستائة ، رحمه الله تعالى ، ودفن بمقبرة تل توبه ، وهو ابن خالة الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس ، وتوفي ولده الشرف المذكور ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وستائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية ، رحمه الله تعالى ، ومولده في رجب سنة اثنتين وسبعين وخمسة بابل ، وقرأ الفقه على أبيه وعلى عماد الدين بن يونس ، والأدب على أبي الحرم مكي .

(33) وسرَفَتِكَيْنُ — بفتح السين المهملة والراء وسكون الفاء وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون — كان مملوك زين الدين علي صاحب إربل ، والد مظفر الدين ، وكان أرمينياً صالحاً فأعتقه وتقدم عنده واعتمد عليه واستنابه في المملكة ، وبنى مساجد كثيرة بابل وقراها وبنى المدرسة المذكورة ، وبنى سور مدينة فيند التي في طريق مكة من جهة بغداد ، وأثر آثاراً صالحة ، كل ذلك من ماله ، وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

ابن بشكوال

أبو القاسم خَلَفُ بن عبد الملك بن مسعود بن بَشَكُوال بن يوسف بن داحَة ابن داحَة بن نصر بن عبد الكريم بن واقد^١ الخزرجي الأنصاري القرطبي ؛ كان من علماء الأندلس وله التصانيف المفيدة ، منها « كتاب الصلة » الذي جعله ذيلًا على « تاريخ علماء الأندلس » تصنيف القاضي أبي الوليد عبد الله المعروف بابن الفرَضي ، وقد جمع فيه خلقًا كثيرًا ، وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس وما أقصر فيه ، وكتاب « القوامض والمبهات » ذكر فيه من جاء ذكره في الحديث مبهمًا فيمنه ، ونسج فيه على منوال الخطيب البغدادي في كتابه الذي وضعه على هذا الأسلوب ، وجزء لطيف ذكر فيه من روى « الموطأ » عن مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، ورتب أسماءهم على حروف المعجم ، فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلًا ، ومجلد لطيف سماه « كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرَّغبات والدعوات وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات » وله غير ذلك أيضًا من المصنفات .

قال أبو الخطاب ابن دحية^٢ : نقلت من خط شيخنا - يعني ابن بَشَكُوال - أنه فرغ من تأليف « الصلة » في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسة .

وكان مولده يوم الاثنين ثالث - وقيل ثامن - ذي الحجة ، سنة أربع وتسعين وأربعمائة . وتوفي ليلة الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بقُرطُبَة ، ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر بمقبرة ابن

٢١٧ - ترجمة ابن بشكوال في معجم شيوخ الصديقي: ٨٢ والتكملة: ٣٠٤ والديباج المذهب: ١١٤ .

١ أ ج والتكملة : واقد .

٢ تتلمذ ابن دحية لابن بشكوال وقرأ عليه كتاب الصلة بقرطبة في العشر الآخر من صفر

سنة ٥٧٤ هـ (انظر المطرب : ٧) .

عباس ، بمقربة من قبر يحيى بن يحيى ، رحمها الله تعالى .
 وداحة : بفتح الدال المهملة وبعد الألف حاء مهملة أيضاً مفتوحة ثم هاء ساكنة .
 وداكة : مثلها إلا أن عوض الحاء كاف .
 وبَشْكُوال : بفتح الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وضم الكاف وبعد
 الواو ألف ولام .
 (34) وتوفي والده أبو مروان عبد الملك بن مسعود^١ صبيحة يوم الأحد ،
 ودفن عشيّ يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين
 وخمسة ، وعمره نحو ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

٢١٨

خلف بن هشام

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب ، ويقال : هشام بن طالب ، بن غراب
 البزار المقرئ ؛ سمع مالك بن أنس وحامد بن زيد وأبا عوانة وغيرهم ؛ روى
 عنه عباس الدوري ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم ؛ قال أبو العباس
 أحمد بن إبراهيم ورائق خلف : سمعت خلفاً يقول : قدمت الكوفة فصرت إلى
 سليم بن عيسى فقال : ما أقدمك ؟ قلت : أقرأ القرآن على أبي بكر ابن عياش
 بحرف عاصم ، فقال لي : ألا تريد ؟ قلت : بلى ، قال : فدعا ابنه وكتب معه
 رقعة إلى ابن عياش ، فاستأذن لي عليه سليم بن عيسى ، فدخل عليه فأعطاه

١ ترجمته في الصلة : ٣٤٨ ويقول فيه ابنه : « وكان حافظاً للفقہ علی مذهب مالک وأصحابه
 عارفاً بالشروط وعلها حسن المقد لها مقدماً في معرفتها وإتقانها ، وكان كثير التلاوة للقرآن
 العظيم ليلاً ونهاراً ويحتمه كل جمعة » .

٢١٨ - ترجمة خلف بن هشام في تاريخ بغداد ٨ : ٣٢٢ وغاية النهاية ١ : ٢٧٣ ، والترجمة موافقة
 لما في تاريخ بغداد ، وما هنا انفردت به النسختان : ص ر ولم يرد في المسودة ومائثر النسخ .

الرقعة ، وكان خلف سبع عشرة سنة ؛ قال : فلما قرأها قال : أدخل الرجل ، فدخلت فسلمت فصعد في النظر ، ثم قال لي : أنت خلف ؟ قلت : نعم ، قال لي : أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك ؟ فسكت ، فقال لي : اقعد هات أقرأ ، قلت : عليك ؟ قال : نعم ، قلت : لا إله إلا الله ، لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حملة القرآن ، وتركته وخرجت ، فوجه إلى سليم فسأله أن يرديني إليه فلم أرجع ؛ قال : فندمت واحتجيت ، فكتبت قراءة عاصم عن يحيى ابن آدم عن أبي بكر ابن عياش .

وقال خلف : أتيت سليم بن عيسى لأقرأ عليه ، وكان بين يديه قوم وأظنهم سبقوني ، فلما جلست قال : بلغني أنك تريد الترفع في القراءة فلست آخذ عليك شيئاً ، قال : فكنت أحضر المجلس أسمع ولا يأخذ علي شيئاً ، فبكرت يوماً في الغلس ، وخرج فقال : من هاهنا يتقدم ويقرأ ، فتقدمت واستفتحت بسورة يوسف وهي من أشد القرآن إعراباً ، فقال لي : من أنت فما سمعت أقرأ منك ؟ فقلت : خلف ، فقال لي : فملتها ما يحل لي أن أمنعك ، فكنت أقرأ عليه حتى بلغت يوماً حم المؤمن ، فلما بلغت إلى قوله تعالى : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ (غافر : ٧) بكى بكاءً شديداً ثم قال لي : يا خلف ألا ترى ما أعظم حق المؤمن تراه نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له .

وروى خلف بسنده إلى أبي هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل منها رحمة على عباده يقرأهم بها وخبأ تسعاً وتسعين عنده فإذا كان يوم القيامة جمع تلك الرحمة إلى التسع والتسعين وفضها على عباده ، فمن رحمة واحدة جعلني مسلماً وعلمي القرآن وعرفني نبيته صلى الله عليه وسلم وفعل بي وفعل بي وأنا أرجو من تسع وتسعين الجنة .

وذكر لأبي جعفر النخعي خلف بن هشام البزار فقال : كان من أصحاب السنة لولا بلية كانت فيه ، يشرب النبيذ ؛ قال عبد الكريم بن الحداد : وكان خلف يشرب من الشراب على التأويل ، فكان ابن أخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ (الأنفال : ٣٧) فقال : يا خال إذا ميز الله الخبيث من الطيب أين يكون الشراب ؟ قال :

فنكس رأسه طويلاً ثم قال : مع الخبيث ، قال : فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث ؟ قال : يا بني امض إلى المنزل فاصبب كل شيء فيه ، فتركه فأعقبه الله تعالى الصوم ، فصام الدهر إلى أن مات ، وقيل انه أعاد صلاة الأربعين سنة التي كان يتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين . وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ ورثاه بعض الشعراء بقوله :

مضى شيخنا البزار بالفضل يُذكرُ هجانَ إمام في القراءة مبصرُ
سقى الله قبراً حله من غمامة بوابل غيث صفوه يتفجر
وقد طلب الحساد في الناس كيده فما قدروا حتى عموا وتحيروا

٢١٩

خليفة بن خياط

أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني العُصفُري البصري المعروف بشباب صاحب « الطبقات » ؛ كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس غزير الفضل ، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان النَّسُوي^١ ، في آخرين ، وروى هو عن ابن عينة ويزيد بن زريع وأبي داود الطيالسي ودرست بن حمزة وتلك الطبقة .

٢١٩ - ترجمة خليفة بن خياط في تذكرة الحفاظ : ٤٣٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ١٦٠ ، وأنساب السمعاني واللباب « العصفري » وتاريخ البخاري ١/٢ : ١٧٥ ، والفهرست : ٢٣٢ ، والرسالة المستطرفة : ١٣٩ ، ومواطن من الاعلان بالتوبيخ للسخاوي . وقد طبع كتاباه في التاريخ والطبقات .

١ انظر اللباب في مادة « النسوي » .

توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين ، وقال الحافظ ابن عساكر في « معجم مشايخ الأئمة الستة » إنه توفي سنة أربعين ، وقيل : ست وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والعُصفري - بضم العين وسكون الصاد المهملتين وضم الفاء وبعدها راء - هذه النسبة إلى العُصفُر الذي تصبغ به الثياب حُمْراً .
وشَبَاب - بفتح الشين المثلثة والباء الموحدة وبعد الألف باء ثانية - وقد اختلفوا في تلقيبه بذلك لأي معنى هو .

(35) وتوفي جده أبو هبيرة خليفة بن خياط في رجب سنة ستين ومائة ، وكان أبو عمرو المذكور يقول : توفي جدي خليفة بن خياط وشعبة بن الحجاج في شهر واحد ، رحمهم الله أجمعين .

٣٣٠

الخليل بن أحمد

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال : الفرهودي الأزدي اليحمدي ؛ كان إماماً في علم النحو ، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بجزاً ، ثم زاد فيه الأخفش بجزاً آخر سماه الخَبَبَ . وقيل إن الخليل دعا بمكة أن يُرَزَقَ^١ علماً لم يسبقه أحد إليه ولا يؤخذ إلا عنه ، فرجع من حَجَّته ففتح عليه بعلم العروض ، وله معرفة بالإيقاع والنغم ، وتلك المعرفة أَعَدَّتْ له علم العروض ، فإنها متقاربان في المأخذ .

٣٣٠ - ترجمة الخليل بن أحمد في انباه الرواة ١ : ١٤٣ وفي الهامش ثبت بمصادر ترجمته والاختبار عنه .

١ د : أن يرزقه الله تعالى .

وقال حمزة بن الحسن الأصهباني^١ في حق الخليل بن أحمد في كتابه الذي سماه «التنبيه على حدوث التصحيف» : «وبعد ، فإذن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذَه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وإنما اخترعه من ممر^٢ له بالصفارين^٣ من وقع مطرقة على طست ليس فيها حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتها أو يفيدان غير جوهرها ، فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعتة ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ، ومن تأسيسه بناء كتاب «العين» الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ، ثم من إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام» انتهى كلامه .

وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً^٤ حليماً وقوراً ، ومن كلامه : لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يحالس غيره . وقال تلميذه النضر بن شميل : أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلكسين ، وأصحابه يكسبون^٥ بعلمه الأموال ، ولقد سمعته يوماً يقول : إني لأغلق عليّ بابي فما يجاوزه همي . وكان يقول : أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعين سنة ، وهي السن التي بعث الله تعالى فيها محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم يتغير وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة ، وهي السن التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصفي ما يكون ذهن الإنسان في وقت السَّحَر .

وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صُفْرَةَ الأزدي وكان والي فارس والأهواز ، فكتب إليه يستدعيه ، فكتب الخليل جوابه :

١ كل المنقول عن حمزة لم يرد في م ومسودة المؤلف ونسختي م ص ؛ انظر التنبيه : ١٢٤ .

٢ أ : من ممر له عن الصفائري .

٣ م ج : عالماً ؛ أ : عاملاً .

٤ د : يكتسبون .

أبلغ سليمان أُنْثِي عَنْهُ فِي سَعَةٍ ۖ وَفِي غِنًى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
شُحًّا بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هُزْلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالِ
الرِّزْقِ عَنْ قَدَرٍ لَا الضَّعْفُ يَنْقُصُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُحْتَالٌ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ نَعْرِفُهُ ۖ وَمِثْلُ ذَلِكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ
فَقَطَعَ عَنْهُ سُلَيْمَانُ الرَّاتِبَ فَقَالَ الْخَلِيلُ :

إِنَّ الَّذِي شَقَّ فَمِي ضَامِنٌ ۖ لِلرِّزْقِ حَتَّى يَتَوَفَّيَنِي
حَرَمْتَنِي خَيْرًا قَلِيلًا فَمَا زَادَكَ فِي مَالِكَ حَرَمَانِي

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه ، وأضعف
راتبه ، فقال الخليل :

وَزَلَّةٌ يَكْثُرُ الشَّيْطَانُ ۖ إِنَّ ذُكْرْتَ مِنْهَا التَّعَجُّبُ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ
لَا تَعْجَبَنَّ خَيْرَ زَلٍّ عَنْ يَدِهِ ۖ فَالْكُوكَبُ النُّحْسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أَحْيَانًا

واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة ، فلما قفرا
قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله ،
وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه .
وللخليل من التصانيف كتاب « العين » في اللغة وهو مشهور ، وكتاب
« العروض » وكتاب « الشواهد » وكتاب « النقطة والشكل » وكتاب « النغم »
وكتاب في العوامل ٣ .

وأكثر العلماء العارفين باللغة يقولون : إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى
الخليل بن أحمد ليس تصنيفه ، وإنما كان قد شرع فيه ورتب أوائله وسماه
بـ « العين » ، ثم مات فأكملاه تلامذته النضر بن شميل ومَن في طبقة وهم مؤرج

١ ر : دعة .

٢ د : ورقي على ؛ وانظر الأبيات في الأنباء وغيره من المصادر .

٣ لم يذكر في م ؛ وقال القفطي : كتاب في العوامل منحول عليه .

السدوسي ونصر بن علي الجَهْضَمي وغيرهم ، فها جاء الذي عملوه مناسباً لما وضعه الخليل في الأول ، فأخرجوا الذي وضعه الخليل منه ، وعملوا أيضاً الأول ، فلهذا وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل في مثله ، وقد صنف ابن دُرُسْتَوَيْه في ذلك كتاباً استوفى الكلام فيه ، وهو كتاب مفيد .

ويقال : إن الخليل كان له ولد متخلف ، فدخل على أبيه يوماً فوجده يُقَطِّع بيت شعر بأوزان العروض ، فخرج إلى الناس وقال : إن أبي قد جُنَّ ، فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه ، فقال مخاطباً له :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني أو كنتَ تعلم ما تقول عذلتُكَ
لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتني وعلمتُ أنكَ جاهل فعذرتُكَ
وقد روي عنه أنه أنشد ، ولم يذكر لنفسه أم لغيره :

يقولون لي دارُ الأُحبة قد دنتُ وأنتَ كئيبٌ إنَّ ذا لعجيبُ
فقلتُ : وما تُغني الديار وقربُها إذا لم يكن بينَ القلوبِ قريبُ

ويحكى عنه أنه قال : كان يتردد إلى شخص يتعلم العروض وهو بعيد النظم ، فأقام مدة ولم يعلق على خاطره شيء منه ، فقلت له يوماً : قطع هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

١ قال الازهري في مقدمة التهذيب (١ : ٢٨) عند ذكر الليث بن المظفر (او الليث بن نصر او ابن رافع) إنه نحل الخليل بن أحمد كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله ، وأثبت لنا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه أنه قال : كان الليث بن المظفر رجلاً صالحاً ، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين ، فأحب الليث أن ينفق الكتاب كله فسمى لسانه الخليل ، فإذا رأيت في الكتاب « سألت الخليل بن أحمد » او « أخبرني الخليل بن أحمد » فانه يعني الخليل نفسه ، وإذا قال « قال الخليل » فإنما يعني لسان نفسه (وانظر بقية الصفحة ٢٩ ففيها تحقيقات هامة عن هذا الكتاب) .

٢ م : أمراً .

فَشَرَعَ مَعِيَ فِي تَقْطِيعِهِ عَلَى قَدَرِ مَعْرِفَتِهِ ، ثُمَّ نَهَضَ وَلَمْ يَعِدْ يَحْيَى إِلَى ، فَعَجِبَتْ مِنْ فِطْنَتِهِ لَمَّا قَصَدَتْهُ فِي الْبَيْتِ مَعَ بُعْدِ فَهْمِهِ .

وَأَخْبَارُ الْخَلِيلِ كَثِيرَةٌ ، وَسِيَبِيَّةٌ عَنْهُ أَخَذَ عِلْمُ الْأَدَبِ - وَسِيَأَتِي ذَكَرَهُ فِي حَرْفِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - . وَيُقَالُ : إِنْ أَبَاهُ أَحْمَدُ أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ بِأَحْمَدَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَذَا ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِ « الْمُقْتَبَسِ »^١ نَقْلًا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ . وَكَانَتْ وَلادَتُهُ فِي سَنَةِ مِائَةِ لِلْهِجْرَةِ . وَتُوفِيَ سَنَةَ سَبْعِينَ ، وَقِيلَ خَمْسَ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً ، وَقِيلَ عَاشَ أَرْبَعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَالَ ابْنُ قَانَعٍ فِي تَارِيخِهِ الْمُرْتَبَّ عَلَى السَّنِينَ : إِنَّهُ تُوفِيَ سَنَةَ سِتِينَ وَمِائَةً . وَقَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَاهُ « شَذُورُ الْعُقُودِ » : إِنَّهُ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ، وَهَذَا غُلَطٌ قَطْعًا ، لَكِنْ نَقَلَهُ الْوَاقِدِيُّ ، وَمَاتَ بِالْبَصْرَةِ - أَعْنِي الْخَلِيلَ - وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ قَالَ : أَرِيدُ أَنْ أَقْرَّبَ نَوْعًا^٢ مِنَ الْحِسَابِ تَمُضِي بِهِ الْجَارِيَةِ إِلَى الْبَيْتِ فَلَا يُمْكِنُ ظَلْمُهَا ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَهُوَ يُعْمَلُ فِكْرُهُ فِي ذَلِكَ ، فَصَدَمَتْهُ سَارِيَةٌ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا بِفِكْرِهِ ، فَانْقَلَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَكَانَتْ سَبَبَ مَوْتِهِ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ يُقَطِّعُ بِحَرًّا مِنَ الْعُرُوضِ .

وَالْفَرَاهِيدِي - بَفَتْحِ الْفَاءِ وَالرَّاءِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ هَاءٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ يَاءٌ سَاكِنَةٌ مَثْنَاءٌ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا دَالٌ مَهْمَلَةٌ - هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى فَرَاهِيدٍ ، وَهِيَ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ ، وَالْفَرُّهُودِيُّ وَاحِدُهَا ، وَالْفَرُّهُودُ : وَلَدُ الْأَسَدِ بِلَفْظَةِ أَزْدَ شَنْوَةٌ ، وَقِيلَ : إِنْ الْفَرَاهِيدِ صَغَارُ الْغَنَمِ .

وَالْيَحْمَدِيُّ - بَفَتْحِ الْيَاءِ الْمَثْنَاءِ مِنْ تَحْتِهَا وَسُكُونِ الْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْمِيمِ وَبَعْدَهَا دَالٌ مَهْمَلَةٌ - نِسْبَةٌ إِلَى يَحْمَدَ ، وَهُوَ أَيْضًا : بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ ، خَرَجَ مِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَيَحْكِي أَنَّ الْخَلِيلَ كَانَ يَنْشُدُ كَثِيرًا هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ لِلْأَخْطَلِ^٣ :

وَإِذَا افْتَقَرْتُ إِلَى الذِّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

١ انظر نور القميس : ٥٦ .

٢ د : اعمل ؛ م : اعمل شيئًا .

٣ ديوانه : ١٥٨ .

خمارويه بن طولون

أبو الجيش خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون - وقد تقدم ذكر أبيه وجده في حرف الهمزة - ولما توفي أبوه اجتمع الجند على توليته مكانه فولي وهو ابن عشرين سنة ، وكانت ولايته في أيام المعتمد على الله ، وفي سنة ست وسبعين ومائتين تحرك الافشين : محمد بن أبي الساج ديوداذ بن دوست^١ من أرمينية والجال في جيش عظيم ، وقصد مصر ، فلقبه خمارويه في بعض أعمال دمشق ، وانهزم الافشين ، واستأمن أكثر عسكره ، وسار خمارويه حتى بلغ الفرات ودخل أصحابه الرقة ، ثم عاد وقد ملك من الفرات إلى بلاد النوبة .

ولما مات المعتمد وتولى المعتضد الخلافة ، بادر إليه خمارويه بالهدايا والتسحف ، فأقره المعتضد على عمله ، وسأل خمارويه أن يزوج ابنته قَطَرَ الندى - واسمها أسماء - للمكتفي بالله بن المعتضد بالله ، وكان يوم ذاك وليّ العهد ، فقال المعتضد بالله : بل أتزوجها أنا ، فتزوجها في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، ودخل بها في آخر هذه السنة ، وقيل في سنة اثنتين وثمانين ، والله أعلم . وكان صداقها ألف ألف درهم ، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل . حكى أن المعتضد خلا بها يوماً للأنس في مجلس أفرد لها ما حضره سواها ، فأخذت منه الكأس ، فقدم على فخذها ، فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة وخرجت وجلست في ساحة القصر ، فاستيقظ فلم يجدها ، فاستشاط غضباً ونادى بها ، فأجابته عن قرب ، فقال : أَلَمْ أَخْلِكْ إِكْرَاماً لَكَ ؟ أَلَمْ أَدْفَعْ إِلَيْكَ مَهْجِي دُونَ سَائِرِ

٢٢١ - ترجمة خمارويه في الكتب التاريخية كان الاثير وخطط المقرئزي وابن خلدون وابن اياس والنجوم الزاهرة ، وانظر الولاة والقضاة : ٢٣٣ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ١٧٦ والمغرب (قسم مصر) ١ : ١٣٤ .

١ م : دست وفي بعض النسخ الاخرى : يوسف ، وأثبتنا ما في المسودة .

حضاياي ؟ فتضعين رأسي على وسادة وتذهبين ؟ ! فقدت : يا أمير المؤمنين .
ما جهلت قدر ما أنعمت به عليّ ، ولكن فيما أدبني به أبي أن قال : لا تنامي
مع الجلوس ، ولا تجلسي مع النيام .

ويقال : إن المعتضد أراد بنكاحها افتقار الطولونية ، وكذا كان ، فإن
أباها جهازها يجهاز لم يعمل مثله ، حتى قيل : كان لها ألف هاون ذهباً . وشرط
عليه المعتضد أن يحمل كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وأرزاق أجنادها
مائتي ألف دينار ، فأقام على ذلك إلى أن قتله غلمان بهدمشق على فراشه ليلة
الأحد ثلاث بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وعمره اثنتان
وثلاثون سنة ، وقتل قتلته أجمعون ، وحمل تابوته إلى مصر ، ودفن عند أبيه
بسفح المقطم ، رحمها الله تعالى .

وكان خمارويه من أحسن الناس خطاً ، وكان وزيره أبا بكر محمد بن علي بن
أحمد المعروف بالماذرائي — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى^٢ . —

(36) ولما حُملت قطر الندى ابنة خمارويه إلى المعتضد ، خرجت معها
عمتها العباسية بنت أحمد بن طولون مشيعة لها إلى آخر عمارة الديار المصرية^٣ من
جهة الشام ، ونزلت هناك وضربت فساطيطها ، وبنت هناك قرية فسميت
بسمها ، وقيل لها العباسية ، وهي عامرة إلى الآن ، وبها جامع حسن وسوق
قائم ؛ ذكر ذلك جماعة من أهل العلم .

وماتت قطر الندى لتسع خلون من رجب سنة سبع وثمانين ومائتين .
ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد .

(37) وتوفي الافشين محمد بن أبي الساج في شهر ربيع الأول سنة ثمان
وثمانين ومائتين ، ببرذعة ، وهي كرسي أعمال أذربيجان ، وقيل إنها من أران .

(38) وتوفي أبوه أبو الساج — وهو الذي تنسب إليه الأجناد السجية

١ وكانت موصوفة ... النيام : سقطت من م س ص ومسودة المؤلف .

٢ كذا وعد بإيراد ترجمته في المسودة أيضاً ، ويبدو أنه لم يفعل ؛ وترجمة الماذرائي في المغرب
(قسم مصر) : ٣٥٠ والخطوط ٢ : ١٥٥ (ط. بولاق) .

٣ هذه رواية ص والمسودة ؛ وفي نسخ أخرى : إلى آخر أعمال مصر .

بغداد - في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين يجند يسابور، من أعمال خوزستان .

وخمارويه : بضم الخاء الموحدة وفتح الميم وبعدها ألف ثم راء مفتوحة وواو ، ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها ، وبعدها هاء ساكنة .

٢٢٢

خير النساج

أبو الحسن خير بن عبد الله النساج الصوفي ؛ من أهل سر من رأى ، نزل بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها ؛ وكان قد صحب أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي وغيره ، وصحب الجنيد بن محمد وأبا العباس ابن عطاء وأبا محمد الحريري وأبا بكر الشبلي ، وعمر عمراً طويلاً ، وللصوفية عنه حكايات غريبة ، وإنما سمي النساج لخبر ؛ قال جعفر الخلدي : سألت خيراً النساج^١ : أكان النسج حرقك ؟ قال : لا ، قلت : فمن أين سميت به ؟ قال : كنت عاهدت الله أن لا أكل الرطّيبَ أبداً ، فغلبتني نفسي ، فأخذت نصف رطل ، فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إليّ وقال : يا خير ، يا آبق هرّبتَ مني ، وكان له غلام [هرب منه] اسمه خير ، فوقع عليّ شبهه وصورته ، فاجتمع الناس وقالوا : هذا والله غلامك خير ، فبقيت متحيراً ، وعلمت بهم أخذت ، وعرفت جنائتي ، فأخذني وحلني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلامه وقال لي : يا عبْدَ السوء ، تهرب من مولاك ! ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل ، وأمرني بنسج

»

٢٢٢ - وردت هذه الترجمة في ص ر وحدهما دون سائر النسخ والمسودة. وانظر ترجمة خير النساج في الباب ، مادة « النساج » وحلية الاولياء ١٠ : ٣٠٧ وصفة الصفوة ٢ : ٢٥٥ وطبقات السلمي : ٣٢٢ .

١ انظر حلية الاولياء : ٣٠٧ .

الكرباس ، فدلّيت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آله وكأني كنت أعمل من سنين . فبقيت معه أشهراً أنسج له ، فقمّت ليلة إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي : إلهي لا أعود إلى ما فعلت ، فأصبحت وإذا الشَّبه ذهب عني، وعُدْتُ إلى صورتي التي كنت عليها، فأطلقت ، وثَبَّتَ عليّ هذا الاسم؛ وفي بعض الروايات : كان يقول : يا خير ، فيقول : لبيك ، ثم قال له الرجل بعد ذلك : لا أنت عبدي ، ولا اسمك خير ، فمضى وقال : لا أغير اسماً سماني به رجل مسلم .

وكان يقول : لا نسب أشرف من نسب مَنْ خلقه الله بيده فلم يعصمه ، ولا أعلم أرفع من علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه . وكان خير قد اُحدَوْدَبَ، وكان إذا سَمِعَ قام ظهره ورجعت قوّته كالشاب المطلق ، فإذا غاب عن الوجود عاد إلى حاله .

وكان قد عُمِّرَ مائة وعشرين سنة ؛ وكان يذكر أن إبراهيم الخواص صحبه . وحكى علي بن هارون الحرّبي^١ عن غير واحد ممن حضر موته من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ، ثم أفاق ، ونظر إلى ناحية من باب البيت ، وقال : قف ، عافاك الله ، فإنما أنت عبد مأمور ، وأنا عبد مأمور ما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني، فدعني أمضي لما أُمرتُ به ، ثم امض أنت لما أُمرتُ به ، ودعا بقاء فتوضاً للصلاة وصلى وتمدّد وأغض عينيه وتشهّد ، ثم مات ، رحمه الله تعالى . فرآه بعض أصحابه في النوم ، فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : لا تَسْكُنِي عن هذا ، ولكن استرحت من دُنْيَاكم المضرّة . وكانت وفاته في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

١ حلية الاولياء : ٣٠٧ .

حُرُوفُ التَّالِ

داود الظاهري

أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاقي الإمام المشهور المعروف بالظاهري؛ كان زاهداً متقلداً كثير الورع ، أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبي ثور وغيرهما ، وكان من أكثر الناس تعصباً للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين ، وكان صاحب مذهب مستقل^١ ، وتبعه جمع كثير يُعرفون بالظاهرية ، وكان ولده أبو بكر محمد بن علي مذهبهم - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد .

[قال أبو عبد الله المحاملي : صليت صلاة العيد يوم فطر في جامع المدينة ، فلما انصرفت قلت في نفسي : أدخل إلى داود بن علي فأهنيه ، وكان يتزل قطيعة الربيع ؛ قال : فجئته ، وإذا بين يديه طبّقت فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة وهو يأكل ، فهنأته وتعجبت من حاله ، ورأيت أن جميع ما نحن فيه من الدنيا ليس بشيء ، فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنعة يقال له الجرجاني ، فلما علم بمجيئي خرج إليّ حاسر الرأس حافي القدمين ، وقال لي : ما عنى القاضي أيده الله ؟ قلت : مُهِيمٌ ، قال : وما هو ؟ قلت : في جوارك داود بن علي ، ومكانه من العلم ما تعلمه ، وأنت فكثير البر والرغبة في الخير تَغْفُلُ عنه ، وحدثته بما رأيت منه ، فقال لي : داود شَرِسُ الخلق ، أعلم القاضي أنني وجهت إليه البارحة ألف درهم مع غلام ليستعين بها في بعض أموره

٢٢٢ - ترجمة داود الظاهري في تاريخ بغداد ٨ : ٣٦٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة ٢٦ والفهرست :

٢١٦ والجواهر المضية ٢ : ٤١٩ ، وطبقات السبكي ٢ : ٤٢ وتذكرة الحفاظ : ٥٧٢ وميزان

الاعتدال ٢ : ١٤ .

١ : ٥ : مستقل بنفسه .

فردھا مع الغلام وقال للغلام : قل له : بأبي عين رأيتني ؟ وما الذي بلغك من حاجتي وخلّتي حق وجّهت إلي بهذا ؟ قال : فتعجبت من ذلك وقلت له : هات الدراهم فإني أحملها إليه ، فدفعها إني ثم قال : يا غلام ، الكيس الآخر . فجاءه بكيس فوزن ألفاً أخرى ، وقال : تلك لنا وهذه لموضع القاضي وعذابته ، قال : فخرجت وجئت إليه ، فقرعت الباب فخرج و كلمني من وراء الباب وقال : ما رد القاضي ؟ قلت : حاجة أكلّمك فيها ، فدخلت وجلست ساعة . ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه ، فقال : هذا جزاء من اتّمتك على سره [أنا بأمانة العلم أدخلتك إلي] ، ارجع فلا حاجة لي فيما معك ، قال المحامي : فرجعت وقد صغرت الدنيا في عيني ودخلت على الجرجاني فأخبرته بما كان ، فقال : أما أنا فقد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى . لا أرجع في شيء منها ، فليتولّ القاضي إخراجها في أهل الستر والعفاف على ما يراه القاضي^١ .

قيل : إنه كان يحضر مجلسه أربعمئة صاحب طيلسان أخضر ، قال داود^٢ : حضر مجلسي يوماً أبو يعقوب الشريطي ، وكان من أهل البصرة ، وعليه خرقتان ، فتصدر لنفسه من غير أن يرفعه أحد وجلس إلى جانبي وقال لي : سل يا فتى عما بدا لك ، فكأنني غضبت منه ، فقلت له مستهزئاً : أسألك عن الحجامة ، فبرك أبو يعقوب ثم روى طريق « أفطر الحاجم والمحجوم » ومن أرسله ومن أسنده ومن وقفه ومن ذهب إليه من الفقهاء ، وروى اختلاف طريق احتجام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطاء الحجام أجره ، ولو كان حراماً لم يعطه ، ثم روى طرق أن النبي صلى الله عليه وسلم « احتجم بقرن » وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة ، ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل « ما مررت ببلٍّ من الملائكة » ومثل « شفاء أمتي في ثلاث » وما أشبه ذلك ، وذكر الأحاديث الضعيفة مثل قوله عليه السلام « لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا » ، ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها ،

١ انفردت ص بهذا النص ، فلم يرد في المسودة وسائر النسخ .

٢ ص : قال أبو العباس الزيادي : دخل أبو يعقوب الشريطي وكان من أهل البصرة مجلس داود الظاهري ... الخ . وابتداء من قوله : قال داود حق قوله : أحداً أبداً ، لا وجود له في المسودة .

ثم ختم كلامه بأن قال : وأول ما خرجت الحجامه من أصبهان ، فقلت له : والله لا حَقَرْتُ بعدك أحداً أبداً .

وكان داود من عقلاء الناس ، قال أبو العباس ثعلب في حقه : كان عقلُ داود أكثر من علمه .

وكان مولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين ، وقيل سنة مائتين ، وقيل سنة إحدى ومائتين ، ونشأ ببغداد ، وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة ، وقيل في شهر رمضان ، ودفن بالشونيزية ، وقيل في منزله .

وقال ولده أبو بكر محمد : رأيت أبي داود في المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وسامحني ، فقلت : غفر لك فقيمَ سامحك ؟ فقال : يا بني الأمر عظيم ، والويل كل الويل لمن لم يُسامحْ ، رحمه الله تعالى .

وأصله من أصبهان ، وقد تقدم الكلام على أصبهان والشونيزية فيما مر من التراجم ، فلا حاجة إلى الإعادة .

٢٢٤

الملك الزاهر

أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رحمه الله تعالى ، كان صاحبَ قلعة البيرة التي على شاطئ الفرات ، وكان يحب العلماء وأهل الأدب^١ ، ويقصدونه من البلاد ، ولما ولد

٢٢٤ - نراه في سنة ٥٩٢ هـ . يذهب رسولاً عن الملك الظاهر إلى أخيه الملك العزيز بمصر ومعه سابق الدين ابن الداية والقاضي بهاء الدين بن شذاه، فلما أدرا الرسالة عادوا إلى دمشق؛ وفي سنة ٦٠١ كان منجداً للملك الأشرف ضد صاحب الموصل؛ وفي سنة ٦١٣ استولى من أملاك أخيه الظاهر على عدة مناطق وأخرج العمال الذين كانوا فيها (انظر صفحات متفرقة من مفرج الكروب ج : ٣) .

١ هذه رواية المسودة والنسختين أ ج ، وفي النسخ الأخرى : أهل الفضل .

بمدينة القاهرة كان السلطان صلاح الدين بلشام ، وكان الثاني عشر من أولاده ، فكتب إليه القاضي الفاضل رسالة يبشره بولادته ومن جملتها^١ : « وهذا الولد المبارك هو الموفي لاثني عشر ونداً . بل لاثني عشر نجماً متقدماً ، فقد زاد الله تعالى في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجماً ، ورآهم المولى يقظة ورأى [يوسف] تلك الأنجم حلماً ، ورآهم يوسف^٢ ساجدين له ورأينا الخلق لهم سجوداً ، وهو تعالى قادر أن يزيد جده المولى إلى أن يراهم آباء وجدوداً » ، وقد أُلِّمَ القاضي الفاضل في آخر هذا الكلام بقول البحري في مدح الخليفة المتوكل وقد ولد له المعتز من جملة قصيدة^٣ :

وبقيت حق تستضيء برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده

وحكى عنه جماعة أنه كان يقول : من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرني^٤ ، فأنا أشبه أولاده به .

وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة ، وقيل ذي القعدة ، سنة ثلاث وسبعين وخمسة ، وهو شقيق الملك الظاهر - الآتي ذكره في حرف الغين المعجمة إن شاء الله تعالى - . وتوفي في البيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكنب بحلب وقد وصل نعيه إليها ، فتوجه الملك العزيز ابن الملك الظاهر أخيه إلى القلعة المذكورة وملكها ، رحمه الله تعالى .

والبيرة - بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة - وهي قلعة بقرب سُمَيْسَاط من ثغور الروم على الفرات من جانب الجزيرة الفراتية ؛ وسُمَيْسَاط في بر الشام بين قلعة الروم ومَلَكَطِيَّة ، والفرات يفصل بين الجهتين .

١ . أورد القلقشندي هذه الرسالة في صبح الاعشى ٧ : ٩٠ .

٢ . في م ص ر والمسودة : المولى ؛ وسقطت اللفظة من م .

٣ . ديوان البحري ٢ : ٧٠٤ .

٤ : ينظر ... فليتنظري .

داود الطائي

أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي ؛ سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ؛ روى عنه إسحاق بن عيسى ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم ؛ وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره ، وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته ؛ قال عبي بن المديني : سمعت ابن عيينة يقول : داود الطائي من علم وفقه ، قال : وكان يختلف إلى أبي حنيفة رضي الله عنه حتى تقدم في ذلك الكلام ؛ قال : فأخذ يوماً حصاة فحذف بها إنساناً فقال له : يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك ، قال : فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب ، فمد علم أنه تصبر عمد إلى كتبه ففرقها في الفرات ثم أقبر عني العبادة وتختي . وقال عبيد بن جناد سمعت عضاء يقول : كان لداود الطائي ثلثمائة درهم فعاشر بها عشرين سنة ينفقها على نفسه ؛ قال : وكُنَّا ندخل عبي داود الطائي فلم يكن في بيته إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسه واجانة فيه خبز ومطهرة يتوضأ منها ومنها يشرب .

وقال أبو سليمان الداراني : ورث داود الطائي من أمه داراً ، فكان ينتقل في بيوت الدار كلما تحرب بيت من الدار انتقل منه إلى آخر ولم يعمره حتى أتى على عامة البيوت التي في الدار ؛ قال وورث من أبيه دنانير فكان يتنفق بها حتى كفن بآخرها .

٢٢٥ - ترجمة داود الطائي في تاريخ بغداد ٨ : ٣٤٧ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٠٣ والجواهر المنسية ٢ : ٥٣٦ وحلية الأولياء ٧ : ٣٣٥ ؛ ووردت هذه ترجمة في ص ١٠٠ وحدهم .

وقال اسماعيل بن حسان : جئت إلى باب داود الطائي فسمعتة يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً ، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت ، فقال : ما بدا لك في الاستئذان ؟ قلت : سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً ، قال : لا ولكن كنت أخاصم نفسي ؛ اشتبهت البارحة تماً فخرجت فاشتريت لها ، فلما جئت اشتبهت جزراً ، فأعطيت الله عهداً أن لا آكل تماً ولا جزراً حتى ألقاه .

وقدم محمد بن قَحْطَبَة الكوفة فقال : أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس ؛ فقبل له : ما يجمع هذه إلا داود الطائي ، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم ، وقال : استعن بها على دهرك ، فردّها فوجّه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما : إن قبل البدرتين فأنتما حرّان ، فمضيا بها إليه فأبى أن يقبلها ، فقالا : إن في قبولها عتق رقابنا من الرق ، فقال لهما : إني أخاف أن يكون في قبولها وهق رقبتني في النار ، رداهما إليه وقولا له : إن ردهما على من أخذها منه أولى من أن يعطيني أنا .

وكان حائطه قد تصدّع فقبل له : لو أمرت به ، فقال : كانوا يكرهون فضول النظر .

وقيل إنه صام أربعين سنة ما علم به أحد من أهله ، فكان يحمل غدّاءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء ، ولا يعلمون أنه صائم . وقال له رجل : ألا تسرح لحيتك ؟ قال : إني عنها مشغول . وقيل احتجم داود فدفع إلى الحجام عشرة دراهم فقبل له : هذا سرف ، فقال : لا عبادة لمن لا مروءة عنده .

وقالت أخته : لو تنحيت عن الشمس ، فقال : هذه خطي لا أدري كيف تكتب^١ .

قال أبو الربيع الأعرج : دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرّب لي

١ كذا في تاريخ بغداد أيضاً .

كُسِيرَاتٍ يَابِسَةً ، فَعَطِشْتُ فَقَمْتُ إِلَى دَنٍّ فِيهِ مَاءٌ حَارٌ ، فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ! لَوْ اتَّخَذْتُ دَنًّا غَيْرَ هَذَا يَكُونُ فِيهِ الْمَاءُ بَارِدًا ، فَقَالَ لِي : إِذَا كُنْتَ لَا أَشْرَبُ إِلَّا بَارِدًا وَلَا آكُلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا أَلْبَسُ إِلَّا لَيِّنًا ، فَمَا أَبْقَيْتَ لِأَخْرَاقِي ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : أَوْصِنِي ، قَالَ : صُمُّ عَنْ الدُّنْيَا ، وَاجْعَلْ إِفْطَارَكَ فِيهَا الْمَوْتَ ، وَفَرِّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ السَّبْعِ ، وَصَاحِبِ أَهْلَ التَّقْوَى إِنْ صَحَبْتَ فَمِنْهُمْ أَخْفَ مَوْثُونَ ، وَأَحْسَنَ مَعُونَةً ، وَلَا تَدْعِ الْجَمَاعَةَ ، حَسْبُكَ هَذَا إِنْ عَمِلْتَ بِهِ .

وَقَالَ دَاوُدُ الطَّائِي : مَا حَسَدْتُ أَحَدًا عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلًا يَقُومُ اللَّيْلُ ؛ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُرْزَقَ وَقْتُاً مِنَ اللَّيْلِ . قَالَ أَبُو خَالِدٍ : وَبَلَّغْنِي أَنَّهُ كَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ ، [إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ احْتَبَى قَاعِدًا] ؛ وَمَكَثَ عَشْرِينَ سَنَةً لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ .

وَقَدَّمَ هَارُونَ الرَّشِيدُ الْكَوْفَةَ فَكَتَبَ قَوْمًا مِنَ الْقُرَاءِ فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ فَكَانَ دَاوُدُ الطَّائِي مِنْ كُتُبَ فِيهِمْ وَدَعِيَ بِاسْمِهِ أَيْنَ دَاوُدُ الطَّائِي ؟ فَقَالُوا : دَاوُدُ يَجِيبُكُمْ ؟ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنُ السَّيَّاحِ وَحَمَادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ : نَحْنُ نَذْهَبُ إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنُ السَّيَّاحِ لِحَمَادٍ فِي الطَّرِيقِ : إِذَا نَحْنُ دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَانْثَرُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنَّ اللَّعِينَ حَظُّهَا ، فَقَالَ حَمَادٌ : رَجُلٌ لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُؤْمَرُ لَهُ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ يَرُدُّهَا !! فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَانْثَرُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : سُوءَةٌ ، إِنَّمَا يُفْعَلُ هَذَا بِالصَّبْيَانِ ، وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا .

قَالَ حَمَادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ إِنْ مَوْلَاةٌ كَانَتْ لِدَاوُدَ تَخْدُمُهُ قَالَتْ : لَوْ طَبَخْتُ لَكَ دَسْمًا تَأْكُلُهُ ، فَقَالَ : وَدَدْتُ ، فَطَبَخْتُ لَهُ دَسْمًا ثُمَّ أَتَتْهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا فَعَلَ أَيْتَامُ بَنِي فَلَانٍ ؟ قَالَتْ : عَلَى حَالِهِمْ ، قَالَ : أَذْهَبِي بِهَذَا إِلَيْهِمْ ، فَقَالَتْ : أَنْتَ لَمْ تَأْكُلْ أَدَمًا مِنْذُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : إِنْ هَذَا إِذَا أَكَلُوهُ صَارَ إِلَى الْعَرْشِ ، وَإِذَا أَكَلْتَهُ صَارَ إِلَى الْحُشْرِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَمَا تَشْتَهِي الْخُبْزَ ؟ قَالَ : يَا دَايَةَ ، بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشَرْبِ الْفَتِيَتِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً .

وَقَالَ مُحَارِبُ بْنُ دَثَارٍ : لَوْ كَانَ دَاوُدُ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ لَقَصَّ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ خَبْرِهِ .

تَوَفَّى دَاوُدُ سَنَةَ سِتِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَمِائَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ولما مات جاء ابن السكّاء ووقف على قبره ثم قال :

أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجبوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غدّاً عليهم ، وإن أهل الرغبة فيهم تعجبوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غدّاً عليهم ، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة ، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة ؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك ، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شعبها ، وأظمأتها وإنما تريد ربيها ، أخشنت المطعم وإنما تريد ضيبه ، أخشنت اللبس وإنما تريد لينه : أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه ، ومن الماء بارده ، ومن اللباس لينه ؟ بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك ، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت ومسا إليه رغبت ، فما أيسر ما ضيعت ، وأحقّر ما فعلت في جنب ما أمّلت ، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك ، آنس ما يكون إذا كنت بالله خالياً ووحش ما يكون آنس ما يكون الناس . سمعت الحديث وتركتم الناس يحدّثون وتفهّمتم في دين الله وتركتمهم يفتنون . لا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ، سجنّت نفسك في بيتك فلا محدث لك ، ولا ستر على بابك ، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك ، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لحة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد ، فسبحان من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى لأحد صنيعاً .

[وقيل إن ابن السكّاء لما قام على قبر داود قال : رحمك الله يا داود ! كنت تسهر ليلك والناس نائمون ، وكنت تبيع إذ الناس يخسرون ، فقال الناس جميعاً: صدقت ؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون ، فقال الناس جميعاً: صدقت ؛ حتى عدّ فضائله كلها . ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال : يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا ، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله ، وفرغ من دفنه وقام الناس .

قال جعفر بن نفيل الرهبي : رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له : كيف رأيت خير الآخرة ؟ قال: رأيت خيرها كثيراً ، قلت: فماذا صرت إليه ؟ قال:

صرت إلى خير الحمد لله ، قال فقلت له : هل لك من عم بسفيان بن سعيد ؟ فقال :
كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير^١ .

٢٢٦

دييس بن صدقة

أبو الأغر^٢ ديبس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن ديبس بن
علي بن مزيّد الأسدي الناصري الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة
المزيدية ؛ كان جواداً كريماً عنده معرفة بالأدب والشعر ، وتمكن في خلافة
الإمام المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق ، وهو من بيت كبير -
وسياقي ذكر أبيه وأجداده في حرف الصاد إن شاء الله تعالى - .

وديبس المذكور هو الذي عناه ابن الحريري صاحب « المقامات » في المقامة
التاسعة والثلاثين^٣ بقوله « أو الأسدي ديبس » لأنه كان معاصره - كما نذكره في
حرف القاف إن شاء الله تعالى - فرام التقرب إليه بذكره في مقاماته ، ولجلالة
قدره أيضاً .

وله نظم حسن ، ورأيت العباد الكاتب في « الخريدة » وابن المستوفي في « تاريخ
إربل » وغيرهما قد نسبوا إليه الأبيات اللامية التي من جملتها :

١ زيادة من رد .

٢٢٦ - ترجمة ديبس بن صدقة في كتب التاريخ كنز الأثير وابن خلدون . وانظر النجوم الزاهرة ٥ :
٢٥٦ وشرح المقامات ٢ : ٢١٨ .

٣ الأغر : كذا هو في ص ر والمسودة بالعين المعجمة والراء المهملة ، وورد في بعض النسخ « الأعر » .
هي المقامة العمانية ، وفيها يصف كيف أحاطت الجماعة بأبي زيد ثني عليه وتقبل يديه « حتى
خيل لي أنه القرني أريس » أو الأسدي ديبس « (المقامات : ١٥) .

أَسْلَمَهُ حَبْ سَلِمَانَكُمْ إِلَى هَوَّى أَيْسَرُهُ الْقَتْلُ

ورأيت ابن بسام صاحبَ كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » قد ذكرها لابن رشيق القيرواني - وقد ذكرتها في ترجمته في حرف الحاء - والظاهر أنها لابن رشيق ، لأن ابن بسام ذكر في « الذخيرة » أنه ألفها في سنة اثنتين وخمسةائة^١ وفي هذا التاريخ كان دبّيس شاباً وبعده أن يصل شعره في ذلك السن إلى الأندلس وينسب إلى مثل ابن رشيق ، مع معرفة ابن بسام بأشعار أهل المغرب .

وذكر ابن المستوفي في تاريخه أن بدران أخا دبّيس كتب إلى أخيه المذكور وهو نازح عنه :

أَلَا قُلْ لِمَنْصُورٍ وَقُلْ لِمَسِيبٍ وَقُلْ لِدَبِيسٍ إِنْني لَغَرِيبٌ
هَنِيئاً لَكُمْ مَاءَ الْفَرَاتِ وَطِيبُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْفَرَاتِ نَصِيبٌ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ دَبِيسُ :

أَلَا قُلْ لِبَدْرَانَ الَّذِي حَنَّ نَازِعاً إِلَى أَرْضِهِ وَالْحَرَّ لَيْسَ يَخِيبُ
تَمَتَّعْ بِأَيَّامِ الشُّرُورِ فَإِنَّمَا عِذَارُ الْأَمَانِي بِالْهَمُومِ يَشِيبُ
وَلِلَّهِ فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ حِكْمَةٌ « وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبٌ »

(39) وذكر غير ابن المستوفي أن بدران بن صدقة المذكور لقبه تاج الملوك ، ولما قُتِلَ أبوه تغرب عن بغداد ودخل الشام فأقام بها مدة ثم توجه إلى مصر ومات بها في سنة ثلاثين وخمسةائة ؛ وكان يقول الشعر ، وذكره العماد الكاتب الأصفهاني في كتاب « الخريدة » .

وكان دبّيس في خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهم نازلون على باب المراغة من بلاد أذربيجان ومعهم الإمام المسترشد بالله - لسبب

١ يريد أن تأليف الذخيرة كان في ذلك العام (٥٠٢) وابن بسام توفي سنة ٥٤٢ ؛ ولعل تأليفه استغرق فترة تجاوزت العام المذكور .

سندكره في ترجمة مسعود المذكور إن شاء الله تعالى - ، فيقال إن السلطان
دس عليه جماعة من الباطنية فهجموا خيمته - أعني المسترشد بالله - وقتلوه يوم
الخميس الثامن والعشرين ، وقال ابن المستوفي : الرابع عشر من ذي القعدة سنة
تسع وعشرين وخمسة ، وخاف أن تنسب القضية إليه ، وأراد أن تنسب إلى
دبيس المذكور ، فتركه إلى أن جاء إلى الخدمة وجلس على باب خيمة السلطان ،
فسيرّ بعض بماليكه ، فجاءه من ورائه وضرب رأسه بالسيف فأبانته ، وأظهر
السلطان بعد ذلك أنه إنما فعل هذا انتقاماً منه بما فعل في حق الإمام ، وكان
ذلك بعد قتل الإمام بشهر ، رحمه الله تعالى .

وذكر المأموني في تاريخه أنه قُتل في رابع عشر ذي الحجة من السنة
المذكورة على باب خوي . وكان قد أحسّ بتغيّر رأي السلطان فيه منذ
قتل المسترشد ، وعزم على الهرب مراراً ، وكانت المنية تُشبّطه .

وذكر ابن الأزرقي في تاريخه^١ أن قتله كان على باب تبريز ، وأنه لما قتل
حُمِلَ إلى ماردين إلى زوجته كهارخاتون ، فدفن بالمشهد عند نجم الدين إيلغازي^٢
صاحب ماردين ، والد كهارخاتون المذكورة ، ثم تزوج السلطان المذكور ابنة
دبيس المذكور ، وأمها شرف خاتون ابنة عميد الدولة بن فخر الدولة محمد بن
جهير ، وأم شرف خاتون المذكورة زبيدة بنت الوزير نظام الملك - وسيأتي
ذكر ذلك في ترجمة فخر الدولة بن جهير إن شاء الله تعالى - .

والناشري - بفتح النون وبعد الألف شين معجمة مكسورة وبعدها راء ثم
ياء - هذه النسبة إلى ناشرة بن نصر بطن من أسد بن خزيمة .

١ هو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث أبو الفضل ابن الأزرقي له كتاب في تاريخ بلده ميافارقين .
٢ في المسودة : الفازي .

دعبل

أبو علي دُعْبِل بن علي بن رَزِين بن سليمان الخزاعي الشاعر المشهور ، وذكر صاحب الأغاني : أنه دعبل بن علي بن رزِين بن سليمان بن قِيم بن نهشل - وقيل بهنس - بن خراش بن خالد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسد ابن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزريقيا ويكنى : أبا علي . وقال الخطيب البغدادي في تاريخه : هو دُعْبِل بن علي بن رزِين بن عثمان بن عبد الله ابن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي .

أصله من الكوفة ، ويقال : من قرقيسيا وأقام ببغداد ، وقيل إن دُعْبِلًا لقب واسمه الحسن ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل محمد ، وكنيته أبو جعفر والله أعلم . ويقال : إنه كان أطروشاً وفي قفاه سلعة^١ .

كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان بَدْرِيَّ اللسان مولعاً بالهَجْوِ والخطِّ من أقدار الناس ، وهجا الخلفاء فَمَنْ دُونهم ، وطال عمره فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي^٢ ، أدور على مَنْ يصلبني عليها فما أجد مَنْ يفعل ذلك ، ولما عمل في إبراهيم بن المهدي - المقدم ذكره - الأبيات التي أثبتتها في ترجمته وأولها :

نَعَرَ ابن شَكْلَةَ بالعراق وأهله فَهَفَا إليه كلُّ أَطْلَسَ مائق

...

٢٢٧ - ترجمة دعبل الخزاعي في الاغاني ٢٠ : ٦٨ والشعر والشعراء ٧٢٧ وتاريخ بغداد ٨ :

٣٨٢ ولسان الميزان ٢ : ٤٣٠ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٩٠ والفهرست ٢٢٩ والموشح :

٢٩٩ وطبقات ابن المعتز ٢٦٤ ومعجم الأدباء ١١ : ٩٩ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٢٧

ورجال الكشي : ٣١٣ والشذرات ٢ : ١١ ، وقد جمع زولنديك ديوانه وقطعاً من كتابه في

الشعراء (١٩٦١) كما قام الدكتور محمد نجم بجمع ديوانه (بيروت : ١٩٦٢) .

١ وذكر ... سلعة : سقط من س .

٢ ر : ظهري .

دخل إبراهيم على المأمون فشكا إليه حاله ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله سبحانه وتعالى فَضَّلَكَ في نفسك عليَّ وأُهِمَّكَ الرَّأْفَةَ والعفو عني ، والسببُ واحد ، وقد هجاني دِعْبِل فانتقم لي منه ، فقال المأمون : ما قال ؟ لعل قوله :

نعر ابن شكلة بالعراق . . .

وأنشد الأبيات ، فقال : هذا من بعض هجائه ، وقد هجاني بما هو أقبح من هذا ، فقال المأمون : لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته ، وقال في^١ :

أَيْسُومُنِي المأمونُ خُطَّةَ جَاهِلٍ أَوْ مَا رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوفَهُمْ قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَّفْتُكَ بِمَقْعَدٍ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ خُمُولِهِ وَاسْتَنْقَذُواكَ مِنَ الْحُضِيِّضِ الْأَوْهَدِ

فقال إبراهيم : زادك الله حِلماً يا أمير المؤمنين وعِلماً فما ينطق أحدنا إلا عن فَضْلِ عِلْمِكَ ولا يحلم إلا اتِّبَاعاً لِحِلْمِكَ .

وأشار دعبِل في هذه الأبيات إلى قضية طاهر بن الحسين الخزاعي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وحصاره ببغداد ، وقتله الأمين محمد بن الرشيد ، وبذلك ولي المأمون الخلافة . والقصة مشهورة ، ودعبِل خزاعي ، فهو منهم ، وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول : قبح الله دعبلاً فما أَوْقَحَهُ^٢ ، كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حِجْر الخلافة ورَضَعْتَ ثديها وربيت في مهدها ؟

[ومثل هذا الحلم بل أعظم ما حكى عن الواثق أنه كان يحب الباذنجان ويكثر من أكله ومعظم الرَّمْد بالعراق من أكل الباذنجان لحرِّ الإقليم والسوداء المتولدة من أكله ، فبعث إليه أبوه المعتصم وقال له : دع أكل الباذنجان واحفظ بصرك فمتى رأيت خليفة أعمى ؟ فقال للرسول : قل لأمير المؤمنين إني تصدقت بعيني على الباذنجان ، ثم رمد رمدة صعبة ما تخلص منها إلا وعلى إحدى عينيه بياض كاد

١ ديوانه : ٦٩ .

٢ أ : أفضحه .

يسدها ، وكان المسدود الشاعر قد هجا الواثق وهو ولي عهد أبيه ، وسمي
المسدود لجسم سدّ منخريه فعمل :

من المسدود في الأنف إلى المسدود في العين
فيا طبلاً له رأس ويا طبلاً برأسين

فلما كان يوم تفرقة العطاء كتب المسدود مستحقّه في ورقة وجعلها في عمامته
مع ورقة الهجو ثم دخل على الخليفة فناوله ورقة الهجو فقرأها وضحك وقال :
خذ هذه وهات ورقة المستحق ولا تعد في مثل هذا ، وقضى حاجته ^١ .
وكان بين دعبل ومسلم بن الوليد الأنصاري اتحاد كثير ، وعليه تخرّج دعبن
في الشعر ^٢ ، فاتفق أن وليّ مسلم جهةً في بعض بلاد خراسان أو فارس ثم إنّي
ظفرت بالجهة التي تولاها مسلم وهي جرجان من ناحية خراسان ولأه إياها
الفضل بن سهل - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فقصده دعبن لما يعلمه من
الصحة التي بينها ، فلم يلتفت مسلم إليه ، ففارقه وعمل ^٣ :

غششتَ الهوى حتى تداعَتْ أصوله بنا وابْتَدَلَتِ الوصلَ حتى تَقَطَّعَا
وَأُنْزِلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ذَخِيرَةً وَدِيَّ طَالِمَا قَدْ تَمَنَّعَا
فَلَا تَعْذِلْنِي لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقْتَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرْقَعَا
وَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَكَلْتُ فَقَطَّعْتُهَا وَصَبَّرْتُ قَلْبِي بَعْدَهَا فَتَشَجَّعَا

ومن شعره في الغزل ^٤ :

لَا تَعْجِجِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ نَوْمُكُمْ يَا صَاحِيَّ إِذَا دَمِي سَفِكَ

١ زيادة من د .

٢ س : الفقه .

٣ ديوانه : ١٠٢ .

٤ س : ما .

٥ ديوانه : ١١٧ .

لا تأخذوا بظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْرَكَا

ومن شعره في مدح المطَّلَب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر^١ :

زَمَنِي بِمَطَّلَبٍ سَقِيَتْ زَمَانَا مَا كُنْتُ إِلَّا رَوْضَةً وَجِنَانَا
كُلُّ النَّدَى إِلَّا نَدَاكَ تَكْلُفُ لَمْ أَرْضَ غَيْرَكَ كَأَنَّكَ كَانَا
أَصْلَحْتَنِي بِالْبَرِّ بَلْ أَفْسَدْتَنِي وَتَرَكْتَنِي أَسْخَطَ الْإِحْسَانَا

ومن كلامه : من فَضَّلَ الشعر أنه لم يكذب أحد قط إلا اجْتَوَاهُ^٢ الناس ،
إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ، ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال
له : أحسنت والله ، فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى .

وقال دعبل^٣ : كنا يوماً عند سَهْل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان شديد
البخل ، فأطلنا الحديث ، واضطره الجوع إلى أن دعاءً بَعْدَانَهُ ، فَأَتَى بِقِصَّةٍ
فيها ديكٌ عاسٍ هَرَمٌ لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرر ، فأخذ كسرة خبز
فخاض بها مرقته ، وَقَلَّبَ جميع ما في القصعة ، ففقد الرأس ، فبقي مُطْرَقًا
ساعة ، ثم رفع رأسه وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رَمِيتُ به ، قال : ولم ؟
قال : ظننت أنك لا تأكله ، فقال : لبس ما ظننت ، ويحك والله إني لأَمَقْتُ
مَنْ يرمي برجليه فكيف من يرمي رأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواس
الأربع ، ومنه يَصِيحُ ، ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقه^٤ الذي يُتَبَرَكُ به ،
وفيه عيناه اللتان يُضْرَبُ بهما المثل فيقال : شراب كعين^٥ الديك ، ودماغه
عجب^٦ لوجع الكليتين ، ولم ير عظم قط أهدس من عظم رأسه ، أو ما علمت أنه

١ ديوانه : ١٩٠ ، وتنسب أيضاً لطريح الثقفى في حمة الخالدين ١ : ١٤ .

٢ د : اجتنبه .

٣ لم ترد هذه القصة في س .

٤ ه : أتي .

٥ فرقه : رواية ص والمسودة ؛ وفي بعض النسخ : عرفه .

٦ ه : مثل عين .

٧ ز : عجيب .

خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق ؟ فإن كان قد بلغ من 'نبلك' أنك لا تأكله فانظر أين هو ، قال : والله لا أدري أين هو ، رميت به ، قال : لكنني أدري أين هو ، رميت به في بطنك فالله حسبك .

ودعبل ابن عم أبي جعفر محمد بن عبد الله بن رزين الملقب أبا الشيص الخزاعي الشاعر المشهور ، وكان أبو الشيص من مدّاح الرشيد ، ولما مات رثاه ومدح ولده الأمين .

وكانت ولادة دعبل في سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين بالطيب ، وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز ، رحمه الله تعالى . وجده رزين مولى عبد الله بن خلف الخزاعي ، والد طلحة الطلحات ، وكان عبد الله المذكور كاتب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على ديوان الكوفة ، وولي طلحة سجستان فمات بها ، رحمه الله تعالى .

ولما مات دعبل - وكان صديق البحتري ، وكان أبو تمام الطائي قد مات قبله كما تقدم - رثاهما البحتري بأبيات منها^١ :

قد زاد في لكفي وأوقدَ لونعي مَثْوَى حبيب يَوْمَ مات ودعبل
أخَوَيَّ لا تزل السماء نَحِيلَةً تَفْشَا كما بَسَاءَ مُزْنٍ مُسْبِلِ
جَدَثٌ على الأهواز يَبْعُدُ دونه مَسْرَى النعي وِرْمَةٌ بالموصل

ودعبل - بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة وبعدها لام - وهو اسم الناقة الشارف ، وكان يقول : مررت يوماً برجل قد أصابه الصَّرْعُ ، فَدَنَوْتُ منه وصحت في أذنه بأعلى صوتي : دعبل ، فقام يمشي كأنه لم يصبه شيء .

١ أ ج : من مثلك .

٢ ديوان البحتري : ١٧٩٠ .

دعلج بن أحمد

دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن السجستاني المعدل ؛ سمع الحديث ببلاذ خراسان والري وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وكان من ذوي اليسار وله صدقات جارية وأوقاف محبة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان ؛ وجاور بمكة زماناً طويلاً ثم سكن بغداد واستوطنها وحدث بها عن محمد بن عمر الحرسي ومحمد بن النضر الجارودي وغيرهما ، وروى عنه الدارقطني أبو الحسن وغيره من شيوخ الخطيب . وكان ثقة ، وجمع له «المسند» وغير ذلك .

قال الخطيب : بلغني أنه بعث بكتابه «المسند» إلى أبي العباس ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الأجزاء بين كل ورقتين ديناراً ؛ وكان يقول : ليس في الدنيا مثل داري ، وذلك أنه ليس في الدنيا مثل بغداد ، ولا في بغداد مثل القطيعة ، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف ، ولا في درب أبي خلف مثل داري .

قال الخطيب : حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد - وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح - عن شيخ سماء وذهب عني حفظ اسمه قال : حضرت يوم جمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور ، فرأيت رجلاً بين يدي في الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة ، لم يزل يتنفلّ مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيام الصلاة ، ثم جلس ، قال : فغلبتني هيبتة ودخل قلبي محبته ، ثم أقيمت الصلاة فلم يُصلِّ مع الناس الجمعة ، فكبر علي ذلك من أمره ، وتعجبت من حاله ، وغازني فعله ، فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وقلت :

٢٢٨ - ترجمة دعلج في طبقات السبكي ٢ : ٢٢٢ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٧ وعبر الذهبي ٢ : ٢٩١ والرسالة المستطرفة : ٧٣ ؛ وانفردت بهذه الترجمة النسختان : ص ر .

أيها الرجل ، ما رأيت أعجب من أمرك ، أطلت النافلة وأحسنيتها وتركت الفريضة وضيعتها ، فقال : يا هذا إن لي عذراً وبني علة منعني من الصلاة ، قلت : وما هي ؟ قال : أنا رجل عليّ دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تُقام التفتُ فرأيت صاحب الدين ، فمن خوفه أحدثت في ثيابي ، فهذا خبري ، فأسألك بالله إلا سترت علي وكتمت أمري ، فقلت : ومن الذي له عليك الدين ؟ قال : دعلج بن أحمد ، وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ، ومضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة ، فقال له دعلج : امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلة من ثيابي وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع ، ففعل الرجل ذلك ، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر وأكل هو والرجل ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم فقال له : انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد ، فقال الرجل : لا ، ف ضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء ، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال له : أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برويتك إيانا في مسجد الجامع ، أو كما قال .

وكانت وفاة دعلج المذكور يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وقيل لعشر بقين منها ، رحمه الله تعالى .

أبو بكر الشبلي

أبو بكر دُلَف بن جَحْدَر - وقيل جعفر ، وقيل جعفر بن يونس ، وهكذا هو مكتوب على قبره - المعروف بالشبلي الصالح المشهور الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان جليل القدر مالكي المذهب ، وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء رضي الله عنهم ، وكان في مبدأ أمره والياً في دُنْبَاوَتَدَ ، فلما تاب في مجلس خير النساء مضى إليها وقال لأهلها : كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل . ومجاهداته في أول أمره فوق الحد ، ويقال : إنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه نوم ؛ وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر ؛ وكان إذا دخل شهر رمضان المبارك جَدَّ في الطاعات ويقول : هذا شهر عَظَّمَهُ ربي فأنا أولى بتعظيمه ، وكان في آخر عمره ينشد كثيراً :

وَكَمْ مِنْ مَوْضِعٍ لَوْ مِتُّ فِيهِ لَكُنْتُ بِهِ نَكَالاً فِي الْعَشِيرَةِ

ودخل يوماً على شيخه الجنيد ، فوقف بين يديه وصَفَّقَ بيديه ، وأنشد :

عَوَّدُونِي الْوَصَالَ وَالْوَصْلُ عَذْبُ وَرَمَوْنِي بِالْصَدِّ وَالصَّدُّ صَعْبُ
زَعَمُوا حِينَ أَزْمَعُوا أَن ذَنْبِي فَرَطُ حَبْتِي لَهُمْ ، وَمَا ذَاكَ ذَنْبُ
لَا وَحَقُّ الْخُضُوعِ عِنْدَ التَّلَاقِ مَا جَزَا مَنْ يُحِبُّ إِلَّا يُحِبُّ

قال : فأجابه الجنيد :

٢٢٩ - ترجمة الشبلي في تاريخ بغداد ١٤ : ٣٨٩ والمنتظم ٦ : ٣٤٧ وصفة الصفوة ٢ : ٢٥٨

وحلية الأولياء ١٠ : ٣٦٦ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٨٩ .

١ هـ : أعرضوا .

وَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَاكَ فَلَمَّا رَأَيْتَكَ
غَلَبَتْ دَهْشَةُ السُّرُورِ فَلَمْ أَمْلِكِ الْبَكَاءَ

[حدث أحمد بن منصور بن نصر قال : جاء الشبلي يوماً إلى أبي بكر ابن مجاهد فلم يجده في مسجده فسأل عنه ف قيل : هو عند علي بن الجوسي ، فلما دخل وقعدنا قال له أبو بكر ابن مجاهد : يا أبا بكر ، أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع الناس فيه ، أين هذا من العلم والشرع ؟ فقال له : يقول الله ﴿ فطقق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ (ص : ٣٣) أين هذا من العلم ؟ فسكت أبو بكر ابن مجاهد ، فقال : كأني ما قرأتها قط . وقيل إنهم عابثوه في مثله فقرأ ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ (لأنبياء : ٩٨) هذه الأطعمة والشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منه وأحرقه ؛ ومن أناشيده :

ودادكم هجر وحكم قلى ووصلكم سلم وسلمكم حرب

وحكي عن بعض المعترفين^٢ أنه أنس إلى طريقة التصوف واستشرف [وشاور أبا بكر فردده عما أَرادَه] ^٣ وحذره التعرض له ، وعطفته الخواطر عليه فقال إلى قرين من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل بجملتهم ، ثم صحب جماعة منهم متوجهاً إلى الحج ، فمعجز في بعض الطريق من مسايرتهم وقصر عن اللحاق فمضوا وتخلف عنهم ، فاستند إلى بعض الرمال إرادة الاستراحة من الإعياء ، فمر به الشيخ المذكور فقال مخاطباً له :

إن الذين بخير كنتُ أذكرهم قضا عليك وعنهم كنتُ أنهاك
فقال له الفتى : ما أصنع الآن ؟ فقال له :

لا تطلبن حياة غير جبههم فليس يحبيبك إلا من توفّاكا

١ ه : اللقاء .

٢ د : المسرفين .

٣ زيادة من د وموضعها بياض في ر .

قال محمد بن إبراهيم : حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه وعرق جبينه فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ، وبقي تحليل لحيته ، فقبض على يدي وأدخل إصبعي في لحيته يخلها ، فبكيت وقلت : رجل لم يذهب عليه تحليل لحيته في الوضوء عند نزع روحه وإمساك لسانه .

ودخل عليه أبو الفتح ابن شفيع عائداً في مرضه ، فسمعه يقول :

صحَّ عند الناس أني عاشق غير أن لم يعلموا عشقي لمن

قال أبو بكر الشبلي : جئت يوماً إلى باب الطاق فرأيت والدته تضرب ولدها ، فقلت لها : لهذا حرمة ، فقال الصبي : معارضة بيني وبين والدتي أشد علي من ضربها ، أرأيت أحداً يضرب ولده إلا من محبته إياه ؟ إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة ، قال الشبلي : فكأنني كنت المقصود بهذه المخاطبة ، فأنصرفت عنها وأنا أقول :

ليكَ تصديقاً أيا سيدي مَنْ الذي يَألم من عثرَتِكَ^١

وحكى^٢ الخطيب في تاريخه ، قال أبو الحسن التميمي : دخلت على أبي بكر في داره يوماً وهو يهيج ، ويقول :

على بُعْدِكَ ما يصب رُمنُ عَادَتِهِ القربُ
ولا يقوى على هجرِكَ مَنْ تَيَمَّمَهُ الحبُّ
فإنْ لم تَرَكَ العينُ فَقَدْ يُبْصِرُكَ القلبُ^٣

وذكر الخطيب أيضاً في ترجمة أبي سعد إسماعيل بن علي الواعظ ما مثاله :
وأنشدنا أبو سعد قال : أنشدنا طاهر الحثعمي قال : أنشدني الشبلي لنفسه :

١ ما بين محققين زيادة من ر وبعضه في د ولا وجود له في المصودة وماتر النسخ .

٢ م : وذكر .

٣ إلى هنا انتهت الترجمة في م .

٤ ترجمته في تاريخ بغداد ٦ : ٣١٥ .

مَضَّتِ الشَّيْبَةُ وَالْحَبِيبَةُ فَانْبَرَى دَمْعَانِ فِي الْأَجْفَانِ يَزْدَحْمَانِ
مَا أَنْصَفْتَنِي الْحَادَثَاتُ ، رَمِينِي بِمُودَعَيْنِ وَلَيْسَ لِي قَلْبَانِ

وقال الشبلي أيضاً^١ : رأيت يوم الجمعة معتوها عند جامع الرصافة قائماً
عرياناً ، وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله ، فقلت له : لم لا تدخل
الجامع وتتوارى وتصلي ؟ فأنشد :

يَقُولُونَ زُرْنَا وَاقْضِ وَإِجِبْ حَقَّنَا وَقَدْ أَسْقَطَتْ حَالِي حُقُوقَهُمْ عَنِّي
إِذَا أَبْصَرُوا حَالِي وَلَمْ يَأْنِفُوا لَهَا وَلَمْ يَأْنِفُوا مِنْهَا أَنْفَتْ لَهُمْ مِنِّي

وكانت وفاته يوم الجمعة^٢ لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين^٣
وثلاثمائة ببغداد ، ودفن في مقبرة الخيزران ، وعمره سبع وثمانون سنة ، رحمه
الله تعالى ، ويقال إنه مات سنة خمس وثلاثين ، والأول أصح ، ويقال إن
مولده بسراً من رأى .

والشبلي : بكسر الشين وسكون الباء الموحدة وبعدها لام - وهذه النسبة
إلى شيلة ، وهي قرية من قرى أسروشنة ، واسروشنة بضم الهمزة وسكون
السين المهملة وضم الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفتح النون وبعدها
هاء ساكنة - وهي بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر .

ودُنْبَاوَنْدُ : بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعدها
الألف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة - وهي ناحية من رُستاق
الرّي في الجبال ، وبعضهم يقول : دماوند ، والأول أصح .

١ سقطت هذه القصة من م .

٢ أ : الخبيس .

٣ أ ج : ٣٨٤ (وهو خطأ) .

حَرْفُكَ ذَال

ذو القرنين ابن حمدان

أبو المطاع ذو القرنين ابن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب وجيه الدولة - وقد تقدم ذكر جده ناصر الدولة في حرف الحاء ، ورفعتُ هناك في نسبه فأغنى عن إعادته - ؛ كان أبو المطاع المذكور شاعراً ظريفاً حسنَ السَّبْكِ جميل المقاصد ، ومن شعره قوله :

إني لأحسدُ « لا » في أسطرِ الصُّحُفِ إذا رأيتُ اعتناقَ اللامِ للألفِ
وما أظنُّهُما طالَ اعتناقُهُما إلا لما لقيَ مِن شِدَّةِ الشَّغَفِ

وله أيضاً :

أفندي الذي زُرْتُهُ بالسيفِ مُشْتَمَلاً ولحظُ عَينِهِ أَمْضَى مِن مَضَارِبِهِ
فَمَا خَلَعْتُ نِجَادِي فِي العِناقِ لَهُ حَتَّى لَبِستُ نِجَاداً مِن ذَوَائِبِهِ
فَكَانَ أَسْعَدَنَا فِي نَيْلِ بُغْيَتِهِ مَنْ كَانَ فِي الحُبِّ أَشْقَانَا بِصَاحِبِهِ

وأورد له الثعالبي في « اليتيمة »^٢ الأبيات التي تقدم ذكرها في ترجمة الشريف أبي القاسم أحمد بن طباطبَا العلوي التي أولها :

قالت لطيفِ خيالٍ زارَني ومَضَى باللهِ صِفْهُ ولا تنقصْ ولا تزدِ

٢٢٠ - ترجمة ذي القرنين ابن حمدان في معجم الأدباء ٢ : ٢٠١ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٥٩

والشذرات ٣ : ٢٣٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٧ .

١ سقط البيت من س .

٢ انظر اليتيمة ١ : ١٠٦ - ١٠٧ .

وذكر في ترجمة أبي المطاع أنها له وفي ترجمة الشريف أنها له ، والله أعلم لمن هي منها .
وله أيضاً :

لَمَّا التَقِينَا مَعًا وَاللَّيْلُ يَسْتَرُنَا مِنْ جَنَحِهِ أَظْلَمَ فِي طَيْبِهَا نِعَمُ
بِتِنَا أَعْفُ مَبِيتٍ بَاتَهُ بَشَرُ وَلَا مَرَاقِبَ إِلَّا الطَّرْفُ وَالكَرَمُ
فَلَا مَشَى مَنْ وَشَى عِنْدَ الْعَدُوِّ بَنَا وَلَا سَعَتَ بِالَّذِي يَسْمَى بَنَا قَدَمُ
[وله أيضاً :

لَوْ كُنْتَ سَاعَةً بَيْنَنَا مَا بَيْنَنَا فَشَهِدْتَ حِينَ نَكُرُّ التَّوْدِيعَا
أَيَقُنْتَ أَنَّ مِنَ الدَّمُوعِ مَحْدَثًا وَعَلِمْتَ أَنَّ مِنَ الْحَدِيثِ دَمُوعَا
وقوله :

تَرَى الثِّيَابَ مِنَ الْكَتَّانِ يَلْحَقُهَا نُورٌ مِنَ الْبَدْرِ أَحْيَانًا فَيُبْلِيهَا
فَكَيْفَ تَنْكُرُ أَنْ تَبْلَى مَعَاجِرَهَا وَالْبَدْرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ طَالَعٌ فِيهَا
وللشريف الرضي في المعنى :

كَيْفَ لَا تَبْلَى غَلَالَتَهُ وَهُوَ بَدْرٌ وَهِيَ كَتَّانٌ^٢
ومن المنسوب إليه^٣ :

تَقُولُ لَمَّا رَأَيْتَنِي نِصْوَاً مِثْلَ الْخَلَالِ
هَذَا اللَّقَاءُ مِثْلُ وَأَنْتَ طَيْفُ خِيَالِ
فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ أَسَاءُ بَيْنُكَ حَالِي
فَلَيْسَ تَعْرِفُ مِنِّي حَقِيقَتِي مِنْ حَالِي

١ ب : القدم .

٢ ما بين معقفين زيادة من ر وبعضه في د ولم يرد في ص أو المسودة .

٣ سقطت الأبيات من س .

وله أشعار كثيرة حسنة ، ولعبد العزيز بن نباتة الشاعر المشهور في أبيه مدائح جمة .

وتوفي أبو المطاع في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكان قد وصل إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العبّيدي صاحبها ، فقلده ولاية الاسكندرية^١ وأعمالها في رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وأقام بها مقدار سنة ، ثم رجع إلى دمشق ، هكذا قاله المسبّحي في تاريخه .

١ م : وولاه الاسكندرية .

حُرُوفُ الرَّاءِ

رابعة العدوية

أم الخير^١ رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك^٢ الصالحة المشهورة ؛ كانت من أعيان عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ، وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة »^٣ أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي تحرق بالنار قلباً يحبك ؟ فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا ، فلا تظني بنا ظنَّ سوء . وقال يوماً عندها سفيان الثوري : واحزنه ! فقالت : لا تكذب بل قل واقِلَّةَ حزنه ، لو كنت محزوناً لم يتباً لك أن تتنفس . وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتها في المنام تقول : هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ، وكانت تقول : ما ظهر من أعالي فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم . [وقالت لأبيها : يا أبه ، لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه ، فقال لها : رأيت إن لم أجد إلا حراماً ؟ قالت : نصبر في الدنيا على الجوع خير من أن نصبر في الآخرة على النار . وكانت إذا جنَّ عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادى : إلهي هدأت الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك

٢٣١ - كتب في ترجمتها الدكتور عبد الرحمن بدوي كتاباً بعنوان «رابعة العدوية شهيدة المثلث الإلهي»

(ط. القاهرة) وفيه ذكر لمصادر ترجمتها ؛ وارجع أيضاً إلى الشريشي شارح المقامات ٢ : ٢٣١ .

١ أ : الخيزران .

٢ ح ٥ : عقيل .

٣ رسالة القشيري : ٦٤ .

: إلى هنا انتهت الترجمة في س ، ولم يزد عليها في المسودة سوى ذكر الوفاة .

أيها المحبوب ، فاجعل خلوقي منك في هذه الليلة عتقي من النار^١ .

[ولقي سفيان الثوري رابعة - وكانت زرية الحال - فقال لها : يا أم عمرو أرى حالاً رثة فلو أتيت جارك فلاناً لغير بعض ما أرى ، فقالت له : يا سفيان وما ترى من سوء حالي ؟ أأست على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه والأنس الذي لا وحشة معه ؛ والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا مَنْ يملكها فكيف أسأله من لا يملكها ؟ فقام سفيان وهو يقول : ما سمعت مثل هذا الكلام . وقالت رابعة لسفيان : إنما أدت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل .

كان أبو سليمان الهاشمي له بالبصرة كل يوم غلة ثمانين ألف درهم ، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية فكتب إليها : أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله ، وأنا أخطبك نفسك ، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف وأنا مصير إليك من بعد أمثالها ، فأجيبيني ، فكتبت إليه : أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فإذا أتاك كتابي فهي زادك وقدم لمعادك ، وكن وصي نفسك ولا تجعل وصيتك إلى غيرك ، وصم دهرك واجعل الموت فطرك ، فما يسرني أن الله خولني أضعاف ما خولك فيشغلني بك عنه طرفة عين والسلام .

وقالت امرأة لرابعة : إني أحبك في الله ، فقالت لها : أطيعي من أحببتني له . وكانت رابعة تقول : اللهم قد وهبت لك من ظمني فاستوهبني ممن ظلمته . قال رجل لرابعة : إني أحبك في الله ، قالت : فلا تعصر الذي أحببتني له^٢ . وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب «عوارف المعارف» :

إنني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

١ زيادة من ص .

٢ زيادة من ص د ، وقد انفردت د منها بأشياء يسيرة .

فالجسمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مِؤَانِسٍ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أُنَيْسِي^١

وكانت وفاتها في سنة خمس وثلاثين ومائة^٢ ، ذكره ابن الجوزي في « شذور العقود » وقال غيره : سنة خمس وثمانين ومائة ، رحمه الله تعالى ، وقبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور^٣ . وذكر ابن الجوزي في كتاب « صفة الصفوة »^٤ في ترجمة رابعة المذكورة بإسناد له متصل إلى عبدة^٥ بنت أبي شوال - قال ابن الجوزي : وكانت من خيار إماء الله تعالى ، وكانت تخدم رابعة - قالت : كانت رابعة تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت في مُصَلَّاهَا هَجْمَةً خفيفة حتى يُسْفِرَ الفجر ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فَرْعَةٌ : يا نفس ، كم تنامين ؟ وإلى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها ، إلا لصرخة^٦ يوم النشور ، وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت ، ولما حضرتها الوفاة دعتنني وقالت : يا عبدة لا تُؤْذِنِي بموتي أحداً ، وكفيني في جنتي هذه ، وهي جنة من شَعَرٍ كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ، قالت : فكفنتها في تلك الجبة ، وفي خمار صوف كانت تلبسه ، ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه ، فقلت : يا رابعة ، ما فعلتِ بالجبة التي كفنتكِ فيها والخمار الصوف ؟ قالت : إنه والله نزع عني وأبدلت به ما تَرَيْنَهُ عَلَيَّ ، فطويت أكفاني وختم عليها ، ورفعت في عِلِّيِّينَ ليكلل لي بها نواياها يوم القيامة ، فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ، فقالت : وما هذا عندما رأيتُ من كرامة الله عز وجل لأوليائه ؟ فقلت لها : فما فعلتِ عبدة^٧ بنت أبي كلاب ؟ فقالت : هيات هيات سبقتنا والله إلى

١ ص : جلّيسي .

٢ إلى هنا انتهت الترجمة في م .

٣ إلى هنا انتهت الترجمة في ر .

٤ صفة الصفوة ٤ : ١٩ .

٥ ه : عبدة .

٦ أ ه : بصرخة .

٧ ه : عبدة .

الدرجات العلا ، فقلت : وبمَ وقد كنت عند الناس ، أي أكبر منها ؟ قالت : إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست ، فقلت لها : فما فعل أبو مالك ؟ أعني ضيفاً ، قالت : يزور الله عز وجل متى شاء ، قلت : فما فعل بشر بن منصور ؟ قالت : بنح بنح ، أعطي والله فوق ما كان يؤمل ، قلت : فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل ، قالت : عليك بكثرة ذكره ، يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك ، رحمها الله تعالى .

٢٣٣

ربيعة الرأي

أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرّوخ ، مولى آل المنكدر التميميين - تم قريش - المعروف بريبعة الرأي ، فقيه أهل المدينة ؛ أدرك جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وعنه أخذ مالك بن أنس رضي الله عنه . قال بكر بن عبد الله الصنعاني : أتينا مالك بن أنس ، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي ، فكنا نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بريبعة وهو نائم في ذلك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال : نعم ، قلنا : أنت الذي يحدث عنك مالك بن أنس ؟ قال : نعم ، فقلنا : كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك ؟ قال : أما علمت أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم ؟

وكان ربيعة يكثر الكلام ويقول : الساكت بين النائم والأخرس . وكان

٢٣٣ - ترجمة ربيعة الرأي في تاريخ بغداد ٨ : ٤٢٠ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٨ وتذكرة الحفاظ : ١٥٧ وميزان الاعتدال ٢ : ٤٤ وصفة الصفوة ٢ : ٨٣ والمعارف : ٩٦ وعبر الذمعي ١ : ١٨٣ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٥ .

١ ج : حظ .

يوماً في مجلسه وهو يتكلم ، فوقف عليه أعرابي دخل من البادية فأطال الوقوف والإنصات إلى كلامه ، فظن ربيعة أنه قد أعجبه كلامه ، فقال له : يا أعرابي ، ما البلاغة عندكم ؟ فقال : الإيجاز مع إصابة المعنى ، فقال : وما العبي ؟ فقال : ما أنت فيه منذ اليوم ، فخبجل ربيعة^١ .

[قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخاً أبا عبد الرحمن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعه حمل في بطن أمه ، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح ، فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة ، وقال : يا عدو الله ، أتتهجم على منزلي ؟ فقال فروخ : يا عدو الله ، أنت دخلت على حرّمي ، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران ، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأثوا يمينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وجعل فروخ يقول : والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي ؛ وكثر الضجيج ، فلما أبصروا بمالك سكتوا ، فقال مالك : أيها الشيخ ، لك سعة في غير هذه الدار ، فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت : هذا زوجي ، وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به ، فاعتنقا جميعاً وبكيا . فدخل فروخ المنزل وقال : هذا ابني ؟ فقالت : نعم ، قال : أخرجني المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار ، قالت : قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام ، ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقة ، فأثاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به ، فقالت امرأته لزوجها فروخ : اخرج فصلّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأثاه فوقف عليها فأفروجا له قليلاً فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره ، وعليه دنية طويلة ، فشك أبوه فيه ، فقال : مَنْ هذا الرجل ؟ فقالوا : هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فقال : فقد رفع الله ابني ، ورجع إلى

١ لم يزد في م على هذا القدر من ترجمته سوى ذكر وفاته .

منزله ، وقال لوالدته : لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقهاء عليها ، فقالت أمه : فأيا أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه ؟ فقال : لا والله بل هذا ، فقالت : فإني أنفقت المال كله عليه ، قال : فوالله ما ضيعته .

وقال معاذ بن معاذ : سمعت سَوَّار بن عبد الله يقول : ما رأيت أحداً أعلم من ربيعة الرأي ، قلت : ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين ، وما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يديه لصديق أو غيره من ربيعة الرأي ، أنفق على إخوانه أربعين ألف درهم ، ثم جعل يسأل إخوانه ، فقبل له : أذهب مالك وأنت تخلق جاهك ، فقال : لا يزال هذا دأبي ما وجدت أحداً يغبطني على جاهي^١ .

وكانت وفاته في سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة ثلاثين ومائة بالهاشمية ، وهي مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها ، ثم انتقل إلى الأنبار رحمه الله تعالى .

وقال مالك بن أنس : ذهب حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي . قلت : ولا يمكن الجمع بين قول من يقول إنه توفي سنة ثلاثين ومائة وإنه دفن بالهاشمية التي بناها السفاح ، لأن السفاح ولي الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، كذا نقله أرباب التواريخ واتفقوا عليه ، فتأمل .

١ ما بين معقنين زيادة من ر متقدمة على موضعها هنا ، ومن ص .

الربيع بن سليمان المرادي

أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المؤذن المصري ، صاحب الإمام الشافعي ؛ وهو الذي روى أكثر كتبه ، وقال الشافعي في حقه : الربيع راويتي ، وقال : ما خدمني أحد ما خدمني الربيع ، وكان يقول له : يا ربيع ، لو أمكنتني أن أطعمك العلم لأطعمتك . ويحكى عنه أنه قال : دخلت على الشافعي رضي الله عنه عند وفاته ، وعنده البويطي والمزني وابن عبد الحكم ، فنظر إلينا ثم قال : أما أنت يا أبا يعقوب - يعني البويطي - فتموت في حديدك ، وأما أنت يا مزني فستكون لك في مصر هَنَات وهَنَات ، ولتدركنَّ زماناً تكون فيه أقيس أهل زمانك ، وأما أنت يا محمد - يعني ابن عبد الحكم - فترجع إلى مذهب مالك ، وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب ، قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة . قال الربيع : فلما مات الشافعي رضي الله عنه صار كل واحد منهم إلى ما قاله ، حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

وحكى الخطيب في تاريخه في ترجمة البويطي^١ : قال الربيع بن سليمان المرادي : كنا جلوساً بين يدي الشافعي رضي الله عنه أنا والبويطي والمزني ، فنظر إلى البويطي فقال : ترون هذا ؟ إنه لن يموت إلا في حديده ، ثم نظر إلى المزني فقال : ترون هذا ؟ أما إنه سيأتي عليه زمان لا يفسر شيئاً فيخطئه ، ثم نظر إلي فقال : أما إنه ما في القوم أحد أنفع لي منه ، ولوددت أني حَسَوْتُه العلم حشواً . والربيع هذا آخر من روى عن الشافعي بمصر .

٢٢٢ - ترجمة الربيع بن سليمان المرادي في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٥ وطبقات الشيرازي ، الورقة :

٢٧ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٩ .

١ لم ترد هذه الفقرة في س م ؛ وانظر تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٩ .

ورأيت بخط الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري شعراً للربيع المذكور :

صبراً جميلاً ما أسرع الفرجا من صدّق الله في الأمور نجا
من خشي الله لم ينله أذى ومن رجا الله كان حيث رجا

وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين بمصر ،
ودفن بالقرافة مما يلي الفقاعي في بحرّيه في حجرة هناك ، وعند رأسه بلاطة
رخام فيها اسمه وتاريخ وفاته ، رحمه الله تعالى .
والمرادي - بضم الميم وفتح الراء وبعد الألف دال مهملة - هذه النسبة إلى
مُرَاد ، وهي قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق عظيم .

٢٣٤

الربيع بن سليمان الجيزي

أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الأزدي^١ بالولاء المصري الجيزي
صاحب الشافعي رضي الله عنه ؛ لكنه كان قليل الرواية عنه ، وإنما روى
عن عبد الله بن عبد الحكم كثيراً ، وكان ثقة ، وروى عنه أبو داود والنسائي .
[قليل : إنه اجتاز يوماً بمصر ، فطرّحت عليه إجانة رماد ، فنزل عن دابته
وجعل ينفذه عن ثيابه ولم يقل شيئاً ، فقليل له : ألا تزجرهم ؟ فقال : مَنْ
استحق النار ووصلح بالرماد فقد ربح] ^١ .

وتوفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين ومائتين بالجيزة ، وقبره بها ، كذا

٢٣٤ - ترجمة الربيع بن سليمان الأزدي في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٧ وترتيب المدارك ٣ :

٨٦ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٩ .

١ ما بين معقنين زيادة من د وحدها .

قاله القضاعي في « الخطط » ، رحمه الله تعالى .

والأزدي : قد تقدم الكلام فيه .

والجيزي^١ — بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي — هذه النسبة إلى الجيزة ، وهي بليدة في قبالة مصر يفصل بينها عرض النيل ، والأهرام في عملها وبالقرب منها ، وهي من عجائب الأبنية [قال بعض الحكماء: ما على وجه الأرض بنية إلا وأنا أرتي لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فأنا أرتي لليل والنهار منها .
ولأبي الطيب المتنبي فيها :

أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصراع
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتكبع

وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم ، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور . ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقب الهرمين ، فنقب أحدهما بعد جهد شديد وعناء طويل ، فوجدوا داخله مراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ، ووجدوا في أعلاها بيتاً مكعباً طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فيه رمّة بالية ، وقد أتت عليها العصور ، فكف عن نقب ما سواه ، وكانت النفقة على نقبه عظيمة ، والمؤونة شديدة .

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ — وهو إدريس عليه السلام — استدل من أحوال الكواكب على الطوفان ، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها ما يُشفق عليه من الذهب ؛ وقيل بأنها سورند لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان ؛ ويقال : إنه بناها في مدة ستة أشهر ، وغشّاها بالديباج الملون ،

١ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م .

وكتب عليها : قد بنيناها في ستة أشهر ، قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستائة سنة ، والهدم أيسر من البناء ، وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصراً ، والحصر أهون من الديباج . وبالجملة فالأمر فيها عجيب جداً ، والله أعلم^١ .

٢٣٥

الربيع بن يونس

أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة - واسمه كيسان - مولى الحارث الحفار ، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ كان الربيع المذكور حاجب أبي جعفر المنصور ، ثم وزر له بعد أبي أيوب المورياني - الآتي ذكره في حرف السين إن شاء الله تعالى - وكان كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه ؛ قال له يوماً : يا ربيع ، سل حاجتك ، قال : حاجتي يا أمير المؤمنين أن تحب الفضل ابني ، فقال له : ويحك ! إن المحبة تقع بأسباب ، فقال له : قد أمكنتك الله من إيقاع سببها ، قال : وما ذلك؟ قال : تفضل عليه ، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك وإذا أحبك أحبته ، قال : قد والله حببته إلي قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء ؟ قال : لأنك إذا أحببته كبر عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكأنت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وحاجته إليك حاجة الشفييع العريان . أشعار بقوله « الشفييع العريان » إلى قول الفرزدق الشاعر :

ليس الشفييع الذي يأتيك متزراً مثل الشفييع الذي يأتيك عرياناً

١ هذه زيادة من روحها .

٢٣٥ - ترجمة الربيع حاجب المنصور في تاريخ بغداد ٨ : ٤١٤ والجهمياري : ١٢٥ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٠٨ ، هذا إلى ما ورد عنه في كتب التاريخ العامة .

وهذا البيت من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير بن العوام لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأمويّ ، وكان قد اختصم الفرزدق وزوجته النّوار ، فمَضَيَا من البصرة إلى مكة ، ليفصل الحكم بينهما عبدُ الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ، ونزلت النّوار عند زوجة عبد الله ، وشفّع كل واحد منهما لنزيله ، ففضى عبد الله للنّوار وترك الفرزدق ، فقال الأبيات المذكورة ، فصار الشفيّع العريان مثلاً يضرب لكل من تُقبَلُ شفاعته .

[وكان أبو جعفر إذا أراد بإنسان خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع ، وإذا أراد به شراً سلمه للمسيب ، فكتب عامل فلسطين يذكر أن بعض أهلها وثب واستغوى جماعة وعاب في العمل ، فكتب إليه أبو جعفر : دمك بواء بدمه إلى أن توجه به إليّ ، فأخذه ووجّه به إليه ، فلما دخل عليه قال : أنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين ؟ لأنّك أكثر ما بقي منه على عظمك ، فقال له بصوت ضئيل ، وكان شيخاً كبيراً :

أتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

فقال أبو جعفر : يا ربيع ، ما يقول ؟ قال : يقول :

المبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عني اليوم مصروف

فقال : قد عفوت عنه ، فخلّى سبيله وأحسن إليه . وهذا الشعر لسحيم عبد بني الحسحاس^١ .

وقال له المنصور يوماً : ويحك يا ربيع ، ما أطيب الدنيا لولا الموت ! فقال له : ما طابت إلا بالموت ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، قال : صدقت . وقال له المنصور لما حضرته الوفاة : يا ربيع ، بعنا الآخرة بنوامة .

١ زيادة من دوحدها .

وقال الربيع : كنا يوماً وقوفاً على رأس المنصور وقد طُرحت لولده المهدي — وهو يومئذ ولي عهده — وسادةٌ إذ أقبل صالح بن المنصور، وكان قد رشحه أن يوليه بعض أموره ، فقام بين السَّماطين، والناس على قدر أنسابهم ومراتبهم ، فتكلم فأجاد ، فمدَّ المنصور يده إليه ، وقال : إليّ يا بني ، واعتنقه ، ونظر إلى وجوه الناس ، هل فيهم من يذكر مقامه ويصف فضله ؟ فكلهم كرهوا ذلك بسبب المهدي خيفةً منه ، فقام شبة بن عقّال التميمي^١ ، فقال : لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ، ما أفصح لسانه ، وأحسن بيانه ، وأمضى جَنّانه ، وأبلّ ريقه ، وأسهل طريقه ، وكيف لا يكون كذلك ، وأمير المؤمنين أبوه ، والمهدي أخوه ؟ وهو كما قال الشاعر^٢ :

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِرِهَا عَلَى تَخَالُيفِهِ فَمَثَلُهُ لِحَقَا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ فَمَثَلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

فمجب من حضر يجمعه بين المدحين وإرضائه المنصور وخلاصه من المهدي ؛ قال الربيع : فقال لي المنصور : لا يخرج التميميُّ إلا بثلاثين ألف درهم ، فلم يخرج إلا بها .

ويقال : إن الربيع لم يكن له أب يُعرف ، وإن بعض الهاشمين دخل على المنصور وجعل يحدثه ، ويقول : كان أبي رحمه الله تعالى ، وكان وكان ، وأكثر من الترحُّم عليه ، فقال له الربيع : كم تترحمُ على أبيك بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال له الهاشمي : أنت معذور يا ربيع ، لأنك لا تعرف مقدار الآباء ، فخيّل منه .

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة ، قال للربيع : ابغني رجلاً عاقلاً عالماً ليقفني على دورها ، فقد بعدَ عهدي بديار قومي ، فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس وأعقلهم ، فكان لا يبتدىء بالإخبار عن شيء حتى يسأله المنصور ،

١ ورد هذا في البيان ١ : ٣٥٣ منسوباً إلى شبيب بن شيبه المنقري الخطيب .

٢ الشعر لزهير بن أبي سلمى ؛ ديوانه : ٥١ .

فيحييه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، فأمر له بآل فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجاهه ، فاجتاز بيت عاتكة بنت عبد الله بن أبي سفيان الأموي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة ، الذي يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصاري^١ :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتَعَزَّلُ حَذَرَ العدا وبه الفؤاد مَوْكِلُ
إني لأمنحك الصَّدُودَ وإني قَسَمًا إِلَيْكَ معَ الصَّدود لأَمِيلُ

ففكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بإبتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يُرَدِّدُ القصيدة ويتصفحها شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى قوله فيها :
وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وبعضُهُمْ مَذِقُ الحديث^٢ يقولُ ما لا يَفْعَلُ

فقال المنصور : يا ربيع ، هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ قال : تأخر عنه لعله ذكرها الربيع ، فقال : عَجَّلْهُ له مضاعفاً ، وهذا أطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور .

[وكان يقول : من كلم الملوك في الحاجات في غير أوقاتها لم يظفر ببغيته ، وما أشبه الحال في ذلك إلا بأوقات الصلاة ، فإن الصلاة لا تقبل إلا فيها ، فمن أراد خطاب الملوك فليختر لذلك الوقت المنجح الذي يصلح فيه ذكر ما أراد ليصح التشجيع ، وإلا فلا]^٣ .

[وحسكت فائقة بنت عبد الله أم عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قالت : كنا يوماً عند المهدي أمير المؤمنين ، وكان قد خرج متنزهاً إلى الأنبار ، إذ

١ أ ج : بنت يزيد بن معاوية .

٢ انظر الاغاني ٢١ : ١٠٦ وما بعدها .

٣ ر : اللسان .

٤ هنا ينتهي ما في نسخة م ، ولا زيادة سوى ذكر تاريخ وفاته وما ورد في آخر الترجمة عن جده وعن قطيعة الربيع .

٥ ورد في د وحدها .

دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ ، وَمَعَهُ قِطْعَةٌ مِنْ جِرَابٍ فِيهِ كِتَابَةٌ بِرِمَادٍ وَخَاتَمٍ مِنْ طِينٍ قَدْ عُجِنَ بِالرَّمَادِ وَهُوَ مَطْبُوعٌ بِخَاتَمِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا رَأَيْتَ أَعْجَبَ مِنْ هَذِهِ الرِّقْعَةِ ، جَاءَ فِيهَا رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ ، وَهُوَ يَنَادِي : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، دُلُّونِي عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُسَمَّى الرَّبِيعَ ، فَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَهَذِهِ هِيَ الرِّقْعَةُ ؛ فَأَخَذَهَا الْمَهْدِيَّ وَضَحَكَ وَقَالَ : صَدَقْتَ ، هَذَا خَطِي وَهَذَا خَاتَمِي ، أَفَلَا أَخْبِرُكُمْ بِالْقِصَّةِ كَيْفَ كَانَتْ ؟ قُلْنَا : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : خَرَجْتُ أَمْسَ إِلَى الصَّيْدِ فِي غَيْبٍ سَمَاءَ ، فَلَمَّا أَصْبَعْتُ هَاجَ عَلَيْنَا ضَبَابٌ شَدِيدٌ وَفَقَدْتُ أَصْحَابِي حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَأَصَابَنِي مِنَ الْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ ، وَتَحِيرْتُ عِنْدَ ذَلِكَ فَذَكَرْتُ دَعَاءَ سَمْعَةٍ مِنْ أَبِي ، يَحْكِيهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - رَفَعَهُ ، قَالَ : مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى « بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اعْتَصِمْتُ بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، حَسْبِيَ اللَّهُ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ » وَفِي وَكُفِّي وَهْدِيَّ وَشَفِيَّ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرْقِ وَالْهَدْمِ وَمِيتَةِ السَّوَدِ ، فَلَمَّا قُلْتُهَا ، رَفَعَ اللَّهُ لِي ضَوْءَ نَارٍ ، فَقَصَصْتُهَا فَإِذَا الْأَعْرَابِيُّ فِي خِيَمَةٍ لَهُ ، وَإِذَا هُوَ يوقِدُ نَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْأَعْرَابِيُّ ، هَلْ مِنْ ضِيَافَةٍ ؟ فَقَالَ : انْزِلْ ، فَانْزِلْتُ ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ : هَاتِي ذَلِكَ الشَّعِيرَ ، فَأَتَتْ بِهِ ، فَقَالَ : اطْحَنِيهِ ، فَأَبْتَدَأَتْ تَطْحَنُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : اسْقِنِي مَاءً ، فَأَتَنِي بِسِقَاءٍ فِيهِ مَذْقَةٌ لَبَنٍ أَكْثَرَهَا مَاءً ، فَشَرِبْتُ مِنْهَا شَرْبَةً مَا شَرِبْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا وَهِيَ أَطْيَبُ مِنْهُ ، وَأَعْطَانِي حِلْسًا لَهُ فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَيْهِ ، فَنَمْتُ نَوْمَةً مَا نَمْتُ أَطْيَبُ مِنْهَا وَأَلَذُّ ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ وَثَبَ إِلَى شَوْيَةِ فَذَبَحَهَا ، وَإِذَا امْرَأَتُهُ تَقُولُ لَهُ : وَيْحَكَ ! قَتَلْتَ نَفْسَكَ وَصَبَّيْتَكَ ، إِنَّمَا كَانَ مَعَاشِكُمْ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ ، فَذَبَحْتَهَا فَبَإَيِّ شَيْءٍ نَعِيشُ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : لَا عَلَيْكَ ، هَاتِ الشَّاةَ ، فَشَقَّقْتُ جَوْفَهَا ، وَاسْتَخْرَجْتُ كَبِدَهَا بِسَكِينٍ كَانَتْ فِي خَفِيٍّ ، فَشَرَحْتُهَا ثُمَّ طَرَحْتُهَا عَلَى النَّارِ وَأَكَلْتُهَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ أَكْتُبُ لَكَ فِيهِ ؟ فَجَاءَنِي بِهِذِهِ الْقِطْعَةُ مِنْ جِرَابٍ ، وَأَخَذْتُ عَوْدًا مِنَ الرَّمَادِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكُتِبَتْ لَهُ هَذِهِ الْكِتَابَةُ ، وَخَتَمَتْهُ بِهَذَا الْخَاتَمِ ، وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَحْيِيَهُ وَيَسْأَلَ عَنِ الرَّبِيعِ فَيَدْفَعَهَا

إليه ، فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم ، فقال : والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم ، ولكن جرت بخمسمائة ألف درهم ، لا أنقص والله منها درهماً واحداً ، ولو لم يكن في بيت المال غيرها ؛ أحملوها معه ، فما كان إلا قليل حتى كثرت إبله وشاؤه ، وصار منزلاً من المنازل ينزله الناس من أراد الحج ، وسمي منزل مُضَيِّف أمير المؤمنين المهدي^١ .

[وقال أبان بن صدقة : كنت أخلف الربيع على كتبه للمنصور ، فدخلت يوماً وَعَلَيَّ خز أسود جديد والمنصور في قباء خز خَلَقَ ، فجعل ينظر إليّ فضافت عليّ الدنيا ، وخرج الربيع فقلت إني أخطأت خطأ عظيماً ، وعرفته الخبر فقال : ما ذاك إلا لخير فلا يحزنك ، فلما كان من غدٍ دخلت في قباء خز خلق فقال لي المنصور : أما عندك أحسن من هذا تلبسه أمام المنصور ؟ قلت : بلى ، ولكن رأيت أمير المؤمنين لبس قباء خلقاً وكان عليّ قباء جديد فضافت عليّ الأرض إذ لبست أفضل من لباسه ، فقال : لا تفعل ، البس خيراً ما عندك في خدمتي ليتبين الناس إحساني إليك ولا تلبس مثل هذا فيظن بي إساءة إليك ، فإن الناس يعلمون أنني أقدر على أشرف اللباس وإن لم ألبس وأنت فلا يظن ذلك بك ، قال : فعلت أن الربيع أعقل الناس وأعلمهم بأخبار أمير المؤمنين]^٢ .

وكانت وفاة الربيع في أول سنة سبعين ومائة . وقال الطبري : مات الربيع في سنة تسع وستين ومائة . وقيل إن الهادي سمه ، وقيل مرض ثمانية أيام ومات ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وإنما قيل لجدّه « أبو فروة » لأنه أدخل المدينة وعليه فروة ، فاشتراه عثمان رضي الله عنه وأعتقه ، وجعل يحفر القبور ، وكان من سبي جبل الخليل صلى الله عليه وسلم — وسيأتي ذكر ولده الفضل إن شاء الله تعالى — .

وقطاعة الربيع منسوبة إليه ، وهي محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، وإنما قيل لها قطاعة الربيع لأن المنصور أقطعها إيها .

١ ما بين معقفين زيادة من ر وحدها .

٢ زيادة من د وحدها .

ربيعي بن حراش

ربيعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن نجار بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عابس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسي الكوفي ؛ روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [وعلي بن أبي طالب] وحذيفة بن اليان وأبي بكرة وعمران بن الحصين رضي الله عنهم . حدث عنه عامر الشعبي وعبد الملك بن عمير ومنصور بن المعتمر وأبو مالك الأشجعي [وغيرهم] . وكان ثقة ، وهو أخو مسعود وربيع ابني حراش ، ورد المدائن غير مرة في حياة حذيفة وبعده .

قال أبو مسلم صالح بن عبد الله المجلي : حدثني أبي قال : ربيع بن حراش كوفي تابعي ثقة ؛ يقال إنه لم يكذب قط ، وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج ، فقيل للحجاج : إن أباهما لا يكذب قط ، ولو أرسلت إليه فسألته عنها ، فأرسل إليه فقال له : أين ابنك ؟ قال : هما في البيت ، قال : قد عفونا عنها لصدقك .

وكان ربيع بن حراش آلى ألا تفتر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلا بعد موته ؛ وكان أخوه ربيع بعده آلى ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار ؛ قال الحارث الفنوي : فأخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسماً على سريرته ونحن نفسله حتى فرغنا منه .

قال سعيد بن جميل العبسي : رأيت ربيع بن حراش رجلاً أعور .

٢٣٦ - ترجمة ربيع بن حراش في طبقات ابن سعد ٦ : ١٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٩٧ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٨ : ٤٣٣ وحلية الأولياء ٤ : ٣٦٧ ؛ ووردت ترجمته في ر ، ووقعت في ص بعد ترجمة روح بن حاتم ، ولم ترد في المسودة .

مات سنة أربع ومائة ، وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ،
وذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى .

٢٣٧

رجاء بن حيوة

أبو المقدام رجاء بن حيوة بن جروك الكندي ؛ كان من العلماء ، وكان
يحالس عمر بن عبد العزيز ؛ ذكر أنه بات ليلة عنده فهم السراج أن يخدم ،
فقام إليه ليصلحه ، فأقسم عليه عمر ليقعدن ، وقام هو إليه فأصلحه ؛ قال :
فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز
ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

[قال : وأمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتري له ثوباً بستة دراهم ، فأتيت
به فجسسه وقال : هو على ما أحب لولا أن فيه ليناً ، قال : فبكيت ، قال :
فما يبكيك ؟ قال : أتيتك وأنت أمير بثوب بستائة درهم ، فجسسته وقلت :
هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة ، وأتيتك وأنت أمير المؤمنين بثوب بستة
دراهم ، فجسسته وقلت : هو على ما أحب لولا أن فيه ليناً ، فقال : يا رجاء
إن لي نفساً تواقفةً تأقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها ، وتأقت إلى
الإمارة فوليتها ، وتأقت إلى الخلافة فأدركتها ، وقد تأقت إلى الجنة فأرجو أن
أدركها إن شاء الله عز وجل] ١ .

٢٣٧ - ترجمة رجاء بن حيوة في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ وحلية الأولياء ٥ : ١٧٠ وتذكرة
الحفاظ ١١٨ وصفة الصفوة ٤ : ١٨٦ والمعارف ٤٢ : ٧٢ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٩
وترد أخباره حيث وردت سيرة عمر بن عبد العزيز في الكتب التاريخية وفي سيرة عمر لابن
الجوزي وابن عبد الحكم وطبقات ابن سعد .

١ زيادة من دوحدها .

وقال : قَوِّمْتُ ثِيَابَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَخْطُبُ بِاثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا ،
وَكُنْتُ قَبَاءَ وَعَمَامَةً وَقَمِيصًا وَسِرَاوِيلَ وَرَدَاءَ وَخَفِينَ وَقُلَنْسُوءَ ؛ وَلَهُ مَعَهُ
أَخْبَارٌ وَحِكَايَاتٌ .

وَكَانَ يَوْمًا عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَدْ ذَكَرَ عِنْدَهُ شَخْصٌ بِسُوءٍ ، فَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَئِنْ أَتَيْتَنِي اللَّهُ مِنْهُ لِأَفْعَلَ بِهِ وَلَأَصْنَعَنَّ ، فَلَمَّا أَتَاهُ
اللَّهُ مِنْهُ هَمٌّ بِإِيقَاعِ الْفَعْلِ بِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ الْمَذْكُورُ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ صَنَعَ اللَّهُ لَكَ مَا أَحْبَبْتَ فَاصْنَعْ مَا يُحِبُّ اللَّهُ مِنَ الْعَفْوِ ، فَعَفَا
عَنْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

[وَلَمَّا حَضَرَ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةَ - وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ -
دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُوهُ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَعِيدُ بْنُ عَقْبَةَ
وَرَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ ، فَجَعَلَ سُلَيْمَانُ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ أَيُّوبَ ، فَخَنَّقَتْهُ السَّعْبَرَةُ ، ثُمَّ
قَالَ : إِنَّهُ مَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ أَنْ يَسْبِقَ إِلَى قَلْبِهِ الْوَجْدُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، وَالنَّاسُ
فِي ذَلِكَ أَصْنَافٌ : فَمِنْهُمْ الْمُحْتَسِبُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ صَبْرُهُ جَزَعَهُ ، فَذَلِكَ
الْجَلْدُ الْحَازِمُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ جَزَعُهُ صَبْرَهُ فَذَلِكَ الْمَغْلُوبُ الضَّعِيفُ ، وَإِنِّي
أَجِدُ فِي قَلْبِي لَوْعَةً إِنْ أَنَا لَمْ أَبْرِدْهَا خَفْتُ أَنْ تَنْصَدَعَ كَبِدِي كَدًّا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الصَّبْرُ أَوَّلَى بِكَ فَلَا يَحْبِطُنَّ أَجْرُكَ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَقْبَةَ :
فَنَظَرَ إِلَيَّ وَإِلَى رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ نَظَرَ مُسْتَفِئًا يَرْجُو أَنْ تَسَاعِدَهُ عَلَى مَا أَدْرَكَهُ
مِنَ الْبُكَاءِ ، فَأَمَّا أَنَا فَكُرِهْتُ أَنْ أَمْرَهُ أَوْ أَنْهَاهُ ، وَأَمَّا رَجَاءُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا مَا لَمْ يَأْتِ الْأَمْرُ الْمَقْرُطُ ، وَإِنِّي قَدْ بَلَغْنِي أَنْ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَاتَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمَ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ : « تَدْمَعُ
الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى الرَّبُّ ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ
لْمُحْزَنُونَ » ، فَبَكَى سُلَيْمَانُ حَتَّى اشْتَدَّ بَكَاءُهُ ، فَظَنَنَّا أَنْ نِيَّاطَ قَلْبُهُ قَدْ انْقَطَعَ ،
فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِرَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ : بئسَ مَا صَنَعْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :
دَعَا يَا أَبَا حَفْصٍ يَقْضِي مِنْ بَكَائِهِ وَطَرَأَ ، فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ صَدْرِهِ مَا تَرَى
خَفْتُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْسَكَ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَدَعَا بِنَاءَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ، وَقَضَى
الْفَتَى ، فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ ، وَخَرَجَ يَمْشِي أَمَامَ جَنَازَتِهِ ، فَلَمَّا دَفِنَ وَقَفَ يَنْظُرُ

إلى قبره ، ثم قال :

وقفتُ على قبرٍ مقيمٍ بقفرةٍ متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مُفارقٍ

ثم قال : السلام عليك يا أيوب ، وقال :

كنتَ لنا أنساً ففارقتنا فالعيشُ من بعدك مرُّ المذاقِ

ثم قال : يا غلام أدنِ دابتي مني ، فركب وعطف دابته إلى القبر ، وقال :

فإن صبرتُ فلم أَلْظُكْ مِنْ شَبَعٍ وإن جَزَعْتُ فَعَلِقْتُ مُنْفِسٌ ذَهَبًا

فقال عمر : بل الصبر أقرب إلى الله عز وجل ، قال : صدقت ، وانصرف [١] .
وكانت وفاته سنة اثنتي عشرة ومائة ، وكان رأسه أحمر ولحيته بيضاء ، رحمه الله تعالى .

وحيوة : بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو
وبعدها هاء ساكنة .

٢٣٨

رؤية بن العجاج

أبو محمد رؤية بن العجاج - والعجاج لقب واسمه : أبو الشعثاء^٢ عبد الله -
ابن رؤية البصري التميمي السعدي ؛ وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌ منها

١ زيادة من دوحدها .

٢٣٨ - ترجمة رؤية بن العجاج في الشعر والشعراء : ٩٥ والخزانة ١ : ٤٣ والمؤتلف والمختلف :

١٧٥ ولسان الميزان ٢ : ٤٦٤ وقد نشر ديوانه ولیم بن الورد البروسي (سنة ١٩٠٣) :

والترجمة موجزة جداً في م .

٢ أ ج : البيضاء .

له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مجيدان في رَجَزهما ، وكان بصيراً باللغة قيماً بحُوشيتها وغريبها .

حكى^١ يونس بن حبيب النحوي قال : كنت عند أبي عمرو ابن العلاء ، فجاءه شبيل بن عزرة الضبعي^٢ ، فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدًا بغلته ، فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدثه ، فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، يعني رؤبة . قال يونس : فلم أملك نفسي عند ذكره ، فقلت له : لملك تظن أن معدّ بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ؟ أفتعرف أنت ما الروبة ، والروبة ، والروبة ، والروبة ، وأنا غلام رؤبة ، فلم يُحِرْ جواباً ، وقام مُغَضَباً ، فأقبل علي أبو عمرو وقال : هذا رجل شريف ، يقصد مجالسنا ويقضي حقوقنا ، وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة . فقال أبو عمرو : أوقد سلطنت على تقويم الناس ؟ ثم فسر يونس ما قاله فقال : الرؤبة : خيرة اللبن ؛ والرؤبة : قطعة من الليل ؛ والرؤبة : الحاجة ، يقال : فلان لا يقوم بروبة أهله : أي بما أسندوا إليه من حوائجهم ؛ والرؤبة : حمام ماء الفحل ، والرؤبة — بالهمزة — القطعة التي يُشعبُ بها الإماء ، والجميع بسكون الواو وضم الراء التي قبلها ، إلا رؤبة فإنها بالهمز .

[وكان رؤبة يأكل الفأر ، فموتب في ذلك ، فقال : هي أنظف من دَواجنكم ودجاجكم اللائي يأكلن العذرة ، وهل يأكل الفأر إلا نقيّ البر أو لُبّاب الطعام ؟ ولما مات قال الخليل : دَفَنّا الشعر واللغة والفصاحة]^٣ .

وكان رؤبة مقيماً بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وخرج على أبي جعفر المنصور وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليتجنب الفتنة ،

١ سقطت هذه القصة من س .

٢ كان شبيل بن عزرة الضبعي نسابة لغويًا وانتهى به الأمر أخيراً إلى اعتناق المذهب الخارجي أصفري .

٣ ما بين معقفين زيادة من د .

فلما وصل إلى الناحية التي قصدتها أدركه أجلكه بها ، فتوفي هناك سنة خمس وأربعين ومائة وكان قد أَسَنَّ ، رحمه الله تعالى .

ورؤية - بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة - وهي في الأصل اسم لقطعة من الخشب يُشَعَّبُ بها الإناء ، وجمعها رثاب ، وباسمها سمي الراجز المذكور .

٢٣٩

روح بن حاتم

أبو حاتم روح بن حاتم بن قَبِيصَةَ بن المُهَلَّبِ بن أَبِي صُفْرَةَ الأزدي - وسيأتي تمام النسب عند ذكر جده المهلب في حرف الميم إن شاء الله تعالى - ؛ كان روح المذكور من الكرماء الأجواد ، وولي خمسة من الخلفاء : أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد . ويقال إنه لم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فإنه ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم . وكان روح والياً على السند ، ولاء إياها المهدي بن أبي جعفر المنصور في سنة تسع وخسين ومائة ، وكان قد ولاء في أول خلافته الكوفة ، وقيل إنه ولي السند سنة ستين ومائة ، ثم عزله عن السند سنة إحدى وستين ومائة ، ثم ولاء البصرة .

٢٣٩ - ترجمته وأخباره في تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٣٦ والحلة السراء ٢ : ٣٥٨ وابن عذاري ١ : ٨٤ ، هذا إلى ما ورد في الكتب التاريخية العامة عن ولايته لأفريقية ، وفي تلك المصادر نفسها ترجمة أخيه يزيد .

١ في هذا الموضع وردت قصة روح وأبي دلامة في ص وهامش المسودة ، ولم نثبتها هنا لأنها سترد في ترجمة أبي دلامة فيما بعد .

وكان يزيد^١ أخو روح والياً على إفريقية ، فلما توفي يزيد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بإفريقية في مدينة القيروان ودفن بباب سلم - وكان أقام والياً عليها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر - قال أهل إفريقية : ما أبعد ما يكون بين قبري هذين الأخوين ، فإن أخاه بالسند وهذا هاهنا ، فاتفق أن الرشيد عزل روحاً عن السند وسيّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزل والياً عليها إلى أن توفي بها لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن في قبر أخيه يزيد ، فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد ، رحمها الله تعالى .

(40) ويزيد المذكور هو الذي قصّده ربعة بن ثابت الأسدي الرّقّي فأحسن إليه ، وكان ربعة مدح يزيد بن أسيد السلمي فقصر يزيد في حقه ، فمدح يزيد بن حاتم وهجا يزيد السلمي بقصيدته الميمية التي يقول من جملتها^٢ :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغرّ ابن حاتم
فهم الفتى الأزديّ إتلاف مالِه وهم الفتى القيسيّ جمع الدّراهم
فلا يحسب التّمّام أني هجّوته ولكنني فضّلت أهل المكارم
ومنها :

فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم فتقرّع إن ساميته سنّ نادِم
هو البحر إن كلفت نفسك خوضه تهالكت في آذيه المتلاطم
تنيت مجدّاً في سليم سفاهةً أمانيّ خالٍ أوّ أمانيّ حالم
ألا إنّما آل المهلب غرّة وفي الحرب قادات لكم بالخزائم

١ ولي يزيد افريقية في خلافة أبي جعفر فأصلحها ورتب أمر القيروان وجدد مسجدها، وكان غاية في الجود، وقبل ولايته المغرب كان قد ولي ولايات كثيرة منها أرمينية والسند ومصر وأذربيجان.

٢ انظر الحلة السيرة ١ : ٧٤ ومصادر تاريخية أخرى ، والأغاني : ١٦ : ١٩٦ .

وهي طويلة ، ويكفي منها هذا القدر ، وكان قد قصّر في حقه أولاً فعمل
ربيعة أبياتاً من جملتها :

أراني ولا كُفْرانَ لله راجعاً بخُفي حُنينٍ من نوالِ ابنِ حاتمٍ
فعاد فعطف عليه ، وبالغ في الإحسان إليه^١ .
وزيد المذكور جد الوزير أبي محمد المهلبّي فينظر في ترجمته .

١ يقال أن يزيد بن حاتم لما بلغه هذا القول دعا به وقال : انزعوا خفيه ، فنزعوا وهو خائف من
عقوبته ، فملأهما له دراهم ودينار ، وكانا كبيرين كأخفاف الجند .

حَرْفُ الزَّائِ

الزبير بن بكار

أبو عبد الله الزبير بن بكار بن بكار - وكنيته أبو بكر - بن عبد الله بن مُصَنَّب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري؛ كان من أعيان العلماء ، وتولى القضاء بكة حرسها الله تعالى ، وصنف الكتب النافعة ، منها كتاب « أنساب قريش » وقد جمع فيه شيئاً كثيراً ، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين ، وله غيره مصنفات دلت على فضله وإطلاعه . روى عن ابن عُيَيْنَةَ وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِ ، وروى عنه ابن ماجه القزويني وابن أبي الدنيا وغيرهما .

[ولقي الزبير بن بكار اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال : يا أبا عبد الله ، عملت كتاباً سميت « كتاب النسب » وهو كتاب الأخبار ، قال : وأنت يا أبا محمد - أيدك الله - عملت كتاباً سميت « كتاب الأغاني » وهو كتاب المعاني] ١ .
[قال جحظة : كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر ، فاستأذن الزبير بن بكار حين جاء من الحجاز ، فدخل ، فأكرمه وعظمه ، وقال له : إن باعدت بيننا الأنساب لقد قربت بيننا الآداب ، وإن أمير المؤمنين اختاراك لتأديب ولده وأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشرة ثياب وعشرة أبغل تحمل عليها رَحْلَكَ إلى حضرة سُرٍّ مَنْ رَأَى ، فشكر ذلك وقبله ، فلما

٢٤٠ - ترجمة الزبير بن بكار في تاريخ بغداد ٨ : ٦٧ ، وقد جمع الأستاذ محمود شاکر (في مقدمة جبهة نسب قريش) ترجمته من المصادر المختلفة ، ووضع ثبناً باثنين وعشرين مصدراً ترجعت له (انظر المقدمة : ٥٤ ، ٥٥ - ٧٢) فليراجع ما أورده الأستاذ المحقق ففي ما جاء هنالك مقنع لمن شاء مزيداً من التعرف إلى المترجم به .
١ زيادة من رَوَّحَها .

ودعه قال للشيخ : أرؤنا حديثاً نذكرك به ، قال : أُحدثك بما سمعت أو بما شاهدت ؟ قال : بل بما شاهدت ، قال : بينا أنا في مسيري هذا بين مسجدين إذ بصرت بجمالة منصوبة فيها ظبي ميت ، وبإزائها رجل في نعشه ميت ، وامرأة حَسْرَى تسمى وتقول :

أُمَسَّتْ فتاة بني نَهْدٍ علانية وبَعَلَهَا في أكفِّ الموت يبتذلُ
وكنْتَ راغبة فيه أَضْنُ به فحال مِنْ دون ظبي الريمة الأجلُ

ثم خرج ، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر : أي شيء أفدنا من هذا الشيخ ؟ قلنا : الأمير أعلم ، فقال : قوله « أُمَسَّتْ فتاة بني نهد علانية » أي ظاهرة ، وهذا حرف لم أسمع في كلام العرب قبل هذا .

قال الزبير بن بكار : قالت ابنة أُخْتِي لأهلنا : خالي خير رجل لأهله ، لا يتخذ ضرة ولا يشتري جارية ، فقالت المرأة : لهذه الكتبُ أشدُّ علي من ثلاث ضرائر وأصعب^١ .

وتوفي بمكة وهو قاضٍ عليها ليلة الأحد لسبع - وقيل لتسع - ليال بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين ، وعمره أربع وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى . وتوفي والده سنة خمس وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

أبو عبد الله الزبيري

أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام ، الفقيه الشافعي المعروف بالزبيري البصري ؛ كان إمام أهل البصرة في عصره ومُدرّسها ، حافظاً للمذهب مع حظ من الأدب ، وقدم بغداد وحدث بها عن داود بن سليمان المؤدب ومحمد بن سنان^١ القزاز وإبراهيم بن الوليد ونحوهم . وروى عنه النقاش صاحب التفسير وعمر بن بشران السكري وعلي بن هارون السمسار ونحوهم . وكان ثقة صحيح الرواية ، وكان أعمى ، وله مصنفات كثيرة منها « الكافي » في الفقه ، وكتاب « النية » وكتاب « ستر العورة » وكتاب « الهداية » وكتاب « الاستشارة والاستخارة » وكتاب « رياضة المتعلم » وكتاب « الإمارة » وغير ذلك^٢ ، وله في المذهب وجوه غريبة . وتوفي قبل العشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٤١ - ترجمة الزبيري الفقيه الشافعي في طبقات السبكي ٢ : ٢٢٤ ونكت الهميان : ١٥٣ والمهرست : ٢١٢ .

١ ر : عثمان .

٢ من مؤلفاته أيضاً المسكت وكتاب الفرائض وكتاب الجامع في الفقه .

زبيدة أم الأمين

أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجبها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «الألقاب»: «إنها سَقَتْ أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلت من الحِلِّ إلى الحرم، وعملت عقبة البستان، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: أعطيها ولو كانت ضربة فأس بدينار، فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار؛ قال اسماعيل بن جعفر بن سليمان: حجت أم جعفر زبيدة فبلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف، ولها آثار كثيرة في طريق مكة والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من مصانع وبرك أحدثها. وإنه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ولكل واحدة ورْدُ عشر القرآن، وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن، وإن اسمها أمة العزيز، ولقبها جدها أبو جعفر المنصور «زُبَيْدَة» لبضاظتها ونضارتها.

[قال الطبري في تاريخه: أعرس بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة ١٦٥ في قصره المعروف بالخلد وحشد الناس من الآفاق وفرق فيهم الأموال ولم

٢٤٢ - ترجمة زبيدة أم جعفر في تاريخ بغداد ١٤ : ٤٣٣ وشرح المقامات للشريشي ٢ : ٢٢٥ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢١٣ إلى أخبار في كتب التاريخ العامة والكتب الأدبية .

١ فبلغت النفقة ... أحدثتها : لم يرد هذا في المسودة .

٢ ر : لها دوي .

ير في الاسلام مثله ، وبلغت النفقة في هذا الغرض من بيت مال الخاصة خارجة
سوى ما أنفق هارون من ماله خمسين ألف ألف درهم ، وليس في بني هاشم هاشمية
ولدت خليفة إلهي . وحكي أنها أحضرت الأصمعي وقالت له : إن أمير المؤمنين
استدعاني وقال : هلمّي يا أمّ نهر ، فما معنى ذلك ؟ فقال لها : إن جعفرأ في
اللغة هو النهر الصغير وأنت أم جعفر .
وحضر شاعر بابها ، وأنشد :

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزاوئك المشاب
تعطين من رجليك ما تعطي الأكف من الرغاب

فتبادر الخدم إليه ليقوموا به على سوء أدبه وعبارته فقالت : دعوه فإن
من أراد خيراً فأخطأ خيراً ممن أراد شراً فأصاب ، سمع الناس يقولون : شمالك
أندى من عين غيرك ، فقدّر أنّ هذا مثل ذلك ؛ أعطوه ما أمّلت وعرفوه
ما جهل .

ووقع بين الرشيد وبين زبيدة شر فتهاجرا فعمل داود بن رزين مولى عبد
القيس شعراً وهو :

زمن طيب ويوم مطير هذه روضة وهذا غدير
إنما أمّ جعفر جنة الخلّ درضاها والسخط منها السعير
أنت عبدٌ لها ومولى لهذا الـ خلق طراً وليس في ذا نكير
فاعتذر يا خليفة الله في الأر ض إليها وترك ذاك كبير

فصار إليها عندما وقف على الأبيات وسألت عن سبب بغيئه فعرفت ،
وأوصلت إلى داود مائة ألف درهم في وقتها وأضعافها بعد ذلك .
ولما ولدت ابنة جعفر محمداً قال مروان بن أبي حفصة :

لله درّك يا عقيلة جعفر ماذا ولدت من الندى والسود
إن الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبين محمد

إني لأعلم أنه خليفة إن بيعة عُقدت وإن لم تُعقد
فأمر له هارون بثلاثة آلاف دينار ، وأمرت زبيدة أن يحشى فوه جوهراً ،
فكانت قيمته عشرة آلاف دينار .

وقالت زبيدة للمأمون عند دخوله بغداد : أهنئك بخلافة قد هنأت نفسي
[بها] عنك قبل أن أراك ، وإن كنت قد فقدت ابناً خليفةً لقد عوضت ابناً
خليفةً لم ألدّه ، وما خسر من اعتاض مثلك ولا ثكلت أم ملأت يدها منك ،
وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض ؛ وقيل إن زبيدة أرسلت
إلى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتاً يستعطف بها المأمون ، فأرسل هذه
الآبيات :

ألا إن صرفَ الدهر يدني ويبعدُ ويمتعُ بالألأف طرّاً ويُفقدُ
أصابت بريب الدهر مني يدي فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر إن هلك يدي فقد بقيت والحمد لله لي يدي
إذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفقدنا ومحمد

فسيرتها له ، فلما قرأها المأمون استحسناها وسأل عن قائلها ف قيل له أبو
العتاهية ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف على زبيدة وزاد في تكريمها
والبر بها .

اختلف الرشيد وأم جعفر في اللوزينج والفالودج أيها أطيب ، فمالت زبيدة
إلى تفضيل الفالودج ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج ، وتخطاها على مائة
دينار ، فأحضر أبا يوسف القاضي وقال له : يا يعقوب قد اختلفنا في كذا على
كذا وكذا فاحكم فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما يحكم على غائب وهو مذهب
أبي حنيفة ، فأحضر له جامين من المذكورين ، فطفق يأكل من هذا مرةً ومن
هذا مرة ، وتحقق أنه إن حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة ، وإن حكم لها لم
يأمن غضب الرشيد ، فلم يزل في الأكل إلى أن نصّف الجامين فقال له الرشيد :
ايه أبا يوسف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت خصمين أجدل منهما ، كلما أردت

ان اسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجته ، وقد حيرتُ بينهما ، فضحك الرشيد ، وأعطاه المائة دينار وانصرف مشكوراً .

ومن عجائب التنجيم أن زبيدة فقدت خاتماً بفصّ له قيمة ، وأنها اتهمت به بعض جواربها ، فأحضرت رجلاً من أهل الصناعة فأخذ الطالع على تلك المصانع وقال : ما أخذ هذا الخاتم إلا الله تعالى ، وردّد القول ولم يرجع عنه ، فبعد مدة فتحت زبيدة المصحف فوجدت الخاتم فيه ، وكانت قد جعلته علامة للوقف وأنسيته^١ .

وكانت وفاتها في سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الأولى ببغداد ، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة ست وثمانين ومائة .

[ورآها عبد الله بن المبارك الزمن في المنام فقال لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي الله بأول معول ضرب في طريق مكة ، قال : قلت ما هذه الصفرة في وجهك ؟ قالت : دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي فزفرت جهنم عليه زفرةً فاقشعرّ لها جسدي ، فهذه الصفرة من تلك الزفرة ، رحمها الله تعالى^٢ .

٢٤٣

زفر بن الهذيل الحنفي

أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم بن قيس بن مكل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن حنصور بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم بن مر

١ ما بين معقنين من ص ر د .

٢ ما بين معقنين من النسخ المذكورة .

٢٤٣ - ترجمة زفر صاحب أبي حنيفة في الجواهر المضية ١: ٢٤٣ ، ٢: ٥٣٤ ، وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٣ ورجال ابن حبان : ١٧٠ .

ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، العنبري الفقيه الحنفي؛ كان قد جمع بين العلم والعبادة، وكان من أصحاب الحديث، ثم غلب عليه الرأي، وهو قياس أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه، وكان أبوه الهذيل على أصبهان.

[حكى المعافى بن زكريا في كتاب «الجليس والأنيس» عن عبد الرحمن ابن مغراء قال: جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال: إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري أطلّقتُ امرأتِي أم لا، قال: المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك طلقته. ثم أتى سفيان الثوري فقال: يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتِي أم لا، قال: اذهب فراجعها فإن كنت طلقته فقد راجعتها، وإن لم تكن طلقته فلم تضرك المراجعة شيئاً. ثم أتى شريك بن عبد الله فقال: يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً، ولا أدري طلقت امرأتِي أم لا، قال: اذهب فطلقها ثم راجعها. ثم أتى زفر بن الهذيل فقال: يا أبا الهذيل إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتِي أم لا، قال: هل سألت غيره؟ قال: أبا حنيفة. قال: فما قال لك؟ قال قال: المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك قد طلقته، قال: هو الصواب، قال: فهل سألت غيره؟ قال: سفيان الثوري، قال: فما قال لك؟ قال: اذهب فراجعها فإن كنت طلقته فقد راجعتها، وإن لم تكن طلقته فلم تضرك المراجعة شيئاً، قال: ما أحسن ما قال لك، فهل سألت غيره؟ قال: شريك بن عبد الله، قال: فما قال لك؟ قال: اذهب فطلقها ثم راجعها، قال: فضحك زفر وقال: لأضربن لك مثلاً، رجل مرّ بمثعب سيل فأصاب ثوبه، قال لك أبو حنيفة: ثوبك طاهر وصلاتك مجزئة حتى تستيقن أمر الماء، وقال لك سفيان: اغسله فإن يك نجساً فقد طهر، وإن يك طاهراً زاده نظافة، وقال لك شريك: اذهب فبُئِل عليه ثم اغسله. قال المعافى: وقد أحسن زفر في فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما أفتوا به في هذه المسألة، وفيما ضربه لسائله من الأمثلة.

فأما قول أبي حنيفة فهو محض النظر وأمر الحق ولا يجوز أن يحكم على امرئ في زوجته بطلاقها بعد صحة زوجيتها بظن عرض له وهو أبعد عند ذوي

الأفهام من أضغاث الأحلام ، وأما قول سفيان الثوري فإنه أشار بالاستظهار والتوثقة والأخذ بالحزم والحيطه وهذه طريقة أهل الورع وذوي الاستقصاء والمشفقين على نفوسهم من أهل الدين ، وقتيا أبي حنيفة في هذا عين الحق وجل الفقه ، وأي هاتين المحجتين سلك من نزلت به هذه النازلة وعرضت له هذه الحادثة فهو مصيب محسن على ما بيّنا فيهما من الفصل بين المنزلتين ، وأما ما أفتى به شريك فتعجب زفر منه واقع في موضعه ولا وجه في الصحة لما أشار به . وقد أصاب زفر أيضاً في الوجه الذي ضربه له وأرى شريكاً توهم أن الرجعة لا تحقق إلا مع تحقق الطلاق فأمر باستئناف تطليقة لتصح الرجعة بعدها وهذا مختل فاسد ولو كان كما يرى أنه توهم لما أثرت الرجعة إلا في التطليقة التي أوقعها وتيقنها دون التي أسفق من تقدمها وهو على غير يقين منها ، ولو ان رجلاً وكل رجلاً في طلاق زوجته ثم غاب الوكيل فأسفق من تطليقه إياها عليه فأشهد على رجعتها وهو غير عالم بوقوعها ثم تبين أنها وقعت قبل مراجعتها لصحت رجعتها ، وكذلك لو كتب إلى زوجته بطلاقها إذا وصل إليها كتابه ثم أشهد على الرجعة بعد الوصول وقبل انقضاء العدة لكانت المراجعة صحيحة لوقتها بعد الطلاق الذي لم يكن عالمًا به^١ .

ومولده سنة عشر ومائة وتوفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

وزُفّر : بضم الزاي وفتح الفاء وبعدها راء .

والهُدَيل : بضم الهاء وفتح الدال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام .

أبو دلامة

أبو دلامة زَندُ بن الجَوْن ؛ كان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم ، وذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « تنوير الغبش » أنه كان أسود عبداً حبشياً [مولى لبني أسد وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له قصاقص فأعتقه . أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم ، ونبغ في أيام بني العباس ، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي ، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبن نوادره ، ومدح المنصور وذكر قتله أبا مسلم من جملة قصيدة فقال فيها :

أبا مسلم خوفتني القتل فافتحني عليك بما خوفتني الأسدُ الورْدُ
أبا مسلم ما غيرَ اللهُ نعمةً على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصور في ملا من الناس فقال له : احتكم ، فقال له : عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها ، فلما خلا به قال : أما والله لو تمديتها لقتلتك . وقد قيل إنه بقي إلى خلافة الرشيد ولا يثبت ، وكان مطبوعاً كثير النوادر [. وقال محمد بن زياد : سمعت ثعلباً يقول : لما ماتت حمادة بنت عيسى ابنة عم أبي جعفر فحضر جنازتها وجلس لدفنها وهو متألم لفقدتها كئيب عليها وهي زوجته ، فأقبل أبو دلامة وجلس قريباً منه ، فقال له المنصور : ويحك ! ما

٢٤٤ - أخبار أبي دلامة في تاريخ بغداد ٨ : ٤٨٨ والشعر والشعراء : ٦٦٠ والأغاني ١٠ : ٢٤٧ وطبقات ابن المعتز : ٥٤ والمؤتلف : ٢٣١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢١١ والدميري ١ : ١٦٣ وشذرات الذهب ١ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٦٥ (وبروكلمان ٢ : ١٨) وله طرائف منشورة في الكتب الأدبية العامة ؛ ولم ترد ترجمته في م ، وهي موجزة في س .
١ في المسودة : ومن نوادره أنه توفي لأبي جعفر المنصور ابنة عم ... وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن هذه الميتة هي حمادة ابنة عيسى زوجة المنصور ، وعيسى المذكور هو عم المنصور .

أعددت لهذا المكان^١ ؟ وأشار إلى القبر، فقال : ابنة عم أمير المؤمنين ، فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال له : ويحك ، فضحتنا بين الناس .

وأمر المهدي أبا دلامة بالخروج نحو عبد الله بن علي ، فقال أبو دلامة : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحضرني شيئاً من عساكرك فأني شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها ، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر ، فضحك منه وأعفاه .

قال أبو العيناء : بلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشدته قصيدة ، فقال له : سلمي حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هَبْ لي كلباً ، فغضب ، وقال : أقول لك سلمي حاجتك ، فتقول : هب لي كلباً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، الحاجة لي أم لك ؟ قال : بل لك ، قال : فأني أسألك أن تهَبَ لي كلب صيد ، فأمر له بكلب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلي ؟ فأمر له بدابة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ يقوم عليها ؟ فأمر له بغلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هبني صِدْتُ صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه ؟ فأمر له بجارية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء يبيتون في البادية ؟ فأمر له بدار ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد صيرت في عنقي كفاء من عيال ، فمن أين لي ما يَقْوَتْ هؤلاء ؟ قال : قد أقطعتك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً ، قال : أما العامر فقد عرفت ، فما العامر ؟ قال : الخراب الذي لا شيء فيه ، قال : أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبسو ، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً ، قال : من أين ؟ قال : من بيت المال ، فقال المهدي : حولوا المال وأعطوه جريباً ، قال : يا أمير المؤمنين ، إذا حول منه المال صار غامراً ، فضحك منه ، قال : فهل بقيت لك حاجة ؟ قال : نعم ، تأذن لي أن أقبل يدك ، فقال : ما لك إلى ذلك سبيل ، قال : والله ما رددتني عن حاجة أهون عليّ فقدأ منها .

واتفق أن أبا دلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياماً ثم حضر ، فأمر

١ ج : هذه الحفرة .

بإلزامه القصر، وألزمه بالصلاة في مسجده ، ووكل به من يلاحظه في ذلك، فمرّ به أبو أيوب المورياني وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر ، فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة مخطومة ، وقال : هذه ظلامة لأمير المؤمنين ، فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها، فأخذها أبو أيوب، فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزَنِي بِسَجْدِهِ وَالْقَصْرَ ، مَا لِي وَالْقَصْرَ
أَصْلَتِي بِهِ الْأُولَى مَعَ الْعَصْرِ دَائِمًا فَوَيْلِي مِنَ الْأُولَى وَوَيْلِي مِنَ الْعَصْرِ
وَوَاللَّهِ مَا لِي نِيَّةٌ فِي صَلَاتِهِمْ وَلَا لِبِرٍّ وَالْإِحْسَانِ وَالْخَيْرِ مِنْ أَمْرِي
وَمَا ضَرَّةٌ وَاللَّهُ يُصْلِحُ أَمْرَهُ لَوْ أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي

فضحك المنصور وأمر بإحضاره ، فلما حضر قال : هذه قصتك ؟ قال : دفعتُ إلى أبي أيوب رقعة مخطومة أسأل فيها إعفائي من لزوم الذي أمرني بلزومه ، فقال له أبو جعفر : اقرأها ، قال : ما أحسن أن أقرأ ، وعلم أنه إن أقرّ بكتابته لها يحدّثه بذكره الصلاة وتعريضه بها ، فلما رآه يحيد من ذلك ، قال له : يا خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد ، ثم قال : لقد أعفيتك من لزوم المسجد ، فقال أبو دلامة : أو كنت ضاربي يا أمير المؤمنين لو أقررت ؟ قال : نعم ، قال : مع قول الله عز وجل ﴿ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٦) فضحك منه وأعجب من افتزاعه ، ووصله .

وذكر ابن شبة في كتاب « أخبار البصرة » أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج - وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة - وأرسلها إليه من بغداد مع ابن عم له :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قُبِّحَ مِنْ غَرِيمٍ
لَهُ أَلْفٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صَكِّ قَدِيمٍ
دِرَاهِمٍ مَا اقْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شِوْخَ بَنِي تَيْمٍ

فسير له [ابن] دعلج ما طلب .

وكان روحُ بن حاتم المهلبِيُّ والياً على البصرة ، فخرج إلى حرب الجيوش الخُرَّاسانية ومعه أبو دلامة ، فخرج من صَفِّ العدوِّ مبارزاً ، فخرج إليه جماعة فقتلهم ، فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع فالزَّمه فاستغفاه فلم يُعْفيه ، فأنشد أبو دلامة :

إني أعوذُ بروحٍ أتْ يقدمني إلى القتال فيخزى بي بنو أسدٍ
إنَّ المهلبَ حُبُّ الموت أوْ رثكم ولم أرِثُ أنا حُبَّ الموت من أحدٍ
إنَّ الدُّنْوَ إلى الأعداء أعلمه مما يُفَرِّقُ بين الروح والجسد

فأقسم عليه ليخرجنَّ^١ ، وقال : لماذا تأخذ رزق السلطان ؟ قال : لأقاتل عنه ، قال : فمالك لا تبرز إلى عدو الله ؟ فقال : أيها الأمير ، إن خرجتُ إليه لحقتُ بمن مضى ، وما الشرط أن أقتل عن السلطان ، بل أقاتل عنه ، فحلف روح : لتخرجن إليهِ فتقتله أو تأسره أو تقتل دون ذلك ، فلما رأى أبو دلامة الجِدَّ منه قال : أيها الأمير ، تعلم أن هذا أوَّل يوم من أيام الآخرة ، ولا بد فيه من الزوادة ، فأمر له بذلك ، فأخذ رغيفاً مطويّاً على دجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيئاً من نَقْل ، وشهر سيفاً وحملَ ، وكان تحته فرسٌ جواد ، فأقبل يحول ويلعب بالرمح ، وكان مليحاً في الميدان ، والفارسُ يلاحظه ويطلب منه غِرَّةً ، حتى إذا وجدها حمل عليه ، والغبار كالليل ، فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل : لا تتعجلْ واسمع مني — عافاك الله — كلماتٍ ألقين إليك ، فإنما أُنيتك في مُهِيمٍ ، فوقف مقابله وقال : ما المهم ؟ قال : أتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا أبو دلامة ، قال : قد سمعت بك حيّاك الله ، فكيف برزت إليّ وطمعت فيّ بعد مَنْ قتلْتَ من أصحابك ؟ فقال : ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك ، ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتيت أن تكون لي صديقاً ، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا ، قال : قل على بركة الله تعالى ، قال : أراك قد تعبت وأنت بغير شك سَعْبَان ظمآن ، قال : كذلك

١ د : لتخرجن .

هو ، قال : فيما علينا من خراسان والعراق ، إن معي خبزاً ولحمًا وشراباً ونقلاً كما يتمنى المتمني ، وهذا غدير ماء غير بالقرب منا ، فلم بنا إليه نصطبج وأترنم لك بشيء من حُداء الأعراب ، فقال : هذا غاية أمني ، فقال : ها أنا أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان ، ففعلاً ، وروح يتطلب أبا دلامة فلا يجده ، والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده ، فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة : إن روحاً كما علمت من أبناء الكرام ، وحسبك بابن المهلب جواداً ، وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً وسيفاً محلّى ورمحاً طويلاً وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء ، وهذا خاتمة معي لك بذلك ، قال : ويحك ! وما أصنع بأهلي وعيالي ؟ فقال : استخر الله وسر معي ودع أهلك ، فالكل يخلف عليك ، فقال : سر بنا على بركة الله ، فسارا حتى قدما من وراء العسكر ، فهجما على روح ، فقال : يا أبا دلامة أين كنت ؟ قال : في حاجتك ، أما قتل الرجل فما أطقته ، وأما سفك دمي فما طبتُ به نفساً ، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه ، وقد تَلَطَّفْتُ وأتيتك به أسيرَ كرمك ، وقد بذلت له عنك كيت وكيت ، فقال : مُضَى إذا وثق لي ، قال : بماذا ؟ قال : بنقل أهله ، قال الرجل : أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن ، ولكن امدد يدك أصادحك وأحلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة أني لا أخونك ، فإن لم أفِ إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها ، قال : صدقت ، فحلف له وعاهده ، ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه ، وانقلب معهم الخراساني يقاتل الخراسانية ، ويُشكِّي فيهم أشدَّ نكاية ، وكان أكبر أسباب ظفر روح^١ .

وكان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة وكان من جملتها دار أبي دلامة ، فكتب إلى المنصور :

يَا بَنَ عَمَّ النَّبِيِّ دَعْوَةَ شَيْخٍ قَدْ دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَبَوَارُهُ
فَهُوَ كَالْمَاخِضِ الَّتِي اعْتَادَهَا الطَّلُّ قُ فَقَرَّتْ وَمَا يَقْرُ قَرَارُهُ

١ ابتداء من قوله : وأمر المهدي أبا دلامة حتى هذا الموضع ، لا وجود له في المسودة .

لكم الأرض كلها فأعيروا عبدكم ما احتوى عليه جداره

فأمر له بدارٍ عوضاً عنها .

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للتسليم والتهنئة بقدومه ، فأقبل عليه المهدي ، وقال له : كيف أنت يا أبا دلامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين :

إني حلفتُ لئن رأيتك سالماً بقُرَى العراق وأنتَ ذو وَقرٍ
لتصلينَّ على النبيِّ محمد وتملأنَّ دراهماً حِجْري

فقال المهدي : أما الأولى فنعم ، وأما الثانية فلا ، فقال : جعلني الله فداك ! إنها كلمتان لا يفرق بينهما ، فقال : يملأ حجر أبي دلامة دراهم ، فقعد وبسط حجره فملأه دراهم ، فقال له : قم الآن يا أبا دلامة ، فقال : ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين ، حتى أشيل الدراهم وأقوم ، فردّها إلى الأكياس ثم قام ، فدعا له وخرج بها وله أشعار كثيرة ، وذكره ابن المنجم في كتاب « البارع في اختيار شعر الحديث » .

ومن أخباره : أنه مرض ولدُه ، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جُعلاً معلوماً ، فلما برىء قال له : والله ما عندنا شيء نعطيك ، ولكن ادع على فلان اليهودي — وكان ذا مال كثير — بمقدار الجمل ، وأنا وولدي نشهد لك بذلك ، فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة — وكان يومئذ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقيل : عبدالله بن شبرمة — وحمل إليه اليهودي المذكور ، وادّعى عليه بذلك المبلغ ، فأنكر اليهودي ، فقال : لي بيّنة ، وخرج لإحضارها ، فأحضر أبا دلامة وولده ، فدخلا إلى المجلس ، وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتركية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث يسمع القاضي :

إن الناس غَطَّوْني تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وإنْ بَحَثُوا عَنِّي ففِيهِمْ مَبَاحِثُ

وإنْ نَبْشُوا بِيْرِي نَبَيْتُ^١ بِئَارَهُمْ^٢ لِيَعْلَمَ قَوْمٌ كَيْفَ تِلْكَ النَّبَائِثُ

ثم حضرا بين يدي القاضي ، وأدّيا الشهادة ، فقال له : كلامك مسموع وشهادتك مقبولة ، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي ، وما أمكنه أن يردّ شهادتها خوفاً من لسانه ، فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من ماله .

قال العتابي : خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد ومعهما أبو دلامة ، فرمى المهدي ظبياً فأصابه ، ورمى علي بن سليمان ظبياً فأخطأه وأصاب كلباً ، فضحك المهدي ، وقال : يا أبا دلامة ، قل في هذا ، فقال :

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظَبِيًّا شَكَّ بِالسَّهْمِ فَوَّادَهُ^١
وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ^٢
فَهَيْثُ لَكُمَا كُلُّ امْرَأَةٍ يَأْكُلُ زَادَهُ

فأمر له بثلاثين ألف درهم .

ودخل أبو دلامة على المهدي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ماتت أم دلامة ، وبقيت ليس أحد يعاطيني ، فقال : إنا لله ، أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة تعاطيه ، وكان قد دسّ أم دلامة على الخيزران ، فقالت : يا سيدتي مات أبو دلامة وبقيت ضائعة ، فأمرت لها بألف درهم ، فدخل المهدي على الخيزران ، وهو حزين ، فقالت : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال : ماتت أم دلامة ، فقالت : إنما مات أبو دلامة ، فقال : قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة ، قد خدعانا والله . وكان أبو عطاء السدي مولى بني أسد قد هجاه بقوله :

أَلَا أُبَلِّغُ هُدَيْتَ أَبَا دُلَامَةَ^١ فَلَيْسَ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كِرَامَةٍ^٢
إِذَا لَبَسَ الْعِمَامَةَ كَانَ قِرْدًا^٣ وَخِنْزِيرًا^٤ إِذَا وَضَعَ الْعِمَامَةَ

فلم يتعرض له أبو دلامة^٥ . ونوادره كثيرة .

١ أ ج هـ : وإن حفرُوا بِيْرِي حَفَرْتُ ، وعلى هامش المسودة : نَبْشُوا أَيِ حَفَرُوا .

٢ قال العتابي ... دلامة : لم يرد في المسودة .

وكانت وفاته^١ سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى ، ويقال : إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد ، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة .
 ودلالة : بضم الدال المهملة .
 وزنّد : بفتح الزاي وسكون النون وبعدها دال مهملة ، وقيل اسمه « زيد »
 بالباء الموحدة ، والأول أثبت .
 والجَوْنُ : بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها نون .

٢٤٥

عماد الدين زنكي

أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب ؛ صاحب الموصل - وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الهمة - وكان من الأمراء المقدّمين ، وفوّض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسة ، ولما قُتِل آق سنقر البرسقي - المذكور في حرف الهمة - وتوفي أيضاً ولده مسعود - حسبما ذكرناه في ترجمته - ورد مرسوم السلطان محمود من خراسان بتسليم الموصل إلى دُبَيْس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة - وقد تقدم ذكره أيضاً - فتجهّز دبّيس للسير ، وكان بالموصل أميرٌ كبير المنزل يُعرف بالجاولي ، وهو مستحفظ قلعة الموصل ومتولّي أمورهما من جهة البرسقي ، فطمع في البلاد وحدّثه نفسه بتملكها ، فأرسل إلى بغداد بهاء الدين أبا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد اليعيساني لتقرير قاعدته ، فلما وصلا إليها

١ وكانت وفاته ... حتى آخر الترجمة : تقدم هذا في المسودة على القصة التي تخبر عن مرض ولده .
 ٢٤٥ - أخبار عماد الدين زنكي منشورة في صفحات متفرقة من كتاب الباهر والكمال ، وكلاهما لابن الأثير ؛ وقد جاءت هذه الترجمة مختصرة في س .

وجدنا الإمام المسترشد قد أنكر تولية دبّيس ، وقال : لا سبيل إلى هذا ، وتردّت الرسائل بينه وبين السلطان محمود في ذلك ، وآخر ما وقع اختيار المسترشد عليه تولية زَنْكي المذكور ، فاستدعى الرسولين الواصلين من الموصل وقرر معها أن يكون الحديث في البلاد لزَنْكي ، ففعلاً ذلك ، وضمنا للسلطان مالاً وبذل له على ذلك المسترشد من ماله مائة ألف دينار ، فبطل أمر دبّيس وتوجه زَنْكي إلى الموصل وتسلمها ، ودخلها في عاشر رمضان سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، كذا قال ابن العظيمي^١ في تاريخه ، وقد قيل : إن انتقاله إلى الموصل كان في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، والأول أصح - وسيأتي ذكر السلطان محمود في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

ولما تقلد زَنْكي الموصل سلم إليه السلطان محمود ولديه النّبَ أرسلان وفروخ شاه المعروف بالحفاجي ليربّيها فلهاذا قيل له « أتابك » لأن الأتابك هو الذي يربّي أولاد الملوك - وقد تقدم ذكر ذلك في حرف الجيم عند ذكر جقّر - ثم استولى زَنْكي على ما والى الموصل من البلاد ، وفتح الرّهّا يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وكانت لجوسلين الأرمني^٢ ، ثم توجه إلى قلعة جعبر ومالكها يوم ذاك سيف الدولة أبو الحسن عليّ بن مالك ، فحاصرها وأشرف على أخذها ، فأصبح يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الآخر^٣ سنة إحدى وأربعين وخمسمائة مقتولاً ، قتله خادمه وهو راقد على فراشه ليلاً ، ودفن بصِفّين ، رحمه الله تعالى .

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير الجزري في تاريخه الأتابكي^٤ أن زَنْكي المذكور لما قُتل والده كان عمره تقديراً عشر سنين ، وقد تقدم تاريخ قتل والده في ترجمته ، فيكون مولده سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

[وعن بعض خواصه قال : دخلت إليه في الحال وهو حي ، فحين رأيته]

١ هو محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله التنوخي العظيمي ، وكتابه الذي يشير إليه المؤلف تاريخ عام مرتب على السنين بلغ فيه إلى حوادث سنة ٥٣٨ (النجوم الزاهرة ٥ : ١٣٣) .

٢ د : ربيع الأول .

٣ انظر الباهر : ١٥ .

ظنّ أنّي أريد قتله فأشار إليّ بإصبعه السبّابة يستعطفني ، فوقفت من هيبتّه وقلت له : يا مولانا ، من فعل بك هذا ؟ فلم يقدر على الكلام ، وفاضت نفسه لوقتّه . وكان شديد الهيبة على عسكريه ورعيته ، عظيم السياسة ، لا يقدر القوي على ظلم الضعيف ، وكانت البلاد قبل ان يملكها خراباً من الظلم ومجاورة الفرنج ، فممرها وامتلات اهلاً وسكاناً .

قال عز الدين بن الأثير في تاريخه : حكى لي والدي قال : رأيت الموصل واكثرها خراب ، وكان الإنسان لا يقدر على المشي إلى الجامع العتيق إلا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة ، وهو الآن في وسط العمارة .

وكان شديد الغيرة لا سيما على نساء الأجناد ، وكان يقول : لو لم تحفظ نساء الاجناد بالهيبة وإلا فسدن لكثرة غيبة ازواجهنّ في الأسفار . وكان من أشجع خلق الله تعالى [١] .

وصِفَيْنُ - بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - وهي أرض على شاطئ الفرات بالقرب من قلعة جعبر ، إلا أنها في بر الشام ، وقلعة جعبر في بر الجزيرة الفراتية ، بينها مقدار فرسخ أو أقل ، وفيها مشهد في موضع الوقعة المشهورة التي كانت بها بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، وبهذه الأرض قبور جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - حضروا هذه الوقعة وقتلوا بها ، منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه .

(41) وتوفي القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري الرسول المذكور يوم السبت سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بحلب ، وحمل إلى صِفَيْنَ ودفن بها ، رحمة الله تعالى عليه .

١ زيادة من النسخة ص وحدها .

عماد الدين صاحب سنجار

أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي المذكور قبله المعروف بصاحب سنجار ؛ كان قد ملك حلب بعد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، وكانت وفاة الصالح المذكور في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وعمره تسع عشرة سنة .

وكان لما اشتد مرضه^١ وصف له الأطباء شرب الخمر للتداوي ، فقال : لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء ، فأفتاه فقيه من مدرسي الحنفية يجاوز ذلك ، فقال له : أرأيت إن قدر الله تعالى بقرب الأجل أيؤخره شرب الخمر ؟ فقال الفقيه : لا ، فقال : والله لا لقيت الله عز وجل وقد استعملت ما حرمه عليّ . فلما يش من نفسه أحضر الأمراء وسائر الأجناد ووصاهم بتسليم البلد إلى ابن عمه عز الدين مسعود واستحلفهم على ذلك ثم مات . وكان حليماً كريماً عفيف اليد والفرج ملازماً للدين والخير لا يعرف شيئاً مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب الخمر وغيره ، حسن السيرة في رعيته عادلاً فيهم ، رحمه الله تعالى .

ثم إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سار من عينتاب إلى حلب وحاصرها في سنة ثمانين وخمسمائة ، فنزل في الميدان الأخضر عدة أيام ثم انتقل إلى جبل جوشن ، فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد يبني مساكن له ولعسكره ، والقتال بين العسكرين كل يوم . وكان صاحب حلب عماد الدين زنكي المذكور ومعه العسكر النوري وهم مجدون في القتال ، فلما رأى [تطاول القتال] كره الخرج كأنه استكثره ، فحضر عنده يوماً بعض أجناده وطلبوا منه شيئاً

٢٤٦ - ترجمة عماد الدين زنكي بن مودود في ذيل الروضتين : ١٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٤٤ ؛

وهذه الترجمة مثبتة كما وردت في ص ، وهي موجزة في ر س م والمودة .

١ يعني الملك الصالح (انظر الباهر : ١٨٢) .

فاعتذر بقلّة المال عنده ، فقال له بعضهم : من يريد يحفظ مثل حلب يخرج المال ، ولو باع حلي نسائه ، فمال حينئذ إلى تسليم حلب لصالح الدين وبأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وسروج ، وجرت اليمين على ذلك فتسلمها لصالح الدين ثامن عشر صفر ونزل عنها عماد الدين ، فعجب الناس من ذلك وقبحوا على عماد الدين فعله حتى إن بعض عامة حلب أحضر إجانة وماء وناداه : أنت لا يصلح لك الملك وإنما يصلح لك أن تغسل الثياب ، وإذا أراد الله أمراً فلا مردّ له ؛ وتقرر عماد الدين أن يكون في خدمة صالح الدين متى استدعاه . ومن عجيب الاتفاقات أن محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

وكذا كان ، فإن القدس فتح في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ومما كتبه القاضي الفاضل في المعنى : أعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة : أخذنا فيه الدنانير وأعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم .

وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك أخو صلاح الدين الأصغر وقد تقدم ذكره . وانتقل عماد الدين المذكور في السنة المذكورة إلى سنجار ولم يزل بها إلى أن توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

(42) وملك ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك أبيه ، وكان ديناً خيراً عادلاً حسن السيرة كثير البر والإحسان للفقراء ، إلا أنه كان شديد التعصب على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كثير الذم للشافعية ، وكان بجيلاً ؛ فمن تعصبه على الشافعية انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط أن يكون النظر للحنفية من أولاده دون الشافعية ، وأن يكون البواب والفرّاش على مذهب أبي حنيفة .

بهاء الدين زهير

أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلب العتكي^١ الملقب بهاء الدين الكاتب؛ من فضلاء عصره، وأحسنهم نظاماً ونثراً وخطاً، ومن أكبرهم مروءة، كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب ابن السلطان الملك الكامل بالديار المصرية، وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية، وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح مدينة دمشق، فانتقل إليها في خدمته، وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح، وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرق عنه، وقبض عليه الملك الناصر صاحب الكرك، واعتقله بقلعة الكرك، فأقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه، ولم يتصل بخدمة غيره، ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية، وقدم إليها في خدمته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستائة - وهذا الفصل مذكور في ترجمة أبيه الملك الكامل محمد فينظر هناك - .

وكنت يومئذ مقيماً بالقاهرة، وأودّ لو اجتمعت به لما كنت أسمع عنه، فلما وصل اجتمعت به ورأيت فوق ما سمعت عنه^٣ من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة، ودمائة السجايا، وكان متمكناً من صاحبه كبير القدر عنده، لا يطلع

٢٤٧ - ترجمة بهاء الدين زهير في النجوم الزاهرة ٧ : ٦٢ وشذرات الذهب ٥ : ٢٧٦ (وفيه نقل عن ابن خلكان) ؛ وقد اتبعنا في هذه الترجمة الترتيب الذي وردت عليه في مخطوطة ص دون سواها، وهو مختلف عما في ر .

١ النجوم : المكي .

٢ أ ج : الديار .

٣ ص : وصف لي .

٤ هـ : الرياضة .

على سره الخفي غيره ، ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير ، ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته^١ .

وأنشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك ما كتبه إلى بعض أصحابه وكان قد غرقت به سفينة فسلم بنفسه وذهب ما كان معه^٢ :

لا تعتب الدهرَ في خطبِ رمالكِ به إن استردَّ فقديمًا طالما وهبًا
حاسبُ زمانك في حالِي تصرُّفِهِ تجده أعطاك أضعاف الذي سلبًا
والله قد جعل الأيامَ دائرةً فلا ترى راحةً تبقى ولا تعبًا
ورأسُ مالك وهيَّ الروحُ قد سلت لا تأسفنَّ لشيء بعددِها ذهبًا
ما كنتَ أولَ مفدوحٍ بحادثة كذا مضى الدهرُ لا بدِّعًا ولا عجبًا
ورُبَّ مالٍ نما من بعدِ مرزنةٍ أما ترى الشمعَ بعد القطِّ ملتهبًا

وأنشدني المذكور ، وكتب بها لفخر الدين ابن قاضي داريًا يشكو إليه سوء أدب غلامه^٣ :

سواك الذي ودِّي لديه مُضَيِّعُ وغيرُك من سعيي إليه محبَّبُ
ووالله ما آتيكَ إلا محبَّةً وأنِّي في أهل الفضيلة أرغبُ
أبثُّ لك الذكر الذي طاب نشرُهُ وأطري بما أثني عليك وأطربُ
فما لي ألقى دون بابك جفوةً لغيرك تُعزِّي ، لا إليك ، وتُنسبُ
أردُّ بردَّ الباب إن جئتُ زائرًا فيا ليت شعري أين أهلُ ومرحِبُ
ولست بأوقات الزيارة جاهلاً ولا أنا ممن قُرْبُهُ يُتجنَّبُ
وقد جعلوا في خادم المرء أنه بما كان من أخلاقه يتهدَّبُ

١ م : فلما وصلت إليه واجتمعت به بعد قدومه رأيته كامل الأدوات كبير المنزل عند خدمه وكان لا يتوسط إلا في الخير ؛ (هذا نموذج للايجاز الذي تثلّه هذه النسخة) .

٢ ديوانه : ١٧ .

٣ ديوانه : ٢٦ .

فَهَلَّا سَرَتْ مِنْكَ اللطافة فيهمُ وأعددتهم آدابها فتأدبوا
ويَضْعُبُ عِنْدِي حَالَةً مَا أَلِفْتُهَا عَلَى أَنْ بُعِدِي عَنْ جَنَابِكَ أَصْعَبُ
فَأَمْسَكَ نَفْسِي عَنْ لِقَائِكَ كَارَهَا

« أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبَ »

وَأَغْضَبُ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ رَبُّهُ لِأَجْلِكَ ، لَا أُنِي لِنَفْسِي أَغْضَبُ
وَأَنْفُ إِمَّا عِزَّةً مِنْكَ نِلْتُهَا وَإِمَّا لِإِدْلَالٍ بِهِ أَتَعْتَبُ
وَلِنْ كُنْتُ مَا أَعْتَدُ هَاتِيكَ زَلَّةً فَحَسْبِي بِهَا مِنْ خَجَلَةٍ حِينَ أَذْهَبُ

وله من قصيدة يمدح بها الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل
رحمه الله :

وتَهْتَزُّ أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ بِاسْمِهِ فَهَلْ ذَكَرْتَ أَيَّامَهَا وَهِيَ قُضْبَانُ
فَدَعِ كُلَّ مَاءٍ حِينَ يُذَكَّرُ زَمْزَمُ وَدَعِ كُلَّ وَادٍ حِينَ يَذْكَرُ نَعْمَانُ
وَمَا كُلُّ أَرْضٍ مِثْلَ أَرْضِي هِيَ الْحَيُّ وَمَا كُلُّ بَيْتٍ مِثْلَ بَيْتِي هُوَ الْبَانُ

وله من قصيدة يمدح به الأمير علاء الدين ولد الأمير شجاع الدين جلدك التقوي
بشعر دمياط سنة خمس وستائة ، وهي أول شيء قاله من المدح :

فِيَا ظِيَّ هَلَا كَانَ فِيكَ التَّفَاتَةُ وَيَا غَصْنَ هَلَا كَانَ فِيكَ تَعَطُّفُ
وَيَا حَرَمَ الْحَسَنِ الَّذِي هُوَ آمَنُ وَأَلْبَابُنَا مِنْ حَوْلِهِ تَتَخَطَّفُ
عَسَى عَطْفَةً بِالْوَصْلِ يَا وَائِ صَدَغِهِ وَحَقِّكَ إِنِّي أَعْرِفُ الْوَائِ تَعَطَّفُ
وله من قصيدة :

وَمَا كُلُّ مَخْضُوبِ الْبَنَانِ بِثِينَةٍ وَلَا كُلُّ مَسْلُوبِ الْفِؤَادِ جَمِيلِ

وله من قصيدة يمدح بها الأمير نصير الدين بن اللطفي ويهنيه :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ خَالِطَهُ الصِّدَا فَكُنْتُ لَهُ يَا ذَا الْمَوَاهِبِ صَيْقِلَا
وَمَا لِي لَا أَسْمُو إِلَى كُلِّ غَايَةٍ إِذَا كُنْتُ عَوْنِي فِي الزَّمَانِ وَكَيْفَ لَا

وله من أبيات كتب بها إلى القاضي فخر الدين ابن قاضي داريا يشكره
لمعروف ابتدأه به :

وخذاها على ما خيَّلتْ بنتَ ساعةٍ أتكَّ على استحيائها تتمنُّ^١
ومما أنشدني قوله^٢ :

يا رَوْضَةَ الحِسنِ صِلِي فما عليكِ ضَيْرُ
فهل رأيتِ رَوْضَةَ ليسَ بها زُهيرُ
وأنشدني أيضاً لنفسه^٣ :

كيفَ خَلَّاصِي من هَوَايَ ما زَجَ رُوحِي واختَلَطُ
وتائه أقبض في حُبِّي له وما انبَسَطُ
يا بدرُ إن رُمْتَ به تشبُّها رُمْتَ شَطَطُ^٤
ودَعُهُ يا غِصْنَ النُّقا ما أنت من ذاك النَّمَطُ
قام بعُذْرِي وجنُّهُ عند عَدُوِّي وبَسَطُ
لله أيُّ قَلَمٍ لَوَاوِرِ ذاك الصُّدُغِ خَطُ
ويا لَهُ من عَجَبٍ في خَدِّهِ كيفَ نَقَطُ
يَمُرُّ بي مُتَفَتِّلاً فهل رأيتَ الظُّبِّيَّ قَطُ
ما فيه من عيبٍ سِوَى فُتُورِ عَيْنَيْهِ فَقَطُ
يا قَمَرَ السَّعْدِ الَّذِي نَجْمِي لديه قَدْ هَبَطُ
يا مانعِي حلو الرضا وما نَحِي مَرَّ السَّخَطُ
حاشاك أن ترضى بأن أَموتَ في الحبِّ غَلَطُ

١ ديوانه : ١١٢ ؛ وكل ما تقدم من إنشادات لم يرد في المودة .

٢ ديوانه : ١٩٠ .

٣ الديوان : الشطط .

٤ أ : البدر .

وأنشدني لنفسه أيضاً^١ :

أنا ذا زُهَيْرُكَ ليس إلا جُودَ كَفِّكَ لي مُزِينَةٌ
أَهْوَى جَمِيلَ الذِّكْرِ عِندَكَ كَأَنَّمَا هُوَ لي بُشَيْنَةٌ
فاسألْ ضَمِيرَكَ عَنْ وَدَا دِي إِنَّهُ فِيهِ جُهِينَةٌ

وأنشدني لنفسه أيضاً أبياتاً لم يعلّقْ على خاطري منها سوى بيتين من
آخرها ، وهما^٢ :

وأنت يا نَرْجِسَ عَيْنِيهِ كَمْ تشرب من قلبي وما أذبلُكَ
ما لك في حُسْنِكَ من مُشْبِهٍ ما تمَّ في العالم ما تمَّ لكُ

وأنشدني غير ذلك شيئاً كثيراً ، وشعره كله لطيف ، وهو كما يقال : السهل
المتنع ، وأجازني رواية ديوانه ، وهو كثير الوجود بأيدي الناس فلا حاجة
إلى الإكثار من ذكر مقاطيعه .

وأخبرني جمال الدين أبو الحسين يحيى بن مطروح - الآتي ذكره في حرف
الياء إن شاء الله تعالى - قال : كتبت إليه ، وكان خصباً به :

أقولُ وقد تَتَابَعَ مِنْكَ برٌّ وأهلاً ما برحت لكلِّ خيرٍ
ألا لا تَذْكُرُوا هَرَمًا يَجُودُ فَمَا هَرَمٌ بِأَكْرَمَ مِنْ زَهِيرِ

[قال : وكتب إليه مرة أخرى يطلب درج ورق ومداداً^٣ :

أفلسْتُ يا سيِّدِي مِنَ الْوَرَقِ فجَدَ بِدَرَجٍ كَعَرَضِكَ الْيَقِيقِ
وَأَتَيْتِي بِالْمَدَادِ مَقْتَرِنًا فَمَرْحَبًا بِالْحُدُودِ وَالْحَدَقِ

١ ديوانه : ٣٦٩ . وقد وقعت متقدمة في المسودة على الأبيات السابقة لها .

٢ ديوانه : ٢٥٠ .

٣ ديوانه : ٢٣٣ .

فسير إليه زهير المذكور جوابه مع المطلوب :

مولاي سیرت ما أمرت به وهو يسير المداد والورق
وعزّ عندي يسير ذاك وقد شبّهت بالحدود والحدق^١

وأخبرني بهاء الدين زهير المذكور أنه توجه إلى الموصل رسولاً من جهة خدومه الملك الصالح لما كان ببلاد الشرق ، وأنه كان ببلاد الموصل يومئذ صاحبنا الأديب شرف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن خطاب المعروف بابن الحلاوي الموصلّي الأصل الدمشقي المولد والدار ، فحضر إليه ومدحه بقصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ، وكان من جملتها قوله :

تجيزها وتجيز المادحين بها فقلّ لنا أزهير أنت أم هرّم

وأنه لما رجع من الموصل اجتمع بحمال الدين بن مطروح المذكور فأوقفه على القصيدة المذكورة فأعجبه منها هذا البيت المذكور ، فكتب إليه البيتين المذكورين^٢ .
قلت : وبيت ابن الحلاوي المذكور ينظر إلى قول ابن القاسم في الداعي سبأ ابن أحمد الصليحي ، أحد ملوك اليمن ، وكان شاعراً جواداً من قصيدة^٣ :

ولما مدّخت الهبرزيّ ابن أحمد أجاز وكافاني على المدح بالمدح
فمَوْضني شعراً بشعرٍ وزادني عطاء فهذا رأس مالي وذا ربحي

وأخبرني بهاء الدين أيضاً أن مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة حرسها الله تعالى ، وأخبرني مرة أخرى أنه ولد بوادي نخلة ، وهو بالقرب من مكة ، والله أعلم ، وهو الذي أُملي عليّ نسبه على هذه الصورة ، وسطّرت هذا الفصل وهو في قيد الحياة منقطعاً في بيته بالقاهرة بعد موت خدومه ، طيب الله قلبه وأجراه على أجل عاداته ، وأخبرني أن نسبه

١ زيادة من در وحدهما .

٢ إلى هنا انتهت الترجمة في م ولم يزد عليها سوى ذكر وفاته .

٣ انظر تاريخ عمارة : ٦٥ ونسب الشعر لملي بن الحسين بن القاسم .

إلى المهلب بن أبي صفرة - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - .
ثم حصل بالقاهرة ومصر مرضٌ عظيم لم يكده يسلم منه أحد ، وكان حدوثه
يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستائة ، وكان بهاء
الدين المذكور ممن مسه منه ألم ، فأقام أياماً ثم توفي قبيل المغرب يوم الأحد رابع
ذي القعدة من السنة المذكورة ، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى
بتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، في جهتها القبليّة^١ ،
ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالي بالمرض ، رحمه الله تعالى . ولما أبليت من المرض
مضيت إلى تربته وزرته وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه لمودة
كانت بيننا .

وأنشدني الفقيه أبو الحجاج يوسف الضرير لبهاء الدين لغزاً في القفل^٢ :

وَأَسْوَدَ عَارٍ أَنْحَلَ الْبَرْدُ جِسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحَرَصُ وَالْمَنْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنَهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٤٨

أبو محمد البكائي

أبو محمد زياد بن عبد الله بن طُفَيْل بن عامر القيسي العامري من بني عامر بن
صَعَصَعَة ثم من بني البَكَاء ؛ روى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
محمد بن إسحاق ، ورواها عنه عبد الملك بن هشام الذي رتبها ونسبت إليه .
والبكائي المذكور كوفي ، وكان صدوقاً ثقة ، خرَّج عنه البخاري في كتاب

١ : الغريبة .

٢ : ديوانه : ٢١ .

٢٤٨ - ترجمة أبي محمد البكائي في ميزان الاعتدال ٢ : ٩١ .

الجهاد ، ومسلم في مواضع من كتابه ، وذكر البخاري في تاريخه عن وكيع قال : زياد أشرف من أن يكذب في الحديث ؛ ووهم الترمذي فقال في كتابه عن البخاري قال ، قال وكيع : زياد بن عبد الله على شرفه يكذب في الحديث^١ ، وهذا وهم ، ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخاري في تاريخه ، ولو رماه وكيع بالكذب ما خرَّجَ البخاري عنه حديثاً واحداً ولا مسلم ، كما لم يخرجوا عن الحارث الأعور لما رماه الشعبي بالكذب ولا عن أبان بن أبي عياش لما رماه شعبة بالكذب . وروى عن الأعمش ، وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره ، رضي الله عنه .

وكانت وفاة أبي محمد المذكور في سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة ، رحمه الله تعالى .

والبكائي : بفتح الباء الموحدة وتشديد الكاف وبعد الهززة الممدودة ياء مثناة من تحتها ، وهذه النسبة إلى البكاء ، واسمه ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وسمي البكاء لحبر يسمج ذكره .

٢٤٩

التاج الكندي

أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب تاج الدين البغدادي المولد والمنشأ الدمشقي الدار والوفاة المقرئ النحوي الأديب ؛ كان

١ قال فيه ابن معين : لا بأس به في المغازي وأما في غيرها فلا ، وقال ابن المديني : ضعيف ، وكذلك قال النسائي وابن سعد ؛ أما اتهامه بالكذب فغير وارد .

٢٤٩ - ترجمة تاج الدين الكندي في انباء الرواة ٢ : ١٠ وذيل الروضتين : ٩٥ وغاية النهاية ١ :

٢٩٧ ومعجم الأدباء ١١ : ١٧١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢١٦ والخريدة (قسم الشام) ١ : ١٠٠ :

وبنية الوعاة : ٢٤٩ والجواهر المضية ١ : ٢٤٦ ؛ وهذه الترجمة كاملة في المسودة .

أوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع ، وشهرته تغني عن الاطناب في وصفه ، وكان قد لقي جِلَّةَ المشايخ وأخذ عنهم ، منهم الشريف أبو السعادات ابن الشَّجَرِي وأبو محمد ابن الخشاب وأبو منصور الجوالقي ، وسافر عن بغداد في شبابه ، وآخر عهده بها في سنة ثلاث وستين وخمسمائة^١ ، واستوطن حلب مدة ، وكان يبتاع الخليع^٢ ويسافر به إلى بلاد الروم ويعود إليها . ثم انتقل إلى دمشق ، وصحب الأمير عز الدين فَرْوُخَ شاه بن شاهان شاه ، وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين ، واختص به وتقدم عنده وسافر في صحبته إلى الديار المصرية واقتنى من كتب خزائنها كل نفيس ، وعاد إلى دمشق واستوطنها ، وقصده الناس وأخذوا عنه ، وله كتاب مشيخة على حروف المعجم .

أخبرني أحد أصحابه أنه قال : كنت قاعداً على باب أبي محمد عبد الله بن الخشاب النحوي ببغداد ، وقد خرج من عنده أبو القاسم الزنجشري الإمام المشهور ، وهو يمشي في جاون خشب فإن إحدى رجله كانت قد سقطت من الثلج ، قال : والناس يقولون : هذا الزنجشري . ونقل من خطه : كان الزنجشري أعلم فضلاء المعجم بالعربية في زمانه ، وأكثرهم أنساً واطلاعاً على كتبها ، وبه ختم فضلاؤهم ، وكان متحققاً بالاعتزال ، قدم علينا ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ورأيتُه عند شيخنا أبي منصور الجوالقي ، رحمه الله تعالى ، مرتين قارئاً عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزاً لها ، لأنه لم يكن له - على ما عنده من العلم - لقاء ولا رواية ، عفا الله عنه وعنا .

وأخبرني الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي بالقاهرة المحروسة قال : كتب إليَّ الشيخ تاج الدين الكندي من دمشق من جملة أبيات :

أيها الصاحبُ المحافظ قد حمَّ لَتَنًا من وفاء عَهْدِكَ دَيْنَا

١ : د : ٥٧٣ .

٢ : س : الخليق .

نحن بالشام رهنُ شوقٍ إليكم هل لديكم بصرَ شوقٍ إلينا
 قد غلبنا بما حرمنا عليكم وغلبتم بما رزقتم علينا
 فمَجَزْنَا عَنْ أَنْ ترونا لديكم وعجزتم عن أن نراكم لَدَيْنَا
 حفظَ الله عهدَ مَنْ حفظ المهد وأوفى به كما قد وفَّينا
 قال : فكتبت جوابها أبياتا من جملتها :

أيها الساكنون بالشام من كِنْدَةٍ إِنَّا بَعَثْنَا مَا وَفَّيْنَا
 لو قَضَيْنَا حقَّ المودَّة كُنَّا نَحْبِنَا بَعْدَ بُعْدِكُمْ قد قَضَيْنَا
 وأنشدني له الشيخ مذهب الدين المذكور :

دع النجمَ يَكْبُو في ضلَّالته إن ادَّعى عِلْمَ ما يجري به الفلكُ
 تفرَّدَ الله بالعِلْمِ القديم فلا إلَّ إنسانَ يَشْرَكُهُ فيه ولا الملكُ
 أعدَّ للرزق من اشراكه شَرَكَاءَ وبُستِ العدنانِ الشُّرَكَاءَ والشُّرَكَاءَ

وكتب إليه أبو شجاع ابن الدهان الفَرَضِي ، الآتي ذكره إن شاء الله
 تعالى في حرف الميم :

يا زَيْدُ زادَكَ رَبِّي مِنْ مَوَاهِبِهِ نَعْمَى يَقْصُرُ عَنْ إدراكِها الأملُ
 لا غَيْرَ الله حالا قد حَبَاكَ بها ما دارَ بينَ النِّحاةِ الحالُ والبَدَلُ
 النَّحْوُ أَنْتَ أَحَقُّ الْعَالَمِينَ بِهِ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ فِيهِ يُضْرَبُ الْمُثَلُّ

ومن شعر الشيخ تاج الدين ، وقد طعن في السن :

أَرَى الْمَرْءَ يَهْوَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وفي طولِها إِرْهَاقُ ذُلٍّ وإِزْهَاقُ
 تَمَنَّتْ في عَضْرِ الشَّيْبَةِ أَنِّي أَعْمَرُ والأَعْمَارُ لا شَكَّ أَرْزَاقُ
 فلما أَتَانِي ما تَمَنَّتْ سَاءَ نِي مِنَ الْعُمُرِ ما قد كنتُ أَهْوَى وَأَشْتَقُ
 يُخَيِّلُ لي فِكْرِي إِذَا كُنْتُ خَالِيًا رُكُوبِي على الأَعْنَاقِ والسَّيرِ إِعْنَاقِ
 ويذكُرني مَرُّ النِّسَمِ وَرَوْحُهُ حَفَائِرُ يَعلوها مِنَ الثَّرْبِ أَطْبَاقُ

وهما أنا في إحدى وتسعين حجة لها في إرعاد مَخُوفٍ وإبراق
يقولونَ تِرْيَاقُ لِمَثَلِكَ نَافِعٌ وَمَا لِي إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ تِرْيَاقُ

وكانت ولادته بُكْرَةً يَوْمَ الأَرْبَعاءِ الخامس والعشرين من شعبان سنة
عشرين وخمسة ببنغداد ، وتوفي يوم الاثنين ضحوة سادس شَوَّال سنة ثلاث
عشرة وستائة بدمشق ، ودفن من يومه بجبل قاسيون ، رحمه الله تعالى .

(43) وأما مذهب الدين المذكور فهو أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن
علي بن الفضل بن التامغاز ، كذا أملى عليّ نسبه ، وأنشدني كثيراً من شعره
وشعر غيره ، وكان اجتماعنا بالقاهرة المحروسة في مجالس عديدة ، وأخبرني أن
مولده في الثامن والعشرين من شَوَّال سنة تسع وأربعين وخمسة بالحلّة
المزبذية ، وتوفي يوم الأربعاء العشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين
وستائة ، ودفن من القيد بالقرافة الصغرى ، وحضرت الصلاة عليه ، وكان
إماماً في اللغة راوية للشعر والأدب ، رحمه الله تعالى .

وقاسيُون : بفتح القاف وبعد الألف سين مكسورة مهملة وضم الياء المثناة
من تحتها وبعد الواو الساكنة نون ، وهو جبل مُطل على دمشق ، وفيه قبور
أهلها وتُربّهم ، وفيه مدارس ورباطات وجامع ، وفيه نهران ثورا ويزيد .

زيري بن مناد الصنهاجي

الأمير زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جدّ المعز بن باديس - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وقد تقدم ذكر ولده بُلُكَيْن وحفيده باديس في حرف الباء وذكر حفيد حفيده الأمير تميم في حرف التاء ، واستوعبت عنده الرفع في نسبه - ؛ وزيري المذكور أول من ملك من بيتهم ، وهو الذي بنى مدينة آشير ، وحَصَّنَهَا في أيام خروج أبي يزيد غلّله الخارجي - المقدم ذكره - لما خرج على القائم بن المهدي وعلى ولده المنصور إسماعيل وملكها وملك ما حولها . وأعطاه المنصور المذكور تَاهَرْتَ وأعمالها ، وكان حسن السيرة تام السياسة شجاعاً صارماً ، وكانت بينه وبين جعفر بن علي الأندلسي - المقدم ذكره في حرف الجيم - صفائن وأحقاد أفضت إلى الحرب ، فلما تصافتا انجلى المصاف عن قتل زيري المذكور ، وذلك في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة ، وذكر أنه كَبَا به فرسه ، فسقط الى الأرض فقتل ، وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة ، رحمه الله تعالى .

وزيري : بكسر الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الراء وبعدها مثناة من تحتها .

ومَنَاد : بفتح الميم والنون وبعده الألف دال مهملة .

والصنهاجي : تقدم الكلام عليه .

وآشِير : بمد الهمزة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها

٢٥٠ - ترجمة زيري الصنهاجي في أعمال الاعلام : ٦٤ ، وأخباره في ابن عذاري (الجزء الأول) وفي المقتبس (ط. دار الثقافة) ، وفي المصادر التاريخية العامة كان الأثير وابن خلدون ، وقد استوفت المسودة هذه الترجمة دون نقص .

وبعدها راء ، وقد تقدم ذكرها في حرف الهمزة في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم ابن قُرْقول .

وتاهرت : بفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف هاء مفتوحة وراء ساكنة ثم تاء مثناة من فوقها ، وهي مدينة بافريقية ، وثم أيضاً تاهرت أخرى ، ويقال للواحدة القديمة وللأخرى الجديدة ، ولا أعلم أيّ المدينتين ملكها زيري المذكور .

٢٥١

زينب بنت الشعري

أم المؤيد زينب - وتدعى حرة أيضاً - بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبْدُوس الجُرْجاني الأصل النيسابوري الدار الصوفي المعروف بالشَّعْري ؛ كانت عالمة ، وأدركت جماعة من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية وإجازة . سَمِعَتْ من أبي محمد إسماعيل بن أبي القاسم ابن أبي بكر النيسابوري القاريء ، وأبي القاسم زاهر وأبي بكر وجيه ابني طاهر الشحاميين وأبي المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي وغيرهم ، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي والعلامة أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري صاحب «الكشاف» وغيرها من السادات الحفاظ .

ولنا منها إجازة كَتَبَتْهَا في بعض شهور سنة عشر وستائة ، ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستائة بمدينة

٢٥١ - ترجمة زينب بنت الشعري في النجوم الزاهرة ٥ : ٩٢ ، ٦ : ١٨١ وشذرات الذهب ٥ : ٦٣ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ يعني أنها أجازت له وهو طفل .

إربلَ بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين ، رحمها الله تعالى .
ومولد زينب المذكورة سنة أربع وعشرين وخمسمائة بنيسابور ، وتوفيت سنة
خمس عشرة وستائة في جمادى الآخرة بمدينة نيسابور ، رحمها الله تعالى .
والشَّعْري : بفتح الشين المثناة وسكون العين المهملة وفتحها وبعدها راء ،
هذه النسبة إلى الشَّعْر وعمله وبيعه ، ولا أعلم من كان في أجدادها يتعاطاه
فنسبوا إليه ، والله أعلم .

حَرْفُ السِّينِ

سالم بن عبد الله بن عمر

أبو عمرو - ويقال أبو عبد الله - سالم بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي ، رضي الله عنهم أجمعين ؛ أحد فقهاء المدينة ، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، روى عن أبيه وغيره ، وروى عنه الزهري ونافع . توفي في آخر ذي الحجة سنة ست ومائة ، وقيل سنة ثمان ومائة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بالمدينة ، وكان قد حج بالناس تلك السنة ، ثم قدم المدينة فوافق موت سالم ، فصلى عليه بالبيعة لكثرة الناس ، فلما رأى هشام كثرتهم قال لإبراهيم بن هشام المخزومي [والي المدينة] ^١ : اضرب على الناس بعث أربعة آلاف ، فسمي عام أربعة آلاف .

[حدث الزهري قال سمعت سالم بن عبد الله يقول : دخلت على الوليد بن عبد الملك ، فقال : ما أحسن جسمك ! فما طعامك ؟ قلت : الكعك والزيت ، قال : وتشتيه ؟ قلت : أدعنه حتى أشتيه ، فإذا اشتيته أكلته ، وكان يقول : إياكم ومداومة اللحم ، فإن له ضراوة كضراوة الشراب .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله أن اكتب لي بشيء من رسائل عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : « يا عمر ، اذكر الملوك الذين تفقأت أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتهم بها ، وتفقأت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها ،

٢٥٢ - ترجمة سالم بن عبد الله في طبقات ابن سعد ٥ : ١٩٥ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٥٠ وغاية النهاية ١ : ٣٠١ وصفة الصفوة ٢ : ٥٠ وحلية الاولياء ٢ : ١٩٣ وتهذيب التهذيب ٣ : ٤٣٦ ورجال ابن حبان ٦٥ وتذكرة الحفاظ ٨٨ .

١ زيادة من ج .

وصاروا جيفاً في الأرض تحت آكامها ، لو كانت إلى جنب مساكن لنا لتأذينا
بريحهم»^١ .

وقال محمد بن إسحاق صاحب المغازي والسير : رأيت سالم بن عبد الله بن
عمر بن الخطاب رضي الله عنهم يلبس الصوف ، وكان عالج الخلق^٢ يعالج بيديه
ويعمل .

ودخل سليمان بن عبد الملك الكعبة ، فرأى سالمًا ، فقال له : سلمي حوائجك ،
فقال : والله لا سألت في بيت الله غير الله .

٢٥٣

سالم الخاسر

أبو عمر سالم الشاعر عرف بالخاسر ؛ يقال إنه مولى أبي بكر الصديق ، وقيل
بل مولى المهدي ، وهو سالم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، هكذا نسبته أحمد
ابن أبي طاهر ، وسمي الخاسر لكونه باع مصحفًا واشترى بثمنه طنبوراً .
قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة ، وكان على طريقة غير مرضية من
المجون والتظاهر بالخلاعة والفسوق .

وكان سالم المذكور قد مدح المهدي بقصيدة منها :

حضر الرحيل وشدت الأحداج وحدا بهنّ مشمّر مزعاج

١ زيادة من ر ولم ترد في المسودة وسائر النسخ .

٢ ه : الحلقة .

٢٥٣ - ترجمة سالم الخاسر (الشير بسم الخاسر) في معجم الأدباء ١١: ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٩: ١٣٦
وطبقات ابن المعتز : ٩٩ والأغاني ١٩ : ٢١٤ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في م س والمسودة وإنما
انفردت بها ص ر ؛ ومعظم ما ورد هنا منقول عن تاريخ بغداد .

شربت بمكة في ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج
وكان المهدي أعطى مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم بقصيدته التي أولها:

طرقتك زائرة فحي خيالها

فأراد أن ينقص سالماً من هذه الجائزة فحلف سالم أن لا يأخذ إلا مائة ألف
وقال : تطرح القصيدتان إلى أهل العلم حتى يخبروا بتقديم قصيدتي ؛ فأنفذ له
المهدي مائة ألف درهم وألف درهم ، وكان هذا ماله .

وكان ينتمي إلى ولاد تيم بن مرة من قريش ، فلما بلغ زمن الرشيد ، وكان
الرشيد قد بايع لمحمد بن زبيدة ، يعني ولده الأمين ، قال قصيدته التي أولها :

قل للمنازل بالكثيب الاعفر أسقيت غادية السحاب المطر
قد بايع الثقلان مهدي الهدى لمحمد بن زبيدة ابنه جعفر

فحشت زبيدة فاه دراً فباعه بعشرين ألف دينار . وتقدم لمروان بن أبي
حفصة مع زبيدة مثل ذلك في حرف الزاي .

ومات سالم في أيام الرشيد وقد اجتمع عنده ستة وثلاثون ألف دينار ،
فاودعها أبا السمراء الغساني فبقيت عنده ، وإن إبراهيم الموصلي دخل يوماً على
الرشيد وغناه فأطربه فقال : سل ما شئت ، قال : نعم يا سيدي ، أسأل شيئاً
لا يرزأك ، قال : ما هو ؟ قال : مات سالم وليس له وارث وخلف ستة وثلاثين
ألف دينار عند أبي السمراء الغساني ، تأمره أن يدفعها إلي ، فتمسكها^١ .
وكان الجواز قدم هو وأبوه يطالبان بميراث سالم بأنها من قرابته . وذكروا
أنه لما قال أبو العتاهية^٢ :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

١ في الأغاني أن الرشيد هو الذي قبض تركة سلم الحامر وقال : « هذا خادمي ونديمي والذي
خلفه من مالي فأنا أحق به » .

٢ انظر الأغاني : ٢٣١ .

غضب سالم وقال : يزعم أني حريص ؟ وقال يرد عليه :

ما أقبح التزهيد من واعظ 'يُزهّدُ الناسَ ولا يزهّدُ'
لو كان في تزيهده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد
ويرفض الدنيا ولم يقنّها ولم يكن يسعى ويسترفد
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود
كلّ يوفى رزقه كاملاً من كفّ عن جهده ومن يجهد

وكان سالم من الشعراء المجيدين من تلامذة بشار ، وصار يقول أرق من شعر
بشار . وكان بشار قد قال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
وقال سالم :

من راقب الناس مات غمّاً وفاز باللذة الجسور

فغضب بشار وقال : ذهب والله بيتي ؛ يأخذ المعاني التي تعبت فيها فيكسوها
ألفاظاً أخف من ألفاظي ، لا ارضى عنه ، فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه .
وقال أبو معاذ النميري : رأيت بشاراً لما قال هذا البيت وهو يلهج به
كثيراً :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... البيت

قلت : يا أبا معاذ ، قد قال سالم الخاسر بيتاً في هذا المعنى هو أخف من
هذا ، وأنشدته :

من راقب الناس مات غمّاً

فقال : ذهب والله بيتي ، والله لا أكلت اليوم شيئاً ولا صمت .
وكانت وفاة سالم المذكور سنة ست وثمانين ومائة ، رحمه الله تعالى .

أبو بكر ابن عياش

أبو بكر سالم بن عياش بن سالم الحنّاط ، الأسدي مولاهم ، الكوفي ؛ كان من أرباب الحديث والعلماء المشاهير ، وهو أحد راوي القراءات عن عاصم ، وهو مولى واصل بن حيان الأحذب .

ذكر أبو العباس المبرد في كتاب «الكامل» ، قال^١ : قال أبو بكر ابن عياش : أصابني مصيبة آلمتني ، فذكرت قول ذي الرمة^٢ :

لعلَّ الحِدَارَ الدَّمْعَ يُعْقِبُ راحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

فخلوت بنفسي وبكيت فاسترحت . وله أخبار وحكايات كثيرة . وقيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسمه شعبة ، والله أعلم .

وروي عنه أنه قال^٣ : لما كنت شاباً وأصابتني مصيبة تجلّدت لها ، ودفعت البكاء بالصبر ، فكان ذلك يؤذيني ويؤلّني ، حتى رأيت أعرابياً بالكناسة وهو واقف على نجيب له ينشد :

خَلِيلِي عُوْجاً مِنْ صُدُورِ الرُّوْحِ لِـ بِمَهْجُورِ حُزُونِي فابْكِيَا فِي الْمَنَازِلِ

وبعده :

لعلَّ الحِدَارَ الدَّمْعَ يُعْقِبُ راحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

٢٥٤ - ترجمة أبي بكر ابن عياش في ميزان الاعتدال ٤ : ٤٩٩ (في الكنى) وغاية النهاية ١ : ٣٢٥ (تحت اسم : شعبة) والحنّاط : ضبطت بالنون ، وفي المسودة : الحياط ؛ وقال الجزري : اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً ، وانظر ابن حبان : ١٧٣ .

١ الكامل ١ : ٨٨ .

٢ ديوان ذي الرمة : ٤٩١ - ٤٩٢ .

٣ تكرار للحكاية لم يرد في ٣ .

فسألت عنه ، فقليل ي : ذو الرمة ، فأصابني بعد ذلك مصائب ، فكنت أبكي فأجد لذلك راحة ، فقلت : قاتل الله الأعرابي ما كان أبصره !
 [قال أبو بكر : قال لي رجل وأنا شاب : خلّص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة ، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً ، قال : فأنسيها] ١ .
 وكانت وفاته بالكوفة في سنة ثلاث وتسعين ومائة ، بعد هارون الرشيد بثمانية عشر يوماً ، وعمره ثمان وتسعون سنة ، وكانت وفاة الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بمدينة طوس ، رحمها الله تعالى .
 وعيَّاش : بفتح العين المهمة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف شين معجمة .

والأسدي والكوفي : قد تقدم الكلام عليهما ، وقيل : هو مولى بني كاهل ابن أسد بن خزّية .

٢٥٥

سابور بن أردشير

أبو نصر سابور بن أردشير ، الملقب بهاء الدولة وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي ؛ كان من أكابر الوزراء ، وأمائل الرؤساء ، جمعت فيه الكفاية والدراية ، وكان بابيه محطّ الشعراء . ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب « اليتيمة » ٢ ، وعقد لمدّاحه باباً مستقلاً ، لم يذكر فيه غيرهم ، فمن جملة من مدحه أبو الفرج البَغْفاء بقوله ٣ :

١ زيادة من د وحدها .

٢٥٥ - أخباره في صفحات متفرقة من تجارب الأمم والجزء التاسع من تاريخ ابن الأثير .

٢ اليتيمة ٣ : ١٢٩ .

٣ المصدر السابق : ١٣٠ .

لمتُ الزمانَ عني تأخيرِ مُطَلِّي فقال : ما وجهُ نومي وهو محذورُ
فقلتُ : لو شئتَ ما فتَ الغنى أُمِّي فقال : أخضاتُ ، بس نو شاء سابور
لذُ بالوزير أبي نصرٍ وسلُّ شططُ أسرفُ فإِنَّكَ في التَّسْرِفِ معذور
وقدُ تقبلتُ هذا النصيحَ من زمي والنصحُ حتى من الأعداءِ مشكور

ولمحمد بن أحمد الحرون^١ فيه قصيدة من جملتها :

يا مؤنسَ الملك والأيامُ موحشةٌ ورابط الجأش والآجالُ في وجلٍ
ما لي وللأرض لم أوطنُ بها وطنًا كأنني بـِكْرُ معنَى سارٍ في المثل
لو أنصفَ الدهرُ أو لانتَ معاطفهُ أصبحتُ عِنْدَكَ ذا خيلٍ وذا خولٍ
ثمَّ ثلُّوا ألفَ ظمٍ أسقيضُها لو كرُّ الغديرِ ما ستأنسنَ بالعطنِ
ومن عيون معانٍ لو كسَحَلْنَ بها نُجِرَ انعيونُ لأغناها عن الكَحَلِ

وكان قد صُرف عن الوزارة ثم أعيد إليها ، فكتب إليه أبو إسحاق
النصابي^٢ :

قد كنتَ ظلمتَ الوزارة بعدما زلَّتْ بها قَدَمٌ وساءَ صَنِيعُها
فغَدَّتْ بِغيرِكَ تستعلُّ ضرورةً كيما يحلَّ إلى ذراكِ رُجوعِها
فالآنَ عادتْ ثم آلتْ حلقةً أنْ لا يبيتَ سِوَاكَ وهو ضجيعُها

[ولبعض الشعراء في وزير صرف ثم أعيد من يومه فقال على لسانه :

عاداني الدهر نصفَ يومٍ فانكشف الناس لي وبأنوا
يا أيها المعرضون عن عودوا فقد عاد لي الزمان]^٣

١ كذا في المسودة وسائر الأصول ؛ وورر في اليتيمة (١١٢٩) : الحمدوني .

٢ اليتيمة ٢ : ٢٨٥ .

٣ زيادة من ص وحدها

وله ببغداد دار علم، وإليها أشار أبو العلاء المعري بقوله في القصيدة المشهورة^١ :
وغنّت لنا في دار سابور قينةٌ من الورقِ مطرابُ الأصائلِ ميهالُ
وكانت وفاة سابور المذكور في سنة ست عشرة وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى . ومولده بشيراز ، ليلة السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .

وتوفي بخدومه بهاء الدولة في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة بأرجان ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، رحمه الله تعالى .
وسابور : بفتح السين المهملة وضم الباء الموحدة وبعد الواو راء . والأصل فيه « شاه بور » فعرب لأن الشاه بالعجمي : الملك ، وبور : ابن ، فكأنه قال : ابن الملك ، وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف . وأول من سمي بهذا الاسم سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس .
وأردشير : بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، قاله الدارقطني الحافظ ، وقال غيره : معناه دقيق حليب ، وقيل معناه دقيق وحلو - وقال بعضهم : « أردشير » بالهمزة والزاي - وهو لفظ عجمي ، وأرد عندهم : الدقيق ، وشير : الحليب ، وشيرين : الحلو ، والله أعلم .

١ شروح السقط : ١٢٣٩ .

سري السقطي

أبو الحسن سري بن المفلّس السَّقَطِيُّ أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة؛ كان أوحده زمانه في الورع وعلوم التوحيد، وهو خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي، يقال: إنه كان في دكانه، فجاءه معروف يوماً ومعه صبي يتيم، فقال له: اكسُ هذا اليتيم، قال سري: فكسوته، وفرح به معروف، وقال: بَقِضَ الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه؛ ففقت من الدكان وليس شيء أبغض إليّ من الدنيا. وكل ما أنا فيه من بركات معروف.

ويحكى أنه قال: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي مرة «الحمد لله»! قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني واحد وقال: نجّا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت، حيث أردتُ لنفسي خيراً من الناس.

وحكى أبو القاسم الجنيد قال: دخلت يوماً على خالي سري السقطي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: جاءتني البارحة الصبية فقالت: يا أبت، هذه ليلة حارة، وهذا الكوز أعلقه هاهنا، ثم إنه حملتني عينايا فنمت فرأيت جارية من أحسن خلق الله قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وتناولت الكوز فضربت به الأرض، قال الجنيد: فرأيت الخنزف^٢ المكسور لم يرفعه، حتى عفى عليه التراب.

٢٥٦ - ترجمة السري السقطي في تهذيب ابن عساكر ٦ : ٧١ وحلية الأولياء ١٠ : ١١٦ وصفة الصفوة ٢ : ٢٠٩ وطبقات السلي ٤٨ : ٤٨٧ ولسان الميزان ٣ : ١٣.

١ ج د : البارد.

٢ هـ : الكوز.

[قال عبد الله بن شاذان : قال سري : صليتُ وردي ليلة ، ومددت رجلي في الحرب فنوديتُ : يا سري ، هكذا تجالس الملوك ؟ قال : فضممت رجلي ، ثم قلت : وعزتك لا مددت رجلي أبداً . قال الجنيد : أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رأيته مضطجعاً إلا في علة الموت .

ويحكى عن الجنيد أنه قال : سأني السري يوماً عن المحبة ، فقلت : قال قوم : هي الموافقة ، وقال قوم : هي الإيثار ، وقال قوم : كذا وكذا ، فأخذ السري حلدة ذراعه ومدّها فمتمتة ، ثم قال : وعزته لو قلت إن هذه الجلدة يبيت على هذا العضم من محبته لصدقت .

قال الجنيد : وسمعت يقول : أريد أن أكل أكلة ليس لله عليّ فيها تبعية ولا مخلوق فيها منة فمأجد ، فأتاني حي الجرجاني فدق عليّ باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي : يا سري ، ملحك مدقوق ؟ فقلت : نعم ، قال : لا تقلح ، ثم قال : لولا أن الله عز وجل عقم الأذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع ، ولا تجر التاجر ، ولا تلاه الناس في الطرقات ، ثم مضى فأتمبني وأبكاني .

وحكى الجنيد أيضاً عن سري قال : كنت في طلب صديق ثلاثين سنة ، فلم أظفر به ، فمررت في بعض الجبال بأقوام مَرَضَى وزَمْنَى وعُمَى وبكم ، فسألتهم عن مقدمهم في ذلك الموضع ، فقالوا : في هذا الكهف رجل يسح يده عليهم فيبرءون بإذن الله تعالى وبركة دعائه ، فوقفت أنتظر معهم ، فخرج شيخ عليه جبة صوف ، فمسهم ودعاهم ، فكانوا يبرءون من عليهم بشيئة الله عز وجل ، قال : فأخذت بذيله ، فقال : خلّ عني يا سري لا يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه ^١ .

[قال سري : المتصوف اسم لثلاثة معان ، وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى] ^٢ .

١ ما بين معقفي زيدة من ص ، وهذه القصة الأخيرة نفسها وردت في زيادات د في ترجمة بشر

الحافي مسوبة له : انظر الجزء الأول : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

٢ . يرد هذا النص في المخطوطات .

وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين ، وقيل يوم الأربعاء لست خلون من شهر رمضان بعد الفجر سنة ست وخمسين ، وقيل سبع وخمسين ومائتين ببغداد ، ودفن بالشونيزية . وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : مقبرة الشونيزي وراء المحلة المعروفة بالتوتة بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي ، وسمعت بعض شيوخنا يقول : مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير ، والمقبرة التي وراء التوتة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير ، وكنا أخوين يقال لكل واحد منهما « الشونيزي » ودفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه ، والله أعلم .

وقبره ظاهر معروف ، وإلى جنبه قبر الجنيد ، رضي الله عنهما .
والغلس : بضم الميم وفتح الغين المعجمة وكسر اللام المشددة وبعدها سين مهمة .

وكان سري كثيراً ما ينشد :

إذا ما شكوتُ الحبَّ قالتَ كَذَبْتَنِي فما لي أرى الأعضاء منك كَوَاسِي
فلا حُبَّ حتى يَلْتَصِقَ الجلدُ بالحشا وتُذْهَلْ حتى لا تُجِيبَ المَنَادِي

٢٥٧

السري الرفاء

أبو الحسن السريُّ بن أحمد بن السري الكندي الرفاء الموصلِي الشاعر المشهور ؛ كان في صباه يَرْفُو وَيَطْرُزُ في دكان بالموصل ، وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ، ولم يزل حتى جاد شعره ومهر فيه ، وقصد سيف الدولة ابن حمدان بحلب ومدحه وأقام عنده مدة ، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح

٢٥٧ - ترجمة السري الرفاء في أبيات ١١٧:٢ ومجموع الأدباء ١٨٢:١١ وتاريخ بغداد ١٩٤:٩ .

الوزير المهلبى وجماعة من رؤسائها ، ونفق شعره وراج . وكانت بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين الموصليين الشاعرين المشهورين معاداة فادعى عليها سرقة شعره وشعر غيره .

وكان السري^١ مُغرًى بنسخ ديوان أبي الفتح كشاجم الشاعر المشهور ، وهو إذ ذاك ربحان الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قلبه يضرب ، فكان يدس^٢ فيها يكتبه من شعره أحسن شعر الخالدين ، ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلي سعره ويشنع بذلك عليها ويفض منها ويظهر مصداق قوله في سرقتها ، فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة .

وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف ، ولم يكن له رواء ولا منظر ، ولا يحسن من العلوم غير قول الشعر ، وقد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلثمائة ورقة ، ثم زاد بعد ذلك ، وقد عمله بعض^٣ المحدثين الأدباء على حروف المعجم^٤ .

ومن شعر السري أبيات^٥ يذكر فيها صناعته ، فمنها قوله^٦ :

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيد^٧ :

يَلْتَقِي النَّدَى بِرَقِيقِ وَجْهِ مُسْفِرٍ فَإِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ عَادَ صَفِيقَا
رَحْبُ الْمَنَازِلِ مَا أَقَامَ فَإِنْ سَرَى فِي جَحْفَلٍ تَرَكَ الْفَضَاءَ مَضِيقَا

١ مأخوذ عن اليتيمة : ١١٨ .

٢ وكان شاعراً ... حروف المعجم : سقط من س م .

٣ قال الثعالبي عند إيراد هذه الأبيات : « وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد » . وانظر ديوانه المطبوع : ١٤٠ .

٤ ديوانه ١٨٥ ، وهي في مدح سيف الدولة .

وذكر له الثعالي في كتاب « المنتخل »^١ :

أَلْبَسْتَنِي نَعْمًا رَأَيْتُ بِهَا الدَّجَى صُبْحًا وَكُنْتُ أَرَى الصَّبَاحَ بَهِيمًا
فَغَدَوْتُ يَحْسُدُنِي الصَّدِيقُ وَقَبَّلَهَا قَدْ كَانَ يَلْقَانِي الْعَدُوُّ رَحِيمًا
ومن غرر شعره في النسيب قوله^٢ :

بِنَفْسِي مَنَ أَجُودُ لَهُ بِنَفْسِي وَيَبْخَلُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ
وَحَتْفِي كَأَمِنْ فِي مُقْلَتَيْهِ كُمُونُ الْمَوْتِ فِي حَدِّ الْحَسَامِ
[وله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان^٣ :

تَرَكْتَهُمْ بَيْنَ مَصْبُوغِ تَرَائِبُهُ مِنْ الدَّمَاءِ وَغُضُوبِ ذَوَائِبُهُ
فَحَائِدٌ وَشَهَابُ الرَّمْحِ لَاحِقُهُ وَهَارِبٌ وَذَبَابُ السِّيفِ طَالِبُهُ
يَهْوِي إِلَيْهِ بِمِثْلِ النَّجْمِ طَاعِنُهُ وَيَنْتَحِيهِ بِمِثْلِ الْبَرْقِ غَالِبُهُ
يَكْسُوهُ مِنْ دَمِهِ ثَوْبًا وَيَسْلُبُهُ ثِيَابَهُ فَهُوَ كَأَسِيهِ وَسَالِبُهُ
وله من قصيدة أخرى :

وَكَمْ لَيْلَةٍ شَمَرْتُ لِلرَّاحِ رَائِحًا وَبِتَ لَغْزَلَانِ الصَّرِيمِ مَغَازِلًا
وَحَلَيْتُ كَأَسِيَّ وَالسَّنَا بِحَلِيلِهَا فَمَا عَطَلَتْ حَقِّي بَدَا الْأَفَقُ عَاطِلًا
ومن شعره^٤ :

وَفَتِيَّةٌ زَهَرُ الْآدَابِ بَيْنَهُمْ أَهْبَى وَأَنْصَرُ مِنْ زَهْرِ الرِّيَاحِينَ
رَاحُوا إِلَى الرَّاحِ مَشَى الرُّوحُ وَأَنْصَرَفُوا وَالرَّاحُ تَمَشِي بِهِمْ مَشَى الْفَرَازِينَ

١ انظر ديوانه : ٢٥١ .

٢ ديوانه : ٢٦٠ واليتيمة : ١٣٧ .

٣ هي في ذكر وقعة له مع الدمستق (ديوانه : ١٨ واليتيمة : ١٢٦) .

٤ ديوانه : ٢٧٤ ومسالك الأبصار : ١ : ٣٠٣ .

ومن شعره :

ما كان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاتها وحلّ خمارها

ومن شعره :

انظر إلى الليل كيف تصرعه راية صبح مبيضة العذب

كراهب جن للهوى طرباً فشق جلبابه من الطرب^١

وللسري المذكور ديوان شعر كله جيد ، وله كتاب « الحب والمحبوب والمشموم والمشروب » وكتاب « الديرة » .

وكانت وفاته في سنة نيف وستين وثلثائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، هكذا قال الخطيب البغدادي في تاريخه ، وقال غيره : توفي سنة اثنتين وستين وثلثائة وقيل سنة أربع وأربعين وثلثائة ، والله أعلم . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه^٢ أنه توفي سنة ستين وثلثائة ، رحمه الله تعالى .

٢٥٨

حيص بيصر

أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصفي التميمي الملقب شهاب الدين المعروف بحَيصَ بَيصَ الشاعر المشهور ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالري على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزان ، وتكلم في مسائل الخلاف ، إلا أنه

١ ما بين محققين زيادة من رد وبعضها من ص .

٢ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٦١٧ .

٢٥٨ - له ترجمة مسهبة في الخريدة (قسم العراق) ١ : ٢٠٢ ومعجم الأدباء ١١ : ١٩٩ وابن أبي

أصيبعة ١ : ٢٨٣ والمتنظم ١٠ : ٢٨٨ ولسان الميزان ٣ : ١٩ وطبقات السبكي ٤ : ٢٢١

والبداية والنهاية ١٦ : ٣٠١ .

غلب عليه الأدب ونظم الشعر ، وأجاد فيه مع جزالة لفظه ، وله رسائل فصيحة بليغة . ذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب « الذيل » وأثنى عليه . وحدثت بشيء من مسموعاته ، وقرأ عليه ديوانه ورسائله ، وأخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً ؛ وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم . ويقال إنه كان فيه تيهٌ وتعاضمٌ ، وكان لا يخاطب أحداً إلا بالكلام العربي ، وكانت له حوالة بمدينة الحلة ، فتوجه إليها لاستخلاص مبلغها ، وكانت على ضامن الحلقة^١ ، فسير غلامه إليه فلم يرج عليه وشم أستاذه ، فشكاه إلى والي الحلة ، وهو يومئذ ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر الجواني^٢ ، فسير معه بعض غلمان الباب ليساعده ، فلم يقنع أبو الفوارس منه بذلك ، فكتب إليه يعاتبه ، وكانت بينها مودة متقدمة^٣ « ما كنت أظن أن صحبة السنين ومودتها يكون مقدارها في النفوس هذا المقدار ، بل كنت أظن أن الخميس الجحفل لو زنَّ لي عرضاً لقام بنصري من آل أبي العسكر حماة غلبُ الرقاب^٤ ، فكيف بعامل سويقة ، وضامن حليّة وحليقة ؟ ويكون جوابي في شكواي أن ينفذ إليه مستخدم يعاتبه ، ويأخذ ما قبله من الحق ، لا والله :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريمة في الملوب لا السلب

وبالله أقسم ، ونبيّه وآل بيته ، لأن لم تقم لي حرمةٌ يتحدث بها نساء الحلة في أعراسهن ومناحاتهن ، لا أقام وليك بحتك هذه ، ولو أمسى بالجسر أو القناطر ، هبني خسرت حر النعم أفأخسر أبيتي ، واذلاه ، واذلاه ، والسلام . وكان يلبس زي العرب ويتقلد سيفاً ، فعمل فيه أبو القاسم ابن الفضل - الآتي

١ س ر : الحلة .

٢ ه : أبي الساكر الجواني ؛ م : الجواني .

٣ لم يورد من هذه الرسالة في م إلا بيت أبي تمام الآتي من بعد .

٤ أثبتنا ما في المسودة وه ، وقد اضطربت في النسخ الأخرى .

ه ناظر إلى قول الحماسي :

اذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لثة لانا

ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى - وذكر العماد في « الخريدة » أنها للرئيس علي بن الأعرابي الموصلي ، وذكر أنه توفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة :

كَمْ تَبَادَى وَكَمْ تَطَوَّلُ طَرَطُو رَكَ ؟ مَا فَيْكَ شَعْرَةٌ مِنْ تَمِيمٍ
فَكُلُّ الضُّبِّ واقْطُرِ الحَنْظَلِ اليَا بَسْ واشْرَبْ مَا شِئْتَ بَوَلِ الظَّلِيمِ
لَيْسَ ذَا وَجْهِ مِنْ يَضِيفُ وَلَا يَقْ رِي وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرِيمِ
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْأَبْيَاتِ أَبَا الْفَوَارِسِ الْمَذْكُورِ عَمَلٌ ٢ :

لَا تَتَّضَعْ مِنْ عَظِيمٍ قَدَرٍ وَإِنْ كُنْتَ مُشَاراً إِلَيْهِ بِالْعَظِيمِ
فَالشَّرِيفُ الْكَرِيمُ يَنْقُصُ قَدْرًا بِالْتَعَدِّي ٣ عَلَى الشَّرِيفِ الْكَرِيمِ
وَلَعُ الْخَمْرِ بِالْعُقُولِ رَمَى الْخَمْرَ بِتَنْجِيسِهَا وَبِالتَّحْرِيمِ
وَعَمَلٌ فِيهِ خُطِيبُ الْحُوَيْزَةِ الْبُحَيْرِي :

لَسْنَا وَحَقُّكَ حَيْصُ بَيْ صَ مِنْ الْأَعَارِبِ فِي الصَّمِيمِ
وَلَقَدْ كَذَبْتَ عَلَى بَحْرِ رَكْمًا كَذَبْتَ عَلَى تَمِيمِ

وقال الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف الصناعة بالخزن ، وكان من الثقات أهل السنة : رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة فتقولون مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، ثُمَّ يَتِمُّ عَلَى وَلَدِكَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الطُّفِّ مَا تَمُّ ؟ فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَبْيَاتَ ابْنِ الصِّفِيِّ فِي هَذَا ؟ فقلت : لا ، فقال : اسمعها منه ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَبَادَرْتُ إِلَى دَارِ حَيْصِ بَيْصِ ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ، فَذَكَرْتُ لَهُ الرُّؤْيَا فَشَقَّ وَأَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ ، وَحَلَفَ بِاللَّهِ إِنْ كَانَتْ خَرَجْتُ مِنْ فَمِي أَوْ خَطِيئَةٌ إِلَى أَحَدٍ ، وَإِنْ كُنْتُ نَظَمْتُهَا إِلَّا فِي لَيْلَتِي هَذِهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي :

١ د ٥ : واقترض .

٢ الخريدة : ٣٢٠ .

٣ ر : بالتجري .

ملكنا فكانَ العفوُ مِنّا سجيّةً فلما ملكتمْ سالَ بالدمِ أَبطَحُ
وحلّلتُم قتلَ الأسارى ، وطالما غدّونا على الأسرى نَعْفُ ونصفح
فحسبكمْ هذا التفاوتُ بيننا وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح

وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر
شديد فقال : ما للناس في حيص بيص ، فبقي عليه هذا اللقب ، ومعنى هاتين
الكلمتين الشدة والاختلاط ، تقول العرب : وقع الناس في حيص بيص ، أي في
شدة واختلاط .

وكانت وفاته ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد ،
ودفن من الغد بالجانب الغربي في مقابر قريش ، رحمه الله تعالى .
وكان إذا سئل عن عمره يقول : أنا أعيش في الدنيا مجازفة^١ ، لأنه كان
لا يحفظ مولده ، وكان يزعم أنه من ولد أكرم بن صيفي التميمي حكيم العرب .
ولم يترك أبو الفوارس عقباً .

وصيفي : بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الفاء
وبعدها ياء .

والحويزة : بضم الحاء المهملة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها زاي ثم هاء ، وهي بلدة من إقليم خوزستان على اثني عشر فرسخاً
من الأهواز .

١ إلى هنا انتهت الترجمة في م ، مع سقوط الفقرة التي أولها : « وكان يلبس ... نيم » فيما سبق .

أبو المعالي الخطيري

أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الخطيري المعروف بدلال الكتب ؛ كانت لديه معارف ، وله نظم جيد ، وألف مجاميع ما قصر فيها ، منها كتاب « زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر ألطاف شعراء العصر » الذي ذيله على « دمية القصر » لأبي الحسن الباخري جمع فيه جماعة كبيرة من أهل عصره ومن تقدمهم ، وأورد لكل واحد طرفاً من أحواله وشيئاً من شعره . وقد ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأنشده عدة مقاطيع ، وروى عنه لغيره شيئاً كثيراً . وكان مطلعاً على أشعار الناس وأحوالهم ، وله كتاب سماه « ملح الملح » يدل على كثرة اطلاعه . ومن شعر أبي المعالي المذكور قوله :

ومُعَذَّرٌ فِي خَدِّهِ وَرَدَّ فِي فَمِهِ مُدَامُ
مَا لَانَ نِي حَقِّ تَفَشَّى صُبْحَ سَالِفِهِ^١ ظِلَامُ
كَالْمُهْرِ يَجْمَحُ تَحْتَ رَا كِبِهِ وَيَعْطِفُهُ اللَّجَامُ

وهذا المعنى يقرب من قول أبي علي الحسن بن رشيقي^٢ - المقدم ذكره - :

وَأَسْمَرُ اللَّوْنِ عَسْجَدِيَّ يَسْتَمْطِرُ الْمُقْلَةَ الْجَهَامَا
ضَاقَ بِجَمَلِ الْعَذَارِ ذَرْعًا كَالْمُهْرِ لَا يَعْرِفُ اللَّجَامَا

٢٥٩ - ترجمة أبي المعالي الخطيري في معجم الأدباء ١١ : ١٩٤ والخزانة ٣ : ١١٨ .

١ : ياقوت : في ذكر لطائف شعراء .

٢ : ب : يده .

٣ : أ : عارضه ؛ ياقوت : طلعت .

٤ : ديوان ابن رشيقي : ١٦٨ .

فظنَّ أنَّ العذارَ مما يزيحُ عن جسمي السَّقاما
فنكسَ الرأسَ إذ رأني كآبةً منه واحتشاما
وما درى أنه نباتٌ أنبتَ في قلبي الفَراما
وهلْ تَرى عارضيه إلا حمائلًا علقتْ حُساما

وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن عبد ربّه صاحب كتاب «العقد» معنى هذا البيت الأخير^١.

وله أيضاً :

أحدقتْ ظلمة العذار بخديّ ه فزادَتْ في حبه حِراقِي
قلتُ ماء الحياة في فمه العذِّ ب دَعُونِي^٢ أخوضُ في الظلماتِ
[ومن شعره الرائق :

لئن قيل أبدع في شبهه ولم يكسُ مضاه لفظاً سليما
فمن غنب الكرم يحنى السلاف وإن لم يكن غصنها مستقيما
وله أيضاً :

قلْ لَمَنْ عابَ شامةً لحييي دونَ فيه دَعِ الملامة فيه
إنما الشامةُ التي قلتَ عنها فصُّ فيروزجٍ بخاتمِ فيه^٣
[ومن شعره أيضاً :

لما حنى الشيب ظهري صحت واحربا دنا أو ان فراق الروح والجسد
أما ترى القوس أحنى ظهرها فدنا ترحل السهم عنها وهي في الكبد
وله في كتاب جمعه وسماه « زينة الدهر » :

١ انظر ١ : ١١٠ من الوفيات .

٢ د : فدعني .

٣ زيادة من رد وبعضه من ص .

هذا كتاب قد غدا روضة ونزهة للقلب والعين
جعلت من شعري له عوذة خوفاً وإشفاقاً من العين^١

وله أيضاً :

مُدَّ على ماء الشبابِ الذي في خدّه جسرٌ من الشعرِ
صارَ طريقاً لي إلى سلوكتي وكنتُ فيه موثّقَ الأثرِ

ومن شعره أيضاً :

شكوتُ هوى مَنْ شَفَّ قلبي بَعْدَهُ توقدَ نار ليس يطفى سعيها
فقالَ بَعادي عنكَ أَكْثَرُ راحةً ولولا بَعادُ الشمسِ أَحرقَ نورها

[وله أيضاً :

ومصنفه شبهته شمس الضحى في حسن بهجتها وبعد مكانها
قد زاده نقش العذار محبة نقش الفصوص يزيد في أثمانها

ومن شعره :

ومستحسن أصبحت أهذي بذكره وأمسيت في شغل من الوصل شاغل
وعارضني من سحر عينيه جنة فقيدي من صدغه بسلاسل^٢

وله كل معنى مليح مع جودة السبك .

وتوفي يوم الاثنين الخامس والعشرين ، وقيل الخامس عشر ، من صفر
سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب ، رحمه الله تعالى .
والحظيري : بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من
تحتها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له « الحظيرة » ،
ينسب إليه كثير من العلماء ، والثياب الحظيرية منسوبة إليه أيضاً^٣ .

١ زيادة من ر د . ٢ زيادة من ص .

٣ م : ينسب إليه علماء وثياب .

سعيد الحيري

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري^١؛ ولد بالريّ ونشأ بها ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفي بها ، وكان قد سمع بالريّ من محمد بن مقاتل وغيره ، وبالعراق من محمد بن إسماعيل الأحمسي وحيد بن الربيع اللخمي وغيرهما ، ودخل بغداد .

ويقال : إنه كان مستجاب الدعوة [وقام في مجلسه رجل فقال : يا أبا عثمان ، متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه ؟ قال : إذا خلا من خلافه كان صادقاً في حبه ، قال : فوضع الرجل التراب على وجهه وصاح ، وقال : كيف أدعي حبه ولم أخلُ طرفة عينٍ من خلافه ؟ فبكى أبو عثمان وأهل المجلس ، وجعل أبو عثمان يقول : صادق في حبه ، مقصر في حقه .

قال أبو عمرو^٢ : وكنت أختلف إلى أبي عثمان مدة في وقت شبائي ، وحظيت عنده ، ثم اشتغلت مدة بشيء مما يشتغل به الفتيان فانقطعت عنه ، وكنت إذا رأيته من بعيد أو في طريق اختفيت حتى لا يراني ، فخرج علي يوماً من سكة في عطفة فلم أجد عنه محيصاً فتقدمت إليه وأنا دهش ، فلما رأى ذلك قال : يا أبا عمرو ، لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً^٣ .

وكان يقول : طول العتاب فرقة ، وترك العتاب حشمة ، وكان يقول : لا يستوي الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء : المنع والعطاء ، والعز والذل .

٢٦٠ - انظر النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٧ وطبقات السلي ١٧٠ : ١٧٠ وعبر الذهبي ١١١٢ : ١١١٢ وشذرات الذهب ٢ : ٢٣٠ وحلية الأولياء ١٠ : ٢٤٤ وقاربخ بغداد ٩ : ٩٩ ؛ والحيري : نسبة إلى قرية يقال لها الحيرة من قرى نيسابور ، ولم ترد هذه الترجمة في م والمسودة .

١ ر : الحيري .

٢ أبو عمرو ابن حمدان كما في الحلية .

٣ زيادة من ر وحدها .

وكان يقال : ثلاثة أشياء لا رابع لها : أبو عثمان بنيسابور ، والجنيذ ببغداد ، وأبو عبد الله ابن الجلاء بالشام .

وقال أبو عثمان : منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في شيء فكرهته ، ولا نقلني إلى حال فسخطته .

وقالت مريم امرأة أبي عثمان : كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة ، فإنه إذا دخل ستر الخلوّة لم يحس بشيء من الحديث وغيره . وقالت : صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها ، وقلت : يا أبا عثمان ، أي عملك أرجى عندك ؟ فقال : يا مريم ، لما ترعرت وأنا بالري وكنا يرادوني على التزوج فامتنع جاءني امرأة فقالت : يا أبا عثمان ، قد أحبيتك حباً ذهب بنومي وقراري ، وأنا أسألك بقلب القلوب أن تتزوج بي ، فقلت : ألك والد ؟ قالت : نعم ، فلان الحياط في موضع كذا ، فراسلته ، فأجاب ، فتزوجت بها ، فلما دخلت وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق ، فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدرته لي ، وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك ، فأزيدها برّاً وإكراماً ، إلى أن صارت لا تدعني أخرج من عندها ، فتركت حضور المجلس إشاراً لرضاها وحفظاً لقلبها ، وبقيت معها على هذه الحالة خمس عشرة سنة ، وكنت معها في بعض أوقاتي كأني قابض على الحجر ولا أؤدي لها شيئاً من ذلك ، إلى أن ماتت ، فما شيء عندي أرجى من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي .

[ولما تغير على أبي عثمان الحال عند الموت مزق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه . ففتح أبو عثمان عينه وقال : خلاف السنّة يا بني في الظاهر ، وعلامة رياء في الباطن]^١ .

توفي لثلاث عشرة بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وكان كثيراً ما ينشد في حال وعظه :

وغير تقي يأمر الناس بالتقي طيب يداوي والطبيب مريض

١ زيادة من ص .

سعيد بن جبير

أبو عبد الله - وقيل أبو محمد - سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء مولى بني والبة بن الحارث بطن من بني أسد بن خزيمة ؛ كوفي أحد أعلام التابعين ، وكان أسود ، أخذ العلم عن عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر ، رضي الله عنهم . قال له ابن عباس : حَدِّثْ ، فقال : أُحَدِّثُ وَأَنْتَ هَاهُنَا ؟ فقال : أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد ، فَإِنْ أَصَبْتَ فذاك ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ عَمَلْتُكَ .

وكان لا يستطيع أن يكتب مع ابن عباس في الفتيا ، فلما عَمِيَ ابنُ عباس كتب ، فبلغه ذلك فغضب . [٢] وعن ابن عباس رضي الله عنه أخذ القراءة أيضاً عَرْضاً ، وسمع منه التفسير وأكثر روايته عنه .

وروى عن سعيد القراءة عَرْضاً المنهالُ بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء ؛ قال وفاء بن إياس^٣ : قال لي سعيد في رمضان : أَمْسِكْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ ، فَمَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى خْتَمَهُ ، قَالَ سَعِيدٌ : قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ ؛ وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَوْمُنَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِيَقْرَأُ لَيْلَةَ بَقْرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَلَيْلَةَ بَقْرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَلَيْلَةَ بَقْرَاءَةِ غَيْرِهِ ، هَكَذَا أَبْدَأُ ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : لِأَنْ يَسْقُطَ

٢٦١ - ترجمة سعيد بن جبير في طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥٦ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٢ وحلية الأولياء ٤ : ٢٧٢ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١ وأخبار خروجه على الحجاج ومقتله في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير وابن كثير وغيرها ؛ وانظر أيضاً رجال ابن حبان : ٨٢ وتذكرة الحفاظ ٧٦ والعقد الثمين ٤ : ٥٤٩ ؛ وقد اتبعنا في هذه الترجمة رواية ص وقد اختلفت عما هي عليه في ر في التقديم والتأخير وحسب .

١ . : فقال وأنت موجود ؟

٢ ما بين معقفي لم يرد في المسودة . ٣ أ : وفاء بن عياش .

شَقِيّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَقَالَ خَصِيفُ : كَانَتْ مِنْ أَعْلَمِ التَّابِعِينَ بِالطَّلَاقِ
سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَبِالْحُجَّ عَطَاءُ ، وَبِالْحِلَالِ الْحَرَامِ طَاوُسُ ، وَبِالتَّفْسِيرِ أَبُو
الْحُجَّاجِ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ ، وَأَجْمَعَهُمْ لِذَلِكَ كُلَّهُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ .
وَكَانَ سَعِيدُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَاتِبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، ثُمَّ كَتَبَ لِأَبِي
بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .

وَذَكَرَهُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي « تَارِيخِ أَصْبَهَانَ » فَقَالَ^١ : دَخَلَ أَصْبَهَانَ وَأَقَامَ
بِهَا مَدَّةً ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا إِلَى الْعِرَاقِ وَسَكَنَ قَرْيَةَ سَنْبِلَانَ .
وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ أَنَّ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ كَانَ بِأَصْبَهَانَ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَدِيثِ
فَلَا يَحْدُثُ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ حَدَّثَ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، كُنْتَ بِأَصْبَهَانَ
لَا تَحْدُثُ وَأَنْتَ بِالْكُوفَةِ تَحْدُثُ ، فَقَالَ : انْشَرَبَزَكَ حَيْثُ يُعْرَفُ^٢ .
وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ لَمَّا خَرَجَ عَلَى
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ مِنْ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ
هَرَبَ فَلِحَقِّ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ وَالِيَهَا يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ ، فَأَخَذَهُ
وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحُجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ مَعَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَوْسَطَ الْبَجَلِيِّ ، فَقَالَ
لَهُ الْحُجَّاجُ^٣ :

١ انظر تاريخ أصبهان ١ : ٣٢٤ .

٢ ورد في المطبوعة النص التالي عند هذا الموضع ولم يرد في المخطوطات التي اعتمدها : فقال
له الحجاج :

مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، قَالَ : بَلْ أَنْتَ شَقِيٌّ بَنَ كَسِيرٍ ، قَالَ : بَلْ كَانَتْ أُمِّي أَعْلَمَ
بِاسْمِي مِنْكَ ، قَالَ : شَقِيتَ أُمُّكَ وَشَقِيتَ أَنْتَ ، قَالَ : الْغَيْبُ يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ ، قَالَ : لِأَبْدَلْنِكَ
بِالدُّنْيَا ثَارًا تَلْظِي ، قَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ بِيَدِكَ لَاتَّخَذْتُكَ إِلَهًا ، قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ :
نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَإِمَامُ الْهُدَى ، قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيِّ أَهْوَى فِي الْجَنَّةِ أَمْ هُوَ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : لَوْ دَخَلْتُهَا
وَعَرَفْتُ مَنْ فِيهَا عَرَفْتُ أَهْلَهَا ، قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي الْخُلَفَاءِ ؟ قَالَ : لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ، قَالَ :
فَأَيُّهُمْ أَعْجَبُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَرْضَاهُمْ لِخَالِقِي ، قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَرْضَى لِلْخَالِقِ ؟ قَالَ : عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ
الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، قَالَ : أَحَبُّ أَنْ تَصْدُقَنِي ، قَالَ : إِنْ لَمْ أَحْبِبْكَ لَنْ أَكْذِبْكَ ، قَالَ :
فَمَا بِكَ لَمْ تَضْحَكْ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ يَضْحَكُ مَخْلُوقٌ خَلِقَ مِنْ طِينٍ وَالطِّينُ تَأْكُلُهُ النَّارُ ؟ قَالَ : فَمَا
بَالُنَا نَضْحَكَ ؟ قَالَ : لَمْ تَسْتَوْ الْقُلُوبَ .

ثُمَّ أَمَرَ الْحُجَّاجُ بِاللُّؤْلُؤِ وَالزَّرْبُجِدِ وَالْيَاقُوتِ فَجَمَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ سَعِيدُ : إِنْ كُنْتُ جَمَعْتُ =

يا شقي بن كسير ، أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي^١ فجعلتك إماماً ؟ فقال : بلى ، قال : أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك ؟ قال : بلى ، قال : أما جعلتك في سُمّاري وكلهم رؤوس العرب ؟ قال : بلى ، قال : أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شيء منها ؟ قال : بلى ، قال : فما أخرجك علي ؟ قال : بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث ، فغضب الحجاج ثم قال : أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل ؟ والله لأقتلنك ، يا حَرَسِيّ^٢ اضرب عنقه ، فضرب عنقه ، وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين ، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة ، بواسطة ، ودفن في ظاهرها وقبره يزار بها ، رضي الله عنه ، وله تسع وأربعون سنة .

وكان يوم أخذ يقول : وشى بي واش في بلد الله الحرام ، أكَلِه إلى الله تعالى ، يعني خالد بن عبد الله القسري .

== هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزة واحدة تُذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكا ، ثم دعا الحجاج بالعود والناي ، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد ، فقال : ما يبكيك ؟ هو اللعب ، قال سعيد : هو الحزن ، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن شاء تبعث معها يوم القيامة ، قال الحجاج : ويلك يا سعيد ! قال : لا وبل لمن زُحِرَ^٣ عن النار وأدخل الجنة ، قال الحجاج : اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك ، قال : اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة ، قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك ، فردّه وقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جراتك على الله وحم الله عليك ، فأمر بالنطح فبُسط وقال : اقتلوه ، فقال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، قال : وجّهوا به لغير القبلة ، قال سعيد : فأيتما تولوا فثمّ وجه الله ، قال : كبّوه لوجهه ، قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ، قال الحجاج : اذبجوه ، قال سعيد : أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

١ في المسودة : أعرابي .

وقال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . ثم مات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة ، وقيل بل مات بعده بستة أشهر ، ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات . ولما قتله سال منه دم كثير ، فاستدعى الحجاج الأطباء وسألهم عنه وعن كان قتله قبله ، فإنه كان يسيل منهم دم قليل ، فقالوا له : هذا قتله ونفسه معه والدم تبع للنفس ، ومن كنت تقتله قبله كانت نفسه تذهب من الخوف ، فذلك قلّ دمهم .

وقيل للحسن البصري : إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير ، فقال : اللهم آيت على فاسق ثقيف ، والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبّهم الله عز وجل في النار .

ويقال إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يُفِيق ويقول : مالي ولسعيد بن جبير ؟ وقيل إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير أخذاً بمجامع ثوبه يقول له : يا عدوّ الله ، فيم قتلتي ؟ فيستيقظ مذعوراً ويقول : مالي ولسعيد بن جبير ؟ ! ويقال : إنه رُئي الحجاج في النوم بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتل قتلته قَتَلَةً ، وقتلني بسعيد ابن جبير سبعين قَتَلَةً .

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « المذهب » أن سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدباراً ، ذكره في كتاب الشهادات في فصل اللعب بالشطرنج .

سعيد بن المسيب

أبو محمد سعيد بن المسيب بن حَزَن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشي المدني ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدم ذكر اثنين منهم : أبو بكر في حرف الباء وخارجة في حرف الحاء .
كان سعيد المذكور سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ، سمع سعد بن أبي وقاص الزهري وأبا هريرة رضي الله عنهما .

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة : أيت ذاك فسله ، يعني سعيداً ، ثم ارجع إلي فأخبرني ، ففعل ذلك وأخبره ، فقال : ألم أخبركم أنه أحد العلماء ؟ وقال أيضاً في حقه لأصحابه : لو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرَّه . وكان قد لقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وسمع منهم ، ودخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهن ، وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وكان زوج ابنته . وسئل الزهري ومكحول : مَنْ أفقه من أدركتما ؟ فقالا : سعيد بن المسيب ؛ وروى عنه أنه قال : حججت أربعين حجة ؛ وعنه أنه قال : ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة ، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة ، لحافظته على الصف الأول ، وقيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة [وكان يقول^٢ : ما أعزَّت العباد نفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت نفسها بمثل معصية

٢٦٢ - ترجمة سعيد بن المسيب في طبقات ابن سعد ٥ : ١١٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٢ وحلية الأولياء : ٢ : ١٦١ وصفة الصفوة ٢ : ٤٤ ورجال ابن حبان : ٦٣ وتذكرة الحفاظ : ٥٤ وتهذيب التهذيب ٤ : ٨٤ .

١ د : أربعين .
٢ وكان يقول... لصلبه : سقط هذا كله من م وسقط من المسودة الى قوله : حتى على من أفتحها .

الله ، ودعي إلى نيف وثلاثين ألفاً ليأخذها فقال : لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان ، حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم .

وقال أبو وداعة : كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً ، فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هلا أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلت : يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : إن أنا فعلت تفعل ؟ قلت : نعم ، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة ، قال : فقمتم وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي ، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين ، وصليت المغرب ، وكنت صائماً ، فقدمت عشاياً لأفطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، وإذا بالباب يقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد ، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد ، فقمتم وخرجت ، وإذا بسعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدا له ، فقلت : يا أبا محمد ، هلا أرسلت إلي فأتيك ؟ قال : لا ، أنت أحق أن تؤتى ، قلت : فما تأمرني ؟ قال : رأيته رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحده ، وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم صعدت إلى السطح ، فناديت الجيران ، فجاءوني وقالوا : ما شأنك ؟ فقلت : زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة ، وها هي في الدار ، فنزلوا إليها ، وبلغ أُمِّي فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام ، فأقمتم ثلاثاً ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج ؛ قال : فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه ، ثم أتته بعد شهر وهو في حلقة ، فسلمت عليه ، فرد عليّ ولم يكلمني حتى انفضّ مَنْ في المسجد ، فلما لم يبق غيري ، قال : ما حال ذلك الإنسان ؟ قلت : هو على ما يحب الصديق ويكره العدو ، قال : إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي .

وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد ، فأبى سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصبت عليه الماء ؛ قال يحيى بن سعيد : كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب ، فكُتِبَ أن اعرضه على السيف ، فإن مضى فاجلده خمسين جلدة وطُفُّ به أسواق المدينة ، فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله على سعيد بن المسيب ، وقالوا : جئناك في أمر ، قد قدم كتاب عبد الملك إن لم تبائع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً ، فأعطينا إحداهن ، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب ، فلا تقبل لا ولا نعم ، قال : يقول الناس : بايع سعيد بن المسيب ، ما أنا بفاعل ، وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم ، قالوا : فتجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجده ، قال : فأنا أسمع الأذان فوق أذني حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة ، ما أنا بفاعل ، قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك ، فإن لم يجده أمسك عنك ، قال : أفترقاً من مخلوق ؟ ما أنا بمتقدم شبراً ولا متأخر ، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر ، فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي بعث إليه ، فأتي به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبائع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين ، فلما رآه لم يجب أخرج إلى السدة ، فمدّت عنقه وسلّت السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرد ، فإذا عليه ثياب شعر ، فقال : لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن ، فضربه خمسين سوطاً ، ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة ، ومنعوا الناس أن يجالسوه ، فكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول له : قم من عندي ، كراهية أن يضرب بسببه .

قال مالك رضي الله عنه : بلغني أن سعيد بن المسيب كان يلزم مكاناً من المسجد لا يصلي من المسجد في غيره ، وأنه ليالي صنع به عبد الملك ما صنع

قيل له أن يترك الصلاة فيه فأبى إلا أن يصلي فيه .
 وكان يقول: لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط
 أعمالكم؛ وقيل له وقد نزل الماء في عينه: ألا تقدح عينك؟ قال: حتى على من أفتحتها].
 ورأى عبد الملك بن مروان في منامه كأنه قد بال في المحراب أربع مرات فوجه
 إلى سعيد بن المسيب من يسأله ، فقال : يملك من ولده لصلبه أربعة ، فكان كما
 قال ، فإنه ولي الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، وهم أولاد عبد الملك لصلبه .
 وكانت ولادته لسنتين مضتاً من خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان في خلافة
 عثمان رضي الله عنه رجلاً .
 وتوفي بالمدينة سنة إحدى - وقيل اثنتين ، وقيل ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل
 خمس - وتسعين للهجرة ، وقيل إنه توفي سنة خمس ومائة ، والله أعلم ، رضي الله عنه .
 والمسيب : بفتح الياء المشددة المثناة من تحتها ، وروي عنه أنه كان يقول
 بكسر الياء ، ويقول : سيَّبَ الله من سيَّبَ أبي .
 وحزَنَ : بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبعدها نون .
 وعائذ : بذال معجمة .

٣٦٣

أبو زيد الأنصاري

أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك
 ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وقال محمد بن سعد في « الطبقات »^١ : هو

٢٦٣ - ترجمة أبي زيد الأنصاري في نور القبس : ١٠٤ وتاريخ بغداد : ٧٧ : ٧٧ ومعجم الأدباء : ١١ :
 ٢١٢ وانباء الرواة : ٣ : ٣٠ وبغية الوعاة : ٢٥٤ وتهذيب التهذيب : ٤ : ٣ وغاية النهاية :
 ٣٠٥ ومصادر أخرى سردتها محقق انباء الرواة في الحاشية فللتراجع . وهذه الترجمة مستوفاة
 في مسودة المؤلف .

١ ورد نسبه على هذا النحو في الطبقات (١/٧ : ١٧ من الطبعة الأوروبية) وانظر القفطي : ٣١ .

أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيد ثابت بن زيد بن قيس .
والأول ذكره الخطيب في تاريخه ، والله أعلم بالصواب ، الأنصاري اللغوي
البصري ؛ كان من أئمة الأدب ، وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب ، وكان
يرى رأي القدر ، وكان ثقة في روايته .

حدث أبو عثمان المازني قال : رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد
المذكور ، فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين
سنة^١ . وكان التوزي يقول : قال لي ابن مناذر : أصف لك أصحابك ؟ أما
الأصمعي فأحفظ الناس ، وأما أبو عبيدة فأجمعهم ، وأما أبو زيد الأنصاري
فأوثقهم . وكان النضر بن شميل يقول : كنا ثلاثة في كتاب واحد : أنا وأبو
زيد الأنصاري وأبو محمد اليزيدي . وقال أبو زيد : حدثني خلف الأحمر ،
قال : أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر ، فبخلوا علي به ، فكنت أعطيهم
المنحول وأخذ الصحيح ، ثم مرضت فقلت لهم : ويلكم ! أنا تأب إلى الله تعالى ،
هذا الشعر لي ، فلم يقبلوا مني ، فبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب .

وأبو زيد المذكور له في الآداب مصنفات مفيدة : منها كتاب « القوس
والترس » وكتاب « الإبل » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « المطر » وكتاب
« المياه » وكتاب « اللغات » وكتاب « النوادر » وكتاب « الجمع والتثنية »
وكتاب « اللبن » وكتاب « بيوتات العرب » وكتاب « تخفيف الهمزة » وكتاب
« القضيب » وكتاب « الوحوش » وكتاب « الفرق » وكتاب « فعلت وأفعلت »
وكتاب « غريب الأسماء » وكتاب « الهمزة » وكتاب « المصادر » وغير ذلك ،
ولقد رأيت له في النبات كتاباً حسناً جمع فيه أشياء غريبة^٢ .

وحكى بعضهم^٣ أنه كان في حلقة شعبة بن الحجاج ، فضجر من إملاء
الحديث فرمى بطرفه^٤ فرأى أبا زيد الأنصاري في أخريات الناس فقال :

١ القفطي : منذ عشر سنين ؛ نزهة الالباء : منذ عشرين سنة .

٢ ذكر له ابن النديم والقفطي مؤلفات أخرى كثيرة لم يذكرها المؤلف .

٣ هر روح بن عبادة كما في القفطي : ٣٢ .

٤ أ : فرمى بطرفه في الحلقة .

يا أبا زيد^١ :

استعجمت دارُ مَيٍّ ما تكَلَّمنا والدار لو كلَّمتنا ذاتُ إخبارٍ

إليَّ يا أبا زيد ، فجاءه ، فجعللا يتحدَّثان ويتناشدان الأشعار ، فقال له بعض أصحاب الحديث : يا أبا بسطام ، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدعُّنا وتقبل على الأشعار ؟ قال : فغضب شعبة غضباً شديداً ، ثم قال : يا هؤلاء ، أنا أعلم بالأصلح لي ، أنا والله الذي لا إله إلا هو في هذا أسلم مني في ذاك .

وكانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة - وقيل أربع عشرة ، وقيل ست عشرة - ومائتين ، وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة ، وقيل انه عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، وقيل خمساً وتسعين ، وقيل ستاً وتسعين ، رحمه الله تعالى .

٢٦٤

الأخفش الأوسط

أبو الحسن سعيد بن مسعدة المُجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط ؛ أحد نحاة البصرة ، والأخفش الأكبر أبو الخطاب ، وكان نحويّاً أيضاً من أهل هَجَرَ من مَوالِهم ، واسمه عبد الحميد بن عبد الحميد ، وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما .

وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية ، وأخذ النحو عن سيبويه ،

١ البيت للناطقة : (شرح ابن السكيت : ٢٣٣) وقد وردت الحكاية في القفطي ونور القبس .

٢٦٤ - ترجمة الأخفش في نور القبس : ٩٧ وانباء الرواة ٢ : ٣٦ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٢٤ وبغية الوعاة : ٢٥٨ وقد ساق محقق الانباء ثبوتاً بمصادر ترجمته الاخرى في الحاشية . قلت : وهذه الترجمة مستوفاة في مسودة المؤلف .

وكان أكبر منه ، وكان يقول : ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ ، وكان يرى أنه أعلم به مني ، وأنا اليوم أعلم به منه ^١ .

وحكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سلم ، قالوا : دخل الفراء على سعيد المذكور ، فقال لنا : قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية ، فقال الفراء : أما ما دام الأخفش يعيش فلا .

وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الحَبَب كما سبق في حرف الحاء في ترجمة الخليل ، وله من الكتب المصنفة كتاب « الأوسط » في النحو وكتاب « تفسير معاني القرآن » وكتاب « المقاييس » في النحو ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « العروض » وكتاب « القوافي » وكتاب « معاني الشعر » وكتاب « الملوك » وكتاب « الأصوات » وكتاب « المسائل » الكبير ، وكتاب « المسائل » الصغير ، وغير ذلك .

وكان أجَلَع ، والأجلع : الذي لا تنضم شفتاه على أسنانه ، والأخفش : الصغير العينين مع سوء بصرهما . وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى ^٢ . وكان يقال له : « الأخفش الأصغر » فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضاً ، صار هذا وسطاً .
ومسعدة : بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والذال المهملات وبعدهن هاء ساكنة .

والجاشعي : بضم الميم وفتح الجيم وبعده الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى جاشع بن دارم ، بطن من تميم .

١ قال القفطي : ان كتاب سيبويه لا يعلم أحد قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه ولكنه لما مات قرئ على الأخفش فشرحه وبينه .

٢ ذكر ابن النديم أنه توفي سنة ٢١١ .

٢٦٥ - ترجمة ابن الدهان في انباه الرواة ٢ : ٤٧ ومعجم الأدباء ١١ : ٢١٩ ونكت الهميان : ١٥٨ وبغية الوعاة : ٢٥٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٧٢ .

١ ص : أحمد .

٢ ص : الياس .

٣ كذا في والمسودة وسقط من س ص . وفي ياقوت : إزالة المراء في الفين والراء .

٤ زيادة من س .

جناب الوزير جمال الدين الأصهباني المعروف بالجواد - الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - فتلقيه بالإقبال وأحسن إليه ، وأقام في كنفه مدة ، وكانت كتبه قد تخلفت ببغداد فاستولى الفرق تلك السنة على البلد ، فسيّر مَنْ يحضرها إليه إن كانت سالمة ، فوجدها قد غرقت ، وكان خلف داره مدبغة فغرقت أيضاً ، وفاض الماء منها إلى داره ، فتلفت الكتب بهذا السبب زيادة على إتلاف الفرق ، وكان قد أفنى في تحصيلها عمره ، فلما حملت إليه على تلك الصورة أشاروا عليه أن يطيبها بالبخور ويصلح منها ما أمكن ، فبخرها باللاذن ولازم ذلك إلى أن بخرها بأكثر من ثلاثين رطلاً لاذناً فطلع ذلك إلى رأسه وعينه فأحدث له العمى وكف بصره . وانتفع عليه خلق كثير ، ورأيت الخلق يشتغلون في تصانيفه المذكورة بالموصل وتلك الديار اشتغالا كثيراً .

وكانت وفاته يوم الأحد غرة شوال سنة تسع وستين وخمسة ، وقال ابن المستوفي : سنة ست وستين بالموصل ، رحمه الله تعالى ، ودفن بقبرة المعافى بن عمران بباب الميدان .

ومولده عشية الخميس سادس وعشرين رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة ببغداد بنهر طابقي ، وهي محلة بها ، وقيل يوم الجمعة . وله نظم حسن ، فمنه قوله :

لا تجعل الهزلَ دأباً فهو منقصة والجدُّ تغلُّوبه بين الوريِّ القِيَمِ
ولا يغرنَّكَ من مَلِكٍ تبسُّمه ما تصخبُّ السحبُ إلّا حين تبسّمُ
وله أيضاً :

لا تحسبن أن بالشَّعْ راً مثلنا ستصير
فللدجاجة ريش لكنها لا تطير

وله أيضاً :

لا غرو أن أخشى فرا قَمُّ وتخشاني الليوثُ

١ ص و ياقوت : بالكتب .

أوما ترى الثوبَ الجديدَ دَ من التفرّقِ يستغيثُ

[وذكره الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وأورد له :

بادر إلى العيش والأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظرُ
فالعمر كالكَأس يبدو في أوائله صفوً وآخره في قعره الكدرُ
وأورد له أيضاً :

قالوا اغترب عن بلاد كنت تألفها إن ضاقَ رزقُ تجدُ في الأرض منتزحاً
قلت : انظروا الریق في الأفواه مختزناً عذباً فإن بانَ عنها صار مُطرحاً
وأورد له أيضاً :

أهوى الخمول لكي أظلّ مرفهاً مما يعانيه بنو الأزمانِ
إن الرياح إذا توالى عصفها تولى الأذية شامخ الأغصانِ
وأورد له أيضاً :

يا سادتي لا عدمتم استمعوا قول في عارف بمنطقه
كنت ببיתי كالرخ محترماً فصرت في غربتي كبيذه^١

وقد ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأثنى عليه ، وذكر طَرَفًا من حاله . وقال الحافظ أبو سعد السمعاني^٢ : سمعت الحافظ ابن عساكر الدمشقي يقول : سمعت سعيد بن المبارك بن الدهان يقول : رأيت في النوم شخصاً أعرفه وهو ينشد شخصاً آخر كأنه حبيب له :

أيها الماطِلُ ديني أُمليُّ وتماطلُ ؟

١ أثبتنا ما بين معقفين من النسخ د ص ر على تفاوت فيما بينها ؛ وانظر القفطي : ٤٩ ، وهذه

الزيادة لم ترد في المودة .

٢ أوردتها القفطي : ٤٩ .

عَلَّلَ القلبَ فإني قانع منك بباطل^١

قال السمعاني : فرأيت ابن الدهان وعرضت عليه الحكاية فقال : ما أعرفها ولعلّ ابن الدهان نسي ، فإن ابن عساكر من أوثق الرواة ، ثم استملى ابن الدهان من السمعاني هذه الحكاية وقال : أخبرني السمعاني عن ابن عساكر عني ، فروى عن شخصين عن نفسه ، وهذا غريب في الرواية .

(44) وكان له^١ ولد - وهو أبو زكريا يحيى بن سعيد - وكان أديباً شاعراً ، ومولده بالموصل في أوائل سنة تسع وستين وخمسة تقديراً ، وتوفي سنة ست عشرة وستائة بالموصل ، ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الموصلية .
ومن شعره :

إن مَدَحْتُ الخَولَ نَبَّهْتُ أَقْوَا ما نِياماً فسايقوني إليه
هُوَ قد دَلَّتْني على لَذَّة العَيْدِ ش ، فما لي أدلّ غيري عليه
ومن شعره على ما قيل :

وعَهْدِي بالصبا زَمناً وَقَدِّي حكي أَلِفَ ابن مُقَلَّة في الكتابِ
فَصِرْتُ الآنَ مُنْحَنِيّاً كَأَنِّي أَقْتَشُ في الترابِ على شَبَابِي

١ وكان له ... شبابي : سقط النص من م والمودة وهو ثابت في س ر ووستنفيلد .

سفيان الثوري

أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان ابن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الثوري الكوفي ؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم ، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، ويقال إن الشيخ أبا القاسم الجنيد رضي الله عنه كان على مذهبه ، على الاختلاف الذي تقدم في ترجمته في حرف الجيم .

[وقال يونس بن عبيد : ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان ، قالوا : إنك رأيت سعيد بن جبير وفلاناً وفلاناً ، قال : ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان . وقال سفيان بن عيينة : ما رأى سفيان مثله . أكل سفيان ليلة فشبّع فقال: الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله ، فقام حتى أصبح .

وحدث ابن عيينة قال : دعانا سفيان فقدم إلينا غداء ولبناً خائراً ، فلما توسطنا قال : قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله تعالى ؛ قال ابن وكيع - وكان حاضراً - : لو قدم إلينا شيئاً من هذا اللوزينج المحدث لقال : قوموا بنا نصلي التراويح .

وقال بشر بن الحارث : كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه ، يأخذ منه ما يريد ويدع منه ما يريد .

٢٦٦ - ترجمة سفيان الثوري في الفهرست : ٢٢٥ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٣ وطبقات ابن سعد ٦ : ٣٧١ والمعارف : ٩٧ والجواهر المضية ١ : ٢٥٠ وحلية الأولياء ٦ : ٣٥٦ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١١ وتاريخ بغداد ٩ : ١٥١ وتذكرة الحفاظ : ٢٠٣ ورجال ابن حبان : ١٦٩ .

وقال الأوزاعي : كنت أقول فيمن ضحك في الصلاة قولاً لا أدري كيف هو ، فلما لقيت سفيان الثوري سألته فقال : يعيد الصلاة والوضوء ، فأخذت به .
وكان عاصم بن أبي النجود يحيي إلى سفيان يستفتيه ويقول : يا سفيان ، أتيتنا صغيراً وأتيناك كبيراً .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك بن أنس ، ولا رأيت رجلاً أنصح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن مبارك ، ولا أعلم بالحديث من سفيان ، ولا أقشف من شعبة .
وقال سفيان الثوري : ما استودعت قلبي شيئاً فخانني .

وقيل : لقي سفيان الثوري شريكاً بعدما ولي القضاء بالكوفة فقال : يا أبا عبد الله ، بعد الإسلام والتفقه والخير تلي القضاء ، أو صرت قاضياً ؟ فقال له شريك : يا أبا عبد الله ، لا بد للناس من قاض ، فقال سفيان : يا أبا عبد الله ، لا بد للناس من شرطي .

وحدث عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عبد الله البصري ، قال : قال رجل لسفيان : اوصني ، فقال : اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر دوامك فيها والسلام .

وجاء سفيان الثوري إلى صيرفي بمكة يشتري منه دراهم بدينار ، فأعطاه الدينار ، وكان معه آخر فسقط من سفيان ، فطلبه فإذا إلى جانبه دينار آخر ، فقال له الصيرفي : خذ دينارك ، قال : ما أعرفه ، قال : خذ الناقص ، قال : فلعله الزائد ، وتركه ومضى .

وقال شعيب بن حرب : سمعت سفيان الثوري يقول : انظر درهمك من أين هو وصل في الصف الآخر .

وقال عبد الله بن صالح العجلي : دخل سفيان على المهدي فقال : سلام عليكم ، كيف أنتم يا أبا عبد الله ؟ ثم جلس فقال : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت في حجبتك بيوت الأموال ، قال : فأني شيء تريد ؟ تريد أن أكون مثلك ؟ قال : فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه ، فقال وزيره أبو عبيد الله : أبا عبد الله قد كانت

كتبك تأتينا فننفذها ، قال : من هذا ؟ قال : أبو عبيد الله وزيري ، قال : احذره فإنه كذاب ، إني ما كتبت إليك ، ثم قام فقال له المهدي : إلى أين يا أبا عبد الله ، قال : أعود ؛ وكان قد ترك نعله حين قام ، فماد فأخذها ثم مضى ، فانتظره المهدي فلم يعد ، فقال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، فعلم أنه عاد لأخذ نعله ، فغضب فقال : قد أمن الناس إلا سفيان الثوري وإنه لفي المسجد الحرام ، فذهب فألقى نفسه بين النساء فخبأه ، فقيل له : لم فعلت ؟ فقال : إنهن أرحم ؛ ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لما قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه ، صار في بعض البساتين ، وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمر به بعض العشارين فقال : من أين أنت يا شيخ ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال : أما رطب البصرة فلم أدقه ولكن رطب السابري بالكوفة حلو ، فقال : ما أكذبك من شيخ ، الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه ! فرجع إلى العامل ليخبره بما قال لتعجبه ، فقال : ثكلتك أمك ، أدركه إن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري لتتقرب به إلى أمير المؤمنين ، فرجع في طلبه فما قدر عليه .

ودخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة فقال له عيسى بن موسى : تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام وإنما أنت رجل من ثور ، فقال له سفيان : إن من أطاع الله من ثور خير ممن عصى الله من قومك .

وكان فتى يحالسه ولا يتكلم ، فأحب سفيان أن يعرف نطقه فقال له : يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيل سابقة وبقينا بعدهم على حمر دبيرة ، فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إن كنتا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم .

وحدث أبو بكر ابن عياش قال : كنت أنا وسفيان الثوري نمشي فرأينا شيخاً أبيض الرأس واللحية حسن السميت ، فقال له سفيان : يا شيخ أعندك شيء من الحديث ؟ قال : لا ، ولكن عندي عتيق سنين ، فنظرنا فإذا هو خمار . وحكى ضمرة قال : سألت سفيان الثوري : أضافح اليهود والنصارى ؟ فقال : برجلك نعم . وقال له رجل : إني أريد الحج ، فقال : لا تصحب من

يتكرم عليك فإن ساوئته في النفقة أضرب بك وإن تفضل عليك استذلك .
وكان يقول : من كان في يده شيء من هذه الدراهم فليصلحه فإنه في زمان
إن احتاج كان أول من يبذل دينه . وحكي عنه أنه قال : إني لألقى الرجل
أبغضه فيقول لي : كيف أصبحت ؟ فيلين له قلبي ، فكيف بمن أكل ثريدهم
ووطىء بساطهم ؟

وقيل إن المهدي قال للخيزران : أريد أتزوج ، وكانت بكتاب^١ فقالت له :
لا يحلّ لك أن تتزوج عليّ ، قال : بلى ، قالت له : بيني وبينك من شئت ،
قال : أترضين سفيان الثوري ؟ قالت : نعم ، فوجه إلى سفيان فقال : إن أمّ
الرشيد تزعم انه لا يحلّ لي أتزوج عليها وقد قال الله عز وجل ﴿ فانكحوا ما
طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ ثم سكت ، فقال له سفيان : أتمّ
الآية ، يريد قوله تعالى ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ (النساء : ٣) وأنت
لا تعدل ، فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها .

ومثل هذه النادرة ما أخبرني به الفقيه أمين الدين المحلي الذي كان في جملة
المتصدرين عند الفقيه برهان الدين ابن الفقيه نصر وهو يومئذ صاحب ديوان
الأعباس ، وكتب أسماءهم ينتدبهم للمضي إلى الخانقاه إلى المقام السلطاني في
مهم فاعتذر رجل منهم فخط على اسمه وكتب غيره ، فقام رجل يعتذر فقال :
المملوك كما قال الله عز وجل ﴿ ان بيوتنا عورة ﴾ فقال له الفقيه أمين الدين :
صلّ ، يشير إلى بقية الآية وهي قوله تعالى ﴿ وما هي بعورة ان يريدون
إلا فراراً ﴾ (الأحزاب : ١٣) فضحك البرهان والحاضرون ، وقال : لا أجمع
عليك بين الفقه وبين تكليفك المجيء ، ثم خط على اسمه وابتدأ بغيره^٢ .

قال سفيان بن عيينة : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان
الثوري . وقال عبد الله بن المبارك : لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان
الثوري . ويقال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه رأس الناس ،
وبعده عبد الله بن عباس ، وبعده الشعبي ، وبعده سفيان الثوري .

١ في ر : بنكاح .

٢ زيادة من د ر وبعضه غير وارد في د وبعضه في ص أيضاً .

سمع سفيان الثوري الحديث من أبي إسحاق السبيعي والأعمش ومن في طبقتهم ، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحاق ومالك وتلك الطبقة .

وذكر المسعودي في « مروج الذهب » ما مثاله^١ : قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وقد أتني بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئاً على سيفه يرقب أمره^٢ ، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق ، وقال له : يا سفيان ، تفر منا هاهنا وهاهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهواناً ؟ قال سفيان : إن تحكم فيّ يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بثل هذا ؟ إذن لي أن أضرب عنقه ، فقال له المهدي : اسكت ويحك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فنشقى بسعادتهم ؟ اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يمترض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفع إليه ، فأخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب ، فطُلبَ في كل بلد فلم يوجد . ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر :

تحرَّرَ سفيان وفرَّ بدينه وأمسى شريك مرصداً للدَّراهم

[وحكي عن أبي صالح شبيب بن حرب المدائني - وكان أحد السادة الأئمة الأكابر في الحفظ والدين - أنه قال : إنني لأحسب يُجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حُجَّةً من الله على الخلق ، يقال لهم : لم تدركوا نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام فلقد رأيتم^٣ سفيان الثوري ، ألا اقتديتم به ؟]^٤ . ومولده في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع وتسعين للهجرة . وتوفي

١ مروج الذهب ٣ : ٣٣٢ .

٢ ص : حاله .

٣ هـ : أدركتم .

٤ ما بين معقنين لم يرد في المسودة و ص م .

بالبصرة أوّل سنة إحدى وستين ومائة متوارياً من السلطان ، ودفن عشاء
رحمه الله تعالى ؛ ولم يُعَقِّبْ .

والثوري : بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء ، هذه النسبة إلى ثور
ابن عبد مناة ، وثَمَّ ثوري آخر في بني تميم ، وثوري آخر بطن من هَمْدَان .
وقيل : إنه توفي سنة اثنتين وستين ، والأول أصح .

٢٦٧

سفيان بن عيينة

أبو محمد سفيان بن عَيِّنَة بن أبي عمران مَيِّمُون الهلالي ، مَوْلى امرأة من بني
هلال بن عامر رَهْطٍ ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل مولى بني
هاشم ، وقيل مولى الضحّاك بن مُزاحم ، وقيل مولى مِسْعَر بن كُذّام ؛ وأصله
من الكوفة ، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة ، ذكره ابن سعد في
« كتاب الطبقات » وعدّه في الطبقة الخامسة من أهل مكة^١ . كان إماماً عالماً
ثبتاً حجة زاهداً ورعاً مجتهداً على صحة حديثه وروايته ، وحج سبعين حجة .
روى عن الزُّهري وأبي إسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر
وأبي الزناد وعاصم بن أبي النُّجُود المقرئ والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير
هؤلاء من أعيان العلماء ؛ وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد
ابن إسحاق وابن جُرَيْج والزيبر بن بكار وعمه مصعب وعبد الرزاق بن همام
الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق كثير ، رضي الله عنهم .

٢٦٧ - ترجمة سفيان بن عيينة في تاريخ بغداد ٩ : ١٧٤ وتذكرة الحفاظ : ٢٦٢ وحلية الأولياء

٧ : ٢٧٠ وصفة الصفوة ٢ : ١٣٠ ورجال ابن حبان : ١٤٦ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١٧

وميزان الاعتدال ٢ : ١٧٠ والمقدّمين ٤ : ٥٩١ .

١ انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٤٩٧ .

ورأيت^١ في بعض المحاميع أن سفيان خرج يوماً إلى مَنْ جاءه يسمع منه وهو ضَجِر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري ، وجالست عمرو^٢ بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنها ، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك ، حتى عدَّ جماعة ، ثم أنا أجالسكم ؟ فقال له حَدَّثْ في المجلس : أَتُنْصِفُ يا أبا محمد ؟ قال : إن شاء الله تعالى ، فقال : والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا ؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس^٣ :

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ وَامضَ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتُّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلَّ جَمَّ فَاهُ بِلُجَامٍ^٤

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاجة الحَدَّث ، وكان ذلك الحدث يحیی بن أكرم التميمي ، فقال سفيان : هذا الفلام يصلح لصحبة هؤلاء ، يعني السلطان -وسياقي ذكر يحيى في حرف الياء إن شاء الله تعالى ، وهو القاضي المشهور- . وقال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان ، وما رأيت أكفَّ عن الفتيا منه .

[وكان أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين . قال سفيان المذكور : كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق فإذا رأيت مشيخة وكهولة جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفتني هؤلاء الصبيان ، ثم ينشد :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردني بالسؤدد

قيل إنه في آخر سنة حج قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل

١ هذه الفقرة جميعها لم ترد في م .

٢ س ر والمسودة : عبيد ، وأثبتنا ما في ص .

٣ ديوان أبي نواس : ١٩٤ - ١٩٥ .

٤ سقط البيت من س ص والمسودة .

مرة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحيت من الله من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتوفي في العام القابل^١ .

[وقال رجل : كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكى ، فقلت : يا أبا محمد ما الذي أبكاك ؟ قال : أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه ؟]^٢ .

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري ، فلما عزل خالد عن العراق^٣ وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها ، وهو من أهل الكوفة .

وقال سفيان : دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة ، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار ، قال : فجاء الناس يسألونني عن عمرو بن دينار ، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة ، فذاكرته فقال لي : يا بني ، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث ، يضطرب في حفظ تلك الأحاديث .

ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة . وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة ، وقيل أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحجون ، رحمه الله تعالى .

وعيينة : بضم العين المهملة وفتح الياء الأولى وسكون الثانية المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها هاء ساكنة .

والحجون : بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وبعده الواو الساكنة نون ، جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها ، وله ذكر في الأشعار .

١ زيادة من ر ص .

٢ زيادة من د وحدها .

٣ ج : الكوفة . وفي م : فلما ولي الحجاج وطلب عمال خالد ؛ وهو خطأ عجيب .

٤ م : نزلت .

سكينة بنت الحسين

السيدة سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ؛ كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً ، وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم ابن حزام فولدت له قُريَناً ، ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل ، وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا ، والطرة السكينية منسوبة إليها .

ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم ، من ذلك ما يروى أنها وقفت على عُرْوَة بن أَذْيَنَة^١ - وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائقة - فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدتُ أوار الحب في كبدي أقبلتُ نحو سِقَاءِ الماءِ^٢ أبتردُ
هني بردتُ ببرد^٣ الماءِ ظاهره فمَنْ لِنَارٍ على الأحشاءِ تنقدُ

فقال لها : نعم ، فقالت : وأنت القائل :

قالت وأبششتُها سِرِّي فبُحْتُ به قد كنتَ عندي تحبُّ الستِ فاستترِ

٢٦٨ - ترجمة السيدة سكينة وأخبارها في طبقات ابن سعد ٨ : ٤٧٥ ونسب قريش : ٥٩ وانظر الاغانى ١٦ : ٩٣ ، ٩٧ : ٣ وصفحات متفرقة من (ج ٥) من أنساب الاشراف ؛ ولها أخبار في الكتب الأدبية العامة ؛ وهذه الترجمة مستوفاة بتأملها في المسودة .

١ انظر الاغانى ١٨ : ٢٤٥ .

٢ ج د : القوم .

٣ هـ : تبردت برد .

أَلَسْتَ تَبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي
فَقَالَ : نَعَمْ ، فَالْتَفَتْتُ إِلَى جَوَارِكِنَّ حَوْلَهَا وَقَالَتْ : هُنَّ حَرَائِرُ إِنْ كَانَ
خَرَجَ هَذَا مِنْ قَلْبِ سَلِيمٍ قَطْ .

وَكَانَ لِعُرْوَةَ الْمَذْكُورِ أَخٌ اسْمُهُ بَكْرٌ فَمَاتَ فَرثَاهُ عُرْوَةٌ بِقَوْلِهِ^١ :

سَرَى هَمِّيْ وَهُمْ الْمَرْءُ يَسْتَرِي وَغَابَ النِّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فَتْرٍ
أَرَأَيْتُ فِي الْمَجْرَةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعْرِضُ أَوْ عَلَى الْمَجْرَةِ يَجْرِي^٢
لَهُمْ مَا أَزَالَ لَهُ قَرِينًا^٣ كَأَنَّ الْقَلْبَ أَبْطَنَ حَرًّا جَمْرٍ
عَلَى بَكْرٍ أَخِي ، فَارْقَتْ بِكَرَأً^٤ وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلَحُ بَعْدَ بَكْرٍ ؟

فَلَمَّا سَمِعَتْ سَكِينَةُ هَذَا الشَّعْرَ قَالَتْ : وَمَنْ هُوَ بَكْرٌ هَذَا ؟ فَوَصَفَ لَهَا ،
فَقَالَتْ : أَهْوَ ذَلِكَ الْأَسِيدُ الَّذِي كَانَ يَمُرُّ بِنَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : لَقَدْ
طَابَ بَعْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْخُبْزِ وَالزَّيْتِ . وَأُسَيْدٌ : تَصْغِيرُ أَسْوَدَ .

وَيَحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْمَغْنِينَ غَنَى هَذِهِ الْأَبْيَاتَ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ الْأُمَوِيِّ وَهُوَ
فِي مَجْلِسِ أُنْسِهِ ، فَقَالَ لِلْمَغْنِيِّ : مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ ؟ فَقَالَ : عُرْوَةُ بْنُ أَدْنِيَّةَ ،
فَقَالَ الْوَلِيدُ : وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلَحُ بَعْدَ بَكْرٍ ؟ هَذَا الْعَيْشُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ، وَاللَّهِ
لَقَدْ تَحَجَّرَ وَاسِعًا .

(45) وَكَانَ عُرْوَةُ الْمَذْكُورُ كَثِيرَ الْقِنَاعَةِ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ سَائِرَةٌ ،
وَكَانَ قَدْ وَفَدَ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالشَّامِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ ،
فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ عُرْوَةُ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

.....

١ الاغانى ١٨ : ٢٥٠ .

٢ الاغانى : تعرض للمجرة كيف يجري .

٣ الاغانى : ما أزال له مدياً .

٤ الاغانى و أ ج : ولى حميداً .

٥ أخبار عروة في الاغانى ١٨ : ٢٤٠ وما بعدها والشمر والشعراء : ٤٨٣ والمؤتلف : ٤٤
والسبط : ٢٣٦ وأمثالي المرتضى ١ : ٤٠٨ - ٤١٦ .

لقد علمتُ وما الإشراف^١ من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبُبه^٢ ولو قعدت أتاني لا يُعنيني

وما أراك فعلت كما قلت ، فإنك أتيت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ،
فقال : لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ ، وأذكرت^٣ ما أنسانيه
الدهر ، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز ، فمكث
هشام يومه غافلاً عنه ، فلما كان في الليل استيقظ من منامه وذكره ، وقال :
هذا رجل من قريش قال حكمة ووفد إليّ فجَبَّهْتُه ورددته عن حاجته ، وهو
مع هذا شاعر لا آمن لسانه ، فلما أصبح سأله عنه ، فأخبره بانصرافه ، فقال :
لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار ، وقال :
الحق بهذه عروة بن أذينة فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا وقد دخل بيته ،
ففرغت عليه الباب ، فخرج فأعطيته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام
وقل له : كيف رأيت قولي ؟ سمعت فأكدت ، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه
الرزق . وهذه الحكاية وإن كانت دخيلة ليست مما نحن فيه لكن حديث عروة
ساقها .

ولبعض المعاصرين وهو محمد بن إدريس المعروف بمرج كحل الأندلسي^٤ في
معنى هذين البيتين ، وأحسن فيه :

مَثَلُ الرزقِ الذي تَطْلُبُهُ مثلُ الظلِّ الذي يَمْشِي مَعَكَ
أَنْتَ لَا تَدْرِكُهُ مُتَبِعاً فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ

وكان وفاة سكيبة بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة

١ س ص ر : الإشراف ، وفي المسودة « معاً » أي بالسين والشين .

٢ ص : وأذكرتني .

٣ شاعر أندلسي من جزيرة شقر يقال إنه كان أمياً وكان يحتفظ بزي أهل البادية وبينه وبين
شعراء عصره (كصفوان بن إدريس) غنايات (انظر الإحاطة ٢ : ٢٥٢ ونفع الطيب ٥ :
٥٠ وبرنامج الرعي : ٢٠٨ والمغرب ٢ : ٢٧٣ والرواق ٢ : ١٨١ والتكملة : ٣٤٤) وبيتاه
في الإحاطة والنفع .

سبع عشرة ومائة ، رضي الله عنها ؛ وقيل اسمها آمنة ، وقيل أمينة ، وقيل أميمة ، وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي . وقال محمد بن السائب الكلبي الذنابة : سألتني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن اسم سكينة ابنة الحسين بن علي رضي الله عنهم ، فقلت : أميمة ، فقال : أصبت .

(46) وتوفي مرج كحل المذكور في سنة أربع وثلاثين وستائة ببلده - وهو جزيرة شقر بالأندلس - وكانت ولادته بها سنة أربع وخمسين وخمائة^١ .

٣٦٩

سليم الرازي

أبو الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي الأديب ؛ كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة ، وصنف الكتب الكثيرة منها كتاب « الإشارة » وكتاب « غريب الحديث » ومنها « التقريب » وليس هو التقريب الذي ينقل عنه إمام الحرمين في « النهاية » والغزالي في « البسيط » و « الوسيط » فإن ذلك للقاسم بن القفال الشاشي ، وقد ذكره في الباب الثاني من كتاب الرهن في « الوسيط » .

وأخذ سليم الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ، وأخذ عنه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي .

وقال سليم^٢ : دخلت بغداد في حداثتي لطلب علم اللغة ، فكنت آتي

١ ص : أربع وستين .

٢٦٩ - ترجمة سليم الرازي في انباه الرواة ٢ : ٦٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٩ وطبقات السبكي ٣ : ١٦٨ . قلت : وقد وردت هذه الترجمة في المسودة كاملة .

٢ قارن بما عند القفطي : ٦٩ .

شيخاً هناك ، وذكره ، فبكرت في بعض الأيام إليه فقبل لي : هو في الحمام ، فمضيت نحوه ، فعبرت في طريقي على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وهو يُملي ، فدخلت المسجد وجلست مع الطلبة ، فوجدته في كتاب الصيام في مسألة إذا أولج ثم أحس بالفجر فنزع ، فاستحسنت ذلك ، فعَلَّقْتُ الدرس على ظهر جزء كان معي ، فلما عدت إلى منزلي وجعلت أعيد الدرس حلا لي ، وقلت : أتمُّ هذا الكتاب - يعني كتاب الصيام - فعلقته ، ولزمت الشيخ أبا حامد حتى عُلقت عنه جميع التعليقات .

وكان لا يخلو له وقت عن اشتغال ، حتى إنه كان إذا برى القلم قرأ القرآن أو سَبَّح ، وكذلك إذا كان ماراً في الطريق وغير ذلك من الأوقات التي لا يمكن الاشتغال فيها بعلم .

وسكن سُليم الشام بمدينة صور متصدياً لنشر العلم وإفادة الناس ، وكان يقول : وضَعْتُ مني صور ، ورفعت من أبي الحسن المحاملي بغداد . ثم إنّه غرق في بحر القلْزُوم بعد رجوعه من الحج عند ساحل جُدَّة ، في سلخ صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وكان قد نَيَّفَ على ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في جزيرة بقرب الجار عند المَخاضة في طريق عيذاب .

والرازي : بفتح الراء وبعد الألف زاي ، هذه النسبة إلى الرِّيِّ ، وهي مدينة عظيمة من بلاد الديلم بين قومس والجبال ، وألقوا الزاي في النسبة إليها كما ألقوها في المروزي عند النسب إلى مَرَوْ ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

والجار : بفتح الجيم وبعد الألف راء ، وهي بلدة على الساحل ، بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم وليلة ، وإليها ينسب القمح الجاري^١ ، وذكر أبو القاسم الزنجشري في « كتاب الأمكنة والجبال والمياه »^٢ في باب الشين أن الجار قرية على ساحل البحر ، بها ترسو مطايا القلزم ومطايا عيذاب ومطايا بحر النعام .

وقال ابن حوقل في كتابه^٣ : « الجار فُرُضَة المدينة على ثلاث مراحل منها

١ لم أجد هذا في المادة المشار إليها من كتاب الزنجشري .

٢ صورة الأرض : ٣٩ .

على البحر ، وجدة فرضة مكة » .

(47) وتوفي ولده أبو سعيد إبراهيم بن سليم يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بدمشق ، ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق »^١ وقال : أخذ عن جماعة من جلة المشايخ وأخذوا عنه ، وكان صدوقاً ، رحمه الله تعالى .

٢٧٠

سليمان بن يسار

أبو أيوب - ويقال أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو عبد الله - سليمان بن يسار مولى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدم ذكر ثلاثة منهم . وكان سليمان المذكور أخا عطاء بن يسار ، وكان عالماً ثقة عابداً ورعاً حجة ؛ قال الحسن بن محمد : سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب ، ولم يقل أعلم ولا أفقه . وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة ، رضي الله عنهم ، وروى عنه الزهري وجماعة من الأكابر . وكان المستفي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له : اذهب إلى سليمان بن يسار ، فإنه أعلم من بقي اليوم . وقال قتادة : قدمت المدينة ، فسألت : من أعلم أهلها بالطلاق ؟ فقالوا : سليمان بن يسار .

وتوفي سنة سبع ومائة ، وقيل سنة مائة ، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة ، والله أعلم ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

١ تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢١٤ .

٢٧٠ - ترجمة سليمان بن يسار في رجال ابن حبان : ٦٤ وتذكرة الحفاظ : ٩١ وتهذيب التهذيب : ٢٢٨ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ ؛ وهذه الترجمة بتأليف المسودة .

أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً ، وكان أبوه من دُنْبَاوَنَدَ ، وقدم الكوفة وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها ؛ قال السمعاني : وهو لا يُعرف بهذه النسبة ، بل يُعرف بالكوفي ، وكان يقارن بالزهري^١ في الحجاز^٢ ، ورأى أنس ابن مالك - رضي الله عنه - وكلمه ، ولكنه لم يُرزَق السماع عليه ، وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس . ورأى أبا بكره الثقفى وأخذ بركابه فقال له : يا بني إنما أكرمت ربك . سمع داود بن سويد وأبا وائل وإبراهيم التيمي وسعيد بن جبير ومجاهداً والنخعي^٣ ، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً ، ولقي كبار التابعين رضي الله عنهم ، وروى عنه سفیان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير من جلة العلماء .

[وكان الأعمش يقول : إن كان بيننا وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ؛ قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : صدق ، هكذا كان ، وقد رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال عيسى بن يونس : لم نر نحن والقرن الذي قبلنا مثل الأعمش : ما رأيت الأغنياء والسلطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته .

٢٧١ - ترجمة الأعمش في طبقات ابن سعد ٦ : ٣٤٢ وقاربخ بغداد ٩ : ٣ وتذكرة الحفاظ :

١٥٤ وغاية النهاية ١ : ٣١٥ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

١ ص : يقارب الزهري .

٢ ج : الزهري بالحجاز .

٣ ورأى أبا بكره ... والنخعي : لم يرد في المسودة و ص س .

حدث محمد بن جرير ، قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلي : اجمع الفقهاء ؛ قال : فجمعهم ، فجاء الأعمش في جبة وفرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطأوا فقام الأعمش فقال : إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبلنا ، فقال عيسى المذكور : قلت لك تأتي بالفقهاء فتجيء بهذا ؟ فقال : هذا سيدنا ، هذا الأعمش .

حدثنا أحمد بن علي بن ثابت بإسناد له عن وكيع : كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبير الأولى ، واختلفت إليه أكثر من ستين سنة فما رأيته يقضي ركعة .

وقال الأعمش : كنت آتي مجاهداً فيقول : لو كنت أطيق المشي لأتيتك . وجرى بينه وبين زوجته كلام ، وكان يأتيه رجل يقال له أبو ليلي مكثوف فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه ، فقال : يا أبا ليلي ، امرأتي نشزت علي وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم ، فدخل عليها وكانت من أجل أهل الكوفة فقال : يا هنتاه إن الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا فلا يفرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه ، فغضب الأعمش وقال : يا أعمى يا خبيث ، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك ، قد أخبرتها بعيوبي كلها ؛ اخرج من بيتي .

وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش : إن الناس إذا رأونا معاً قالوا : أعور وأعمش ، قال النخعي : وما عليك أن تؤجر ويأثموا ؟ فقال له الأعمش : وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟

وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال : أيكما الأعمش ؟ فقال الأعمش : هذه ، وأشار إلى المرأة .

ودخل الحمام يوماً وجاء رجل حاسر ، فقال له الرجل : متى ذهب بصرك ؟ فقال : مذ بدت عورتك .

قال محمد بن حميد ، حدثنا جرير قال : جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر ، فجاء الأعمش

رجلٌ عليه سواد ، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال : قم فعبرني هذا الخليج ، وجذب يده وأقامه وركبه وقال : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ (الزخرف : ١٣) فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال : ﴿ رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ (المؤمنون : ٢٩) ثم خرج وترك الأسود يجبط في الماء .

وكان الأعمش إذا رأى ثقيلاً قال : كم غرضك تقيم في هذه البلدة ؟ [١] .
وكان لطيف الخلق مَزَّاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه ، فخرج إليهم ، وقال : لولا أن في منزلي مَنْ هو أبغض إليَّ منكم ما خرجت إليكم [٢] .

وقال له داود بن عمر الحائك : ما تقول في الصلاة خلف الحائك ؟ فقال : لا بأس بها على غير وضوء ، فقال : ما تقول في شهادة الحائك ؟ فقال : تُقبل مع عدلين . ويقال إن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عاده يوماً في مرضه ، فطَوَّل القعود عنده ، فلما عزم على القيام قال له : ما كأني إلا ثقلت عليك ، فقال : والله إنك لتثقل عليَّ وأنت في بيتك . وعاده أيضاً جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم ، فأخذ وسادته وقام وقال : شفى الله مريضكم بالعافية ؛ وقيل عنده يوماً : قال صلى الله عليه وسلم : « من نام عن قيام الليل بالشیطان في أذنه » فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني . وكانت له نوادر كثيرة .

[وقال^٣ أبو معاوية الضرير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوىء علي ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها ، وقال لرسوله : قل له هذا جوابك ، فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آت به بجوابك ، وتحمل عليه بإخوانه ، فقالوا له : يا أبا محمد

١ زيادة من رد .

٢ بعد هذا الموضع ترد حكاية الأعمش وزوجه موجزة ، وقد وردت من قبل في المزيد من رد .

٣ هذه الفقرة بين معقفين لم ترد في م والمسودة .

٤ ص : بأصحابه .

افتدِه من القتل ، فلما ألحوا عليه كتب له « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد يا أمير المؤمنين ، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك ، ولو كانت لعليّ رضي الله عنه مساوىء أهل الأرض ما ضرّتك ، فعليك بخُوصّة نفسك ، والسلام » [.
[وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه :

إنا نعزيك لا أنا على ثقة من البقاء ولكن سنّة الدين
فلا المعزّي بباقي بعد ميّته ولا المعزّي وإن عاشا إلى حين]¹

ومولده سنة ستين للهجرة ، وقيل إنه ولد يوم مقتل الحسين رضي الله عنه ، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وكان أبوه حاضراً مقتل الحسين ، وعدّه ابن قتيبة في كتاب « المعارف »² في جملة مَنْ حملت به أمه سبعة أشهر .
وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول ، وقيل سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة تسع وأربعين ، رحمه الله تعالى .

وقال زائدة بن قدامة : تبت الأعمش يوماً ، فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه ، ثم خرج منه وهو ينفضُ التراب عن رأسه ويقول : واضيقَ مسكناه .

ودُنْباوَنْدُ : بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الالف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة ، وهي ناحية من رستاق الريّ في الجبال ، وبعضهم يقول « دماوند » والأول أصح ، وقد تقدم ذكرها قبل هذا .

¹ زيادة من ص وحدها .

² لم يرد هذا في فصل « من قصّر به عن وقت الحمل » من الكتاب المذكور .

أبو داود السجستاني

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني ؛ أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله ، وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح ، طوّف البلاد وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين ، وجمع كتاب « السنن » قديماً وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، فاستجاده واستحسنه ، وعدّه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »^١ من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، وقال إبراهيم الحربي لما صنف أبو داود كتاب « السنن » : أَلَيْنَ لأبي داود الحديث كما أَلَيْنَ لداود الحديد .

وكان يقول : كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني « السنن » - جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : أحدها قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » والثاني قوله « من حسن المرء تركه ما لا يعنيه » والثالث قوله « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » والرابع قوله « الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتهات » الحديث بكامله .

وجاءه سهل بن عبد الله التستري فقبل له^٢ : يا أبا داود ، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً ، قال : فرحّب به وأجلسه ، فقال : يا أبا داود لي إليك

٢٧٢ - ترجمة أبي داود السجستاني في تاريخ بغداد ٩ : ٥٥ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٤ وطبقات الخبابة : ١١٨ وتذكرة الحفاظ : ٥٩١ .

١ طبقات الشيرازي ، الورقة : ٥٠ .

٢ في المسودة : فقال .

حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : حتى تقول قضيتها مع الإمكان ، قال : قد قضيتها مع الإمكان ، قال : أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله ، قال : فأخرج له لسانه فقبله .

[وكان لأبي داود كم واسع وكم ضيق ، فقبل له : يرحمك الله ما هذا ؟ فقال : الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه . وكان يقول : الشهوة الخفية حب الرياسة . وكان في أيام حدائته وطلب الحديث جلس في مجلس بعض الرواة يكتب ، فدنا رجل إلى محبرته وقال له : أستمد من هذه المحبرة ؟ فالتفت إليه وقال : أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان ؟ فسمي ذلك اليوم حكيماً^١ .

وكانت ولادته في سنة اثنتين ومائتين ، وقدم بغداد مراراً ثم نزل إلى البصرة وسكنها ، وتوفي بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

(48) وكان ولده أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان^٢ من أكابر الحفاظ ببغداد ، عالماً متفقاً عليه ، إمام ابن إمام ، وله كتاب « المصابيح » وشارك أباه في شيوخه بمصر والشام ، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وسجستان وشيراز . وتوفي في سنة ست عشرة وثلثمائة ، واحتج به من صنف الصحيح أبو علي الحافظ النيسابوري وابن حمزة الأصبهاني .

والسجستاني : بكسر السين المهملة والجيم ومكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى سجستان ، الإقليم المشهور ، وقيل بل نسبته إلى سجستان أو سجستان ، قرية من قرى البصرة ، والله أعلم بذلك .

١ زيادة بعضها عن ص وجميعها عن د .

٢ ترجمة عبد الله بن أبي داود في تاريخ بغداد ٩ : ٦٤ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٤٣٣ ، وروون أن أباه قال فيه : « ابني عبد الله كذاب » ، قال ابن عدي : « وأما كلام أبيه فيه فما أدري أيش تبين له منه . والاكثرون مجمعون على توثيقه » . قال صالح بن أحمد الحافظ : أبو بكر ابن أبي داود إمام العراق ، كان في وقته ببغداد مشايخ أسند منه ولم يبلغوا في الآلة والاتقان ما بلغ .

أبو موسى الحامض

أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي المعروف بالحامض ؛ كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين ، أخذ النحو عن أبي العباس ثعلب ، وهو المقدم من أصحابه ، وجلس موضعه وخلفه بعد موته ، وصنف كتباً حسناً في الأدب ، وروى عنه أبو عمر الزاهد وأبو جعفر الأصبغاني المعروف ببرزويه غلام نبطويه . وكان دَيِّناً صالحاً ، وكان أُوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر ، وكان قد أخذ عن البصريين أيضاً ، وخلط النحويين ، وكان حسن الوراق في الضبط ، وكان يتعصب على البصريين فيما أخذ عنهم في عربيتهم ، وله عدة تصانيف : فمنها كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « السبق والنضال » وكتاب « النبات » وكتاب « الوحوش » وكتاب في النحو مختصر ، وغير ذلك .

وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلثمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب التبن^١ ، رحمه الله تعالى .
وإنما قيل له الحامض لأنه كانت له أخلاق شرسية ، فلقب الحامض لذلك ، ولما احتضر أوصى بكتبه لأبي فاتك المقتدري^٢ ، بخلافها أن تصير إلى أحد من أهل العلم .

٢٧٣ - ترجمة أبي موسى الحامض في معجم الأدباء ١١ : ٢٥٣ وانباء الرواة ٢ : ٢١ وبقيّة الوعاة : ٢٦٢ وتاريخ بغداد ٩ : ٦١ (ومصادر أخرى في حاشية الانباء) . والترجمة مستوفاة في المسودة .

١ س : المتين ، وموضعها بياض في ص ر .

أبو القاسم الطبراني

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَيَّر اللخمي الطبراني ؛ كان حافظ عصره ، رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة الفراتية ، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة ، وسمع الكثير ، وعدَّدُ شيوخه ألف شيخ ، وله المصنفات الممتعة النافعة الغريبة منها المعاجم الثلاثة : « الكبير » و « الأوسط » و « الصغير » وهي أشهر كتبه ، وروى عنه الحفاظ أبو نعيم والخلق الكثير .

ومولده سنة ستين ومائتين بطبرية الشام ، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة ، وعمره تقديراً مائة سنة ، رحمه الله تعالى ، وقيل إنه توفي في شوال ، والله أعلم ، ودفن إلى جانب حمة الدَّوْسِيَّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والطبراني : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى طبرية ، والطبري نسبة إلى طبرستان ، وقد تقدم ذلك .

واللَّخْمِي : بفتح اللام ومكون الحاء المعجمة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى لَخْم ، واسمه مالك بن عدي ، وهو أخو جُذَام ، وقد تقدم القول في تسميتها بهذين الاسمين لِمَ كان .

ومُطَيَّر : تصغير مطر .

٢٧٤ - ترجمة الطبراني في تهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٠ والنجوم الزاهرة ٤ : ٥٩ وتذكرة الحفاظ : ٩١٢ وعبر الذهبي ٢ : ٣١٥ ؛ وأول سماعه سنة ٢٧٣ بطبرية ورحل أولاً إلى القدس سنة ٢٧٤ ثم إلى قيسارية سنة ٢٧٥ ثم إلى حمص وجبله ومدائن الشام وحج ودخل اليمن وورد مصر ثم رحل إلى العراق وأصبهان وفارس . قلت : وهذه الترجمة كاملة في المسودة .

أبو الوليد الباجي

أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الشَّجِييُّ المالكِي الأندلسي الباجي ؛ كان من علماء الأندلس وحُفَظَظَها ، سكن شرق الأندلس ورحل إلى المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة أو نحوها ، فأقام بمكة مع أبي ذرّ الهروي ثلاثة أعوام وحج فيها أربع حجج ، ثم رحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام يدرّس الفقه ويقرأ الحديث ، ولقي بها سادة من العلماء كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « المذهب » وأقام بالموصل مع أبي جعفر السَّمْنَانِي عاماً يدرس عليه الفقه ، وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً ، وروى عن الحافظ أبي بكر الخطيب ، وروى الخطيب أيضاً عنه ، قال : أنشدني أبو الوليد الباجي لنفسه [يرثي ابنه ، وماتا مقترنين] :

لئن غيَّباً عن ناظري وتبوءاً فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
يقرّ بعيني أن أزور ثراهما وألصق مكنون الترائب بالترب^٢

وروى الخطيب أيضاً عنه قال : أنشدني أبو الوليد الباجي لنفسه^٣ :

إذا كنتُ أعلم علماً يقيناً بأنّ جميع حيّاتي كساعة

٢٧٥ - ترجمة أبي الوليد الباجي في الذخيرة (قسم ٣٨/٢ من مخطوطة بغداد) والقلائد : ١٨٨

والصلة : ١٩٧ وبغية الملتبس (رقم : ٧٧٧) والمغرب ١ : ٤٠٤ والديباج المذهب : ١٢٠

والمرقبة العليا : ٩٥ ونفح الطيب ٢ : ٦٧ (رقم : ٤٥) وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٠٨

ومعجم الأدباء ١١ : ٢٤٦ وتذكرة الحفاظ : ١١٧٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣٣٤ .

١ انظر النفح : ٧٤ .

٢ زيادة ليست في المسودة .

٣ النفح : ٧٥ والروض المعطار (باجة) .

فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

وصنف كتباً كثيرة منها كتاب «المنتقى» وكتاب «إحكام الفصول في أحكام الأصول» وكتاب «التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح» وغير ذلك . وهو أحد أئمة المسلمين ، وكان يقول : سمعت أبا ذر عبد ابن أحمد الهروي يقول : لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة . وكان قد رجع إلى الأندلس وولي القضاء هناك ، وقد قيل إنه ولي قضاء حلب أيضاً ، والله أعلم . ومولده يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة بَطْلَيْوُسَ ، وتوفي بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين تاسعة عشرة رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر بالرباط على ضفة البحر ، وصلى عليه ابنه القاسم .

وأخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر صاحب «الاستيعاب» ، وبينه وبين أبي محمد ابن حزم المعروف بالظاهري مجالس ومناظرات وفصول يطول شرحها . والباجي : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم ، هذه النسبة إلى باجة^١ ، وهي مدينة بالأندلس ، وثمَّ باجة أخرى وهي مدينة بإفريقية ، وباجة أخرى ، قرية من قرى أصبهان . وبَطْلَيْوُسَ يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى . والمرية قد تقدم الكلام عليها .

١ باجة (Beja) من أقدم المداين الأندلسية ، نزل فيها جند مصر . وتقع اليوم في البرتغال على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .

أبو أيوب المورياني

أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان مغلداً - وقيل داود - المورياني الخوزي؛ كان وزير أبي جعفر المنصور، تولى وزارته بعد خالد بن برمك جد البرامكة وتمكن منه غاية التمكن، وسبب ذلك أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وكان المنصور قبلاً للخلافة ينوب عن سليمان المذكور في بعض كُور فارس، فاتهمه بأنه احتجج المال لنفسه، فضربه بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال، فلما ولي الخلافة ضرب عنقه، وكان سليمان قد عزم على هتكه عقيب ضربه، فخلصه منه كاتبه أبو أيوب المذكور، فاعتدّها المنصور له واستوزره، ثم إنه فسدت نيته فيه ونسبه إلى أخذ الأموال، وهم أن يقع به فتطاول ذلك، فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالماً، فقبل إنه كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه سحر فكان يدهن به حاجبيه إذا دخل على المنصور، فسار في العامة دهن أبي أيوب.

ومن ملّح أمثاله أن خالد بن يزيد الأرقط قال: بينا أبو أيوب المذكور جالساً في أمره ونهيه أتاه رسول المنصور فتغير لونه، فلما رجع تعجبنا من حالته، فضرب مثلاً لذلك وقال: زعموا أن البازي قال للديك: ما في الأرض حيوان أقل وفاء منك، قال: وكيف ذلك؟ قال: أخذك أهلك بيضة فحَضَنوك، ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم ونشأت بينهم، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصوت، وأخذت أنا مستاً من الجبال، فعملوني وألفوا بي، ثم يخلصني فآخذ صيداً في الهواء

٢٧٦ - ترجمة أبي أيوب المورياني في الفخري: ١٥٧ والجهشياري: ٩٧ وما بعدها؛ وأخباره في

كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير والمسعودي... الخ.

١ في أصل المسودة: مجالد، وقرئها «مغلدا».

٢ ر: احتجج؛ س: اختزن.

«واجيء به إلى صاحبي، فقال له الديك : إنك لو رأيت من البُزاة في سَافيدٍ
 المعدّة للشيء مثل الذي رأيتُ من الديوك لكنت أنفَرَ مني ، ولكنكم أنتم لو
 علمتم ما أعلم لم تتعجبوا من خوفي مع ما ترون من تمكن حالي .
 ثم إنه أوقع به سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وعذبه وأخذ أمواله . ومات
 سنة أربع وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

[وكان سبب ذلك ما حكاه المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والانيس »
 قال : كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوّج امرأة من
 الأزد بالموصل عن ضرٍّ شديد أصابه ، حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمدّ في
 الحبل ، أو فعل ذلك لأمرٍ خافه على نفسه ، فتتكر وأكرى نفسه
 في مدّادي السفن ، فخطب هذه المرأة ورغّبها في نفسه ووعدا ومناها ،
 وأخبرها أنه جليل القدر وأنه من أهل بيت شرف ، وأنها إن تزوجته سعدت ،
 ولم يزل يمنيها حتى أجابته ، وأقام معها يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها
 بما رزقه الله تعالى ؛ ثم اشتملت على حمل فقال لها : أيتها المرأة ، هذه رقعة
 مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك ، فإن ولدت ابناً فسميه
 جعفرأ وكنّيه أبا عبد الله ، وإن ولدت بنتاً فسميها فلانة ، وأنا عبد الله بن
 محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فاستري أمري فإننا قوم
 مطلوبون ، والسلطان إلينا سريع ، وودّعها وخرج ؛ فقضي أنها ولدت ذكراً ،
 فأخرجت الرقعة فقرأت ما فيها ، وسمته جعفرأ ، وضرب الدهر على ذلك ،
 ما تسمع له خبرأ ، ونشأ الصبي مع أخواله وأهل بيت أمّه ، وكان كيتساً ذهناً
 لقناً . واستخلف أبو العباس ، فقبل للمرأة : إن كنتِ صادقة في رقعتك وكان
 من كتبها صادقاً فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين . قالت : ما أدري ، صفوا لي
 صفة هذا الخليفة ، قالوا : غلام حين بقل وجهه قالت : ليس هو هو ، [قالوا] :
 فاستري أمرك ، ولم يلبث أبو العباس أن مات واستحكم عندها اليأس ، وأقبل
 ابنها على الأدب فتأدّب وكتب ونزعت به همه إلى بغداد فدخل ديوان أبي
 أيوب كاتب المنصور وانقطع إلى بعض أهله فأتى عليه زمان يتقوت بالكسب
 ويزيد في أدبه وفهمه وخطه حتى صار يكتب بين يدي أبي أيوب ، إلى أن تها

أن خرج خادم يوماً إلى الديوان يطلب كاتباً يكتب بين يدي المنصور ، فقال أبو أيوب للغلام : خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين ، فدخل الغلام فكتب ، وكان يتبها من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتأمله ، وألقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشق فهمه ، فكتب زماناً واستراح أبو أيوب إلى مكانه ، ورأى أنه قد حمل عنه ثقلاً ، وبرّ الغلام ووصله وكساه كسوة تصلح أن يدخل بها على أمير المؤمنين ؛ ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوماً : ما اسمك ؟ قال : جعفر ، قال : ابن من ؟ فسكت متحيراً ، قال : ابن من ويحك ؟ قال : ابن عبد الله ، قال : وأين أبوك ؟ قال : لم أره ولم أعرفه ، ولكنّ أُمِّي أخبرتني أن أبي شريف وأنّ عندها رقعة بخطه فيها نسبه : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فساعة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور فقال : وأين أمك ؟ قال : في موضع كذا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم ، هو إمام مسجد محلّتنا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم ، خياط في مسجدنا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم في سكتنا ، فلما رأى الغلام أبا جعفر ينزع بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبة له وجزع وتدمع ، فأدركت أبا جعفر الرقعة عليه ، فلم يتالك أن قال : فلانة بنت فلانة من هي منك ؟ قال : أُمِّي ، قال : فلانة ؟ قال : خالتي ، قال : فلان ؟ قال : خالي ، فضمه إليه وبكى ، وقال : يا غلام لا تملنّ أبا أيوب ولا أحداً ما دار بيني وبينك ، انظر انظر ، احذر احذر ، فنهض الغلام وخرج ، فقال له أبو أيوب : لقد احتبست عند أمير المؤمنين ، قال : كتبت كتباً كثيرة أملاها عليّ ، قال : فأين هي ؟ قال : جعلها نسخاً يردد فيها نظره حتى يحكمها ، ثم خرج إلى الديوان .

ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب : هذا الغلام الذي يكتب بين يديّ استوص به ، فالتهم أبو أيوب الغلام أنه يلقي إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره ، ثم لم يلبث أن سأله مرة بعد مرة ، فغذف في قلب أبي أيوب بغض الغلام وأنه يقوم مقامه إن فقدّه أبو جعفر ، وأبو جعفر يزاد ولهاً إلى الغلام ويحنّ به جنوناً وليس ينعمه من إدائته وإظهار أمره إلا أمره يريد الله ، فلما رأى أبو أيوب ذلك احتبسه عنده عناداً ، ثم قال المنصور

للخادم : اخرج إلى الديوان فجنّني بفلان ، فإن بعث معك بغيره فقل : أمرني أمير المؤمنين لا يدخل عليه غيره ، ففعل الخادم ذلك ، واستحکم في قلب أبي أيوب ما حذره وحدثه به نفسه ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين قد تعرفت من أبي أيوب البغض وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخاف على نفسي ، فقال له أبو جعفر : يا بنيّ قد حاك [ذلك] في صدري ، فإذا كان الغد فتعرض لأن يغلظ لك فإذا أغلظ فقم وانصرف كأنك مغضب ولا تعد إلى الديوان ، واجعل وجهك إلى أمك وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل في موضع كذا فإني منفذ إليك خادماً يتفقد أمورك ويعرف خبرك ، فلا تطلعن أحداً من الخلق على ما معك وامض بهذا المال وهذا العقد وأحرزه أولاً قبل رجوعك إلى الديوان ؛ ثم قال للخادم : أخرج من باب كذا وكذا ، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان وأبو أيوب في فكره من احتباسه عند المنصور ، ورجع الغلام بوجه بهج مسرور لا يخفى ذلك عليه وظهر الفرح في وجهه وشماله ، فقال أبو أيوب : أحلف بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به ، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكرى ما سره ، فاستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه ، ثم لم ينشب أن أغلظ له فقال الغلام : أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخف بي فكأنني قد ثقلت عليك فأتنحى عنك قبل أن تطردني ، ثم قام وانصرف فاقتده أبو أيوب أياماً ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره ، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره فأرسل من يسأل عنه في الموضع الذي كان نازلاً به ، فقبل له إنه قد تهيأ وتجهز جهازاً حسناً وشخص إلى أهله بالموصل ، فقال أبو أيوب في نفسه : ومن أين له ما يتجهز به ، وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به لهذا الأمر ؟ وجعلت نفسه تزداد وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له : قد كان أبو جعفر وصله ببال ووهب له شيئاً ، فقال في نفسه : هذا الذي ظننت ، وقد نصبه مكاني ، ويحوز أن يكون استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيسلم عليهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني ، فقال لرجل من أصحابه : اخرج إلى طريق الموصل قرية قرية برّاً وبحراً فإذا عرفت موضعه فاقتله وجنّني

بما معه ، فشخص .

وإن الغلام لما خرج من بغداد رأى أنه قد أمن في مسيره ، وكان يقيم في الموضع الذي يستطيعه اليوم واليومين والأكثر والأقل ، فلحقه رسول أبي أيوب وعرفه فباتا في قرية فقام الرسول إليه فحنقه وطرحه في بئر وأخذ خرجة وخرائط كانت معه وركب دابة له ورجع إلى أبي أيوب فسلم ذلك إليه وشرح له الخبر ، ففتش أبو أيوب متاعه فإذا المال والعقد فعرفه ، وإذا كتاب المنصور بخطه إلى أمه ، فوجم أبو أيوب وندم ، وعلم أنه قد عجل وأخطأ وأن الخبر لم يكن كما ظن ، وعزم على الحلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره .

وأبطأ خبر الغلام واستبطأه في الوقت الذي ضربه له فدعا خادماً من ثقافته ورجلاً من خاصته وقال لهما : استقريا المنازل إلى الموصل منزلاً منزلاً وقرية قرية وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلتا ثم اقصدتا موضع كذا من الموصل فاسألا عن فلانة - ووصف لهما كل ما أراد - ففعلا ، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب فيه الغلام أعلمتا خبره ، وذكرتا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه ، ثم مضيا إلى الموصل فسألا عن أمه فوجداها أشد الخلق ولها على ابنها وحاجتها إلى علم خبره ، فأطلعاهما على حاله وأمرأها أن تستر نفسها ، ولم ترد الدنيا بعده ، فكان المنصور يذكره فيكاد ذكره يصدع قلبه ؛ وأجمع أبو جعفر على الإيقاع بأبي أيوب عند ذلك واستصفى أمواله وأموال أهل بيته ثم قتلهم جميعاً وإباد خضراءهم ، وكان إذا ذكر أبا أيوب لعنه وسبه وقال : ذاك قاتل حبيبي [١] .

والمُورِيَانِي : بضم الميم وسكون الواو وكسر الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى مُورِيَانٍ ، وهي قرية من قرى الأهواز ، ذكره ابن نقطة ، من أعمال خوزستان .

والخوزي نسبة إلى خُوزِسْتَان - بضم الخاء الموحدة وسكون الواو وكسر الزاي وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون - وهي بلاد بين البصرة وفارس ، وقيل إنما قيل له الخوزي لشُعْبِهِ ، وقيل لأنه كان ينزل شُعْبَ الخوز بمكة .

١ - زياده من ص رد .

سليمان بن وهب

أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال، وكان فنال كاتباً ليزيد بن أبي سفيان لما ولي الشام ثم لمعاوية بعده، ووصله معاوية بولده يزيد، وفي أيامه مات، واستكتب يزيد ابنه قيساً، ثم كتب قيس لمروان ابن الحكم ثم لولده عبد الملك ثم لهشام بن عبد الملك، وفي أيامه مات، واستكتب هشام ابنه الحصين، ثم استكتبه مروان بن محمد الجعفي آخر ملوك بني أمية، ثم صار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة؛ ولما خرج يزيد إلى أبي جعفر المنصور أخذ للُحَصِين أماناً، فخدم المنصور ثم المهدي، وتوفي في أيامه في طريق الري، فاستكتب المهدي ابنه عمراً، ثم كتب لخالد بن برمك، ثم توفي وخلف سعيداً، فما زال في خدمة آل برمك، وتحول ولده وهب إلى جعفر بن يحيى ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين الفضل بن سهل، وقال ذو الرياستين في حقه: عجبت لمن معه وهب كيف لا تهمة نفسه، ثم استكتبه أخوه الحسن بن سهل بعده وقلده كرمان وفارس فأصلح حالهما، ثم وجه به إلى المأمون برسالة من فم الصلح، ففرق في طريقه بين بغداد وفم الصلح.

وكتب سليمان المذكور للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس، ثم ولي الوزارة للمهدي بالله ثم للمعتد على الله، وله ديوان رسائل. وكان أخوه الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، وولي ديوان الرسائل، وكان أيضاً شاعراً بليغاً مترسلاً فصيحاً، وله ديوان رسائل أيضاً.

٢٧٧ - أخبار سليمان بن وهب في النجوم ٣ : ٣٧ وأخبار أبي تمام : ١٠٤ والاغاني ٢٣ : ٣ وله أخبار في كتب الأدب العامة ودواوين شعراء الفترة التي عاش فيها، (وترجمة الحسن في الاغاني ٢٢ : ٥٣٣).

وكان^١ هو وأخوه الحسن من أعيان عصرهما - وقد تقدم ذكر الحسن في حرف الحاء في ترجمة أبي تمام الطائي ، وأنه هو الذي ولاه بريد الموصل - ولما مات أبو تمام رثاه الحسن بما ذكرته ثم لم أظفر بتاريخ وفاته حتى أفرد له ترجمة ، وقد تقدم في خطبة هذا الكتاب أن مبناه على الوفيات وأن الذي أذكره من بعض أحوال مَنْ أذكره لم يكن إلا للإمتاع والتفكه لا غير ، لا أنه مقصود في نفسه .

وقد مدح هذين الأخوين خلق كثير من أعيان الشعراء مثل أبي تمام الطائي والبحثري ومَنْ في طبقتها . ومن محاسن قول أبي تمام في سليمان المذكور من جملة قصيدة^٢ :

كل شِعْبٍ كنتم به آلَ وَهْبٍ فَهَوَ شِعْبِي وَشِعْبُ كل أديبٍ
إن قلبي لكم لكالكبدِ الحَرِّ يَ وقلبي لغيركم كالقلوبِ

وسمع هذين البيتين بعض الأفاضل فقال : لو كانا في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أليق ، فما يستحق هذا القول إلا هم ، رضي الله عنهم .
[وكان يقول : اني أغار على أصدقائي كما أغار على حرمي . ونظر يوماً في المرأة فرأى شيباً كثيراً فقال : عيبٌ لا عدمناه . وكان الحسن بن وهب لا يصحو من الشراب فقال له أخوه سليمان - وقد رآه لا يشرب ذات يوم - : أراك عازفاً ، قال : نعم ولذلك لا أعدّه من عمري ، وأنشد بديهاً :

إذا كان يومي غيرَ يومٍ مُدَامَةٍ ولا يومَ قيناتٍ فما هو من عمري
وإن كان معموراً بعودٍ وقهوةٍ فذلك مسروق لعمرى من الدهر]^٣

وكانت وفاة سليمان المذكور في سنة اثنتين وسبعين ومائتين يوم الأحد

١ من هنا تبدأ الترجمة في س ، وأكثر ما تقدم مكتوب في هامش المسودة ، وقد سقطت أجزاء منه من ر م ص على التوالي .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٣١ - ١٣٢ .

٣ زيادة من د وحدها .

منتصف صفر في الحبس ، وقيل توفي سنة إحدى وسبعين . وقال الطبري في تاريخه : إنه توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر في حبس الموفق طلحة والد المعتضد ، رحمه الله تعالى .

وللبحتري في سليمان بن وهب :

كَأَنَّ آراءَهُ وَالْحَزْمُ يُتَّبَعُهَا تَرِيهِ كُلَّ خَفِيٍّ وَهُوَ إِعْلَانُ
مَا غَابَ عَنْ عَيْنِهِ فَالْقَلْبُ يَكْلُوهُ وَإِنْ تَنَمَّ عَيْنُهُ فَالْقَلْبُ يَقْطَانُ

وهذا المعنى قد استعمله الشعراء كثيراً ، فقال أوس بن حجر التميمي أحد شعراء الجاهلية^١ :

الْأَلْمِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ أَنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقال آخر :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا تَخَاطَبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر^٢ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يَرَى بِصَوَابِ الظَّنِّ مَا هُوَ وَاقِعٌ

وقال آخر :

عَلِيمٌ بِأَخْبَارِ الْخُطُوبِ بِظَنِّهِ كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدٍ

وقال آخر :

كَأَنَّكَ مُطْلَعٌ فِي الْقُلُوبِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا

وهو باب متسع لا حاجة إلى الإطالة فيه .

١ ديوان أوس : ٥٣ .

٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في م .

[وَتَنَقَّلَ سُلَيْمَانُ فِي الدَّوَابِّ الْكِبَارِ وَالْوَزَارَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تُوْفِيَ
مَقْبُوضاً عَلَيْهِ .

وحكي أن سليمان بلغه أن الواثق نظر إلى أحمد بن الحصب الكاتب فأنشد:

مِنْ النَّاسِ إِنْسَانٌ دَبْنِي عَلَيْهَا مَلِكًا لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَنِي
خَلِيلِي أَمَا أُمُّ عَمْرٍو فَأَنْهَا وَأَمَّا عَنِ الْآخَرَى فَلَا تَسْلَانِي

فقال : إنا لله أحمد بن الحصب أم عمرو ، وأما الأخرى فأنا ، وكذلك
كان ، فإنه نكبها بعد أيام . ولما تولى سليمان بن وهب الوزارة - وقيل لما
تولاه ابنه عبيد الله بن سليمان - كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
الآتي ذكره :

أَبَى دَهْرًا إِسْعَافُنَا فِي نَفُوسِنَا فَأَسْعَفْنَا فِيمَنْ نَحْبُ وَنُعْظِمُ
فَقُلْتُ لَهُ نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ الْمَهْمَ الْمَقْدَمُ^١

٢٧٨

سليمان بن حرب

أبو أيوب سليمان بن حرب بن يحيى الأردني^٢ الواسطي البصري ؛ سمع شعبة
وجريير بن حازم والمقادير ومبارك^٣ بن فضالة وسعيد بن زيد بن درهم والبصري بن

١ ما بين معقنين انفردت به ر .

٢٧٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٣٣ وتهذيب التهذيب ٤ : ١٧٨ والمعارف : ٥٢٦ وتذكرة
الحفاظ : ٣٩٣ ؛ وهذه الترجمة تتابع ما ورد في تاريخ بغداد ؛ ولم ترد في م س والمسودة وإنما
وردت في ص ر .

٢ ر : الأسد .

٣ ر : ومالك .

يحيى ويزيد بن ابراهيم التستري ؛ وروى عنه يحيى بن سعيد القطان واحمد بن حنبل ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وغيرهم .

قدم بغداد وحدث بها ، وولي قضاء مكة .

ذكره أبو حاتم الرازي فقال : إمام من الأئمة ، كان لا يدلرس : وقال : ظهر حديثه نحو عشرة آلاف حديث ما رأيت في يده كتباً قط . وقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل . وكان مجلسه عند قصر المأمون فبنى له شبه منبر^١ ، فصعد سليمان ، وحضر جماعة من القواد عليهم السواد والمأمون فوق قصره^٢ وقد فتح باب القصر وقد أرسل سترأ وهو خلفه يكتب ما يئلي .

وقال يحيى بن اكنه : قال لي المأمون : من تركت بالبصرة ؟ فوصفت له مشايخ منهم سليمان بن حرب وقلت : مر ثقة حافظ محدث عاقل في نهاية السر والسياسة . فأمرني بحمله إليه ، فكتبت إليه في ذلك فقدم . فاتفق أني أدخلته إليه وفي المجلس بن أبي دواد وثامة وأشباههم . فكرهت أن يدخل مثله بحضرتهم ، فلما دخل سمع ، فأنجبه المأمون . ودعا له سليمان بالعر والتوفيق . فقال ابن أبي دواد : يا أمير المؤمنين . نسأ الشيخ عن مسألة ؟ فنظر إليه المأمون نظرة تخير له ، فقال سليمان : يا أمير المؤمنين . حدثنا حماد ابن زيد قال : قال رجل لابن شبرمة : سألتك ؟ قال : إن كانت مسألتك لا تضحك الجلوس ولا تزري بالسؤور قل ؛ وحدثت وهيب بن خالد قال : قال إياس بن معاوية : من المسائل ما لا ينبغي للسائل^٣ أن يسأل عنها ولا لمجيب . أن يجيب فيها : فإن كانت مسألة من غير هذا فليسأل ، وإن كانت من هذا فليمسك ؛ قال : فهاجوه فما نظر أحد منهم إليه حتى قام ، وولاه قضاء مكة فخرج إليها .

١ ر : فبنى له المظهر سدة منية .

٢ فوق قصره : سقطت من ر .

٣ سائل : سقطت من ر .

د ص : السؤور .

قال الخطيب : وكانت ولايته مكة^١ في سنة أربع عشرة ، فلم يزل على ذلك^٢ إلى ان عزل سنة تسع عشرة ومائتين . وولد سنة اربعين ومائة في صفر وتوفي بالبصرة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

٣٧٩

سليمان بن عبد الملك

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولادة أم أخيه الوليد ؛ بويع له يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وتوفي بذات الجنب بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام . وكان الناس يتبركون به ويسمون مفتاح الخير ، وذلك أنه أذهب عنهم سنة الحجاج وأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فكان يقال : فتح بخير وختم بخير .

وكان قد أغزى أخاه مسلمة الصائفة حتى بلغ القسطنطينية ، فأقام بها حتى هلك سليمان ؛ وقيل إن سليمان لما وجه أخاه لفتح القسطنطينية أمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره ، فسار إليها مسلمة^٣ ، فلما دنا منها أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدّين من الطعام حتى يأتي به قسطنطينية ،

١ فخرج ... مكة : سقط من ص .

٢ ر : فلم يزل قاضياً .

٣٧٩ - أخباره في المصادر التاريخية المشهورة فلا داعي لاثباتها ؛ ولم ترد الترجمة في م س ر والسودة وإنما انفردت بها ص وهي خارجة على القاعدة التي بينها المؤلف في المقدمة .

٣ قارن هذا الخبر بما في العيون والحدائق : ٢٧ وما بعدها .

ففعّلوا ذلك ، وألقى ذلك الطعام مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً ، وأقام بأرضهم شتاءً وصيفاً وزرع ، والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ؛ فأقام مسلمة على قسطنطينية قاهراً لأهلها ومعه وجوه أهل الشام ، ومات ملك الروم ومسلمة نازل عليها ، فكتب الروم إلى اليون صاحب أرمينية ، فسار اليون من أرمينية ومكر في طريقه بمسلمة ووعدته أن يسلم إليه قسطنطينية . وكانت الروم قد أرسلوا إلى اليون : إن صرفت عنا مسلمة ملككناك ، فلما أتى اليون مسلمة قال له : إنك لا تصدقهم القتال ولا تزال تطاولهم ما دام هذا الطعام عندك وقد أحسثوا بذلك منك ، فلو أحرقت الطعام أعطوا ما بأيديهم ، فأحرقه مسلمة ، ووجه مع اليون من شيعته حتى دخل القسطنطينية ، فلما دخلها ملكه الروم عليهم ، فأرسل إلى مسلمة يخبره بما جرى من أمره ويسأله أن يأذن له أن يدخل من الطعام ، من النواحي ، مما يعيش به القوم حتى يصدقوه بأن أمره وأمر مسلمة واحد ، وأنهم في أمان من الشتات والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلة واحدة في حمل الطعام . وهياً اليون السفن والرجال ، فأذن له مسلمة ، فحمل جميع ما في تلك النواحي من الغلة في ليلة واحدة ، وأفرج اليون وأصبح محارباً لمسلمة ، وظهرت هذه الحديعة التي لا تتم على النساء ، وأقام المسلمون في قلة الميرة ، وحصلت الميرة جميعها عند الروم ، ولقي المسلمون من الشدة ما لم يلق أحد قط حتى إن الرجل كان يخاف أن يخرج من العسكر وحده ، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والعروق والورق وكل شيء حتى الروث ، هذا وسليمان مقيم بدابق ، فدهمهم الشتاء ولم يقدر أن يمدّهم ، حتى هلك سليمان .

قيل إنه خرج من الحمام يريد الصلاة ونظر في المرأة فأعجبه جماله ، وكان حسن الوجه فقال : أنا الخليفة الشاب ، فلقيته إحدى حظاياها ، فقال : كيف ترينني ؟ فتمثلت :

ليس فيما بدا لنا فيك عيبٌ عابه الناسُ غير أنكِ فانِ
أنتِ نعم المتاعُ لو كنتِ تبقى غير أن لا بقاءَ للإنسانِ
ورجع فحماً ، فما بات تلك الليلة إلا ميتاً .

وكان عاقلاً ديناً متوقفاً عن الدماء ، ويقال إنه كان شرهاً نكاحاً ، يأكل في كل يوم نحو مائة رطل ، وكان به عرج .

وحج بالناس سنة سبع وتسعين فمرّ على المدينة وهو يريد مكة فقال : أهاهنا أحد يذكّرنا ؟ فقل له : أبو حازم ، فأرسل إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا حازم ، ما هذا الخفاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أعينك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما عرفتني قبل ولا أنا رأيتك ، فالتفت سليمان إلى محمد ابن شهاب وقال : أصاب الشيخ وأخطأت أنا ؛ فقال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت ، فكيف القدوم على الله عز وجل غداً ؟ قال : أما المحسن فكالمغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالماتى يقدم على مولاه ، فبكى سليمان وقال : ليت شعري ، ما أنا عند الله ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، اعرض عملك على كتاب الله عز وجل ، قال : وأين أجده ؟ قال : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (الأعراف : ٥٦) ، قال : يا أبا حازم ، فأني عباد الله أفضل ؟ قال : أولو المروءة والتقى ، قال : فأني الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأني الدعاء أسمع ؟ قال : دعوة المحسن للمحسن ، قال : فأني الصدقة أزكى ؟ قال : صدقة السائل البائس وجهد من مقلّ ليس فيها منّ ولا أذى ؛ قال : فأني القول أعدل ؟ قال : قول الحق عند من يخافه أو يرجوه ؛ قال فأني الناس أحق ؟ قال : رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنياه غيره ؛ قال : صدقت ، فما الذي تقول فيما نحن فيه ؟ قال : يا أمير المؤمنين أوتعفيني من ذلك ؟ قال : لا ، ولكن نصيحة تلقيناها إليّ ؛ قال : إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضئ حتى قتلوا عليه مقتلة عظيمة وارتحوا عنها ، فلو سمعت ما قالوا وما قيل لهم ؛ ففشي على سليمان ، فقال رجل من جلسائه : بش ما قلت يا أبا حازم ! قال أبو حازم :

١ هذا النص مر في في معضمه ١٠ في ١٠ مة واليسر ٢ : ٨٨ وفردن بنا في العقد ٣ : ١٦٣ .

كذبت يا عدو الله ، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننّه للناس ولا يكتُمونه ، فأفاق سليمان فقال : يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح للناس ؟ قال : تدع الصلف وتستمسك بالمرؤّة وتقسم بالسويّة ، قال سليمان : كيف المأخذ به ؟ قال : أن تأخذ المال من حله وتضعه في أهله ، قال سليمان : هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : أعوذ بالله يا أمير المؤمنين ! قال : ولم ؟ قال : أخشى أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيزيدني الله ضعف الحياة وضعف المات ، قال : يا أبا حازم ارفع إليّ حوائجك ، قال : تنجيني من النار وتدخلي الجنة ، قال : ليس ذلك إليّ ، قال : فلا حاجة لي غيرها ، قال : فادع لي الله يا أبا حازم ، قال : اللهم ! إن كان سليمان وليّك فيستره بخير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى . قال سليمان : زدني ، قال : يا أمير المؤمنين قد أوجزت وأكثر إن كنت من أهله ، وإن لم تكن من أهله فما ينبغي لي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر ، قال : أوصني يا أبا حازم ، قال : سأوصيك وأوجز : عظّم ربك ونزّهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك ، ثم قام ، فبعث إليه سليمان بمائة دينار وكتب إليه أن أنفقها ولك مثلها كثير ، فردّها عليه وكتب إليه : يا أمير المؤمنين أعوذ بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً وردّي عليك باطلاً ، فوالله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسيّ ؟ يا أمير المؤمنين إن كانت هذه المائة عوضاً لما حدثتك فالمئة ولحم الخنزير في حل الاضطرار أحلّ من هذه ، وإن كانت هذه حقاً لي في بيت المال فلي فيها نظرك ، فإن سويت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها ؛ قال له جلساؤه : يا أمير المؤمنين أيسرّك أن يكون الناس كلهم مثله ؟ قال : لا والله . قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل ما داموا على الهدى والرشد كان أمراؤهم يأتون علماءهم رغبة فيها عندهم ، [فلما رآي قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء] يريدون به الدنيا [استغنت الأمراء عن العلماء] فتعسوا ونكسوا وسقطوا من عين الله عز وجل ، ولو أن علماءهم زهدوا فيها عند الأمراء لرغب الأمراء في علمهم ، ولكنهم رغبوا فيها عند الأمراء فزهدوا فيهم وهانوا في أعينهم ، فقال الزهري : إياي تعني وتعرض بي ؟ فقال أبو حازم : لا والله ما تعمّدتك ولكن

هو ما تسمع ؛ قال سليمان للزهري : هل تعرفه ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته ، قال أبو حازم : أجل والله لو أحببت الله لعرفتني ولكن لم تحب الله فنسيتني ، فقال الزهري : يا أبا حازم تشتمني ! قال : لا ، ولكنك شمت نفسك ، أما علمت أن للجار حقاً كالقراة ؟

جاء سليمان يوماً إلى طاوس فلم ينظر إليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أردت أن يعلم أن الله رجلاً يزهدون فيما لديه .

وشاور سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر ، فقال سليمان : هل علينا عين ؟ فقال عمر : نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق ، وسمع نافذ لا يحتاج إلى إصغاء . حضر أعرابي إلى مائدة سليمان فجعل يمد يده فقال له الحاجب : كل ما بين يديك ، فقال الأعرابي : من أجذب انتجع ، فشق ذلك على سليمان وقال له : لا تعد إلينا ؛ ودخل آخر فمد يده فقال له الحاجب : كل مما يليك ، فقال : من أخصب تخير ، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه .

وحكى عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كنت نديماً لسليمان بن عبد الملك ، وإني لعنده ذات يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابياً وله دين ، فلو أذنت له فسمعت كلامه ، قال : نعم ، يا غلام ، إيدن للأعرابي ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يجب إن قلته ، فقال له : يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيباً والناصح جيباً فهات ، فقال الأعرابي : أما إذ أمنت بادرة غضبك فإني مطلق لساني بما خرست به الألسن بإذنه ، لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين ، إنه تكنفك قوم أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط الله ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما أئتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفاً وعسفاً وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت ، فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك ، فإن المغبون كل المغبون من أفسد آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : أما أنت فقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك ، فقيل

له : سلّ أمير المؤمنين حاجة ، قال : ما آخذ خاصاً دون عامّ ، ثم خرج .
 ظلم عامل لسليمان رجلاً فقال : يا أمير المؤمنين إني أحتذرُك يوم الأذان ،
 قال : وما يوم الأذان؟ قال : قوله تعالى ﴿ فَأَذِّنْ مَوْذَنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
 الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٤٤) قال : لا جرم لا أبرح أو تصل إلى حقك .
 وغضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري ، فلما أدخل عليه قال : يا
 أمير المؤمنين إن القدرة تُذهب الحفيظة وإنك تجل عن العقوبة ، فإن تعف
 فأهل لذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل لذلك أنا ، فعفا عنه .

احتال يزيد بن راشد في الدخول على سليمان متنكراً بعد أن ولي الخلافة
 فقعد في السباط ، وكان سليمان قد نذر أنه إن أفضت إليه الخلافة قطع لسانه
 لأنه كان ممن دعا إلى خلع سليمان والبيعة لعبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين
 كن كنيّ الله أيوب عليه السلام ، ابتلي فصبر وأُعطي فشكر وقدر فغفر ، قال :
 ومن أنت ؟ قال : يزيد بن راشد ، فعفا عنه .

كان سليمان قد طلب يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، فلما دخل عليه مكبلاً
 بالحديد ازدراه وقال : لعن الله رجلاً رفعك ووجهك في أمره ، فقال له :
 رأيتني والأمر عني مدبر وعليك مقبل ، ولو رأيتني والأمر مقبل علي لاستعظمت
 مني ما استصغرت ولا استجللت مني ما استحققت ، قال : صدقت ، اجلس لا أم
 لك ، فلما جلس قال له سليمان : عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به ،
 أتراه يهوي بعد في جهنم أو قد استقر فيها؟ فقال : يا أمير المؤمنين لا تقل هذا
 للحجاج فإنه بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم وأخاف عدوكم ،
 وإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار أخيك حيث شئت ؛ فصاح سليمان :
 اخرج عني إلى لعنة الله .

بينما سليمان بن عبد الملك في مجلسه مرَّ به رجل عليه ثياب يختال في مشيه ،
 وكان العلاء بن كدير حاضراً فقال : ما ينبغي أن يكون إلا كوفياً وينبغي أن
 يكون من همدان ، ثم قال : عليّ بالرجل ، فأقي به فقال : ممن الرجل؟ فقال :
 ويلك دعني حتى ترتد اليّ نفسي ، فتركه هنيهة ثم قال له : ممن الرجل؟ فقال : من
 أهل العراق ، قال : من أيهم؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من أي أهل

الكوفة ؟ قال : من همدان ، فازداد عجباً ، قال : ما تقول في أبي بكر ؟ قال : ما أدركت دهره ولا أدركه دهره ، ولقد قال الناس فيه وأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك ، قال : فما تقول في عمر ؟ فقال مثل ذلك ، فقال : ما تقول في عثمان ؟ قال : ما أدركت دهره ولا أدركه دهره ، ولقد قال فيه ناس فأحسنوا وقال فيه ناس فأساءوا وعند الله علمه ، قال : فما تقول في علي ؟ فقال مثل ذلك ، قال : سبّ عليّاً ، قال : لا أسبه ، قال : والله لتسبنه أو لأضربنّ عنقك ، فقال : والله لا أسبه ، فأمر بضرب عنقه ، فقام رجل بيده سيف فهزّه حتى أضاء في يده كأنه خوصة وقال : لتسبنه أو لأضربنّ عنقك ، قال : والله لا أسبه ، ثم نادى : ويلك يا سليمان أدني منك ، فدعا به فقال : يا سليمان أما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : الله تعالى رضي من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهم شرّ من علي ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (المائدة : ١٦٨) قال فنظرت إلى الغضب يتحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته ثم قال : خلّياً سبيله ، فعاد إلى مشيته فما رأيت رجلاً قط خيراً من ألف رجل غيره وإذا هو طلحة بن مطرف .

قال سليمان لعديّ بن الرقاع : أنشدني قولك في الحرة ، فأنشده :

كبت إذا شُجّت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين ديب
تُريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قُطوب

فقال سليمان : شربتها ورب الكعبة ! فقال عديّ : والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها لقد رابني معرفتك بها ، فتضحكا وأخذا في الحديث .

وكان سليمان هرب من الطاعون ، فقيل له : إن الله عز وجل يقول ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمتعون إلا قليلاً ﴾ (الأحزاب : ١٦) قال : ذلك القليل اطلب .

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وبين ابن لسليمان بن عبد الملك كلام فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ويصفه فقال له ابن سليمان : إن شئت فأكثر أو فأقل ،

ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي ، لأن سليمان هو الذي ولّى عمر بن عبد العزيز .

٢٨٠

السلطان سنجر السلجوقي

أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ؛ سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر ، وخطب له بالعراقيين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين ، وضربت السكة باسمه في الخافقين ، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين .

كان من أعظم الملوك همة ، وأكثرهم عطاء ، ذكر عنه أنه اصطحب خمسة أيام متوالية ذهب في الجود بها كل مذهب ، فبلغ ما وهبه من العين سبعمائة ألف دينار ، غير ما أنعم به من الخيل والخلع والأثاث وغير ذلك .

وقال خازنه : اجتمع في خزائنه^١ من الأموال ما لم أسمع أنه اجتمع في خزائن أحد من الملوك الأكاسرة ، وقلت له يوماً : حصل في خزائنك ألف ثوب ديباج أطلس وأحب أن تبصرها ، فسكت ، وظننت أنه رضي بذلك ، فأبرزت جميعها ، وقلت : أما تنظر إلى مالك ؟ أما تحمد الله تعالى على ما أعطاك وأنعم عليك ؟ فحمد الله تعالى ، ثم قال : يقبح بمثلي أن يقال : مال إلى المال ، وأمر للأمراء بالإذن في الدخول فدخلوا عليه ، ففرق عليهم الثياب الطلّس وانصرفوا . واجتمع عنده من الجوهر ألف وثلاثون رطلاً ، ولم يُسمع عند أحد

٢٨٠ - أخبار سنجر بن ملكشاه في ج ١١ ، ١٢ من تاريخ ابن الأثير ، وصفحت متفرقة من تاريخ الملوك السلجوقية وراحة الصدور للراوندي ، والترجمة هنا مطابقة لما في المسودة .

١ س ر : خزائنه .

من الملوك بمثل هذا ولا بما يقاربه ، ولم يزل أمره في ازدياد وسعاده في الترقى إلى أن ظهرت عليه الأغز^١ - وهم طائفة من الترك - في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وهي واقعة مشهورة استشهد فيها الفقيه محمد بن يحيى - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وكسروه وانحل نظام ملكه ، وملكوا نيسابور وقتلوا فيها خلقاً لا يحصى عدده ، وأسروا السلطان سنجر ، وأقام في أسرهم مقدار خمس سنين ، وتغلب خوارزم شاه على مدينة مرو ، وتفرقت مملكة خراسان .

ثم إن سنجر أفلت من الأسر وعاد إلى خراسان [وجُمعَ إليه أطرافه بمر ، وكاد يعود إلى ملكه ، فأدركه أجله]^٢ .

وكانت ولادته يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة بظاهر مدينة سنجان ، ولذلك سمي سنجر ، فان والده السلطان ملكشاه لما اجتاز بديار ريعة ونزل على سنجان جاءه هذا الولد ، فقالوا : ما نسميه ؟ فقال : سموه سنجر ، وأخذ هذا الاسم من اسم المدينة .

وتولى المملكة في سنة تسعين وأربعمائة نيابة عن أخيه بركياروق - كما تقدم ذكره في حرف الباء - ثم استقل بالسلطنة في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . وتوفي يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بمر ، ودفن بها بعد خلاصه من الأسر ، وانقطع بموته استبداد الملوك السلجوقية بخراسان ، واستولى على أكثر مملكته خوارزم شاه ألتسز بن محمد بن أنوشكين رحمه الله تعالى ، وهو جد السلطان محمد بن تكش خوارزم شاه ، فسبحان من لا يزول ملكه . وذكر ابن الأزرقي الفارقي في تاريخه أنه مات سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، والله أعلم بذلك .

وقال غيره : توفي في جمادى الآخرة من السنة ، وقُطعت الخطبة ببغداد للسلجوقية عند وصول خبر وفاته في أيام المقتفي لأمر الله ، وكُتب إلى بلاد الجزيرة الفراتية والشام بقطع الخطبة في هذه السنة ، والله أعلم .

١ كتبت في المسودة أولاً « الغز » ثم ضرب عليها وكتبت « الأغز » في الحاشية .

٢ ما بين معقنين لم يرد في المسودة .

أبو محمد التستري

أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع التستري الصالح المشهور ؛ لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ؛ وكان صاحب كرامات ، ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة حرسها الله تعالى ، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة ، وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سَوَّار ، فإنه قال : قال لي خالي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت له : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقليبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ، ثم أعلمته ، فقال : قلها في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ، ثم أعلمته ، فقال : قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة ، فقلت ذلك ، فوقع في قلبي حلاوة ، فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما عكمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة في سري .

ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، مَنْ كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهدُه يعصيه ؟ إياكَ والمعصية . فكان ذلك أوّل أمره ، وسكن البصرة زمناً وعَبَّادَانِ مدّة .

[وكان قد اعتقل بطن يعقوب بن الليث في بلد فارس ، فجمع له الأطباء فلم يفتنوا عنه ، فوصف له سهل بن عبد الله ، فأمر بإحضاره فأحضِر ، فلما دخل عليه قعد عند رأسه وقال : اللهم أرَيْتَهُ ذلَّ المعصية فأمره عزَّ الطاعة ، ففرج الله عنه من ساعته ، فأخرج إليه بِدَرَأً وثياباً فردّها وما قبل منها شيئاً ، فلما رجع إلى تستر قال له بعض أصحابه : لو أخذت تلك الدراهم وفرقتها على

لفقره ، فقال : انظر إلى الأرض ، فإذا الأرض كلها ذهب ؛ ثم قال : من كان حاله مع الله سبحانه هذا لا يستكثر هذا^١ .

وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين في المحرم ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، رضي الله عنه ، بالبصرة . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه^٢ أن مولده في سنة مائتين ، وقيل إحدى ومائتين بتستر .

والتستري^٣ : بضم التاء اثنتا عشرة من فوقها وسكون السين المهمة وفتح التاء الثانية وبعدها راء . هذه النسبة إلى تستر ، وهي بلدة من كُور الأهواز من خوزستان ، يقول لها الناس شتر - بشينين معجمتين - بها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه .

٢٨٢

أبو حاتم السجستاني

أبو حاتم سهر بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشسي^١ السجستاني النحوي اللغوي المتري ، نزيل البصرة وعالمها ؛ كان إماماً في علوم الآداب ، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرّد وغيرهما ، وقال المبرّد : سمعته يقول : قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين ، وكان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة الأصمعي ، عالماً باللغة والشعر . حسن العلم بالعروض

١ زيادة من ص د وحدهم .

٢ تاريخ ابن الأثير ٧ : ٤٨٣ .

٣ في المسودة : وتستر .

٢٨٢ - ترجمة أبي حاتم سجستاني في معجم الأدباء ١١ : ٢٦٣ والفهرست ٥٨ : وانبأ الرواة

٢ : ٥٨ وبغية الرواة : ٢٦٥ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٧ والشذرات ٢ : ١٣١ وغاية

النهاية ١ : ٣٠٠ (راجع حاشية الانباه للاطلاع على مزيد من المصادر) .

وإخراج المعشى، وله شعر جيد، ولم يكن حاذقاً في النحو، وكان إذا اجتمع بأبي عثمان المازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل أو بادر بالخروج خوفاً من أن يسأله عن مسألة في النحو. وكان صالحاً عفيفاً يتصدق كل يوم بدينار، ويختم القرآن في كل أسبوع، وله نظم حسن. وكان أبو العباس المبرّد يحضر حلقاته، ويلزم القراءة عليه، وهو غلام وسيم في نهاية الحسن فعمل فيه أبو حاتم المذكور :

ماذا لقيتُ اليوم من متمجّنٍ خَنِثِ الكلام
وقف الجمالُ بوجهٍ فسَمَت له حَدَقُ الأنام
حركاته وسكونه تُجَنِّى بها ثمر الأثام
وإذا خلوتُ بثله وعزمتُ فيه على اعتزام
لم أعدُ أفصال العفا ف، وذاك أوكَدُ للغرام
نفسى فداؤك يا أبا ال عباس جلَّ بك اعتصامي
فارحم أخاك فإنه نَزَرَ الكرى بادي السقام
وأنله ما دون الحرام م فليس يرغب في الحرام

ومن شعر أبي حاتم أيضاً :

أبرزوا وجهه الجميل ولاموا من افتتن
لو أرادوا عفافنا ستروا وجهه الحسن

[وله أيضاً :

كبدَ الحسود تقطّعي قد بات من أهوى معي

وله غير ذلك كثير .

قال محمد بن الحسن الأزدي : حدثنا أبو حاتم قال : وفد علينا عاملٌ من

١ وقال المبرّد ... النحو : سقط من س .

أهل الكوفة ولم أر في عمال السلطان أبرع منه ، فدخلت عليه مسلماً فقال لي : يا سجستاني ، من علماءكم بالبصرة ؟ قلت : الزيادي أعلمنا بعلم الاصمعي ، والمازني أعلمنا بالنحو ، وهلال الرأي أفقهننا ، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث ، وأنا - رحمك الله - أنسب الى علم القرآن ، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط . قال : فقال لكتابه : إذا كان غداً فاجمعهم اليّ ، قال : فجمعنا فقال : أيكم المازني ؟ فقال أبو عثمان : ها أناذا ، قال : هل يجزي في كفارة الطهارة عتق عبد أعور ؟ قال المازني : لست صاحب فقه ، أنا صاحب عربية ، قال : يا زيادي ، كيف يكتب بين بعل وامرأة خالها على الثلث من صداقها ؟ قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم هلال الرأي ، قال : يا هلال ، كم اسند ابن عون عن الحسن ؟ قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم الشاذكوني ، قال : يا شاذكوني ، من قرأ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ (هود : ٥) قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم أبي حاتم ، قال : يا أبا حاتم ، كيف تكتب كتاباً الى أمير المؤمنين تصف خصاصة أهل البصرة وما أصابهم بي وتسأله النظر بالبصرة ؟ قلت : لست صاحب براعة وكتابة ، انا صاحب قرآن ؛ قال : ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فتناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يحل فيه ولم يُمِرَّ ، لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب ^١ .

وقال أبو حاتم لتلميذه : إذا أردت أن تضمّن كتاباً سرّاً فخذ لبناً حليماً فاكتب به في قرطاس ، فيذر المكتوب إليه عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس فيظهر المكتوب ، وإن كتبت به الزاج الأبيض ، فإذا ذر عليه المكتوب إليه شيئاً من العفص ظهر ، وكذا بالعكس .

وله من المصنفات كتاب « إعراب القرآن » وكتاب « ما يلحن فيه العامة » وكتاب « الطير » وكتاب « المذكر والمؤنث » وكتاب « النبات » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « الفرق » وكتاب « القراءات » وكتاب « المقاطع والمبادي » وكتاب « الفصاحة » وكتاب « النخلة » وكتاب « الاضداد » وكتاب « القسي والنبال »

١ زيادة من ص وحدها .

والسهام» وكتاب «السيوف والرماح» وكتاب «الدرع والفرس»^١ وكتاب «الوحوش» وكتاب «الحشرات» وكتاب «الهجاء» وكتاب «الزراع» وكتاب «خلق الانسان» وكتاب «الإدغام» وكتاب «اللبأ واللبن الحليب» وكتاب «الكرم» وكتاب «الشتاء والصيف» وكتاب «النحل والعسل» وكتاب «الإبل» وكتاب «العشب» وكتاب «الحِصْب والقَحْط» وكتاب «اختلاف المصاحف» وغير ذلك [من المصنفات] .

وكانت وفاته في المحرم ، وقيل رجب ، سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وقيل سنة خمسين ، وقيل أربع وخمسين ، وقيل خمس وخمسين ومائتين بالبصرة ، وصلى عليه سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، وكان والي البصرة يومئذ ، ودفن بسررة المصلى ، رحمه الله تعالى .
والجُشَمي : بضم الجيم وفتح الشين المثناة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى عدة قبائل يقال لكل واحدة منها جُشَم ، ولا أدري إلى أيها ينسب أبو حاتم المذكور .

والسَّجِسْتَانِي : قد تقدم الكلام عليه .

٢٨٣

أبو الفتح الأرغيباني

أبو الفتح سهل بن أحمد بن علي الأرغيباني الفقيه الشافعي ؛ كان إماماً كبير المقدار في العلم والزهد ، تَفَقَّه بمرور على الشيخ أبي علي السَّنْجِي - المقدم ذكره في حرف الحاء - ثم قرأ على القاضي حسين بن محمد المروروذي

١ م : الدرر والفرس .

٢٨٣ - ترجمة سهل الأرغيباني في طبقات السبكي ٣ : ١٦٩ والسمعاني واللباب : « الأرغيباني » والترجمة مطابقة لما في المسودة .

وحصل طريقته ، حتى قال : ما علق أحد طريقي مثله . ودخل نيسابور
 وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وناظر في مجلسه وارتضى
 كلامه ، ثم عاد إلى ناحية أرغيان ، وتقلد قضاءها سنين مع حسن السيرة
 وسلوك الطرائق المرضية ، ثم خرج إلى الحج ولقي المشايخ بالعراق والحجاز
 والجلال وسمع منهم وسمعوا منه ، ولما رجع من مكة ، حرسها الله تعالى ،
 دخل على الشيخ العارف الحسن السمناني شيخ وقته زائراً فأشار عليه بترك
 المناظرة فتركها ولم يناظر بعد ذلك ، وعزل نفسه عن القضاء ولزم البيت^١
 والآنزواء ، وبنى للصوفية دُويْرة من ماله ، وأقام بها مشغولاً بالتصنيف
 والمواظبة^٢ على العبادة إلى أن توفي على تيقظ من حاله مستهلّ المحرم سنة تسع
 وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وهو^٣ صاحب الفتاوى المنسوبة إليه ، وسمع جماعة من الأئمة مثل أبي بكر
 البيهقي وناصر المروزي وعبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي صاحب
 «مجمع الغرائب» و«ذيل تاريخ نيسابور» وغيرهم ، رحمهم الله تعالى .
 والأرغيان : بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وفتح الياء
 المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى أرغيان وهي اسم لناحية
 من نواحي نيسابور بها عِدَّة من القرى .

١ أ ج : العزلة .

٢ أ : والمراطة ؛ م : بالتصنيف والعبادة .

٣ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م .

٤ بهامش س : منقولة من خط الشيخ العالم الورع الزاهد عبد الرحيم الاسنوي : « ليست الفتاوى
 له بل لحمد الأرغيان في الآتي ذكره في حرف الميم ، وقد نبه عليه المصنف » .

أبو الطيب الصعلوكي

أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري الفقيه الشافعي - وسيأتي ذكر أبيه ورفع نسبه في حرف الميم إن شاء الله تعالى - كان أبو الطيب المذكور مفتي نيسابور وابن مقتيها ، أخذ الفقه عن أبيه أبي سهل الصعلوكي ، وكان في وقته يقال له « الإمام » وهو متفق عليه ، عديم النظير في علمه وديانته ، وسمع أباه ومحمد بن يعقوب الأصم وابن مطر وأقرانهم . وكان فقيهاً أديباً متكلماً ، خرّجت له الفوائد من سماعه ، وقيل إنه وضع له في المجلس أكثر من خمسمائة محبرة وجمع رياضة الدنيا والآخرة وأخذ عنه فقهاء نيسابور .

وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب « الإرشاد » : إنه توفي أول سنة اثنتين وأربعمائة ، والله أعلم بالصواب .

والصعلوكي : بضم الصاد المهملة وسكون العين المهملة وضم اللام وسكون الواو وفي آخرها كاف ، هذه النسبة إلى صعلوك ، هكذا ذكره السمعاني وما زاد عليه .

[قال عبد الواحد اللخمي : أصاب سهلاً الصعلوكي رمد فكان الناس يدخلون عليه وينشدونه من النظم ويروون له من الآثار ما جرت به العادة ، فدخل عليه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وقال : أيها الإمام ، لو أن عينيك رأتا

٢٨٤ - ترجمة سهل الصعلوكي في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٥ وطبقات السبكي ٣ : ١٦٩ .

١ ب : المثل .

٢ ر : سطر .

٣ قال السبكي : توفي في شهر رجب سنة أربع وأربعمائة بنيسابور .

وجهك ما رمدت ، فقال له الشيخ سهل : ما سمعت بأحسن من هذا الكلام ،
وسرَّ به [١] .

ولما مات أبوه محمد بن سليمان - في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته -
كتب أبو النضر ابن عبد الجبار إلى أبي الطيب المذكور يعزيه عن والده :

مَنْ مَبْلَغُ شَيْخِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِبَةً عَنِّي رِسَالَةٌ مَحْزُونٍ وَأَوَّاهٍ
أَوَّلَى الْبِرَايَا مُحْسِنُ الصَّبْرِ مَمْتَحَنًا مَنْ كَانَ فَتُنْيَاهُ تَوْقِيْعًا عَنِ اللَّهِ

١ ما بين معقفين لم يرد في ص والمسودة .

جَزْفُ الشَّيْنِ

شاور وزير مصر

أبو شجاع شاور بن مُجِير بن نزار بن عشاثر بن شأس بن مُغِيث بن حبيب
ابن الحارث بن ربيعة بن يَحْنَس^١ بن أبي ذؤيب عبدالله - وهو والد حليلة مريض
رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن الكلبي في « جهرة النسب » : حليلة مريض
النبي صلى الله عليه وسلم ابنة أبي ذؤيب وهو الحارث بن عبدالله بن شجنة بن جابر
ابن ناصرة ، أرضعته بلبن ابنتها الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رِفاعَة
ابن ملان ، وهو الذي حضن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان عند حليلة ،
والشَّيْماء المذكورة كانت تحمل النبي صلى الله عليه وسلم فعرضها وهي تحمله فلمَّا
وفدت عليه أرتبه الأثر، والله أعلم - ابن الحارث بن شَجْنَة بن جابر بن رزام بن
ناصرَة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدي .

كان الصالح بن رُزَيْكَ وزير العاضد صاحب مصر قد ولاه الصعيد الأعلى من
ديار مصر ، ثم ندم على توليته ، ولما جرح الصالح وأشرف على الوفاة - كما
سيأتي في ترجمته في حرف الطاء إن شاء الله تعالى - كان يعد لنفسه ثلاث
غلطات : إحداها تولية شاور [وثانيتها بناء الجامع المعروف به على باب زويلة ،
فإنه كان قد بقي عوناً لمن يحاصر القاهرة^٢ ، وثالثتها خروجه إلى بلبس^٣

٢٨٥ - أخبار شاور السعدي في ابن الاثير (ج ١١) ومفرج الكروب ١ : ١٥٨ وابن خلدون ٥ :
٢٤٦ وما بعدها (وخاصة : ٢٨١) والنكت العصرية ، وكتاب الروضتين ومرآة الزمان ،
واتعاظ الخنفا : ٢٨٨ وقد وردت الترجمة موجزة في م ، وأكثرها في س أيضاً ؛ كما أنها
وردت في المسودة ونسخة ر .

١ ر : يَحْنَس .

٢ ج : القلعة .

٣ ب : تنيس .

بالعساكر ورجوعه بعد أن أنفق فيهم أكثر من مائتي ألف دينار حيث لم يتم إلى بلاد الشام ويفتح بيت المقدس ويستأصل شأفة الفرنج^١ .

ثم إن شاور تمكن في الصعيد ، وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية ، وكان الصالح قد أوصى ولده العادل رُزَيْكَ أن لا يتعرض لشاور بمساء ولا يغير عليه حاله ، فإنه لا يأمن عصيانه والخروج عليه ، وكان كما أشار ، والشرح يطول . وقدم من الصعيد على واحات ، واخترق تلك البراري إلى أن خرج عند تَرَوْجَةَ بالقرب من الإسكندرية ، وتوجه إلى القاهرة ودخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وهرب العادل رزَيْك وأهله من القاهرة ليلة العشرين من المحرم المذكور ، وقتل العادل بن الصالح ، وأخذ موضعه من الوزارة واستولى . ثم توجه في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في شهر رمضان منها إلى الشام مستنجداً بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام لما خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللّخمي المنذري نائب الباب بمجموع كثيرة وغلبه وأخرجه من القاهرة ، وقتل ولده طيّاً ، وولي الوزارة مكانه - كعادة المصريين - فأعجده بالأمير أسد الدين شيركوه ، والقصة مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة فيها ، وآخر الأمر أن أسد الدين تردد إلى الديار المصرية ثلاث دفعات - كما سيأتي في ترجمته من هذا الحرف إن شاء الله تعالى - .

وقتل شاور يوم الأربعاء سابع عشر ، وقيل ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودفن في تربة ولده طي ، وترتبه بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة القاضي الفاضل ، وكان المباشر لقتله الأمير عز الدين جُرْدِيك عتيق نور الدين صاحب الشام . وقال الروحي في كتاب « تحفة الخلفاء » : إن السلطان صلاح الدين أوقع به ، وكان إذ ذاك في صحبة عمه أسد الدين ، وإن قتله كان يوم السبت منتصف جمادى الأولى من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى . وذكر ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »^٢ أن شاور المذكور خرج إلى أسد

١ ما بين معقنين لم يرد في المسودة .

٢ سيرة ابن شداد : ٣٢ .

الدين في موكبهِ ، فلم يتجاسر أحد عليه إلا صلاح الدين ، فإنه تلقّاه وسار إلى جانبه وأخذ بتلايبه وأمر العسكر بقصد أصحابه ، ففروا ونهبهم العسكر ، وأنزل شاور في خيمة مفردة ، وفي الحال جاء توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول : لا بد من رأسه ، جرياً على عاداتهم مع وزراءهم ، فحزّ رأسه وأنفذه إليهم ، وسير إلى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها ، وسار ودخل القصر وترتب وزيراً ، وذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن شاور وصل إلى نور الدين مستجيراً فأكرمه واحترمه وبعث معه جيشاً فقتلوا خصمه ولم يقع منه الوفاء بما ورد من جهته ، ثم إن شاور بعث إلى ملك الفرنج واستنجد به وضمن له أموالاً ، فرجع عسكر نور الدين إلى الشام ، وحدث ملك الفرنج نفسه بملك مصر ، فحضر إلى بلبس وأخذها وخيّم عليها ، فلما بلغ نور الدين ذلك جهز عسكراً إليها ، فلما سمع العدو بتوجّه الجيش رجعوا خائبين ، واطلع من شاور على الخامرة ، وأنفذ يرأس العدو طمعاً منه في المظاهرة ، فلما خيف من شره تمارض أسد الدين فجاءه شاور عائداً له فوثب جرديك وبُرعش مولى نور الدين فقتلا شاور ، وكان ذلك برأي الملك الناصر صلاح الدين ، فإنه أول من تولى القبض عليه ومد يده بالمكره إليه ، وصفا الأمر لأسد الدين ، وظهرت السنة بالديار المصرية ، وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية .

وللفقيه عمارة اليمني - الآتي ذكره - فيه مدائح ، من جملتها قوله من جملة قصيد :

ضجر الحديد من الحديدِ وشاورٍ من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بثلثه حنث يمينك يا زمان فكفر

وحكى الفقيه عمارة المذكور أنه لما تم الأمر لشاور وانقرضت دولة بني

رُزَيْكَ جالس شاور وحوله جماعة من أصحاب بني رزيك ومن لهم عليهم
إحسان وإنعام ، فوقعوا في بني رُزَيْكَ تَقَرُّباً إلى قلب شاور ، وكان الصالح بن
رزيك وابنه العادل قد أحسنا إلى عمارة عند دخوله إلى الديار المصرية ، قال :
فأنشدته :

صحَّتْ بدولتك الأيام من سَقَمٍ وزال ما يشتكيه الدهر من ألمٍ
زالت ليالي بني رُزَيْكَ وانصرمت والحمد والذم فيها غيرُ منصرمٍ
كان صالحهم يوماً وعادهم في صدر ذا الدَّستِ لم يقعد ولم يقم
هم حركوها عليهم وهي ساكنة والسلم قد ينبت الأوراق في السلم
كنا نظنُّ وبعضُ الظنِّ مأثمة بأن ذلك جَمْعٌ غير منهزمٍ
فمذ وقعتْ وقوعَ النسر خانهمُ من كان مجتمعاً من ذلك الرخمِ
ولم يكونوا عدوًّا ذلَّ جانبه وإنما غرقوا في سَيْلِكَ العَرمِ
وما قصدتُ بتعظيمي عِدَاكَ سوى تعظيم شأنك فاعذرنِي ولا تلمِ
ولو شكرتُ لِيَالِيهِمْ محافظةً لعهدِها لم يكن بالعهد من قِدمِ
ولو فتحت فَمِي يوماً بدمهمُ لم يرض فضلك إلا أن يسد فَمِي
والله يأمر بالإحسان عارفةً منه وينهى عن الفحشاء في الكلمِ

قال عمارة : فشكرني شاور وولده على الوفاء لبني رُزَيْكَ .
(49) وأما الملك المنصور أبو الأشبال ضرغام بن سَوَّار اللُّخْمِي المذكور
فانه لما وصل شاور من الشام بالعساكر خرج من القاهرة وقتل يوم الجمعة الثامن
والعشرين من شهر جمادى الآخرة ، وقيل في رجب سنة تسع وخمسين وخمسمائة ،
وكان قتله عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، فيما بين القاهرة ومصر ،
وحزبوا رأسه وطافوا به على رمح ، وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها
الكلاب ، ثم دفن عند بركة الفيل وعمر عليه قبة ، هكذا وجدته في بعض

١ بعد هذا البيت جاء في ج : ومنها ، وأشار إلى من كان حاضراً ...

٢ هذه الفقرة لم ترد في س ، حتى قوله : المذكورة .

التواريخ ، وعلى البركة قبة ، وغالب ظني انها هي المذكورة .
 وواحاح : بفتح الواو وبعد الألف حاء مهمة وبعد الألف الثانية تاء مثناة
 من فوقها ، وهي بلاد بنواحي الديار المصرية مستطيلة في طول صعيدها داخل
 البرية مما يلي أرض برقة وطريق المغرب .
 وتروجة : بفتح التاء المثناة من فوقها والراء وبعد الواو الساكنة جيم ثم
 هاء ساكنة ، وهي قرية بالقرب من الإسكندرية أكثر زراعة أهلها الكرويا .
 ونقلتُ نسبه على هذه الصورة من شجرة أحضرها إليّ أحد حَفَدَتِهِ .

٢٨٥ ب

شاور بن مجير الوزير المصري

[بعد النسب المتقدم في الترجمة السابقة] وزير العاضد صاحب مصر ، ولي
 الوزارة له سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في صفر منها ، وكان ابتداء امره أنه كان
 يخدم الصالح بن رزيك ، فأقبل عليه وولاه الصعيد وهو أكبر الأعمال بعد
 الوزارة ، وظهرت منه كفاءة عظيمة وتقدم واستمال الرعية والمقدمين من العرب
 وغيرهم ، ففسر أمره على الصالح ولم يمكنه عزله ، فاستدام استعماله لئلا يخرج
 عن طاعته . ولما جرح الصالح وأشرف على الوفاة كان يعد لنفسه ثلاث غلطات
 إحداها تولية شاور . ولما حضر الصالح الموت كان من جملة وصيته للعادل رزيك
 ولده : انك لا تغير على شاور فإنني أنا أقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم
 يمكنني عزله فلا تغيروا عليه فيكون لكم ما تكرهون . فلما توفي الصالح وتولى
 ابنه العادل الوزارة حسّن له أهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه

٢٨٥ ب - هكذا وردت هذه الترجمة في النسخة ص ، وقد آثرنا فصلها عن ترجمة شاور السابقة
 لما بينها من اختلاف .

منه ان اقره على عمله ، فأرسل إليه بالعزل فجمع جموعاً كبيرة وقدم من الصعيد على واحات واخترق تلك البراري الى ان قدم عند تروجة من الاسكندرية وتوجه الى القاهرة ، فهرب منه العادل بن رزك فأخذ وقتل . وكانت مدة وزارته ووزارة ابيه تسع سنين وشهراً واحداً وأياماً .

وصار شاور وزيراً وتلقب بأمير الجيوش ، وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية . ثم ان الضرغام جمع جموعاً كبيرة ونازع شاور في الوزارة ، وفي شهر رمضان ظهر أمره وانهزم شاور منه الى الشام وصار ضرغام وراءه . فكان في هذه السنة مصير ثلاثة وزراء : العادل بن رزك وشاور وضرغام . فلما تمكن ضرغام من الوزارة ، قتل كثيراً من الامراء المصريين لتخلو له البلاد من منازع . ثم ان شاور لما نازعه ضرغام في الوزارة قصد نور الدين محمود بن زنكي ملتجئاً إليه مستجيراً به ، فأكرم مثواه واحسن إليه وانعم عليه ، وطلب منه إرسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ، ويكون لنور الدين ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر ، ويكون شيركوه مقيماً بعساكره في مصر ويتصرف بأمر نور الدين واختياره . فبقي نور الدين يقدم الى هذا العرض رجلاً ويؤخر أخرى ، فتارة تحمله رعاية قصد شاور به وطلب الزيادة في الملك والتقوي على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق من أجل الفرنج وخوفاً من أن شاور ان استقرت قاعدته ربما لا يفي ؛ ثم قوي عزمه على ارسال الجيوش ، فتقدم بتجهيزها وازاحة عنها . وكان هوى أسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي بخافة ، فتجهز وساروا جميعاً وشاور صحبتهم في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ، وتقدم نور الدين الى شيركوه أن يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممن نازعه ، ووصل أسد الدين والعساكر الى مدينة بلبس ، فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة مهزوماً ، ووصل أسد الدين الى القاهرة أواخر جمادى الآخرة ، فخرج الملك المنصور ابو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري - المذكور أول الترجمة - من القاهرة سلخ الشهر ، فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقي يومين ثم حمل ودفن بالقاهرة . وقتل أخوه ناصر الدين ، وخلع

على شاور مستهل^١ رجب واعيد الى الوزارة وتمكن منها ، والقصة مشهورة...^١
وحدث ملك الفرنج نفسه بملك مصر وأخذ بلبس وحكم عليها ، وكان
استقر بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة^٢ وتكون أسوارها بيد
فرسانهم ليمتنع نور الدين من إفاد عسكر إليهم ويكون لهم من دخل مصر كل
سنة مائة ألف دينار ، وهذا كله استقر مع شاور فان العاضد لم يكن له معه
حكم ، قد حجب عليه وحجبه عن الأمور كلها .

وعاد الفرنج الى بلاد الساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير
فرسانهم . وكان الكامل شجاع بن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض
الأمراء ينهي إليه محبته وولاءه ويسأله الدخول في طاعته ، وضمن على نفسه انه
يجمع الكلمة بمصر على طاعته وبذل مالا يحمله كل سنة ، فأجابه الى ذلك وحملوا
إليه مالا جزيلا ، فبقي الأمر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر سنة أربع
وستين .

وفي ربيع الاول من هذه السنة ، سار أسد الدين شيركوه الى ديار مصر
ومعه العساكر النورية ، وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج وانهم جعلوا
لهم في القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا فيها جماعة من فرسانهم وحكموا
على المسلمين حكماً جائراً ، فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردمهم ،
ارسلوا الى ملك الفرنج بالشام ، وهو مري ، ولم يكن للفرنج منذ ظهوروا
بالشام مثله شجاعة ومكرأ ودهاء ، يستدعونه ليملكها واعلموه خلوها من
ممانع وهونوا عليه أمرها ، فلم يجيبهم الى ذلك ، فاجتمع عنده فرسان الفرنج
وذوو الرأي وأشاروا عليه بقصدها ، فقال لهم: الرأي عندي أننا لا نقصدها ،
فإنها طعمة لنا وأموالها تساق إلينا نتقوى بها على نور الدين ، وان نحن قصدناها
لنملكها فإن صاحبها وعساكره وعامة بلاده لا يسلمونها إلينا ويقاقلوننا دونها
ويحملهم الخوف على تسليمها الى نور الدين ، وان أخذها وصار له فيها مثل أسد

١ تتفق هذه الترجمة مع السابقة بعد ذلك حتى قوله : « فرجع عسكر نور الدين إلى الشام » ،

وقد تضمنت النقل عن بهاء الدين ابن شداد والفقيه عمارة والحافظ ابن عساكر .

٢ الشحنة : ذخيرة الحرب .

الدين فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من ارض الشام ، فلم يقبلوا قوله وقالوا انها لا مانع فيها ولا حامي ، والى ان يجهز نور الدين عسكرياً نكون قد ملكناها وفرغنا من أمرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة . فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون أنهم يقصدون مدينة حمص . فلما سمع نور الدين شرع أيضاً في جمع عسكره . وجدّ الفرنج في السير الى مصر ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهراً ونهبوا فيها وأسروا وسبوا . وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصره عداوة منهم لشاور، منهم ابن الخياط وابن مرجلة ، فقوي جنان الفرنج بهم ، وساروا من بلبيس الى مصر فزلوا على القاهرة وحصروها ، فخاف الناس منهم وأقبلوا على الامتناع فحفظوا البلد وقتلوا عليه وبذلوا جهدهم في حفظه . فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبيس لملكوا مصر والقاهرة، ولكن الله حسن لهم ما فعلوا ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . وأمر شاور باحراق مدينة مصر ، وأمر أهلها بالانتقال منها الى القاهرة وأن ينهب البلد ، فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة واقتقر أهلها وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم أو يومين خوفاً ان يملكها الفرنج، وبقيت النار فيها اربعة وخسين يوماً . فأرسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج ، وأرسل في الكتب شعور النساء وقال : هذه شعور نسائي من قصري تستغيث بك لتنقذهم من الفرنج . فشرع في تجهيز الجيوش .

وأما الفرنج فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها وشاور هو المتولي للأمر والعساكر والقتال ، فضاق به الأمر وضعف عن ردهم ، فأخذ في أعمال الحيلة ، فأرسل الى ملك الفرنج يعرفه مودته له ومحبه القديمة ، وأن هواه معه لحوفه من نور الدين ومن العاضد، وأن المسلمين لا يوافقونه على التسليم إليه ، وبشر بالصلح على أن يعطيه ألف ألف دينار مصرية ، يعجل البعض ويؤخر الباقي ، فاستقرت القاعدة على ذلك . ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين ، فاجابوا الى ذلك فقالوا : نأخذ المال ونتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ، ومكروا ومكر الله والله خير

الماكرين . فمجل لهم شاور مائة ألف دينار وسألهم الرحيل عنهم ليجمع لهم المال ، فرحلوا وشرع شاور يجمع المال من أهل القاهرة ومضى فلم يتحصل له إلا قدر يسير لا يبلغ خمسة آلاف دينار وتنبه أن أهل مصر أحرقت دورهم بما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرّون على الأقوات فضلاً عن الاقساط ، وأما أهل القاهرة فالأغلب فيهم الجند وغلماهم فلماذا تعذر جمع المال ، وهم في خلال هذا يرأسون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث خراج ديار مصر وأن يكون أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر يكون مقطعاً في الديار المصرية خارجاً عن الثلث المختص به .

فأسرَّ نور الدين لأسد الدين بالتجهز الى مصر واعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والأسلحة والدواب وغير ذلك وحكّمه في العسكر والحزائن ، فاختر من العسكر الفتي فارس وأخذ المال وجمع ستة آلاف فارس وسار بهم هو وصلاح الدين ابن أخيه . فلما قرب أسد الدين من مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بحفّتي حنين . فلما وصل أسد الدين الى القاهرة دخل الى العاضد فخلع عليه وعاد الى الخيم بالخلعة وفرح بها أهل مصر وأجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة . ولم يكن شاور المنع من ذلك لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم ، فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه وشرع يماطل أسد الدين في تقدير ما كان بذل لنور الدين من المال وإقطاع الجند وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه . ثم انه عزم على أن يعمل دعوة يدعو لها أسد الدين وجماعة من الأمراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فتضمنع بهم البلاد من الفرنج ، فنهاه ابنه الكامل وقال : والله لئن عزمت على هذا لأعرفن شيركوه ، فقال له أبوه : والله لئن لم نفعل هذا لنُقتلن جميعاً ، فقال : صدقت ولكن نُقتل ونحن مسلمون خير من أن نُقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك وبين عود الفرنج الا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه ، وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارساً واحداً ويملكون البلاد ؛ فترك ما كان عزم عليه . ولما رأى العسكر النوري مطل شاور خافوا شره ، واتفق صلاح الدين

ومن معه من الأمراء منهم عز الدين جرديك على قتل شاور ، وأعلموا أسد الدين ، فنهاهم عنه فسكتوا وهم على العزم . فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته في الحيام فلم يجده - وكان قد مضى لزيارة قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه - فمضى إليه ومعه صلاح الدين وجرديك في جمع من العسكر فساروا جميعاً ، فتناوله صلاح الدين وجرديك وألقياه الى الأرض عن فرسه ، فهرب عنه أصحابه وأخذ أسيراً ، ولم يكتنهم قتله بغير أمر أسد الدين ، فوكلوا به وسيروا أعلموا أسد الدين بالحال ، فحضر ولم يكنه إلا اتمام ما علموه . وسمع العاضد الخبر فأرسل الى أسد الدين وطلب إيفاد رأس شاور وبائع الرسل بذلك ، فقتل كما تقدم في هذه الترجمة .

أما الكامل بن شاور فانه لما قُتل أبوه دخل إلى القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم . فكان شيركوه يتأسف كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع أبيه في منعه من قتل شيركوه . وكان يقول : وددت لو بقي لأحسن إليه جزاء الصنيعة .

وصفا الامر لاسد الدين وظهرت السنة بالديار المصرية وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية .

٢٨٦

الأفضل ابن أمير الجيوش

أبو القاسم شاهنشاه الملقب الملك الافضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي .
(50) كان بدر المذكور أرمني الجنس ، اشتراه جمال الدولة بن عمار ، وتربى عنده وتقدم بسببه ، وكان من الرجال المعدودين في ذوي الآراء والشهامة وقوة

٢٨٦ - أخبار الأفضل ابن أمير الجيوش في اتعاظ الحنفا : ٢٨١ وما بعدها ، وصفحات متفرقة من الدرر المضية (ج ٦) ، وابن الأثير ، والاشارة إلى من نال الوزارة : ٥٧ .
١ انظر أخبار بدر في الاشارة : ٥٥ .

العزم، واستنابه المستنصر صاحب مصر بمدينة صور، وقيل عكا، فلما ضعف حال المستنصر واختلت دولته - كما سيأتي في ترجمته في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وُصف له بدر النجمي المذكور، فاستدعاه وركب البحر في الشتاء^١ في وقت لم تجر العادة بركوبه في مثله، ووصل إلى القاهرة عشية يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، وقيل الآخرة، سنة ست وستين وأربعمائة، فولاه المستنصر تدبير أموره، وقامت بوصوله الحرمة وأصلح الدولة؛ وكان وزير السيف والقلم، وإليه قضاء القضاة والتقدم على الدعاة، وساس الأمور أحسن سياسة، ويقال: إن وصوله كان أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه^٢، وكان يلقب «أمير الجيوش»؛ ولما دخل على المستنصر قرأ قارىء بين يدي المستنصر ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ (آل عمران: ١٢٣) ولم يتم الآية^٣، فقال المستنصر: لو أتمها ضربت عنقه، وجاوز ثمانين سنة، ولم يزل كذلك إلى أن توفي في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

[قال علقمة العليمي: قصدت بدرأ الجمالي بمصر فرأيت الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه؛ قال: فبينما أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فخرج علقمة في إثره، فلما رجع وقف على نشز من الأرض وأوماً برقعة في يده وأنشأ يقول:

نحن التجار وهذه أعلاقنا دُرَرٌ، وجودُ يمينك المبتاعُ
قلْبُ وفَتَّشْها بسمعك إنما هي جوهرٌ تختاره الأسماعُ
كسدت علينا بالشَّامِ وكلم قلُّ النِّفاقِ تعطلَّ الصِّناعُ
فأناك يحملها إليك تجارها ومطيها الآمالُ والأطباعُ
فوهبت ما لم يعطه في دهره هرمٌ ولا كعبٌ ولا القعقاعُ
وسبقت هذا الناس في طلب العلا فالناسُ بعدك كلهم أتباعُ

١ أ ج: فركب في الشتاء البحر.

٢ أ ج: خوله؛ والقطوع: الإدبار والنحس.

٣ تمام الآية: وأنتم أذلة.

يدبر' أقسم لو بك اعتصم الوري ولجوا إليك بأسرهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازيّ فألقاه وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الأبيات إلى أن استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانہ وخاصته : من أحبني فليخلع على هذا الشاعر ، فخرج من عنده ومعه سبعون بغلاً تحمل الخيل وأمر له بعشرة آلاف درهم وخرج من عنده وفرق كثيراً من ذلك على الشعراء^١ .

وهو الذي بنى الجامع الذي بشفر الإسكندرية المحروس الذي في سوق العطارين ، وكان فراغه من عمارته في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وبني مشهد الرأس بعسقلان .

ولما مرض واشتد مرضه في شهر ربيع الأول من سنة سبع وثمانين ، وزر ولده الأفضل المذكور موضعه في حياته ، وقضيته مع نزار بن المستنصر وغلामه أفتكين الأفضلي والي الإسكندرية مشهورة في أخذها وإحضارها إلى القاهرة المحروسة ، ولم يظهر لها خبر بعد ذلك ، وكان ذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة - وكان المستنصر قد مات في التاريخ المذكور في ترجمته ، وأقام الأفضل ولده المستعلي أحمد المقدم ذكره مقامه واستمر على وزارته - فأما أفتكين فإنه قتل ظاهراً ، وأما نزار فيقال : إن أخاه المستعلي أحمد - المقدم ذكره - بنى في وجهه حائطاً فمات ، والله أعلم ، وقد سبق طرف من خبره في ترجمة المستعلي ، وأتتكين كان غلام الأفضل المذكور، ونزار المذكور إليه تنتسب ملوك الإسماعيلية أصحاب الدعوة أرباب قلعة الاموت وما معها من القلاع في بلاد العجم .

وكان الأفضل المذكور حسنَ التدبير فَحَلَّ الرأي ، وهو الذي أقام الأمر ابن المستعلي موضع أبيه في المملكة بعد وفاة أبيه كما فعل مع أبيه ، ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات ، فإنه كان كثير اللعب - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - فحمله ذلك على أن عمل على قتله ، فأوثب عليه جماعة ، وكان يسكن بمصر في دار الملك التي على بحر النيل ، وهي اليوم دار الوكالة ، فلما ركب من داره المذكورة وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليه

١ زيادة من ص وحدها .

فقتلوه ، وذلك في سلكخ رمضان المعظم عشية يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسة ، رحمه الله تعالى .

وهو والد أبي علي أحمد بن شاهنشاه - الآتي ذكره في ترجمة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العبَّيْدِي صاحب مصر ، وما اعتده في حقه إن شاء الله تعالى - .

وقد تقدم في ترجمة المستعلي أحمد صاحب مصر وفي ترجمة أرتق التركاني طرَفُ من حديث الأفضل المذكور وما فعل في أخذ القدس من سكان وإيل غازي ابني أرتق التركاني .

ثم رأيت بعد ذلك في كتاب « الدول المنقضة » في ترجمة المستعلي شيئاً آخر فألحقته هاهنا ، فإنه قال : إن الأفضل تسلم القدس في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وولّى فيه من قبله ، فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج ، فأخذوه بالسيف في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، ولو ترك في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين ، فندم الأفضل حين لم ينفعه الندم . وخلف الأفضل من الأموال ما لم يُسَمَّع بمثله ؛ قال صاحب « الدول المنقضة » : خلف ستمائة ألف ألف دينار عينا ، ومائتين وخمسين إردباً دراهم نقد مصر ، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ، ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار ، ومائة مسهر من ذهب وزن كل مسهر مائة مثقال ، في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مساهير على كل مسهر منديل مشدود مذهب بلون من الألوان أيما أحب منها لبسه ، وخمسمائة صندوق كسوة لخاصّه من دق تنّيس ودمياط ، وخلف من الرقيق والحيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلي ما لم يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى ، وخلف خارجاً عن ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يُستَحيا من ذكر عدده ، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، ووجد في تركته صندوقان كبيران فيها إبر ذهب برسم النساء والجواري .

المسودة : بثلاث .

شاهنشاه بن أيوب

الأمير نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان ، أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ؛ كان أكبر الإخوة ، وهو والد عز الدين فرثوخ شاه والد الملك الأجد صاحب بعلبك ووالد الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - .

وقتل شاهنشاه المذكور في الواقعة التي اجتمع فيها الفرنج سبعمائة ألف ما بين فارس وراجل على ما يقال ، وتقدموا إلى باب دمشق ، وعزموا على قصد بلاد المسلمين قاطبة ، ونصر الله سبحانه وتعالى عليهم ، وكان قتله في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

(51) [وفي من خرج إلى القتال واستشهد الفقيه حجة الدين يوسف بن درباس الفندلاوي المغربي ، وكان شيخاً كبيراً فقيهاً عالماً زاهداً صالحاً ، فلما رآه معين الدين مقدّم السكر وهو راجل قصده وسلم عليه وقال : يا شيخ ، أنت معذور لكبر سنك ، ونحن نقوم بالذبّ عن المسلمين ، وسأله أن يعود فلم يفعل وقال له : قد بعت واشتري مني ، فوالله لا أقيله ولا أستقيله ، يريد قوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة : ١١١) وتقدم فقاتل الفرنج إلى أن قُتل عند النيرب . ورثي الفندلاوي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك وأين أنت ؟ فقال : غفري وأنا في جنات عدن على سرر متقابلين ، رحمه الله تعالى]^١ .

(52) وأما عز الدين أبو سعيد فرثوخ شاه^٢ فكان يُنعت بالملك المنصور ، وكان

١ زيادة من ص وحدها ، وانظر الباهر : ٨٩ .

٢ له دور في الحروب الصليبية أيام ولايته على دمشق إذ غلب المنفري سنة ٥٧٤ هـ وفي السنة التالية أعطاه صلاح الدين بعلبك وبعد سنتين (٥٧٧ هـ) استنابه بدمشق فخرج إلى طبرية وعكا ودبورية =

سريًا نبيلاً جليلاً ، واستخلفه السلطان صلاح الدين بدمشق لما عاد إلى الديار المصرية من الشام ، فقام بضبط أمورها وإصلاح أحوالها أحسن قيام ، ثم توفي في آخر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسة بدمشق ، هكذا قال العماد الأصهباني في « البرق الشامي » ، وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين » : إن السلطان بلغه وفاة ابن أخيه عز الدين قرؤوخ شاه في رجب سنة سبع وسبعين والعماد أخبر بذلك ، والله أعلم .

(53) وكان لشاهنشاه المذكور بنت تسمى عذرا وهي التي بنت المدرسة العذراوية بمدينة دمشق ، وإليها تنسب ، وماتت عذرا المذكورة عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وخمسة .

(54) وأما الملك الأجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن قرؤوخ شاه^١ فإن صلاح الدين أبقي عليه بعلبك ، وكان فيه فضل وله ديوان شعر ، وأخذ الأشرف بن العادل منه بعلبك فانتقل إلى دمشق ، وقتله مملوكه في داره ليلة الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثمان وعشرين وستة^٢ .

= والتقى بهم في معركة كان النصر فيها حليفه ، وعاد إلى دمشق ، وتوفي سنة ٥٧٨ هـ (انظر ترجمته في مرآة الزمان : ٣٧٢ والخريدة مقدمة قسم الشام : ١١٣) .
١ أبقاه صلاح الدين في بعلبك بعد وفاة والده ، وشارك سنة ٥٩٤ في صد هجوم الفرنج على تبنين ، وأقام ببعلبك حتى سنة ٦٣٧ حيث حصره الأشرف وأخرجه منها بمساعدة شيركوه صاحب حصص . وكان المملوك الذي قتله قد اتهم بسرقة أشياء ثمينة (مرآة الزمان : ٦٦٦ - ٦٦٨) وهذه الفقرة عن الأجد لم ترد في م .
٢ في النسخ ما عدا د : ٦٠٨ ، وهو خطأ .

شبيب الخارجي

أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلب بن قيس بن شراحيل بن مروة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة - وبقيّة النسب معروف - الشيباني الخارجي ؛ كان خروجه في خلافة عبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق يومئذ ، وخرج بالموصل ، فبعث إليه الحجاج خمسة قواد ، فقتلهم واحداً بعد واحد ، ثم خرج من الموصل يريد الكوفة ، وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة أيضاً ، وطمع شبيب أن يلقاه قبل أن يصل إلى الكوفة ، فأقحم الحجاج خيله فدخلها قبله ، وذلك في سنة سبع وسبعين للهجرة ، وتحصن الحجاج في قصر الإمارة ، ودخل إليها شبيب وأمه جبهة وزوجته غزالة عند الصباح ، [فوجد باب القصر مغلقاً والحجاج فيه ، فقتل الحرس ثم دنا من الباب فعالجه هو وأصحابه فأعيام فتحه ، فضربه شبيب بعمود كان في يده فنقب الباب ، فيقال إن ذلك النقب لم يزل في الباب إلى أن خرب قصر الإمارة وفيه ضربة شبيب] ١ . وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيها سورة البقرة وآل عمران ، فأثوا الجامع في سبعين رجلاً فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرهما [فقيل فيها :

وفت الغزالة نذرهما يا رب لا تغفر لها] ٢

وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، وكانت تقاتل في

٢٨٨ - وردت أخبار شبيب الخارجي مفصلة في الطبري وابن الاثير واليعقوبي وابن خلدون والبداية والنهاية (٩ : ٢٠) .

١ زيادة من ص وحدها .

٢ زيادة من ص وحدها .

الحروب بنفسها ، وقد كان الحجاج هرب في بعض الوقائع مع شبيب من غزاة
فغيره ذلك بعضُ الناس بقوله^١ :

أَسَدُ عَلِيٍّ فِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَخَاءُ تَنْفِرٍ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَاءَ بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

وكانت أمه جهيزة أيضاً شجاعة تشهد الحروب^٢ ، وكان شبيب قد ادعى
الخلافة ، ولما عجز الحجاج عن شبيب بعث عبد الملك إليه عساكر كثيرة من
الشام عليها سفيان بن الأبرد الكلي ، فوصل إلى الكوفة ، وخرج الحجاج أيضاً
وتكاثروا على شبيب فانهزم وقتلت غزاة وأمّه ونجس شبيب في فوارس من
أصحابه ، واتبعه سفيان في أهل الشام ، فلحقه بالأهواز فولس شبيب فلما
حصل على جسر دُجِيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر
وغيرهما فألقاه في الماء فقال له بعض أصحابه : أغرقاً يا أمير المؤمنين ؟ قال :
ذلك تقدير العزيز العليم ، فألقاه دُجِيل ميتاً في ساحله ، فحمل على البريد إلى
الحجاج ، فأمر الحجاجُ بشق بطنه واستخراج قلبه ، فاستخرج فإذا هو كالحجر
إذا ضُرب به الأرض نبا عنها ، فشُقَّ فكان في داخله قلب صغير كالكرة ،
فشُقَّ فأصيب علقه الدم في داخله .

وقال بعضهم : رأيت شبيباً وقد دخل المسجد وعليه جُبَّة طيالة عليها
نقط من أثر المطر ، وهو طويل أشمط جعد آدم ، فجعل المسجد يرتج له .
وكان مولده يوم عيد النحر سنة ست وعشرين للهجرة ، وغرق بدُجِيل كما
تقدم سنة سبع وسبعين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

١ ج : اسامة بن زيد البجلي ؛ والشعر ينسب لعمران بن حطان (شعر الخوارج : ٢٥) وتخريجها

ص : (١٥٦) .

٢ زاد في أنها :

وبلغنا أنه كان ينمى إليها في وقائعه فلا تصدق حتى بلغها أنه غرق في دجيل فسكت .
وقالت : الآن علمت أنه قد هلك ، فقل لها : وكيف ذلك ؟ فقالت : لأنني رأيت عند حملي به
أن شهاباً قد خرج مني قبل أن أقطار الأرض وعنان السماء وليس يطفى النار غير الماء فذلك
صدقت بنهايه .

(55) ولما غرق أضر إلى عبد الملك رجل يرى رأي الخوارج وهو عتبان الحروري ابن أصيلة ، ويقال وصيلة ، وهي أمه ، وهي من بني محلم وهو من بني شيبان من شراة الجزيرة ، وقد عمل قصيدة وهي أبيات عديدة ذكرها المرزباني في « المعجم » فقال له : ألسن القائل يا عدو الله :

فإن يك منكم كان مروان وابنه وعمر و منكم هاشم وحبيب
فمننا حصين والبطين وقعنبن ومننا أمير المؤمنين شبيب

فقال : لم أقل كذا يا أمير المؤمنين ، وإنما قلت :

ومننا أمير المؤمنين شبيب

فاستحسن قوله ، وأمر بتخلية سبيله .

وهذا الجواب في نهاية الحسن ، فإنه إذا كان « أمير » مرفوعاً كان مبتدأ فيكون شبيب أمير المؤمنين ، وإذا كان منصوباً فقد حذف منه حرف النداء ومعناه يا أمير المؤمنين منا شبيب ، فلا يكون شبيب أمير المؤمنين ، بل يكون منهم .

وذكر الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر الدمشقي في « تاريخ دمشق » في أواخر كتابه المذكور في جملة تراجم أرباب الكنى ما مثاله : أبو المنهال الخارجي ، شاعر وفد على عبد الملك بن مروان مستأمناً بعدما كان قال لعبد الملك^٢ :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة وذو النصح لو يدعى إليه قريب
فلا صلح ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

١ معجم المرزباني : ٢٦٦ وشعر الخوارج : ٦٣ ، وعتبان هو ابن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين الشيباني .

٢ مختصر تاريخ دمشق ٢٩ : ١٣٢ وأوردهما السعدي في المروج ٥ : ٤٤١ (ط. باريس) منسوبة لمصقلة بن عتبان .

وإنك إن لا ترضَ بكر بن وائل يَكُنْ لك يومٌ بالعراق عَصيب

وبعد هذه الأبيات الثلاثة البيتان المذكوران . وأبو المنهال كنية عَتْبَان بن وصيلة المذكور . وقوله « من ثَقِيف خطيب » يريد به الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره .

وجَهِيْزة : بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها هاء ساكنة ، وهي التي يُضْرَب بها المثل في الحق فيقال « أحق من جهيزة » ، ذكر ذلك يعقوب بن السكيت في كتاب « إصلاح المنطق » في باب ما تضعه العامة في غير موضعه^١ ، وقال : كان أبو شبيب من مهاجرة الكوفة ، فغزا سلمان بن ربيعة الباهلي في سنة خمس وعشرين للهجرة ، فأتوا الشام ، فأغاروا على بلاد وأصابوا سَبِيًّا وغنموا ، وأبو شبيب في ذلك الجيش ، فاشتري جارية من السبي حمراء طويلة جميلة ، فقال لها : أسلمي ، فأبت ، فضربها فلم تُسلم ، فواقعها فحملت ، وتحرك الولد في بطنها فقالت : في بطني شيء ينقر^٢ ، فقيل : أحق من جهيزة ، ثم أسلمت فولدت شبيباً سنة ست وعشرين يوم النحر ، فقالت لمولاه : إني رأيت قبل أن ألد كَأَنِّي ولدتُ غلاماً فخرج مني شهاب من نار فسطع بين السماء والأرض ثم سقط في ماء فخبأ ، وقد ولدته في يوم أريق فيه الدماء وقد زَجَرْتُ أن ابني يعلو أمره ويكون صاحب دماء يهريقها ؛ هذا آخر كلام ابن السكيت .

ودُجَيْل : بضم الدال المهملة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، وهو نهر عظيم بنواحي الأهواز وتلك البلاد ، عليه قرى ومدن ، ومخرجه من جهة أصبهان ، وحفره أردشير بن بابك أوّل ملوك بني ساسان ملوك الفرس بالمداين ، وهو غير دُجَيْل بغداد فإن ذلك مخرجه من دجلة مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد ، عليه كورة عظيمة .

وعَتْبَان : بكسر العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوقها وفتح الباء

١ انظر اصلاح المنطق : ٣٢٤ .

٢ ينقر : يشب ، وفي المسودة « ينقر » بالراء المهملة ، وهو كذلك في بعض أصول ابن السكيت .

الموحدة وبعد الألف نون .

والحروري : بفتح الحاء المهملة وضم الراء وسكون الواو وبعدها راء ، هذه النسبة إلى حروراء ، بالمد ، وهي قرية بناحية الكوفة ، كان أوّل اجتماع الخوارج بها فنسبوا إليها .

٢٨٩

شبيب بن شيبه

أبو معمر شبيب بن شيبه الخطيب المنقري البصري ؛ حدث عن الحسن ومعدويه بن قرة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم ، وروى عنه عيسى بن يونس وأبو بدر شجاع بن الوليد وغيرهما ، وكان له لسان وفصاحة . وقدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به وبالمهدي من بعده ، وكان كريماً عليها أثيراً عندهما .

٢٨٩ - انفردت النسخة ص بهذه الترجمة ؛ وشبيب بن شيبه من مشاهير الخطباء ، كانت بينه وبين خالد بن صفوان منافسة ، لما اتفق لهما من المشاركة في الصناعة والقراءة والمجاورة ، وكان يقال لولا أنها أحكم تم لتباينا تباين الأسد والنمر (البيان ١ : ٤٧) وقد قيل : ان أي خطيب بلدي يكون في أول أمره متكلفاً مستثقل إلى أن يحرز الاجادة بالدربة ؛ إلا شبيب بن شيبه فإنه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة ، حتى صار يجازيه يفني عن اسهاب المكثرين (١ : ١١٢ - ١١٣) ؛ وقد نسب إليه الجاحظ مقامه بين يدي المنصور لما خطب صالح بن المنصور فأحسن (راجع الترجمة رقم ٢٣٥ في هذا الكتاب) . ومن أقواله : « اطلب الأدب فإنه دليل على المرءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس » (١ : ٣٥٢) وله نصائح في البلاغة تدل على ذوق أدبي وقدرة نقدية منها : « الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ويمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع ويمدح صاحبه . وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت » . وقوله في نصحه للخطيب : « فإن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد ، وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فإن قليلاً كافياً خير من كثير غير شاف » (١ : ١١٢) . وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٢٧٤ .

قال شبيب : كنت أسير في موكب أمير المؤمنين أبي جعفر فقلت : يا أمير المؤمنين رويداً فإني أمير عليك ، فقال : وملك ، أمير عليّ ؟ قلت : نعم ، حدثني معاوية بن قرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطف القوم دابة أميرهم ، فقال أبو جعفر : [أعطوه دابة فهو] أهون من أن يتأمر علينا . وقال أيضاً : قال لي أبو جعفر وكنت في سماره : يا شبيب عظمي وأوجز ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قسم الدنيا فلم يرض لك إلا بأرفعها وأشرفها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا مثل الذي رضي لك من الدنيا ، وأوصيك بتقوى الله عز وجل فإنها عليكم نزلت وعنكم أقبلت واليكم صدرت . قال : لقد أوجزت وقصرت . قلت : والله لئن قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك .

وخرج شبيب من دار المهدي فقبل له : كيف تركت الناس ؟ قال : تركت الداخل راجياً والخارج راضياً .

وقال حماد بن سلمة : كان شبيب بن شيبه يصلي بنا في المسجد الشارح في مربعة أبي عبيد الله ، فصلت يوماً الصبح فقرأ بالسجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ فلما قضى الصلاة قام رجل فقال : لا جزاك الله عني خيراً فإني كنت غدت لحاجة فلما أقيمت الصلاة دخلت أصلي فأطلت حتى فاتتني حاجتي . قال : وما حاجتك ؟ قال : قدمت من الثغر في شيء من مصلحته وكنت وعدت البكور إلى الخليفة لأتجنز ذلك ، قال : فأنا أركب معك ، وركب معه ودخل على المهدي فأخبره الخبر وقص عليه القصة ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : قضاء حاجته ، ففرض حاجته وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفعها إلى الرجل ، ودفع له شبيب من ماله أربعة آلاف درهم وقال له : لم تضرك يا أخي السورتان .

وقال الأصمعي : كان شبيب بن شيبه رجلاً شريفاً يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم ، وكان يغدو في كل يوم ويركب ، فإذا أراد أن يغدو أكل من الطعام شيئاً ثم يركب ، فقبل له : إنك تباكر الغداء ، فقال : أجل أطفئ به فورة الجوع وأقطع به خلوف فمي وأبلغ به في قضاء حاجتي ، فاني وجدت خللاً الجوف وشهوة الطعام يقطعان الحكيم عن بلوغ حاجته ويحملة ذلك على

التقصير فيما به الحاجة ، وإني رأيت النهم لا مروءة له ، ورأيت الجوع داءً ،
فخذ من الطعام ما يذهب عنك النهم وتداوي به الداء .

قيل إن شبيباً أتى سليمان بن علي الأمير في حاجة ، فقال له سليمان : قد
حلقت أني لا أقضي هذه الحاجة ، فقال : أيها الأمير إن كنت لم تحلف بيمين
قط فحشنت فيها فما أحب أن أكون أول من أحثك ، وإن كنت ترى غيرها
خيراً منها فكفّر ، فقال : أستخير الله ، ثم قضاها .

وكان يقول : من سمع كلمة يكرهها فسكت انقطع عنه ما يكره ، فإن
أجاب سمع أكثر مما يكره^١ .

٢٩٠

القاضي شريح

أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الراش
ابن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتَّع - بتشديد التاء المثناة من فوقها
وكسرها - الكندي ، وثور بن مُرتَّع هو كِنْدَة ، وفي نسبه اختلاف كثير ،
وهذه الطريق أصحابها^٢ ؛ كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، واستقضاء
عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة ، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم
يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى
الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ، ولم يقض بين اثنين حتى مات .

١ قلت : ليست هذه الترجمة على شرط المؤلف لأنه لم يحدد السنة التي توفي فيها شبيب .

٢٩٠ - ترجمة القاضي شريح في طبقات ابن سعد ٦ : ١٣١ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢١

وحلية الأرياء ٤ : ١٧٢ والشذرات ١ : ٨٥ والمعارف ٤٣٣ وتذكرة الحفاظ : ٥٩

والمقد ١ : ٨٩ - ٩١ ، ١٠ : ١٠ .

٢ هذا هو النسب الذي أورده ابن سعد أيضاً .

وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة ، قال ابن عبد البر : وكان شاعراً محسناً ، وهو أحد السادات الطُّلُوس ، وهم أربعة : عبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة ، والأحنف بن قيس الذي يُضرب به المثل في الحلم ، والقاضي شُرَيْح المذكور . والأطلس : الذي لا شَعْر في وجهه .

وكان مَزَّاحاً ، دخل عليه عَدِيّ بن أَرْطَاة فقال له^١ : أين أنت أصلحك الله ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، قال : استمع مني ، قال : قل أسمع ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : مكان سَحِيق ، قال : تزوجت عندكم ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وأردت أن أرحلها^٢ ، قال : الرجل أحق بأهله ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : فاحكم الآن بيننا ، قال : قد فعلت ، قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أملك ، قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك^٣ .

١ العقد ١ : ٩٠ .

٢ ص : ادخل بها .

٣ زاد هنا في أ ما نصه :

حدث أبو جعفر المدني عن شيخ من قريش قال : عرض شريح ذاقة لبييعها فقال له المشتري : يا أبا أمية كيف لبنها ؟ قال : احلب في أي اء شئت ، قال : كيف الوطا ؟ قال : افرش ونم ، قال : كيف نجاوها ؟ قال : اذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها ، علّق سوطك ونم ، قال : كيف قوتها ؟ قال : احلب على الحائط ما شئت ، فاشتراها فلم ير شيئاً مما وصفها به ، قال : ما كذبتك ، قال : اقلني ، قال : نعم .

وقيل تقدم رجلان الى شريح فاعترف أحدهما بما ادعى عليه وهو لا يعلم بذلك ففضى عليه ، فقال الرجل : تقضي علي من غير بيّنة ؟ فقال : قد شهد عندي الثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخي عمك ؛ وقد ألم بهذا المعنى أبو عبد الله الحسين بن الحجاج المقدم ذكره في قوله :

وان قدموا خيلهم للركوب خرجت فقدمت لي ركبي

وفي جل الناس غلمانهم وليس سوى أنا في جلتي

ولا لي غلام فأدعى به سوى من أبوه أخو عمي

وقال الأشعث بن قيس لشريح : ما أشد ما ارتفعت ! قال : فهل ضرك ذلك ؟ قال : لا ، قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها في نفسك .

وحدث محمد بن سعد عن عامر الشعبي أن ابناً لشريح قال لأبيه : ان بيني وبين قوم خصومة =

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل مع خصم له ذمي إلى القاضي شريح فقام له ، فقال : هذا أول جورك ، ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال : أما إن خصمي لو كان مسلماً جلست يجنبه .

وروي أن علياً رضي الله عنه قال : اجمعوا لي القراء ، فاجتمعوا في رجة المسجد ، فقال : إني أوشك أن أفارقكم ، فجعل يسألهم : ما تقولون في كذا؟ ما تقولون في كذا؟ وشريح ساكت ، ثم سأله ، فلما فرغ منهم قال : اذهب فأنت من أفضل الناس ، أو من أفضل العرب .

وتزوج شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب ، فنقم عليها شيئاً فضرها ، ثم ندم وقال :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم فشئتُ يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به فما العدل مني ضربُ من ليس مذنباً
فزينبُ شمسُ والنساء كواكب إذا طلعت لم تُبقِ منهن كوكباً

هكذا ذكر هذه الحكاية صاحب « العقد »^١ .

ويروي أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية^٢ : « يا أمير المؤمنين ، قد ضببت لك العراق بشماله ، وفرغت يميني لطاعتك ، فولني الحجاز » ، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، وكان مقيماً بمكة ، فقال : اللهم اشغل عنا زياد ، فأصابه الطاعون في يمينه ، فجمع الأطباء واستشارهم ، فأشاروا عليه بقطعها ، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء ، فقال له : لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين ،

= فانظر فإن كان الحق لي خاصمت وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم ، فقصر قصته عليه فقال : انطلق فخاصمهم ، فانطلق اليهم فتخاصموا اليه ، فقص على ابنه ، فقال له لما رجع إلى أهله : والله لو لم أتقدم اليك لم أملك ، فقال : والله يا بني لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم ولكن الله أعز علي منك ، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقهم .

١ العقد ٥ : ٢٩٠ ، ٦ : ٩٤ .

٢ انظر طرفاً منها في العقد ٥ : ١٢ .

وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك: لم قطعتها؟ قلت: بغضاً في لقائك وفراراً من قضائك . فمات زياد من يومه ، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع ، لبغضهم له ، فقال : إنه استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً . [وكتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فإنك أنت الذي بعين من لا يُعجزه من طلب ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته لم يعجل امرأ حيامه ولم يظلمه أيامه ، وانك وإياهم لعل بساط واحد ؛ إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب والسلام .

وعن الشعبي قال : شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت ، فقلت أنا : ما اظن هذه البائسة إلا مظلومة ، فقال : يا شعبي ان إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاءً فيكون . وسئل شريح عن الحجاج : أكان مؤمناً؟ قال : نعم ، بالطاغوت ، كافراً بالله تعالى^١ .

وكانت وفاة القاضي شريح سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائة سنة ، وقيل سنة اثنتين وثمانين ، وقيل سنة ثمان وسبعين ، وقيل سنة ثمانين ، وقيل سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ست وسبعين ، وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل مائة وثمانين سنة ، رضي الله عنه .

والكندي : بكسر الكاف وسكون النون وبعدها دال مهلة ، هذه النسبة إلى كِنْدَةَ ، وهو ثور بن مُرْتَع بن مالك بن زيد بن كهلان ، وقيل ثور بن عُفَيْر بن الحارث بن مرة بن أدد ، وسمي كِنْدَةَ لأنه كَنَدَ أباه نعمته : أي كفرها .

١ زيادة من ص وحدها .

القاضي شريك النخعي

أبو عبدالله شريك بن عبدالله بن أبي شريك وهو الحارث بن أوس بن الحارث بن الأذهل بن وهيل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي ، وبقيّة النسب في ترجمة إبراهيم النخعي في أول هذا الكتاب ؛ تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ، ثم عزله موسى الهادي . [أدرك عمر بن عبد العزيز وسمع أبا اسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر وعبد الملك بن عمير وسماء بن حرب وغيرهم ، وروى عنه عبدالله بن المبارك وعباد بن العوام ووکیع بن الجراح وغيرهم ؛ وكان شريك ولد ببخارى من أرض خراسان ، وكان جده قد شهد القادسية]^١ . وكان عالماً فهماً ذكياً فطناً ، حكم يوماً على وکیل عبدالله بن مصعب^٢ بحکم لم يوافق هوى عبدالله ، فالتقى شريك بن عبدالله وعبدالله بن مصعب بمحضرة المهدي فقال عبدالله بن مصعب لشريك : ما حكمت على وکيلي بالحق ، قال : ومن أنت ؟ قال : من لا ينکر . قال : قد نكرتک أشد النکیر ، قال : أنا عبدالله بن مصعب ، قال : لا کبير ولا طيب ، قال : وكيف لا تقول ذلك وأنت تتنقص الشيخين ؟ قال : ومن الشيخان ؟ قال : أبو بكر وعمر رضي الله

٢٩١ - ترجمة القاضي شريك في تاريخ بغداد ٩ : ٢٧٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٣ وتذكرة الحفاظ : ٢٣٢ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٠ والبدایة والنهاية ١٠ : ١٧١ والمعارف : ٥٠٨ ورجال ابن حبان : ١٧٠ ، وله أخبار في العقد (ج ٢ ، ٤) .

١ زيادة من ص وحدها .

٢ هو عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير والد مؤلف « نسب قريش » ، صحب المهدي ومن بعده الهادي والرشد وتوفي سنة ١٨٤ بالرقعة ، وكانت المهدي استعمله على الیامة واستعمله الرشد على المدينة ثم على اليمن (نسب قريش : ٢٤٢ وجمهرة الزبير بن بكار : ١٢٤ - ١٥٦) .

عنها ، قال : والله ما أتتقص جدك وهو دونها فكيف أتتقصها ؟^١ .
 وذكر معاوية بن أبي سفيان عنده ووُصِفَ بالحلم ، فقال شريك : ليس
 بحلم من سفته الحق وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
 وخرج شريك يوماً إلى أصحاب الحديث ليسمعوا عليه ، فشموا منه رائحة
 النبيذ ، فقالوا له : لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا ، فقال : لأنكم أهل
 ربيّة .

ودخل يوماً على المهدي فقال له : لا بد أن تجبني إلى خصلة من ثلاث خصال ،
 قال : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : إما أن تلي القضاء أو تحدث ولدي
 وتعلمهم أو تأكل عندي أكلة ، وذلك قبل أن يلي القضاء ، فأفكر ساعة ثم
 قال : الأكلة أخفها على نفسي ، فأجلسه وتقدم إلى الطباخ أن يصلح له ألواناً من
 المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل وغير ذلك ، فعمل ذلك وقدمه إليه فأكل ،
 فلما فرغ من الأكل قال له الطباخ : والله يا أمير المؤمنين ليس يُفْلَحُ الشيخ بعد
 هذه الأكلة أبداً ؛ قال الفضل بن الربيع : فحدثهم والله شريك بعد ذلك ،
 وعلم أولادهم وولي القضاء لهم .

ولقد كتب له برزقه على الصيرفي فضايقه في النقد ، فقال له الصيرفي : إنك
 لم تبع به بزاً ، فقال له شريك : بل والله بعت أكثر من البز ، بعت به
 ديني .

[وقال يحيى بن اليان^٢ : لما ولي شريك القضاء أكره على ذلك وأقعد معه
 جماعة من الشرط يحفظونه ، ثم طاب للشيخ فقعد من نفسه ، فبلغ سفيان
 الثوري انه قعد من نفسه فجاء فترأى له ، فلما رأى الثوري قام إليه فعظمه
 وأكرمه ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من حاجة ؟ قال : نعم ، مسألة ، قال :
 أو ليس عندك من العلم ما يحزئك ؟ قال : أحببت أن أذكرك بها ، قال : قل ،

١ وردت هذه الفقرة موجزة كثيراً في ر والمسودة ، وهي موافقة لما في تاريخ بغداد : ٢٨٧ ،
 وفي المسودة : « جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله الزبيري كلام بحضرة المهدي فقال له
 مصعب : أنت تتنقص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال القاضي شريك ... دونها » .
 ٢ قارن بما في تاريخ بغداد : ٢٨٦ .

قال : ما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب رجل فاحتلمها ففجّر بها ، لمن تحدّ منها ؟ فقال : الرجل دونها لأنها منصوبة ، قال : فإنه لما كان من الغد جاءت فترينت وتبخرت وجلست على ذلك الباب ففتح الرجل فرآها فاحتلمها ففجّر بها ، لمن تحدّ ؟ قال : أحدهما جميعاً لأنها جاءت من نفسها وقد علمت الخبر بالأمس ، قال : أنت كان عذرک حين كان الشرط يحفظونک ؛ اليوم أيّ عذر لك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، أكلمك ، قال : ما كان الله ليراني أكلمك أو تتوب ؟ قال : ووثب فلم يكلمه حتى مات ؛ وكان إذا ذكره قال : أي رجل كان لو لم يفسدوه !

واجتمع شريك ويحيى بن عبد الله بن الحسن البصري في دار الرشيد ، فقال يحيى لشريك : ما تقول في النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : شربه خير أم تركه ؟ قال : بل شربه ، قال : قليله خير أم كثيره ؟ قال : بل قليله ؛ قال يحيى : ما رأيت خيراً قط إلا والازدياد منه خير إلا خيرا هذا ، فإن قليله خير من كثيره .

وروى صائح بن علي قال : كنت مع المهدي فدخل عليه شريك بن عبد الله فأراد أن يبخره ، فقال لخادم على رأسه : هات عوداً للقاضي ، فجاء الخادم بالعود الذي يلهم به فوضعه في حجر شريك ، فقال شريك : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا أخذه صاحب العسس البارحة فأجبت أن يكون كسره على يد القاضي ، فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين [خيراً] ، فكسره . ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك : ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلّف ذلك الشيء ؟ فقال : يضمن يا أمير المؤمنين ، فقال للخادم : اضمن ما تلّف بقيمته .

وكان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي ، فكان يحمل المهدي عليه ، فدخل شريك يوماً على المهدي فقال له المهدي : بلغني أنك ولدت في قوصرة ، قال : يا أمير المؤمنين ، ولدت بخراسان والقواصر هناك عزيزة ، قال : إني لأراك فاضحياً خبيثاً ، قال : والله إني لأحب فاطمة ، وأبأ فاطمة على الله عليه وسلم ، قال : وأنا والله أحبها ، ولكني رأيتك في منامي مصروفاً

وجهك عني ، وما ذاك إلا لبغضك لنا ، وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق ، قال : يا أمير المؤمنين إن الدماء لا تُسْفَك بالأحلام ، وليست رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام ؛ وأما قولك إني زنديق فإن الزنادقة علامة يُعرفون بها ، قال : وما هي ؟ قال : شرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ، وأنت خير من الذي حملني عليك .

قال مصعب بن عبد الله الزبيري : حدثني أبي قال^١ : دخل شريك على المهدي فقال له : ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين ، قال : ولم ؟ قال : لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة ، فقال : أما قولك : لخلافك على الجماعة ، فعن الجماعة أخذت ديني ، فكيف أخالفهم وهم أصل ديني ؟ وأما قولك : وقولك بالإمامة ، فما أعرف إلا كتاب الله عز وجل وستة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك : مثلك لا يقلد الحكم بين المسلمين . فهذا شيء أنتم تعلمونه ، فإن كان خطأ فلتستغفروا الله منه ، وإن كان صواباً فامسكوا عليه . قال : ما تقول في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ قال : ما قال فيه جدك العباس وعبد الله ، قال : وما قالاه فيه ؟ قال : أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة ، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج إلى أحد حتى لحق بالله . وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين ، وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً ، فلو كانت إمامة علي جوراً لكان أول من يقعد عن أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله . فسكت المهدي وأطرق ، ولم ينض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عُزل شريك .

وقال عبد الله المجني^٢ : قدم هارون الكوفة فعزل شريكاً عن القضاء ، وكان موسى بن عيسى والياً على الكوفة ، فقال موسى لشريك : ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك : عزلك عن القضاء ، قال له شريك : هم أمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة العهود فلا يعاب ذلك عليهم ، فقال موسى : ما ظننت أنه مجنون هكذا لا يبالي ما تكلم به ، وكان أبوه عيسى بن

١ تاريخ بغداد : ٢٩٢ .

٢ انصر نفسه .

موسى ولي العهد بعد أبي جعفر فخلعه أبو جعفر^١ .
 وحكى الحريري في كتاب « درة الغواص »^٢ أنه كان لشريك المذكور
 جليس من بني أمية ، فذكر شريك في بعض الأيام فضائل عليّ بن أبي طالب
 رضي الله عنه ، فقال ذلك الأموي : نعم الرجل علي ، فأغضبه ذلك وقال :
 ألعليّ يقال نعم الرجل^٣ ؟ فأمسك حتى سكن غضبه ثم قال : يا أبا عبد الله ألم
 يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه ﴿ فَكَدَرْنَا فَنَعَمُ الْقَادِرُونَ ﴾ (المرسلات :
 ٢٣) وقال في أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمُ الْعَبْدُ ﴾ إنه أوّاب ﴿ (ص : ٤٤)
 وقال في سليمان ﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمُ الْعَبْدُ ﴾ (ص : ٣٠) أفلا ترضى لعليّ
 با رضي الله به لنفسه ولأنبيائه ؟ فتنبه شريك عند ذلك لومه ، وزادت مكانة
 ذلك الأموي من قلبه .

وكان عادلاً في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب ، قال له رجل يوماً :
 ما تقول فيمن أراد أن يقنت في الصبح قبل الركوع فقنت بعده ؟ فقال : هذا
 أراد أن يخطيء فأصاب .

وكان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجرة ، وتولى القضاء بالكوفة ثم
 بالأهواز ، وتوفي يوم السبت مستهل ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومائة بالكوفة ،
 وقال خليفة بن خياط : مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة ، رحمه الله
 تعالى . وكان هارون الرشيد بالحيرة ، فقصده ليصلي عليه فوجدهم قد صلوا
 عليه ، فرجع .

والنّخعي : بفتح النون والحاء المعجمة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى
 النّخع ، وهي قبيلة كبيرة من مَذْحِجَ .

قلت : هكذا وجدت نسبه في « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، ثم وجدت
 في نسخة أخرى « ابن أبي شريك أوس بن الحارث بن ذهل بن وهيل » ، والله
 أعلم بالصواب .

١ كل ما بين معقفين زيادة من ص .

٢ انظر ص : ١٤٥ .

٣ زاد في أ ، ولا يزداد على ذلك ، ولم ترد العبارة في درة الغواص .

شعبة بن الحجاج

أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الأشاقر ؛ واسطي الأصل بصري^١ الدار ، رأى الحسن ومحمد بن سيرين وسمع قتادة ويونس بن عبيد وأيوب وخالداً الخذاء وعبد الملك بن عمير وأبا اسحاق السبيعي وطلحة بن مصرف وخلقا غيرهم من طبقتهم ؛ روى عنه أيوب السختياني والأعمش ومحمد بن اسحاق وإبراهيم بن سعد وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة وغيرهم .

قدم شعبة بغداد مرتين وكان قدومه إحدى المراتين بسبب أخ له كان قد حبس في دين كان عليه ، فجاء الى المهدي في شأن أخيه . فقال سفيان الثوري : هوذا شعبة قد جاء إليهم ، فبلغ شعبة فقال : هو لم يُحبس أخوه . وكانت أخوه اشترى طعاماً من طعام السلطان ، فحضر هو وشركاؤه ، فحبس بستانه آلاف دينار بمحضته ، فلما دخل شعبة على المهدي قال له : يا أمير المؤمنين ، أنشدني قتادة لأمية بن أبي الصلت بقول لعبد الله بن جدعان :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياء
كريم لا يعطله صباح عن الخلق الكريم ولا مساء
فأرض أرض مكرمة بنوها بنو تيم وأنت لهم سماء

فقال المهدي : لا يا أبا بسطام ، لا تذكرها ، قد عرفناها وقضيناها لك ؛ ادفعوا إليه أخاه ولا تلزموه شيئاً ، ووهب له ثلاثين ألف درهم فقسمها ، وأقطعه ألف جريب بالبصرة ، فقدم فلم يجد شيئاً يطيب له فتركها .

٢٩٢ - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٢٥٥ وتذكرة الحفاظ : ١٩٣ وتهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ وابن سعد ٧ : ٢٨٠ وعبر الذهبي ١ : ٢٣٤ ورجال ابن حبان : ١٧٧ ، وانظر ما ورد عنه في ترجمة أبي زيد الانصاري من هذا الكتاب ؛ وقد انفردت بهذه الترجمة النسخة ص .

وقال النضر بن شميل : ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة ؛ كان إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يعطى . وكان يقول : والله لأنا في الشعر اسلم مني في الحديث ، ولو أردت الله لما خرجت اليكم ، ولو أردتم الله ما حييتموني ، ولكننا نحب المدح ونكره الذم .

ركب شعبة يوماً حماره فلقيه سليمان بن المغيرة فشكا إليه الفقر والحاجة ، فقال : والله ما أملك غير هذا الحمار ، ثم نزل عنه ودفعه إليه فابتيع بستة عشر درهماً .

توفي بالبصرة سنة ستين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة^١ ، رحمه الله تعالى .

٢٩٣

شعيب بن حرب

أبو صالح شعيب بن حرب المدائني ؛ وهو من أبناء خراسان ، سمع شعبة وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وغيرهم ، روى عنه موسى بن داود الضبي ويحيى بن أيوب المقابري وأحمد بن حنبل وغيرهم . وكان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال شعيب بن حرب : بينا أنا في طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد ، فقلت لنفسي : قد وجب عليك الأمر والنهي ، فقالت لي : لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتى أمرته ضرب عنقك ، فقلت لنفسي : لا بد من ذلك . فلما دنا مني صحت : يا هارون قد أتعت الأمة وأتعت البهائم ، فقال : خذوه ، ثم أدخلت عليه وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به فقال : ممن الرجل ؟

١ تاريخ بغداد : وهو ابن سبع وسبعين .

٢٩٣ - انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٠ وتاريخ بغداد ٩ : ٢٣٩ وعبر الذهبي ١ : ٣٢٣ وانعقد الثمين ٥ : ١١ ، وقد انفردت بهذه الترجمة النسخة ص ، والنص متابع لما عند الخطيب .

قلت : من أفناء الناس ، فقال : ممن شكلتك أمك ! قلت : من الأبناء . قال : ما حملك على أن تدعوني باسمي ؟ قال شعيب : فورد على قلبي كلمة ما خطرت لي قط على بال ، فقلت له : أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله يا رحمن ، لا أدعوك باسمك ؟ وما ينكر من دعائي باسمك وقد رأيت الله تعالى سمى في كتابه أحب الخلق إليه محمداً وكنى أبغض الخلق إليه أبا هب ، فقال ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ ﴾ (المسد : ١) فقال : أخرجوه ، فأخرجت .

وكان يقول : من أراد الدنيا فليتها للذل . وأراد أن يتزوج امرأة ، فقال لها : أنا سيء الخلق ، قالت : أسوأ منك خلقاً من أحوجك ان تكون سيء الخلق ، فقال لها : أنت إذاً امرأتى .

قال سري السقطي رحمه الله تعالى : أربعة كانوا في الدنيا أعموا انفسهم في طلب الحلال ، فلم يدخلوا اجوافهم إلا الحلال ، فقيل له : من هم ؟ قال : وهيب بن الورد وشعيب بن حرب ويوسف بن اسباط وسليمان الخواص .

قال شعيب : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فجننت ، فقال : أوسعوا له فإنه حافظ لكتاب الله عز وجل . وقال شعيب : أكلت في عشرة أيام أكلة وشربت شربة . وكان ثقة مأموناً ، مات بمكة سنة تسع وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

٣٩٤

أشعب الطامع

واسمه شعيب واسم أبيه جبير ؛ قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في « المنتظم » : ولد أشعب سنة تسع من الهجرة ، وكان أشعب خال الأصمعي ،

٢٩٤ - ترجمة أشعب في تهذيب ابن عسار ٣ : ٧٥ وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٨ وتاريخ بغداد ٣٧ : ٣٧٠ والفوات ١ : ٣٧ والمحسن والمسار ٥٩٧ : ٥٩٩ والأغاني ١٩ : ٦٩ وأخبار الظرفاء : -

وفي اسم أمه ثلاثة أقوال : أحدها جمعة مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، رضي الله عنها ، والثاني أم حُميدة - بضم الحاء - والثالث أم حَميدة - بفتح الحاء - .

اتفقوا أنه مولى واختلفوا في ولائه على أربعة أقوال : أحدها لعثمان رضي الله عنه والثاني عبد الله بن الزبير والثالث سعيد بن العاص والرابع فاطمة بنت الحسين .

عمر دهرًا طويلًا ، وكان قد أدرك زمن عثمان رضي الله عنه ، وقرأ القرآن وتنسك . روى عن عبد الله بن جعفر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعكرمة ، وله أخبار طريفة : من ذلك ما حكى العباس بن نسيم الكاتب قال^١ :

قيل لأشعب : طلبت العلم وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك ، فقال : نعم ، فجلس لهم فقالوا : حدثنا ، فقال : سمعت عكرمة يقول سمعت بن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خلطان لا تجتمعان في مؤمن ، ثم سكبت فقالوا : ما الخلطان ؟ فقال : نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى . وحدثنا الزبير بن بكار قال : قال الواقدي^٢ : لقيت أشعب يوماً فقال لي : يا ابن واقد وجدت ديناراً فكيف اصنع به ؟ قلت : تعرفه ، قال : سبحان الله ، قلت : فما الرأي ؟ قال : أشتري به قميصاً وأعرفه ، قلت : إذن لا يعرفه أحد ، قال : فذاك أريد .

وقال الهيثم بن عدي : أسلمته فاطمة بنت الحسين في البزازين فقبل له : أين بلغت من معرفة البز ؟ فقال : أحسن النشر ولا أحسن أطوي وأرجو أن أتعلم الطي . ومر برجل يتخذ طبقاً فقال : اجعله واسماً لعلهم يهدون إلينا فيه فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً .

— ٣١ — وثار القلوب : ١٥٠ ، وهذه الترجمة انفردت بها ص ، ووردت في طبعة وستيفيد مع اختلاف في الترتيب وعدد النوادر .

١ تاريخ بغداد : ٣٩ وابن عساكر : ٧٦ وميزان الاعتدال : ٢٥٩ .

٢ ميزان الاعتدال : ٢٦٠ وأخبار الظرفاء : ٣١ .

وخرج سالم بن عبد الله^١ إلى ناحية من نواحي المدينة متنزهاً ومعه حرمة ، فبلغ أشعب خبره فوافى الموضع الذي هم فيه فصادف الباب مغلقاً فتسوّر الحائط فقال له سالم : ويحك بناتي وحرمي ، فقال : ﴿ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ﴾ (هود : ٧٩) فوجه إليه بطعام أكل منه وحمل إلى منزله .

وقال سليمان الشاذكوني : كان لي بُنيّ في المكتب فانصرف إليّ يوماً فقال : يا أبه ألا أحدثك بطريف ؟ فقال : هات ، فقال : كنت أقرأ على المعلم أن أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالسٌ ، فلبس نعله وقال : امش بين يديّ ، فقلت : إنما أقرأ عشري ، فقال : عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك .

وحكى الحسن بن علي الخلال عن أبي عاصم النبيل قال : سمعت أشعب يقول : ما زُفّت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتي ورفعت ستري طمعاً في أن تهدى إليّ .

وقيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، شاة كانت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته جبل قتّ فأهوت إليه واثبةً من السطح فاندقّ عنقها .

وقدم على يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس ، فدعا يزيد بعض غلامه وأسرّ له بشيء ، فقام أشعب فقبل يده ، فقال له : ولم فعلت هذا ؟ قال : رأيتك أسررتَ إلى غلامك بشيء فعلمت أنك قد أمرت لي بصلة ، فضحك منه وقال : ما فعلت ولكنني أفعل ، وأمر له بصلة .

وحكى المدائني قال : تغدى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثي فجاءوه بمضيرة فقال أشعب للخباز : ضعها بين يديّ ، فوضعها بين يديه ، فقال زياد : من يصلي بأهل السجن ؟ قالوا : ليس لهم إمام ، فقال : أدخلوا أشعب يصلي بهم ، قال : أو غير ذلك أصلح الله الأمير ؟ أحلف لا آكل مضيرة أبداً .

وحكى المدائني قال : أتى أشعب بفالودجة عند بعض الولاة فأكل منها فلم

١ ابن عساكر : ٧٧ .

توافقه ، فقل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكن عملت من قبل أن يوحى الله إلى النحل .

وحكى المدائني عن جهم بن خلف قال : حدثني رجل قال : قلت لأشعب : لو تحدثت عندي العشية ، قال : أكره أن يحىء ثقيل ، قلت : ليس غيرك وغيري ، قال : فإذا صليت الظهر فأنا عندك ، فصلى وجاء ، فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق لي يدق الباب ، قال : ألا ترى ؟ قد صرت إلى ما أكره ، قلت : ان لك عندي فيه عشر خصال ، قال : فما هي ؟ قلت : أولها أنه لا يأكل مع ضيف ، قال : التسع خصال لك ، أدخله .

ووجدت في بعض الكتب عن المدائني قال : توفى أشعب ففصل رجله اليسرى وترك اليمنى ، فقل له : تركت غسل اليمنى ، فقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أمتي غرةٌ يحجلون من آثار الوضوء ، وأنا أحب أن أكون أغرةً محجلةً من الثلاث مطلق اليمن .

وحكى الهيثم بن عدي قال : لقيت أشعب فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد . وحكى المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدى ، فقال له : يا أشعب ان لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلي رسالتي سعدى ، فقال له : أحضر المال حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه وقال : هات رسالتك يا أمير المؤمنين ، قال : قل لها : يقول لك :

أسمدى هل إليك لنا سبيل وهل حق القيامة من تلاق
بلى ولملّ دهرأ ان يُواقي بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

قال : فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففرش لها فرش وجلست فأذنت له فدخرا فأنشدها ما أمره ، فقالت لخدمها : خذوا الفاسق ، فقال : يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم ، قالت : والله لأقتلنك أو تبليغي كما تبليغي ، قال : هاتي رسالتك جعلت فداك ، قالت : قل له :

أتبكي على لبني وأنت تركتها وقد ذهبت لبني فما أنت صانعُ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال : اوه ! قتلتني والله ، ما تراني صانعاً بك يا ابن الزانية ؟ اختر إما أن أدليك في البئر منكساً أو أرمي بك من فوق القصر منكساً أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة ، فقال : ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب عينيْن قد نظرنا إلى سعدى ، قال : صدقتَ يا ابن الزانية ، اخرج عني .

قال الزبير : حدثني مصعب قال ، قال لي ابن كليب : حدثت أشعبَ مرة فبكى فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قُطعت هي ، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت وأنا أبكي على نفسي . وكان أشعب يغني وله أصوات قد حكيت عنه وكان ابنه عبيدة يغنيهم ، فمن أصواته هذه :

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى من تفزعون إذا حثوثهم بأيديكم عليّ من الترابِ

٢٩٥

شقيق البلخي

أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي ؛ من مشايخ خراسان ، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه ، صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق ، وهو أستاذ

٢٩٥ - ترجمة شقيق البلخي في حلية الأولياء ٨ : ٥٨ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٣٢٧ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٩ وطبقات السلمي ٦١ ؛ وقد سقطت الترجمة من س من ص ر م ووردت في المطبوعة فقط ؛ وعلى هامش المسودة إشارة تدل على أن المؤلف كان ينوي اثباتها إذ جاء هنالك : « يذكر بعد شريك : شقيق البلخي وكانت وفاته سنة ثلاث وخسين ومائة ، ذكره ابن الجوزي في الشذور » .

حاتم الأصم ، وكان قد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حَدَث ، فدخل إلى بيت أصنامهم ، فقال لعالمهم : إن هذا الذي أنت فيه باطل ، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء ، فقال له : ليس يوافق قولك فعلك ، فقال له شقيق : كيف ؟ قال : زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء وقد تعنيت إلى هاهنا لطلب الرزق ، قال شقيق : فكان سبب زهدي كلام التركي ، فرجع وتصدق بجميع ما يملك ، وطلب العلم .
وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى . ذكره ابن الجوزي في « الشذور » .

٢٩٦

شقيق بن سامة

أبو وائل شقيق بن سامة الأسدي ؛ أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقه ، وسمع عمر بن الخطاب وعثمان وعلياً وعماراً وعبد الله بن مسعود وخباب ابن الأرت وأبا موسى الأشعري وأسامة بن زيد وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجريير بن عبد الله وأبا مسعود الأنصاري والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم اجمعين ، وروى عنه منصور بن المعتمر والحكم بن عتبة وحبيب بن أبي ثابت وغيرهم .
وكان من سكن الكوفة وورد المدائن مع علي رضي الله عنه حين قاتل الخوارج بالنهر وان ؛ قيل له : من أدركت ؟ قال : بينا أنا أرعى غنماً لأهلي إذ مرّ ركب أو فوارس ففرقوا غنمي ، فوقف رجل فقال : اجمعوا للغلام غنمه كما فرقتموها عليه ، فتبعت رجلاً منهم فقلت : من هذا ؟ قال : النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الأعشى : قال لي شقيق بن سامة : لو رأيتني ونحن هُرَّاب من خالد بن

٢٩٦ - شقيق بن سامة أبو وائل الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها مخضرم جليل ، توفي سنة ٨٢ هـ . انظر ابن سعد ٦ : ١٨٠ وتذكرة الحفاظ ٦٠ : وقد انفردت النسخة ص بهذه الترجمة .

الوليد يوم بزاخة فوقعت عن البعير فكادت تندق عنقي ، فلو ميت يومئذ كانت النار ؛ وقال : كنت يومئذ ابن إحدى عشرة سنة .
 وكان لأبي وائل خص من قصب هو فيه وفرسه . وكان إذا غزا نقضه وإذا قدم بناه . وكان يقول للأعمش : يا سليمان ، نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصيناه . وقال أيضاً : أسمع الناس يقولون الدائق والقيراط ، الدائق اكبر أو القيراط ؟ وقال سعيد بن صالح : كان أبو وائل يؤم جنائزنا وهو ابن خمسين ومائة سنة ...

٢٩٧

شهادة بنت الإبري

فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرّج بن عمر الإبري الكاتبة الديّنوريّة الأصل البغدادية المولدة والوفاة ؛ كانت من العلماء ، وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير ، وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر ؛ سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر وأبي عبد الله الحسين ابن أحمد بن طلحة النعماني وطراد بن محمد الزيني وغيرهم مثل أبي الحسن علي ابن الحسين بن أيوب وأبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف وفخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي^١ واشتهر ذكرها وبعد صيتها . وكانت وفاتها يوم الأحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، ودفنت بباب أبرز وقد نثّقت على تسعين سنة من عمرها ، رحّمها الله تعالى .
 والإبري : بكسر الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعد الراء ياء مئنة من تحتها ،

٢٩٧ - ترجمة شهدة الكاتبة في مرآة الزمان : ٣٥٣ وعبر الذهبي ٤ : ٢٢٠ والشذرات ٤ : ٢٤٨ وزهرة الجلساء : ٦١ ؛ قلت : وقد وردت هذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .
 ١ سمعت ... الشاشي : سقط من س ، وبعضه سقط من ص .

هذه النسبة إلى الإبر التي هي جمع إبرة التي يخاط بها ، وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها .

والدينورية : بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى الدينور ، وهي بلدة من بلاد الجبل ينسب إليها جماعة من العلماء ، وقال أبو سعد ابن السمعاني : إن الدال من الدينور مفتوحة ، والأصح الكسر كما ذكرناه .

(56) ومات والدها أبو نصر أحمد في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسة رحمة الله تعالى ، وكانت وفاته ببغداد ودفن بباب أبرز .

(57) وذكر ابن النجار في « تاريخ بغداد » عليّ بن محمد بن يحيى أبا الحسن الدّرّيني المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري فقال : كان من الأماثل والأعيان ، واختص بالإمام المقتفي لأمر الله ، وكان فيه أدب ويقول الشعر ، وبنى مدرسة لأصحاب الشافعي على شاطئ دجلة بباب الأزج وإلى جانبها رباطاً للصوفية ووقف عليها وقوفاً حسنة ، وسمع الحديث ؛ قال السمعاني : كان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرج الإبري وزوجه بنته شهدة الكاتبة ، ثم علت درجته إلى أن صار خصيصاً بالمقتفي . مولده سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة تسع وأربعين وخمسة ، ودفن في داره برحبة الجامع ، ثم نُقل بعد موت زوجته شهدة فدفنا بباب أبرز قريباً من المدرسة التاجية في محرم سنة أربع وسبعين وخمسة^١ .

١ وذكر ... وخمسة : سقط من س .

أسد الدين شيركوه

أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد الدين عم السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ؛ قد تقدم من حديثه نبذة في أخبار شاور ، وكان شاور قد وصل إلى الشام يستنجد بنور الدين في سنة تسع وخمسين وخمسمائة . وذكر بهاء الدين بن شداد أن ذلك كان في سنة ثمان وخمسين ، وأنهم وصلوا إلى مصر في الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، حكاة في « سيرة صلاح الدين »^١ رحمه الله تعالى ، فسير معه جماعة من عسكره ، وجعل مقدمهم أسد الدين شيركوه ، وقدموا مصر ، وغدر بهم شاور ولم يفر بما وعدهم به ، فعادوا إلى دمشق^٢ ، وكان رحيلهم عن مصر في السابع من ذي الحجة من السنة المذكورة . ثم إنه عاد إلى مصر ، وكان توجهه إليها في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين ، لأنه طمع في ملكها في الدفعة الأولى ، وسلك طريق وادي الغزلان ، وخرج عند إطفح ، وكانت في تلك الدفعة وقعة البابين عند الأشمونين ، وتوجه السلطان صلاح الدين إلى الاسكندرية واحتوى بها ، وحاصره شاور وعسكر مصر .

ثم رجع أسد الدين من الصعيد إلى بلبيس ، وجرى الصلح بينه وبين المصريين ، وسيروا له صلاح الدين ، وعاد إلى الشام ، ولما وصل الفرنج إلى بلبيس وملكوها وقتلوا أهلها في سنة أربع وستين ، سيروا إلى أسد الدين

٢٩٨ - ترجمة شيركوه وأخباره في ابن عساكر ٣٥٨:٦ وتاريخ ابن خلدون ٢٨٢:٥ وصفحات متفرقة من ابن الأثير والنجوم الزاهرة (ج: ٥) ومفرج الكروب (ج: ١) وسيرة ابن شداد، وهذه الترجمة متابعة للنسخة ر .

١ انظر ابن شداد : ٢٩ .

٢ س : طريق دمشق .

وطلبوه ومَنَّوْهُ ودخلوا في مرضاته لأن ينجدهم ، فمضى إليهم وطرد الفرنج عنهم . وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وعزم شاور على قتله وقتل الأمراء الكبار الذين معه ، فبادروه وقتلوه كما تقدم في ترجمته .

وتولى أسد الدين الوزارة يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسة ، وأقام بها شهرين وخمسة أيام ، ثم توفي فجأة يوم السبت الثاني والعشرين ، وقال الرُّوحِي : يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسة بالقاهرة ، ودفن بها ، ثم نقل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه ، رحمه الله تعالى ، وتولى مكانه صلاح الدين .

وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »^١ : إن أسد الدين كان كثير الأكل ، شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، تتواتر عليه التخمة والحوانيق وينجو منها بعد مقاساة شدة عظيمة ، فأخذ مرض شديد ، واعتراه خانوق عظيم فقتله في التاريخ المذكور^٢ ، ولم يخلف ولداً سوى ناصر الدين محمد بن شيركوه الملقب الملك القاهر .

(58) ولما مات أسد الدين أخذ نور الدين حمصَ منهم في رجب سنة أربع وستين وخمسة . فلما ملك صلاح الدين الشام أعطى حمصَ لناصر الدين المذكور ، ولم يزل ملكها حتى توفي يوم عرفة سنة إحدى وثمانين وخمسة وفتلته زوجته بنتُ عمه ستُ الشام بنتُ أيوب إلى تربتها بدمرتها بدمشق ظاهر البلد ، ودفنته عند أخيها شمس الدولة توران شاه بن أيوب المقدم ذكره .

(59) وملك حمص بعده ولده أسد الدين شيركوه ، ومولده في سنة تسع وستين وخمسة ، وتوفي يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب سنة سبع وثلاثين وستة بمحمص ، ودفن في تربته داخل البلد^٣ . وكانت له أيضاً الرحبة وتدْمُرُ

١ سيرة ابن شداد : ٣٢ .

٢ إلى هنا تنتهي ترجمة شيركوه في النسخة س .

٣ إلى هنا تنتهي ترجمة شيركوه في النسخة ص والمسودة .

وما كسين من بلد الخابور .

(60) وخلف جماعة من الاولاد ، فقام مقامه في الملك ولده الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم . ولم يزل حتى توفي يوم الجمعة عاشر صفر سنة أربع وأربعين وستائة بالنيرب من غوطة دمشق ، ونُقل إلى حمص ، ودفن ظاهر البلد في مسجد الحضرة عليه السلام من جهتها القبلية .

(61) وترتب مكانه ولده الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى . وأخبرني الأشرف المذكور بدمشق في أواخر سنة إحدى وستين وستائة أن مولده في السنة التي كسر فيها الخوارزمية بالروم ، وأن والده بُشِّرَ به وهم راجعون من هناك . وكانت الوقعة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستائة حسبا هو مشروح في ترجمة الأشرف بن العادل ، وقال لي : إن والده لما بُشِّرَ به قال للملك الأشرف بن العادل : يا خوند قد زاد في ممالكك واحد ، فقال : سمّه باسمي ، فسماه الأشرف مظفر الدين أبا الفتح موسى .

وكانت وفاة الأشرف بن المنصور المذكور بحمص يوم الجمعة عاشر صفر سنة اثنتين وستين وستائة ، ودفن عند قبر أسد الدين شيركوه جده داخل حمص ، فيكون تقدير ولادته في شوال أو ذي القعدة سنة سبع وعشرين .
وشيركوه : لفظ عجمي تفسيره بالعربي أسد الجبل ، فشير : أسد ، وكوه : جبل .

وحجَّ شيركوه في سنة خمس وخمسين وخمستائة من دمشق على طريق تيماء وخيبر ، وفي تلك السنة حج زين الدين علي بن بكتكين على طريق العراق ، واجتمع بالخليفة .

حَرْفُ الصَّادِ

أبو عمر الجرمي

أبو عمر^١ صالح بن إسحاق الجرمي^٢ النحوي^٣ ؛ كان فقيهاً عالمياً بالنحو واللغة ، وهو من البصرة وقدم بغداد ، وأخذ النحو عن الأخفش وغيره ، ولقي يونس بن حبيب ولم يلقَ سيبويه ، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وطبقته^٤ .

وكان ديتاً ورعاً حسن المذهب صحيح الاعتقاد ، روى الحديث ، وله في النحو كتاب جيد يُعرف بـ « الفرخ » ، معناه^٥ فرخ كتاب سيبويه ، وناظرَ ببغداد الفراء .

وحَدَّثَ أبو العباس المبرد عنه قال : قال لي أبو عمر : قرأت ديوان الهذليين على الأصمعي ، وكان أحفظ له من أبي عبيدة ، فلما فرغت منه قال لي : يا أبا عمر ، إذا فات الهذلي أن يكون شاعراً أو رامياً أو ساعياً فلا خير فيه .

وكان يقول في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ قال : لا تقل سمعت ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تَرَ ، ولا علمت ولم تعلم ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (الاسراء : ٣٦) .

وقال المبرد أيضاً : كان الجرمي أثبت القوم في كتاب سيبويه ، وعليه قرأت الجماعة .

٢٩٩ - ترجمة صالح الجرمي في معجم الأدباء ١٢ : ٥ وبغية الوعاة : ٢٦٨ وانباء الرواة ٢ : ٨٠ وتاريخ بغداد ٩ : ٣١٣ وشذرات الذهب ٢ : ٥٧ وغاية النهاية ١ : ٣٣٢ والفهرست : ٥٦ ونزهة الألباء : ٩٨ وقد جامت هذه الترجمة في المسودة دون نقص .

١ ج ٥ : أبو عمرو (حيث وقع) .

٢ وطبقته : سقطت من ص .

٣ ج ٥ : يعني .

وكان عالماً باللغة حافظاً لها، وله كتب انفرد بها ، وكان جليلاً في الحديث والأخبار ، وله كتاب في السير عجيب وكتاب « الأبنية » وكتاب « العَروض » ومختصر في النحو^١ وكتاب « غريب سيبويه » . وذكره الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في « تاريخ أصبهان »^٢ . وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والجَرَمي - بفتح الجيم وسكون الراء وبعدها ميم - هذه النسبة إلى عدة قبائل كل واحدة يقال لها جَرَم ، ولا أعلم إلى أيها ينسب أبو عمر المذكور ، ولم يكن منهم وإنما نزل فيهم فنسب إليهم ، ثم وجدت في كتاب « الفهرست »^٣ تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن أبي يعقوب الوراق النديم البغدادي أن أبا عمر المذكور مولى جَرَم بن رَبَّان ، وفي كتاب السمعاني أن ربان بالراء والباء الموحدة المشددة ، وهو ربان بن عمران بن الحاف بن قضاعنة القبيلة المشهورة ، وقيل إنه مولى بجيلة أيضاً . وفي بجيلة جَرَم بن علقمة بن أثمار ، والله أعلم بالصواب^٤ .

وما أحسن قول زياد الأعجم في هجو جَرَم^٥ :

تكلفني سويقَ الكرم جَرَمٌ وما جَرَمٌ وما ذاك السويقُ
وما شربته جَرَمٌ وهو حلٌ ولا غالتُ به مُذْ كان سَوْق
فلما أنزلَ التحريمُ فيها إذا الجرميُّ منها لا يُفريق

وكتسى بالسويق عن الخمر ، وفي ذلك كلام يطول شرحه فأضربت عنه ،

١ ومختصر في النحو : سقط من ص .

٢ انظر تاريخ أصبهان ١ : ٣٤٦ .

٣ الفهرست : ٥٧ .

٤ ثم وجدت ... بالصواب : سقطت من س .

٥ زياد الأعجم : من شعراء العصر الأموي كانت به لكنة ولذلك سمي الأعجم ، وقيل سمي الأعجم لكثرة لحنه بسبب سكناه بفارس إذ كان ينزل إصطخر . وأبياته في الشعر والشعراء : ٣٤٥ وانظر الأغاني ١٤ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٢١ والمؤتلف : ١٣١ والخزانة ٤ : ١٩٢ والشعر والشعراء : ٣٤٣ .

وحاصل ما قالوه أن الشاعر كنى عن الحمر بالسويق لانسياقها في الحلقى ، فسامها سويقاً لذلك .

٣٠٠

صالح بن مرداس

أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حميد بن مدرك ابن شداد بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الكلابي ؛ كان من عرب البادية ، وقصد مدينة حلب وبها مرقضى الدولة ابن لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل ابن سعد الدولة نصر بن سيف الدولة بن حمدان نيابة عن الظاهر بن الحاكم العبّيدي صاحب مصر ، فاستولى عليها وانتزعها منه ، وكان ذا بأس وعزيمة وأهل وعشيرة وشوكة ، وكان تلّكها لها في ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، واستقر بها ورتب أمورها ، فجهز إليه الظاهر المذكور أمير الجيوش أنوشكين الدزبيري في عسكر كثيف - والدزبيري بكسر الدال المهملة والباء الموحدة وبينهما زاي وفي الآخر راء ، هذه النسبة إلى دزبر بن أويتم الديلمي وهو بالدال وبالتاء ، أيضاً ، وكان بدمشق نائباً عن الظاهر ، وكان ذا شهامة وتقدمة ومعرفة بأسباب الحرب - فخرج متوجهاً إليه ، فلما سمع صالح الخبر خرج إليه ، وتقدم حتى تلاقيا على الأقحوانة فتصافوا وجرت بينهما مقتلة انجلت عن قتل أسد الدولة صالح المذكور ، وذلك في جمادى الأولى سنة عشرين ، وقيل تسع عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

٣٠٠ - أخبار صالح بن مرداس في ابن الأثير (ج : ٩) وابن خلدون ٤ : ٢٧١ وزبدة الحلب (١) : ٢٧٧ ؛ وقد استوفت المسودة جميع هذه الترجمة .

وهو أول ملوك بني مرداس الممتلكين لحلب . وسيأتي ذكر حفيده نصر إن شاء الله تعالى في ترجمة ابن حيّثوس الشاعر .

ومرداس : بكسر الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وبعد الألف سين مهملة .

والأقحوانة : بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة وفتح الواو وبعد الالف نون مفتوحة ثم هاء ساكنة ، وهي بليدة بالشام من أعمال فلسطين بالقرب من طبرية . وبالحجاز أيضاً بليدة يقال لها الأقحوانة كان يسكنها الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وفيها يقول من جملة أبيات^١ :

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فالأقحوانة منّا منزل قَمْنُ
إِذْ نَلِيسُ الْعَيْشَ صَفْوَاً لَا يَكْدُرُهُ طَعْنُ الْوَشَاةِ وَلَا يَنْبُوبُنَا الزَّمْنُ

٣٠١

صاعد البغدادي اللغوي

أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الرّبّعيّ البغدادي اللغوي صاحب كتاب « الفصوص » ؛ روى بالمشرق عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي سليمان الخطابي ، ورحل إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم وولاية المنصور ابن أبي عامر في حدود الثمانين والثلاثمائة ، وأصله من بلاد الموصل ، ودخل بغداد ، وكان عالماً باللغة والأدب والأخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة مُتّعياً ، فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه والإفضال عليه ، وكان مع ذلك

١ انظر الاغانى ٣ : ٣٢٠ .

٣٠١ - ترجمة صاعد البغدادي في الذخيرة ١/٤ : ٢ وانباه الرواة ٢ : ٨٥ والجذرة : ٢٢٣ وبغية الوعاة : ٢٦٧ ونفح الطيب ٣ : ٧٥ (وقم : ٥٩) .

محسناً للسؤال حاذقاً في استخراج الأموال ، وجمع له كتاب « الفصوص » نحا فيه منحى القاي في أماليه ، وأثابه عليه خمسة آلاف دينار ، وكان يُنتهم بالكذب في نقله ، فلهذا رَفَضَ الناس كتابه .

ولما دخل مدينة دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار ، فقال للموفق مجاهد : دعني أعبث بصاعد ، فقال له مجاهد : لا تتعرض إليه فإنه سريع الجواب ، فأبى إلا مشاكته^١ ، فقال له بشار ، وكان أعمى : يا أبا العلاء ، فقال : لبيك ، فقال : ما الجَرَنَفْلُ في كلام العرب ؟ فعرف أبو العلاء أنه قد وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة ، فقال له بعد أن أطرق ساعة : هو الذي يفعل بنساء العميان ولا يفعل بغيرهن ، ولا يكون الجرنفل جرنفلاً حتى لا يتعداهن إلى غيرهن ، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكتفي ، قال : فخجل بشار وانكسر ، وضحك مَنْ كان حاضراً ، فقال له الموفق : قلتُ لك لا تفعل فلم تقبل .

وتوفي صاعد المذكور سنة سبع عشرة وأربعمائة بصقلية ، رحمه الله .
ولما ظهر^٢ للمنصور كذبه في النقل^٣ وعدم تثبته ، رمى كتاب « الفصوص » في النهر ، لأنه قيل له : جميع ما فيه لا صحة له ، فعمل فيه بعض شعراء عصره :

قد غاص في البحر كتاب الفُصوصْ وهكذا كلُّ ثَقِيلِ يفُوصْ

فلما سمع صاعد هذا البيت أنشد :

عاد إلى عُنْصُرِهِ إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ الْبُحُورِ الْفُصُوصْ

وله أخبار كثيرة في الامتحان^٤ ، ولولا التطويل لذكرتها .
والجرنفل : بفتح الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام .

١ ه : مائه .

٢ ص : حكى .

٣ أ : القول .

٤ انفردت النسخة ج في هذا الموضع برواية أخبار صاعد وكلها منقول عن الذخيرة لابن بسام =

صدقة بن ديبس

أبو الحسن صدقة الملقب سيف الدولة فخر الدين بن بهاء الدولة أبي كامل منصور بن دُبَيْس بن علي بن مَزَيْد الأسدي الناشري صاحب الحِلَّة السيفية؛ كان يقال له ملك العرب وكان ذا بأس وسطوة وهيبة ، وناظرَ السلطان محمد ابن ملكشاه بن أَلَسَّ أَرُسِلَانَ السلجوقي وأفضت الحال إلى الحرب ، فتلقاها عند النعمانية ، وقتل الأمير صدقة المذكور في المعركة يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة ، وقيل العشرين من رجب سنة إحدى وخمسة ، وحُمل رأسه إلى بغداد ، رحمه الله تعالى .

وذكر عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير في استدرأكاتهِ على السمعاني في كتاب « الأنساب »^١ أنه توفي سنة خمسة ، والله أعلم .

وله نظمَ الشريف أبو يعلى محمد بن الهَبَّارية كتاب « الصادح والباغم » - وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة ابن الهَبَّارية ، إن شاء الله تعالى^٢ - .

= ١/٤ : ٧ - ١٦ ، فأغنانا ذلك عن إثباتها هنا ، وقول المؤلف « ولولا التطويل لذكرتها » يشير إلى أنه بنى الترجمة على الإيجاز ؛ وما ورد هنا هو ما جاء بهامه في المسودة أيضاً .
٣٠٢ - أخبار صدقة بن ديبس في ابن الأثير (ج : ١٠) وابن خلدون ٥ : ٣٨ وأخبار الدولة السلجوقية : ٨٠ - ٨١ ، قلت : وقد استكملت المسودة هذه الترجمة بهامها .
١ انظر مادة « الناشري » في كتاب اللباب .

٢ انفردت نسخة ج في هذا الموضوع بالزيادة التالية : ورأيت في بعض التواريخ أن صدقة المذكور كان قد بنى داراً فوقعت فيها نار يوم الفراغ منها ، فعمل الحكيم أبو الفرج ابن التميمي :
يا بانياً دار العلا مليتها لتزيدها شرفاً على كيوان
علت بأنك إنما شيدتها للمجد والافضال والإحسان
فقفت عوائدك الكرام وأقبلت تستقبل الأضياف بالنيران
(قلت : انظر طبقات ابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٩٥ ط. بيروت) .

(62) وكانت وفاة والده أبي كامل منصور في أواخر شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

(63) وتوفي جده دُبَيْسُ المذكور ولقبه نور الدولة أبو الأغرّ في ليلة الأحد عاشر شوال سنة ثلاث ، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة ، وكانت إمارته سبعة وستين سنة ، ولي الإمارة سنة ثمان وأربعمائة وعمره يوم ذاك أربع عشرة سنة ، وكان أبو الحسن علي بن أفلح الشاعر المشهور كاتباً بين يديه في شببته^١ .

(64) وتوفي جد أبيه علي بن مَزِيد سنة ثمان وأربعمائة ، وقد تقدم ذكر ولده دبّيس بن صدقة في حرف الدال .

ودبّيس : بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة .

ومزيد : بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة .

والأسدي والناصري : تقدم الكلام عليهما في حرف الدال في ترجمة دبّيس .
والحِلَّة : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها هاء ساكنة ، وهي بلدة بالعراق بين بغداد والكوفة على الفرات في بر الكوفة ، اختطّها سيف الدولة صدقة المذكور في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، فنسبت إليه .
والنعمانية ، بضم النون ، بلدة بين الحِلَّة وواسط .

....

١ وكان أبو الحسن ... شببته : سقط من ص ر ، وثبت في س وفي هامش المسودة .

صالح بن عبد القدوس

أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصري مولى الأزدي ؛ أحد الشعراء ، اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله ، فأحضر ، فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخليه سبيله ، فلما ولّى رده وقال : ألت القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى نكسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : فأنت لا تترك أخلاقك ، ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ، ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر ؛ ويقال إن المهدي أبلغ عنه أبياتاً عرض فيها بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحضره المهدي وقال له : أنت القائل هذه الأبيات ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أشركت بالله طرفة عين ، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ادروا الحدود بالشبهات ، وجعل يتلو عليه القرآن حتى رقى له وأمر بتخليته . فلما ولي قال : أنشدني قصيدتك السينية ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله فيها : والشيخ لا يترك أخلاقه ... فأمر به حينئذ فقتل . ومن مستحسنات قصائد صالح المذكور القصيدة التي أولها :

المرة يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق

٣٠٣ - كان شاعراً حكيماً يجلس في مسجد البصرة ويقص على الناس ، وله مع أبي الهذيل العلاف مناظرات ، وهو يكثر في شعره من الأمثال والحكم (انظر تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ ومعجم الأدباء ١٢ : ٦ ونكت المصيان : ١٧١ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٣٧١ والقوافي ١ : ٣٩١ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٧) وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ص .

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
ومن الرجال إذا استوت أحلامهم
حتى يحيل بكلِّ وادٍ قلبه
ما الناس إلا عاملان فعامل
والناس في طلب المعاش فإنما
لو يرزقون الناس حسب عقولهم
لكنه فضل المليك عليهم
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا
سكت الذي تبع العروس مبهتاً
ومن مختار شعره :

ان الغني الذي يرضى ببعيشته
لا تحقرن من الأيام محقرأ
قد يحفز المرء ما يهوى فيركبه
كل أمرئ سوف يُجزى بالذي اكتسباً
حق يكون إلى توريطة سبباً

قال أحمد بن عبد الرحمن المعبر : رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام
ضاحكاً مستبشراً فقلت له : ما فعل بك ربك ، وكيف نجوت مما كنت ترمى
به ؟ قال : إني وردت على رب لا تحفى عليه خافية ، فاستقبلني برحمته وقال :
لقد علمت براءتك مما كنت تُقذِفُ به . وكان قتله سنة سبع وستين ومائة .

صالح المري

أبو بشير صالح بن بشير القاريء المعروف بالمري ؛ من أهل البصرة ، حدث عن الحسن ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله وغيرهم ؛ روى عنه شجاع بن أبي نصر البلخي وسريج بن النعمان الجوهري وعفان بن مسلم وغيرهم .

كان عبداً صالحاً ، وكان المهدي قد بعث إليه فأقدمه عليه ؛ قال صالح المري : دخلت على المهدي بالرصافة ، فلما مثلت بين يديه قلت : يا أمير المؤمنين ، احمل الله ما أكلتك به اليوم ، فإن أولى الناس بالله أحلمهم لفظاً النصيحة فيه ، وجديراً بمن له قرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرث أخلاقه ، ويأتم بهديه ، وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثاً قطع به عذرك ، فمهما ادعيت من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيها برهان من الله ، حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل ؛ واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالف في أمته [يبتزها] أحكامها . ومن كان محمد صلى الله عليه وسلم خصمه ، كان الله خصمه ، فأعدت لخصامة الله وخصامة رسول الله صلى الله عليه وسلم حججاً تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة . واعلم [أن أبطأ الصرعى نهضة] صريع هوى ، وأن أثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ، ولكن تمثل له الاساءة إحساناً ، ويشهد له

٣٠٤ - صالح بن بشير زاهد واعظ بصري ؛ ضعفه ابن معين والدارقطني ، وقال البخاري : منكر الحديث ؛ انظر تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٥ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٨٩ وذكر أن وفاته سنة ١٧٣ ، وقال في العبر (ج ١ ص ٢٦٢) فيها أو في ١٧٦ ؛ وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ص وهي متابقة لما في تاريخ بغداد .

عليها خونة العلماء ، وبهذه الجبالة تصيدت الدنيا نظراؤك ، فأحسن الحمل فقد أحسنت' إليك الأداء ؛ قال : فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله ؛ وحكى بعض الكتاب أنه رأى هذا الكلام مكتوباً في دواوين المهدي .

وقال عفان بن مسلم : كنّا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقصّ ، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى . وكان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث بن عبد القيس . ومات سنة ست وسبعين^١ ومائة ، رحمه الله تعالى .

١ في ص : ست وتسعين ، وهو تصحيف .

حَرْفُ الْإِضْطِادِ



الأحنف بن قيس

أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن الزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي المعروف بالأحنف ، وقيل اسمه صخر ، وهو الذي يضرب به المثل في الحِلْم - والحارث المذكور لقبه مقاعس - .

كان من سادات التابعين رضي الله عنهم ؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتميرة ، وذكره الحافظ أبو نعيم في « تاريخ أصبهان »^١ وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ما صورته^٢ : ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بني تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم ، ولم يجيبوا إلى اتباعه ، فقال لهم الأحنف : إنه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملأئها ، فأسلموا وأسلم الأحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه وقد عليه . وكان من جلة التابعين وأكابرهم ، وكان سيد قومه ، موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم ، روى عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة ، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين ، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان ، رضي الله عنهما .

٣٠٥ - ترجمة الأحنف بن قيس في طبقات ابن سعد ٧ : ٩٣ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ١٠ وتهذيب التهذيب ١ : ١٩١ وشرح الميوس : ٥٤ ؛ وأخبار حمله والحكايات عنه منشورة في كتب الأدب .

١ تاريخ أصبهان ١ : ٢٢٤ .

٢ المعارف : ٤٢٣ .

ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوماً فقال له معاوية : والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة ، فقال له الأحنف : والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أعماقها ، وإن تَدْنُ من الحرب فترأ نَدْنُ منها شبراً ، وإن تمس إليها نهول إليها ، ثم قام وخرج . وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت : يا أمير المؤمنين ، مَنْ هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب . وروي أن معاوية أيضاً لما نصب ولده يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يملون إلى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها ، والأحنف بن قيس جالس ، فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بجر ؟ فقال : أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت ، فقال له معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيراً ، وأمر له بالوف ؛ فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له : يا أبا بجر ، إني لأعلم أن سر من خلق الله سبحانه وتعالى هذا وابنه . ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فليس نطمع في استخراجها إلا بما سمعت ، فقال له الأحنف : أمسك عليك فإن ذا الوجهين خَلِيقٌ أن لا يكون عند الله تعالى وجيهاً^٢ .

ومن كلام الأحنف : في ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين قط حتى يُدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم

١ ج : ساكت .

٢ انفردت نسخة ج في هذا الموضع بهذه الزيادة : وقال معاوية بن هشام لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ ؟ قال : إن شئت حدثتك ألفاً ، وإن شئت حذفته الحديث لك حذفاً ، قال : احذفه لي حذفاً ، قال : وإن شئت فثلاثاً وإن شئت فائنتين وإن شئت فواحدة ، قال : ما الثلاث ؟ قال : كان لا يشره ولا يحسد ولا يمنع حقاً ، قال : فما الثنتان ؟ قال : كان موفقاً للخير معصوماً عن الشر ، قال : فما الواحدة ؟ قال : كان أشد الناس على نفسه سلطاناً .

ادع إليه ، يعني الملوك ، ولا حللت حبوتي^١ إلى ما يقوم الناس إليه .
ومن كلامه : ألا أدلكم على المحمّدة بلا مرزئة ؟ الخلق السجّيح والكف عن
القيح ، ألا أخبركم بأدواء الداء ؟ الخلق الدنيء واللسان البذيء .
ومن كلامه : ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن . وقال :
ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع معروف
عند ذوي الأحساب والآداب . وقال : كثرة الضحك تُذهب الهيبة ، وكثرة
المزاح تُذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً عُرف به .
وسمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أُمُدت أم دُئمت ، فقال له : لقد
استرحت من حيث تعب الكرام .

ومن كلامه : جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فإني أبغض الرجل
يكون وصافاً لفرجه وبطنه ، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو
يشتهي .

وقال هشام بن عقبة أخو ذي الرمة الشاعر المشهور : شهدت الأحنف بن
قيس وقد جاء إلى قوم يتكلمون في دم ، فقال : احكموا ، فقالوا : نحكم
بديتين . قال : ذلك لكم ، فلما مكثوا قال : أنا أعطيك ما سألتكم غير أنني
قائل لكم شيئاً ، إن الله عز وجل قضى بدية واحدة ، وإن النبي صلى الله عليه
وسلم قضى بدية واحدة ، وأنتم اليوم طالبون ، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين ،
فلا يرضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم لأنفسكم ، فقالوا : فردّها إلى دية واحدة ،
فحمد الله وأثنى عليه وركب .

وسئل عن الحلم ما هو فقال : هو الذل مع الصبر . وكان يقول إذا عجب
الناس من حلمه : إني لأجد ما تجدون ، ولكني صبور . وكان يقول : وجدت
الحلم أنصر لي من الرجال . وكان يقول : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم
المنقري ، لأنه قَتَلَ ابنُ أخ له بعضَ بنيه فأُتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه ،
فقال : ذَعَرْتُم الفتي ، ثم أقبل على الفتى فقال : يا بني ، بشّ ما صنعت : نقصت

١ كتب فوقها في المسودة « معاً » أي بضم الحاء وفتحها .

عددك وأوهنت عضدك وأشمتَّ عدوك وأسأت بقومك ؛ خلوا سبيله ، واحملوا إلى أم المقتول ديتة فإنها غريبة . ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه^١ .

وكان^٢ زياد بن أبيه في مدة ولايته العراقيين كثير الرعاية لحارثة بن بدر الغدافي وللأحنف ، وكان حارثة مكباً على الشراب ، فوقع أهل البصرة فيه عند زياد ولاموا زياداً في تقريبه ومعاشرته ، فقال لهم زياد : يا قوم ، كيف لي باطِّراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق ، ولم يصكك ركابي ركاباه قط ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت إليه عنقي ، ولا أخذ علي الروح في صيف قط ، ولا الشمس في شتاء قط ، ولا سألته عن شيء من العلوم إلا وظننته لا يحسن سواه ، ثم وجدت هذا الكلام في كتاب « ربيع الأبرار » تأليف الزرخسري في باب معاشرة الناس على هذه الصورة ، والله أعلم . وأما الأحنف فلم يكن فيه ما يقال . فلما مات زياد وتولى ولده عبيد الله قال لحارثة : إما أن تترك الشراب أو تبعد عني ، فقال له حارثة : قد علمت حالي عند والدك ، فقال عبيد الله : إن والدي كان قد برع بروعاً لا يلحقه معه عيب ، وأنا حدث ، وإنما أنسب إلى من يغلب علي ، وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أن يُظنَّ بي ، فدع النبيذ وكن أول داخل علي وآخر خارج عني ، فقال له حارثة : أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي ، أفأدعه للحال عندك ؟ قال : فاختر من عملي ما شئت ، قال : توليني سرِّق فقد وصف لي شراها ، وتضم إليها رامَ هُرْمُز ، فولاه إياهما ، فلما خرج شيعه الناس ، فقال له أنس بن أبي أنس ، وقيل أبو الأسود الدؤلي^٣ :

أحارِبَ بْنَ بَدْرِ قَدْ وَلَيْتَ إِمَارَةً فَكُنْ جُرْذاً فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ
وَلَا تَحْتَقِرْ يَا حَارِثُ شَيْئاً وَجَدْتَهُ فَحَظُّكَ مِنْ مَالِ الْعِرَاقِيِّينَ سُرَّقَ

١ وسمع الأحنف ... ولا تغير وجهه : سقط من س وبعضه من ص والمسودة ؛ وانظر الجمان لابن نايف : ٢٥٣ .

٢ قارن بما في الاغانى ٢٣ : ٤٤٦ .

٣ رواها أبو الفرج (٢٣ : ٤٧١) لأبي الأسود الدؤلي .

وبإِهٍ تَمِيمًا بِالْفَنَى إِنْ لَلْفَنَى لَسَانًا بِهِ الْمَرْءُ الْهَيُوبَةُ يُنْطِقُ
فَإِنْ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَّا مَكْذَبٌ يَقُولُ بَمَا تَهْوَى وَإِمَّا مُصَدِّقٌ
يَقُولُونَ أَقْوَالَ وَلَا يَعْلَمُونَهَا وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يَحْقُقُوا

وَأَمَّا الْأَحْنَفُ فَإِنَّهُ تَغَيَّرَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ عَبِيدِ اللَّهِ أَيْضًا ، وَصَارَ يَقْدَمُ عَلَيْهِ مَنْ
لَا يَسَاوِيهِ وَلَا يَقَارِبُهُ .

ثُمَّ إِنْ عَبِيدُ اللَّهِ جَمَعَ أَعْيَانُ الْعِرَاقِ وَفِيهِمُ الْأَحْنَفُ وَتَوَجَّهَ بِهِمْ إِلَى الشَّامِ
لِلسَّلَامِ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا وَصَلُوا دَخَلَ عَبِيدُ اللَّهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَأَعْلَمَهُ بَوْصُولَ رُؤَسَاءِ
الْعِرَاقِ ، فَقَالَ : أَدْخِلْهُمْ إِلَيَّ أَوَّلًا فَأُولَئِكَ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ عِنْدَكَ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ
وَأَدْخَلَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ كَمَا قَالَ مُعَاوِيَةَ ، وَآخِرُ مَنْ دَخَلَ الْأَحْنَفُ . فَلَمَّا رَأَاهُ
مُعَاوِيَةَ - وَكَانَ يَعْرِفُ مَنْزِلَتَهُ وَيُبَالِغُ فِي إِكْرَامِهِ لِتَقْدِمِهِ وَسَيَادَتِهِ - قَالَ لَهُ :
إِلَيَّ يَا أَبَا بَجْرٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ
وَيُحَادِّثُهُ وَأَعْرِضْ عَنْ بَقِيَّةِ الْجَمَاعَةِ ؛ ثُمَّ إِنْ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَخَذُوا فِي الشُّكْرِ مِنْ
عَبِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا أَبَا
بَجْرٍ ؟ فَقَالَ : إِنْ تَكَلَّمْتُ خَالَفْتُهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنَّنِي قَدْ
عَزَلْتُ عَبِيدَ اللَّهِ عَنْكُمْ ، قَوْمُوا انْظُرُوا فِي أَمِيرِ أَوْلِيَةِ عَلَيْكُمْ وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ بَعْدَ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ كَانَ فِيهِمْ جَمَاعَةٌ يَطْلُبُونَ الْإِمَارَةَ لَأَنْفُسِهِمْ وَفِيهِمْ
مَنْ عَيْنٌ غَيْرُهُ وَسَعَوْا فِي السَّرِّ مَعَ خَوَاصِّ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَفْعَلَ لَهُمْ ذَلِكَ ، ثُمَّ
اجْتَمَعُوا بَعْدَ انْقِضَاءِ الثَّلَاثَةِ كَمَا قَالَ مُعَاوِيَةَ ، وَالْأَحْنَفُ مَعَهُمْ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ
فَأَجْلَسَهُمْ عَلَى تَرْتِيبِهِمْ فِي الْمَجْلِسِ الْأَوَّلِ ، وَأَخَذَ الْأَحْنَفُ إِلَيْهِ كَمَا فَعَلَ أَوَّلًا وَحَادِّثَهُ
سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلْتُمْ فِيمَا انْفَصَلْتُمْ عَلَيْهِ ؟ فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ يَذْكُرُ شَخْصًا ،
وَطَالَ حَدِيثُهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَفْضَى إِلَى مَنَازَعَةٍ وَجَدَالَ ، وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ ، وَلَمْ
يَكُنْ فِي الْإَيَّامِ الثَّلَاثَةِ تَحَدُّثٌ مَعَ أَحَدٍ فِي شَيْءٍ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ
يَا أَبَا بَجْرٍ ؟ فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنْ وَلَيْتَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ لَمْ تَجِدْ مَنْ يَعْدِلُ
عَبِيدَ اللَّهِ وَلَا يَسُدُّ مَسَدَّهُ ، وَإِنْ وَلَيْتَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَذَلِكَ إِلَى رَأْيِكَ . وَلَمْ يَكُنْ فِي

١ كَذَا فِي الْمُسَوَّدَةِ .

الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الاول في الثناء على عبيد الله مَنْ ذكره في هذا المجلس ولا سأل عَوْدَهُ إِلَيْهِمْ ، فلما سمع معاوية مقالة الأحنف قال للجماعة : اشهدوا عليّ أني أعدت عبيد الله إلى ولايته ، فكلُّ منهم ندم على عدم تعيينه ، وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما جرت العادة في حق المتولّي . فلما فصل الجماعة من مجلس معاوية خلا بعبيد الله وقال له : كيف ضيعت مثل هذا الرجل - يعني الأحنف - فإنه عزلك وأعادك إلى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عَرَّجُوا عليك لما فوضت الأمر إِلَيْهِمْ ، فمثل الأحنف مَنْ يتخذ الانسان عوناً وذخراً . فلما عادوا إلى العراق أقبل عليه عبيد الله وجعله بِطَانَتَهُ وصاحب سره . ولما جرت لعبيد الله تلك الكائنة المشهورة لم ينفعه فيها سوى الأحنف ، وتخلّى عنه الذين كان يعتقدهم أعواناً^١ .

وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير ، فخرج معه إلى الكوفة ، فمات بها سنة سبع وستين للهجرة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل سبع وسبعين ، وقيل ثمان وستين عن سبعين سنة ، والأول أشهر ، رضي الله عنه ، وكان قد كبر جداً ، ودفن بالشَّوَيْيَّة عند قبر زياد .

وحكى عبد الرحمن بن عمار بن عتبة بن أبي مُعَيْط قال : حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة ، فكنت فيمن نزل قبره ، فلما سويته رأيته قد فُسِحَ له مَدٌّ بصري ، فأخبرت بذلك أصحابي ، فلم يروا ما رأيته ؛ ذكر ذلك ابن يونس في « تاريخ مصر » المختص بالغرباء في ترجمة عبد الرحمن المذكور .

وهو احد [السادات]^٢ الطُّلُس ، كما تقدم في أخبار القاضي شريح .
[وحدث الكندي عن أبيه قال : ان معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيباً ، فكان آخر كلامه أن سب عليّاً رضي الله عنه ، فأطرق الناس ،

١ : اخواناً .

٢ : السوداء ؛ فلما .

٣ : زيادة من ص .

٤ : ص : ترجمة .

وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا القائل آنفاً لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لفعل ؛ فاتق الله ودع عنك علياً فقد لقي ربه وأُفرد في قبره وخلا بعمله ، وكان والله المبرز سيفه ، الطاهر ثوبه ، الميمون نقيبته ، العظيم مصيبتيه . فقال معاوية : يا أحنف لقد أغضيت العين عن القذى وقلت فيما ترى ، وإيم الله لتصعدن المنبر وتلعلنن طوعاً أو كرهاً . فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ، إن تعفني فهو خير لك وإن تجبرني فوالله لا تجبري به شفتاي أبداً . قال : قم فاصعد ، قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصفتك في القول والفعل ، قال : وما أنت قائل يا أحنف ان انصفتني ؟ قال : أصعد المنبر فأحمد الله تعالى بما هو أهله وأصلي على نبيّه صلى الله عليه وسلم ثم أقول : أيها الناس ، ان أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً ، ألا وإن علياً ومعاوية اقتتلا واختلفا فادعى كل منهما انه مبغى عليه وعلى فتنه ، فإذا دعوت فأمتنوا رحمكم [الله] ، ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منها على صاحبه ، والعن الفئة الباغية لعنا كثيراً ، أمتنوا رحمكم الله ؛ يا معاوية لا ازيد على هذا حرفاً ، ولا انقص منه حرفاً ، ولو كان فيه ذهاب نفسي . فقال معاوية : إذنت نفعيك أبا بجر . ومثل هذا ما قال معاوية أيضاً لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنه : ان علياً قد قَطَعَكَ وَوَصَلَتُكَ ، ولا يرضيني منك إلا أن تلعن على المنبر ، قال : أفعل ، قال : فاصعد المنبر ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس أمرني أن ألعن علياً بن أبي طالب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان فالعنوه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، ثم نزل ، فقال له معاوية : انك لم تبيّن ، قال : والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر ، والكلام على نية المتكلم .

وكان الأحنف بن قيس يقول : عجبت لمن جرى في مجرى البول كيف يتكبر ؛ وكان يقول : اكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار . وقال الأحنف : شكوت إلى عمي مصيبةً نزلت بي فأسكتني ثلاثاً ثم قال لي : يا أبا بجر ، لا تشك الذي نزل بك إلى مخلوق فإنما هو صديق تسوءه أو عدو تسره .

وقال رجل لأحنف : أخبرني الثقة عنك بسوء ، قال : الثقة لا ينم^١ .
 ووُلد ملتزق الأليتين حتى شقَّ ، أحنفَ الرَّجُلَ يطأ على وحشيتها ولذلك
 قيل له الأحنف ، وذهبت عينه عند فتح سمرقند ، ويقال بل ذهبت بالجدرى ؛
 وكان متراكب الأسنان صغير الرأس مائل الذقن ، وقَتَلَ عنترَةُ بن شداد
 العبسي الفارس المشهور جدَّهُ معاوية بن حصين في يوم الفَرُوق ، وهو أحد أيام
 وقائع العرب المشهورة .

وهاهنا ألفاظ تحتاج إلى تفسير ، فالأحنف : المائل ، ووحشيَّ الرَّجُل :
 ظهرها .

والغُداني : بضم الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون ، هذه
 النسبة إلى غُدانة بن يَرْبُوع ، بطن من تميم .

ورامَ هُرْمَز : مشهورة لا حاجة إلى ضبطها ، وهي من بلاد الأهواز من
 إقليم خوزستان الذي بين البصرة وفارس .

وسُرَّق : بضم السين المهملة وفتح الراء المشددة وبعدها قاف ، من كور
 الأهواز أيضاً ومدينتها دَوْرَق : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء
 وبعدها قاف ، ويقال لها : دورق الفرس .

والثَّوَيَّة : بفتح الثاء المثناة وكسر الواو وتشديد الياء المثناة من تحتها ،
 وتصغر أيضاً فيقال لها الثَّوَيَّة ، اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من
 الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم ، وفيه ماء .

(65) وكان لأحنف ولد يقال له بحر ، وبه كُني ، وكان مضعوفاً ، قيل
 له : لم لا تتأدب بأخلاق أبيك ؟ فقال : الكسل . ومات وانقطع عقبه .

حَرْفُ الظَّاءِ

طاوس

أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني البجلي ، من أبناء
الفرس ؛ أحد الاعلام التابعين ، سمع ابن عباس وأبا هريرة رضي الله عنهما ،
وروى عنه مجاهد وعمر بن دينار ، وكان فقيهاً جليلاً القدر نبهه الذكر . قال
ابن عيينة : قلت لعبيد الله بن يزيد : مع من تدخل على ابن عباس ؟ قال :
مع عطاء وأصحابه . قلت : وطاوس ؟ قال : أئنهات ، كان ذلك يدخل مع
الخواص . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً قط مثل طاوس .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس المذكور : إن أردت
أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير ، فقال عمر : كفى بها موعظة .
وتوفي حاجاً بمكة قبل يوم التروية بيوم ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك
وذلك في سنة ست ومائة رضي الله عنه ، وقيل سنة أربع ومائة ، والله أعلم .
قال بعض العلماء : مات طاوس بمكة فلم يتهياً لإخراج جنازته لكثرة الناس ،
حتى وجّه إبراهيم بن هشام المخزومي أمير مكة بالحرس ، فلقد رأيت عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، واضع السرير على
كاهله ، وقد سقطت قلنسوة كانت على رأسه ومزق رداؤه من خلفه .
ورأيت بمدينة بعلبك داخل البلد قبراً يزار ، وأهل البلد يزعمون أنه
طاوس المذكور ، وهو غلط .

٣٠٦ - ترجمة طاوس بن كيسان في طبقات ابن سعد ٧ : ٥٣٧ وتذكرة الحفاظ : ٩٠ وصفة
الصفوة ٢ : ١٦٠ وحلية الأولياء ٤ : ٣ وتهذيب التهذيب ٥ : ٨ وعبر الذهبي ١ : ١٣٠
والعقد الثمين ٥ : ٥٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٩ .

قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » إن اسمه ذكوان ، وطاوس لقبه وإنما لقب به لأنه كان طاوسَ القراء ، والمشهور أنه اسمه .

[وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : إيتوني برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين قد تفتانوا ، قال : فمن التابعين ، فأتي بطاوس اليماني ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال : كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى همَّ بقتله ، فقيل : يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لا يمكن ذلك ، فقال له : يا طاوس ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ فاشتدَّ غضبه له وغيظه وقال : خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت : يا هشام كيف أنت ؟ قال : أمّا خلع نعليَّ بحاشية بساطك فأني أخلعها بين يدي رب العزة كلَّ يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب عليَّ ؛ وأما ما قلت : لم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً ؛ وأما ما قلت : لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه ، قال : يا داود يا يحيى يا عيسى ، وكنتى أعداءه فقال : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ ؛ وأما قولك : جلست بإزائي ، فأني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالسٍ وحوله قوم قيام ؛ فقال له : عظني ، قال : إني سمعت أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول : إن في جهنم حيّات كالقلال وعقارب كالبلغال تلدغ كلَّ أمير لا يعدل في رعيته . ثم قام وخرج .

قالت امرأة ماجنة : ما بقي أحد إلا فتنته ما خلا طاوس فأني تعرضت له فقال : إذا كان وقت كذا فتعال ، فجئت ذلك الوقت فذهب بي إلى المسجد الحرام فقال : اضطجعي ، فقلت : ها هنا ؟ فقال : الذي يرانا هنا يرانا ثم . وقال رجل لطاوس : ادع لي ، قال : ادعُ أنت لنفسك فإنه يحيب المضطر إذا دعاه .

ابن جريج قال ، قال لي عطاء : جاءني طاوس فقال لي : يا عطاء ، إياك أن

ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وعليك بطلب حوائجك إلى مَنْ بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة ، طَلَبَكَ أَنْ تدعوه ووعدهك الإجابة .

وقال عبد الله بن طاوس : قال لي أبي : يا بنيَّ صاحب العقلاء تُنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن لكل شيء غاية ، وغاية المرء حسن عقله^١ .

وروي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طاوس المذكور ومالك بن أنس رحمهما الله تعالى ، فلما دخلا عليه أطرق ساعة ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، وقال له : حدثني عن أبيك ؟ فقال : حدثني أبي أن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكمه ، فأمسك أبو جعفر ساعة ؛ قال مالك : فضمتُ ثيابي خوفاً أن يصيبني دمه . ثم قال له المنصور : ناولني تلك الدواة ، ثلاث مراتٍ ، فلم يفعل ، فقال له : لم لا تناولني ؟ فقال : أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركك فيها ، فلما سمع ذلك قال : قوما عني ، قال : ذلك ما كنا نبغي . قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم .

والخَوْلَانِي : بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعدها لام ألف ثم نون ، هذه النسبة إلى خَوْلَان ، واسمه أفكل بن عمرو بن مالك ، وهي قبيلة كبيرة نزلت بالشام .

والهمْدَانِي : بسكون الميم وفتح الدال المهملة ، قد تقدم الكلام عليه ونسبته إليهم بالولاء .

أبو الطيب الطبري

أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي؛ كان ثقة صادقاً ديناً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه ، محققاً في علمه ، سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب ، يقول الشعر على طريقة الفقهاء .

[ومن شعره ما أورده له الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي - المقدم ذكره - في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء المعري ، فقال مسنداً عنه : كتبتُ إلى أبي العلاء المعري الأديب حين وافى بغداد ، وكان قد نزل في سويقة غالب :

وما ذاتُ دَرٍّ لا يحلُّ خالِبٍ تناوله واللحمُ منها مُحَلَّلُ
لمن شاءَ في الحالين حيًّا وميتًا ومن شاءَ شُرْبَ الدَّرِّ فهو مُضِلُّ
إذا طعنتُ في السن فاللحمُ طيِّبٌ وآكله عندَ الجميع مُعَقَّلُ
وخرفانها للأكل فيها كزازة فما لحصيفِ الرأي فيهنَّ مأكَلُ
وما يحثني معناه إلا مبرزٌ علمٌ بأسرار القلوب حصَلُ

فأجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالاً :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما صوابٌ ، وبعضُ القائلين مضلل
فمن ظنه كرمًا فليس بكاذِبٌ ومن ظنه نخلاً فليس يجهل
لحومها الأعنابُ والرُّطَبُ الذي هو الحلُّ ، والدَّرُّ الرَّحيقُ المسكَلُ
ولكن ثمارُ النخلِ وهي غضيضةٌ تمرُّ وغضُّ الكرمِ يُجنى ويؤكل

يكلفني القاضي الجليلُ مَسَائِلَ
ولو لمْ أُجِبْ عنها لكنتُ يجهلها
فأجبتُه عنه ، وقلت :

أَنَارَ ضَمِيرِي مَنْ يَعِزُّ نَظِيرُهُ
وَمَنْ قَلْبُهُ كَتَبَ الْعُلُومَ بِأَسْرِهِا
تَسَاوَى لَهُ سِرُّ الْمَعَانِي وَجَهْرُهَا
وَلَمَّا أَنَارَ الْحَبَّ قَادَ مَنِيْعُهُ
وَقَرَّبَهُ مِنْ كُلِّ فَهْمٍ بِكَشْفِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ نَظْمُهُ الدَّرُّ مُسْرَعًا
فِيخْرُجُ مِنْ بَحْرِ وَيَسْمُو مَكَانَهُ
فَهْنَاهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ
فَأَجَابَ مَرْتَجِلًا وَأَمْلَى عَلَى الرَّسُولِ :

أَلَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي بَدَهَائِهِ
فَوَادِكْ مُمְهُورٌ مِنَ الْعِلْمِ أَهْلُ
فَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ النَّاسِ غَيْرَ مُمَوَّلٍ
إِذَا أَنْتَ خَاطَبْتَ الْخُصُومَ مَجَادِلًا
كَأَنَّكَ مِنْ فِي الشَّافِعِيِّ مَخَاطِبِ
وَكَيْفَ يُرَى عِلْمُ ابْنِ إِدْرِيسَ دَارِسًا
تَفَضَّلْتَ حَتَّى ضَاقَ ذَرْعِي بِشُكْرِمَا
لَأَنَّكَ فِي كُنْهِ الثَّرِيَا فَصَاحَةً
'فَعَذْرُكَ' فِي أَنِّي أَجَبْتُكَ وَائْتِقًا
وَأَخْطَأْتُ فِي إِنْفَازِ رُقْعَتِكَ الَّتِي
وَلَكِنْ عَدَانِي أَنْ أَرُومَ احْتِفَاطَهَا
سُيُوفٌ عَلَى أَهْلِ الْخِلَافِ تُسَلِّلُ
وَجَدُّكَ فِي كُلِّ الْمَسَائِلِ مَقْبَلُ
فَأَنْتَ مِنَ الْفَهْمِ الْمُصَوَّنِ مُمَوَّلُ
فَأَنْتَ ، وَهُمْ مِثْلُ الْحَمَامِ ، أَجْدَلُ
وَمِنْ قَلْبِهِ تَلِي فَمَا تَتَمَهَّلُ
وَأَنْتَ بِإِيضَاحِ الْهُدَى مُتَكَفَّلُ
فَعَلْتَ وَكَفَّيْتُ عَنْ جَوَابِكَ أَجْلُ
وَأَعْلَى وَمَنْ يَبْغِي مَكَانَكَ أَسْفَلُ
بِفَضْلِكَ فَالْإِنْسَانُ يَسْهُو وَيَذْهَلُ
هِيَ الْمَجْدُ لِي مِنْهَا أَخِيرٌ وَأَوَّلُ
رَسُولُكَ وَهُوَ الْفَاضِلُ الْمُتَفَضَّلُ

ومن حقها أن يصبح المسكُ عامراً لها وهيَ في أعلى المواضع تجعل
فمن كانَ في أشعاره مُتمثلاً فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل
تجَمَلَتِ الدنيا بأنك فوقها ومثلك حقاً من به تتجَمَل

وذكر السمعاني في « الذيل » في ترجمة أبي الحسن عليّ بن أحمد بن الحسين بن
أحمد بن الحسين بن محمويه اليزيدي أنه كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه : إذا
خرج ذاك قعد هذا في البيت ، وإذا خرج هذا احتاج ذاك أن يقعد . قال
السمعاني : وسمعت يقول يوماً ، وقد دخلت عليه مع علي بن الحسين الغزنوي
الواعظ مسلماً داره ، فوجدته عرياناً ، متأزراً بمنزر ، فاعتذر من العُرْي وقال :
نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيب الطبري :

قَوْمٌ إِذَا غَسَلُوا ثِيَابَ جَمَالِهِمْ لَبَسُوا السُّيُوتَ إِلَى فَرَاغِ الْغَاسِلِ^١

عاش مائة سنة وستين ، لم يختل عقله ولا تغير فهمه ، يُفتي ويستدرك على
الفقهاء الخطأ ويقضي ببغداد ويحضر المواكب في دار الخلافة إلى أن مات .
تفقه بآمل على أبي علي الزجاجي صاحب ابن القاص ، وقرأ على أبي سعد
الإسماعيلي وأبي القاسم بن كجّ يجرجان ، ثم ارتحل إلى نيسابور ، وأدرك أبا
الحسن الماسرجسي فصحبه أربع سنين وتفقه عليه ، ثم ارتحل إلى بغداد وحضر
مجلس الشيخ أبي حامد الاسفرايني . وعليه اشتغل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ،
وقال في حقه : « لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهاداً وأشدّ تحقيقاً وأجود نظراً
منه » .

وشرح مختصر المزني وفروع أبي بكر ابن الحداد المصري ، وصنّف في الأصول
والمذهب والخلاف والجدل كتباً كثيرة .
وقال الشيخ أبو إسحاق : « لازمت مجلسه بضع عشرة سنة ، ودرّستُ
أصحابه في مسجده سنين بإذنه ، ورتبني في حلقة »^٢ .

١ ومن شعره ... إلى فراغ الغاسل : سقط من ص م م والسودة .
٢ طبقات الشيرازي : وسألني أن أجلس في مسجد للتدريس ففعلت ذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة .

واستوطن بغداد وولي القضاء برُبْع الكَرْخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري ، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته .
 وكان مولده بآمُلَ سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وتوفي في شهر ربيع الأول يوم السبت لعشر بقين منه سنة خمسين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، ببغداد ، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب وصلي عليه في جامع المنصور .
 والطبري : قد تقدم الكلام عليه أنه منسوب إلى طبرستان .
 وآمُل : بد الهمة وضم الميم وبعدها لام ، مدينة عظيمة هي قسبة طبرستان .

٣٠٨

ابن بابشاذ النحوي

أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي ؛ يقال إن أصله من الديلم^١ ، وكان هو بمصر إمام عصره في علم النحو ، وله المصنفات المفيدة ، منها : « المقدمة » المشهورة ، وشرحها ، و« شرح الجمل » للزجاجي ، و« شرح كتاب الأصول » لابن السراج ، وجمع في حال انقطاعه شكة^٢ كبيرة في النحو ، يقال إنها لو بُيُضَتْ قاربت خمس عشرة مجلدة ، وسماها النجاة بعده الذين وصلت إليهم « تعليق الغرفة » [وانتقلت هذه التعليقة إلى تلميذه أبي عبد الله محمد بن بركات السعدي^٣ النحوي اللغوي المتصدر موضعه ، ثم انتقلت منه إلى صاحبه : أبي محمد عبد الله بن برّي النحوي المتصدر في مكانه ، ثم انتقلت بعده إلى صاحبه

٣٠٨ - ترجمة ابن بابشاذ النحوي في معجم الأدباء ١٢ : ١٧ وبغية الوعاة ٥ : ٢٧٢ وانباء الرواة

٢ : ٩٥ والشذرات ٣ : ٣٣٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٠٥ .

١ القفطي : أصله من العراق ، وكان جده أو أبوه قدم مصر تاجراً .

٢ الشكة : لم أحدها معي مناسباً في المعجم ، وهي تفيد هنا مجموعة جذاذات .

٣ القفطي : السعدي .

أبي الحسين النحوي المنبوز بثلط القيل ، المتصدر في موضعه ، وقيل : إن كل واحد من هؤلاء كان يهبها لتلميذه ويعهد إليه بحفظها^١ . ولقد اجتهد جماعة من الطلبة في نَسْخِهَا ، فلم يتمكنوا من ذلك^٢ .

وانتفع الناس بعلمه وتصانيفه . وكانت وظيفته بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يُعرض عليه ويتأمله ، فإن كان فيه خطأ من جهة النحو أو اللغة أصلحه كاتبه ، وإلا استرضاه فسيروه إلى الجهة التي كتب إليها ، وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر ، وأقام على ذلك زماناً .

ويحكى أنه كان يوماً في سطح جامع مصر وهو يأكل شيئاً وعنده ناس ، فحضرهم قطاً فرموا له لقمة ، فأخذها في فيه وغاب عنهم ثم عاد إليهم ، فرموا له شيئاً آخر ففعل كذلك ، وتردد مراراً كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب به ثم يعود من فَوْرِهِ ، حتى عجبوا منه ، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرتِه ، فلما استرابوا حاله تبعوه فوجدوه يَرْقَى إلى حائط في سطح الجامع ، ثم ينزل إلى موضع خالٍ صورة بيت خراب ، وفيه قط آخر أعمى ، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله . فعجبوا من تلك الحال ، فقال ابن بابشاذ : إذا كان هذا حيواناً أخرس قد سخر الله سبحانه وتعالى له هذا القط ، وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق ، فكيف يُضَيِّع مثلي؟ ثم قطع الشيخ علائقه واستعفى من الخدمة ونزل عن راتبه ولازم بيته واشتغاله متوكلاً على الله سبحانه وتعالى . وما زال محروساً محمول الكلفة إلى أن مات عشية اليوم الثالث من رجب سنة تسع وستين وأربعمائة بمصر ، ودفن في القرافة الكبرى ، رحمه الله تعالى ، وزرت بها قبره ، وقرأت تاريخ وفاته على حجر عند رأسه ، كما هو هاهنا .

وكان سبب موته أنه لما انقطع وجمع أطرافه وباع ما حوله وأبقى ما لا

١ ذكر الفطلي أنه أرسل من حلب من يشتري له تلك التعليقة بأي ثمن بلغت ، فذكر له الشخص المرسل أنها صارت إلى الملك الكامل محمد بن العادل .

٢ ما بين معقنين لم يرد في المسودة .

بُدَّ له منه ، كان انقطاعه في غرفة يجامع عمرو بن العاص ، وهو الجامع العتيق بمصر ، فخرج ليلة من الغرفة إلى سطح الجامع ، فزلَّتْ رجله من بعض الطاقات المؤدية للضوء^١ إلى الجامع ، فسقط وأصبح ميتاً .
وبإشاذ : بباين موحدين بينها ألف ثم شين معجمة وبعد الألف الثانية ذال معجمة ، وهي كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور .

٣٠٩

طاهر بن الحسين

أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مُصْعَب بن رُزَيْق^٢ بن مَاهَانَ ، ورأيت في مكان آخر : رزيق بن أسعد بن رادويه ، وفي مكان آخر : أسعد بن زاذان — والله أعلم — وقيل مصعب بن طلحة بن رزيق الخزاعي بالولاء الملقب ذا اليمينين ؛ كان جده رزيق بن ماهان مولى طَلْحَةَ الطلحات الخزاعي المشهور بالكرم والجود المفرط ، وكان طاهر من أكبر أعوان المأمون ، وسيره من مَرَوْ كَرَسِيَّ خراسان لما كان المأمون بها إلى محاربة أخيه الأمين ببغداد لما خلع المأمون بيعته ، والواقعة مشهورة ، وسير الأمين أبا يحيى علي بن عيسى بن ماهان لدفع طاهر عنه ، فتواقعا وقُتِل علي في المعركة .
ذكر ابن العظيمي الحلبي^٣ في تاريخه أن الأمين وَجَّه علي بن عيسى بن

١ ص : إلى النور .

٣٠٩ - أخبار ذي اليمينين في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير (ج : ٦) والعيون والحدائق : ٣٣٢ - ٤٦٣ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٥ والديارات : ٩١ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٤٩ والشذرات ٢ : ١٦١ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣ وكتاب بغداد لابن طاهر : في صفحات مختلفة . وانظر التمثيل والمحاضرة : ٢٩١ والجيشياري : ٢٩٠ .

٢ ص : رزيق .

٣ مر التعريف به في ترجمة عماد الدين زنكي .

ماهان لملاقاة طاهر بن الحسين ، فلقية بالري فقتل علي بن عيسى لسبع^١ خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة . قلت : وذكر الطبري في تاريخه^٢ هذه الواقعة في سنة خمس وتسعين ، ولم يعين الشهر ، لكنه قال : إنه قتل في الحرب ، وسير طاهر بالخبر إلى مرو ، وبينهما نحو مائتين وخسين فرسخاً ، فسار الكتاب ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، ولم يذكر في أي شهر ، فوصلهم يوم الأحد ، ثم قال بعد هذا^٣ : وخرج علي بن عيسى من بغداد لسبع ليال خلون من شعبان من سنة خمس وتسعين . والظاهر أن ابن العظيمي اشتبه عليه يوم قتل علي بن عيسى بيوم خروجه من بغداد . ثم قال بعد هذا^٤ : إن الخبر وصل إلى بغداد بقتله يوم الخميس النصف من شوال من السنة ، فيحتمل أنه قتل لسبع أو لتسع من شوال ، وتصحّف على الناسخ شوال بشعبان ، فيكون كما قال الطبري خرج من بغداد في شعبان ، وقتل في شوال أو في رمضان ، والله أعلم .

وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد ، وحاصر بغداد والأمن بها ، وقتله يوم الأحد لست أو أربع خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة ، ذكره الطبري في تاريخه ؛ وقال غيره : إن طاهراً سار إلى المأمون يستأذنه في أمر الأمن إذا ظفر به ، فبعث إليه بقميص غير مَقْمُورٍ ، فعلم أنه يريد قتله ، فعمل على ذلك ، والله أعلم ؛ وحمل رأسه إلى خراسان ووضع بين يدي المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة ، فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته .

وقيل لطاهر ببغداد لما بَلَغَ ما بلغ : لِيَهْنِكَ ما أدركته من هذه المنزلة التي لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان ، فقال : ليس يهينني ذلك ، لأنني لا أرى عجائز بُوشَنَجٍ يتطلعن إليّ من أعالي سطوحهن إذا مررت بهن ، وإنما قال ذلك لأنه ولد ونشأ بها ، وكان جده مصعب والياً عليها وعلى هراة .

١ ص : لتسع .

٢ تاريخ الطبري (حوادث : ١٩٥) ج ١٠ : ١٤١ (من الطبعة المصرية : ١٣٢٦) .

٣ ص : ١٤٩ من المصدر السابق .

٤ نص ما قاله الطبري (ص : ١٥٣) : ومشى القواد بعضهم إلى بعض وذلك يوم الخميس للنصف من شوال سنة ١٩٥ فقالوا إن علياً (يعني علي بن عيسى بن ماهان) قد قتل .

وكان شجاعاً أديباً ، وركب يوماً ببغداد في حرّاقته ، فاعترضه مُقَدَّسُ
ابن صيفي الخلوقي الشاعر ، وقد أدنيت من الشط ليخرج ، فقال : أيها الأمير ،
إن رأيت أن تسمع مني أبياتاً ، فقال : قل ، فأنشأ يقول^١ :

عجبتُ لحرّاقة ابن الحسين لا غرقتُ كيف لا تَغْرَقُ
وبَحْرانٍ : من فوقها واحدٌ وآخرُ من تحتها مُطْبِقُ
وأعجبُ من ذلك أَعْوَادُها وقد مسّها كيف لا تُورِقُ؟

فقال طاهر : أعطوه ثلاثة آلاف ديناراً^٢ ، وقال له : زدنا حتى نزيدك ،
فقال : حسي .

ولبعض الشعراء في بعض الرؤساء ، وقد ركب البحر ، وما أقصر فيه :
ولما امّطى البحرَ ابتَهَلْتُ تضرُّعاً إلى الله يا مُجْري الرياحِ بلطفه
جعلتَ الندى من كفه مثلَ مَوْجِهٍ فسلّمه واجعلْ مَوْجِهٍ مثلَ كفه

وكان طاهر قد احتاج إلى الأموال عند محاصرة بغداد ، فكتب إلى المأمون
يطلبها منه ، فكتب له إلى خالد بن جيلويه الكاتب ليقرضه ما يحتاج إليه ،
فامتنع خالد من ذلك ، فلما أخذ طاهر ببغداد أحضر خالداً وقال له : لأقتلك
شر قتلة ، فبذل من المال شيئاً كثيراً فلم يقبله منه ، فقال خالد : قد قلتُ
شيئاً فاسمعه ، ثم شأنك وما أردت ، فقال طاهر : هاتِ ، وكان يعجبه
الشعر ، فأنشده :

زَعَمُوا بأن الصَّقْرَ^٣ صادفَ مرةً عصفورَ برٍّ ساقَه المقدورُ^٤
فتكلّم العصفورُ تحتَ جناحه والصقرُ مُنْقَضٌ عليه يطير

١ س : فأنشده ، والأبيات منسوبة لعوف بن محلم في طبقات الشعراء : ١٨٩ .

٢ ر : درهم .

٣ م : نبئت أن الباز .

٤ أ : التقدير .

ما كنتُ يا هذا لمثلك لقمة^١ ولئن شويت^٢ فإنني لحقير
فتهاونَ الصقرُ المدلُّ بصيده^٣ كرمًا فأفقلتَ ذلك العصفور

فقال طاهر : أحسنت ، وعفا عنه .

وكان طاهر بفرد عين ، وفيه يقول عمرو بن بانة - الآتي ذكره إن شاء
الله تعالى - :

يا ذا اليمينين وعينٍ واحدٍ نقصانُ عينٍ ويمينٌ زائدة

ويحكى أن إسماعيل بن جرير البجلي كان مداحاً لطاهر المذكور ، ف قيل له :
إنه يسرق الشعر ويمدحك به ، فأحبّ طاهر أن يمتحنه ، فقال له : تهجوني ،
فامتنع ، فألزمه بذلك ، فكتب إليه :

رأيتُكَ لا ترى إلا بعينٍ وعينُكَ لا ترى إلا قليلا
فأما إذ أصبت بفرد عينٍ فخذ من عينك الأخرى كفيلا
فقد أيقنتُ أنك عن قريبٍ بظهر الكف تلتمس السبيلا

فلما وقف عليها قال له : احذر أن تنشدها أحداً ، ومزق الورقة .

ولما استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه الأمين كتب إلى طاهر بن الحسين
المذكور وهو مقيم ببغداد والمأمون مقيم بخراسان بأن يسلم إلى الحسن بن سهل
- المقدم ذكره - جميع ما افتتحه من البلاد ، وهي العراق وبلاد الجبل وفارس
والأهواز والحجاز واليمن ، وأن يتوجه هو إلى الرقة ، وولاه الموصل وبلاد
الجزيرة الفراتية والشام والمغرب ، وذلك في بقية سنة ثمان وتسعين ومائة .
وأخبار طاهر كثيرة - وسيأتي ذكر ولده عبد الله وحفيده عبيد الله في
حرف العين إن شاء الله تعالى - .

١ : مثلي لمثلك لا يفيد بأكله .

٢ : أكلت .

٣ : بنفسه .

وكان مولده سنة تسع وخمسين ومائة . وتوفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين بمدينة مرو رحمه الله تعالى .

وكان المأمون قد ولاه خراسان ، فوردها في شهر ربيع الآخر سنة ست ومائتين ، واستخلف ابنه طلحة ، هكذا قال السلمي في كتاب « أخبار ولاية خراسان » ، وقال غيره^١ : إنه خلع طاعة المأمون ، وجاءت كتب البريد من خراسان تتضمن ذلك ، فقلق المأمون لذلك قلقاً شديداً ، ثم جاءت كتب البريد ثاني يوم أنه أصابته عقيب ما خلع حمى فوجد في فراشه ميتاً ، وقيل إنه حدث به في جفن عينه حادث ، فسقط ميتاً .

[وحكى هارون بن العباس بن المأمون في تاريخه ، قال^٢ : دخل طاهر يوماً على المأمون في حاجة فقضاها وبكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، فقال طاهر : يا أمير المؤمنين لم تبكي ؟ لا أبكي الله عينك ، وقد دانت لك الدنيا وبلغت الأماني ، فقال : أبكي لا عن ذل ولا عن حزن ، ولكن لا تخلو نفس من شجن ، فاعتم طاهر وقال لحسين الخادم وكان يحجب المأمون في خلواته : أريد أن تسأل أمير المؤمنين عن موجب بكائه عندما رأي ، ثم أنفذ طاهر للخادم مائة ألف درهم ، فلما كان في بعض خلوات المأمون وهو طيب خاطر قال له حسين الخادم : يا أمير المؤمنين ، لم بكيت لما دخل عليك طاهر ؟ فقال : مالك ولهذا ويلك ؟ قال : غممني بكاؤك ، فقال : هو أمر إن خرج من رأسك أخذته ، فقال : يا سيدي ومتى أبحت لك سرّاً ؟ قال : إني ذكرت محمداً أخي وما ناله من الذلة ، فخنقتني العبرة ، ولن يفوت طاهراً مني ما يكره ، فأخبر حسين طاهراً بذلك ، فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد فقال له : إن الشناء مني ليس برخيص وإن المعروف عندي ليس بضائع ، فغيبني عن المأمون ، فقال : سأفعل ، فبكّر إليّ غداً ، وركب أحمد إلى المأمون فقال له : لم أتم البارحة ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنك ولّيت خراسان غسان وهو ومن معه أكلة رأس ، وأخاف أن يصطلمه مصطلم ، فقال : فمن ترى ؟ قال : طاهر ، قال : هو

١ انظر تفصيل هذا الخبر في كتاب ابن طاهر : ٧٣ وما بعدها .
٢ ورد الخبر في المصدر السابق : ٢٣ وقد جاء في النسخة ج باختلاف يسير .

جائع ، فقال : أنا ضامن له ، فدعا به المأمون وعقد له على خراسان من ساعته ، وأهدى له خادماً كان رباه ، وأمره إن رأى ما يريه أن يسّمه ، فلما تمكن طاهر من الولاية قطع الخطبة . حكى كلثوم بن ثابت متولي بريد خراسان قال : صعد طاهر المنبر يوم الجمعة وخطب ، فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك ، فكتب بذلك إلى المأمون على خيل البريد ، وأصبح طاهر يوم السبت ميتاً فكتب إليه أيضاً بذلك ، فلما وصلت الخريطة الأولى إلى المأمون دعا أحمد بن أبي خالد وقال : اشخص الآن فأنت به كما ضمننت ، وأكرهه على المسير في يومه ، ثم بعد شذائد أذن له في المبيت ، ثم وافت الخريطة الثانية من يومه بموته ، وقيل : إن الخادم سمّه في كامنخ^١ .

(66) ثم إن المأمون استخلف ولده طلحة على خراسان ، وقيل إنه جعله خليفة بها لأخيه عبد الله بن طاهر الآتي ذكره ، وتوفي طلحة سنة ثلاث عشرة ومائتين ببلنخ .

واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين^٢ لأي معنى كان ، فقيل لأنه ضرب شخصاً في وقته مع علي بن ماهان كما تقدم فقدّه نصفين ، وكانت الضربة بيساره ، فقال فيه بعض الشعراء :

كلنا يدريك يمين^٣ حين تضربه

فلقبه المأمون « ذا اليمينين » ، وقيل غير ذلك .

(67) وكان جده مصعب بن رزيق^٣ كاتباً لسليمان بن كثير الخزاعي صاحب دعوة بني العباس ، وكان بليغاً ، فمن كلامه : ما أحوج الكاتب إلى نفس تسمو به إلى أعلى المراتب ، وطبع يقوده إلى أكرم الأخلاق ، وهمة تكفه عن دنس الطمع ودناءة الطبع .

١ ما بين معقفين سقط من ص س والمودة .

٢ ذكر الثعالي (ثمار القلوب : ٢٩١) أنه لقب بذلك لأن المأمون كتب إليه : « يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يمين » .

٣ انظر الجهشاري : ٧٤ .

وبُوشَنج : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وبعدها جيم ، وهي بلدة بخراسان على سبعة فراسخ من هَراة .
ومُقَدَّس : بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة المكسورة وبعدها سين مهملة ، وهو اسم علم على الشاعر المذكور .
والخَلُوقِي : بفتح الخاء المعجمة وضم اللام وسكون الواو وبعدها قاف ، هذه النسبة إلى خَلُوق أو خَلُوقَة ، وهي قبيلة من العرب مشهورة .
(68) ومات والده الحسين بن مصعب بخراسان في سنة تسع وتسعين ومائة ، وحضر المأمون جنازته وبعث إلى ابنه طاهر وهو بالعراق يعزيه .

٣١٠

سيف الإسلام طفتكين

سيف الإسلام أبو الفوارس طُفْتِكِين بن أيوب بن شاذي بن مروان المنعوت بالملك العزيز ظهير الدين ، صاحب اليمن ؛ كان أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، لما ملك الديار المصرية قد سير أخاه شمس الدولة تُوْرَانَ شاه - المقدم ذكره في حرف التاء - إلى بلاد اليمن ، فملكها واستولى على كثير من بلادها ، ورجع عنها - حسبما هو مذكور في ترجمته - ثم سير السلطان إليها بعد ذلك أخاه سيف الإسلام المذكور ، وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسة . وكان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة حسن السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره ، ودخل إليه شرف الدين أبو المحاسن ابن عزين الدمشقي - الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - ومدحه بغير القصائد ، فأحسن إليه وأجزل صلته ، واكتسب من جهته مالاً وافراً وخرج به من اليمن ،

٣١٠ - ترجمة طفتكين في ابن الأثير ١١ : ٤٨٠ ، ومفرج الكرب ٢ : ١٠٥ وصفحات كثيرة في مرآة الزمان ، والعقود اللؤلؤية ١ : ٢٩ .

فلما وصل إلى الديار المصرية وسلطانها يومئذ الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته ، فعمل^١ :

ما كلُّ من يتَسَمَّى بالعزيز لها أهلٌ ولا كلُّ برقٍ سُحْبُهُ غَدِيقُهُ
بين العزيزين بَوْنٌ في فعَّالها هذاك يُعْطِي ، وهذا يأخذ الصَّدَقَةَ

وكانت وفاة سيف الإسلام في شوال تاسع عشر سنة ثلاث وتسعين وخمسة بالمناصورة ، وهي مدينة اختطها باليمن ، رحمه الله تعالى .

(69) وتولى بعده ولده الملك المعز فتح الدين إسماعيل^٢ ، وللمعز المذكور صنَّف أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري كتابه الذي سماه « عجائب الأسفار وغرائب الأخبار » وأودع فيه من أشعاره وأخبار الناس كثيراً ، وذكر العز بن عساكر أنه مات بالحمراء من بلاد اليمن ، وذكر أبو الغنائم المذكور في كتابه الذي سماه « جهرة الإسلام ذات النثر والنظام »^٣ أنه مات بتعز ، ودفن بها بالمدرسة . ثم قال : وقتل ولده فتح الدين أبو الفداء إسماعيل في رجب سنة ثمان وتسعين ، بمكان يقال له عجي شامي زبيد ، وتولى مكانه أخوه الملك الناصر أيوب^٤ .

[وكان الملك المعز إسماعيل أهوج كثير التخليط بحيث أنه ادعى أنه قرشي من بني أمية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي ، فلما سمع عنه الملك العادل

١ ديوان ابن عني : ٢٢٣ .

٢ راجع نبذة عنه في بلوغ المرام : ٤١ .

٣ من هذا الكتاب نسخة خطية بليدين رقم ٨٠٤ وقد جاء في مقدمتها : « أما بعد فهذا كتاب ألفتُه وبعضه أنشأته لحزافة مولانا الملك المسعود السيد الأجل الكبير العالم العامل المجاهد المظفر المنصور صلاح الدين ملك المسلمين ، ذخر الإسلام ، عدة الأنام ، أسد الدولة ، بهاء الملة ، شمس الملوك والسلطين ، قاتل الكفرة والملهدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، صلاح الدين سلطان اليمن ... الخ » وقد قسمه في ستة عشر كتاباً وختم كل كتاب بإيراد شيء من قوله وقول ولده أحمد في مدح الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن محمد بن سيف الدين أبي بكر .

٤ ترتيب أخبار الملك المعز مختلف في نسخة ص عما هو عليه في سائر النسخ .

ذلك ساء وأهمه وكتب إليه يلومه ويوبخه ويأمره بالعودة إلى نسبه الصحيح ،
وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه ، فلم يلتفت ولم يرجع ؛ وانضاف إلى
ذلك أنه أساء السيرة مع اجناده وامرائه ، فوثبوا عليه فقتلوه وملئوا عليهم
أخاه الملك الناصر محمداً^١ .

(70) وكان أبو الفنائم المذكور أديباً شاعراً ، وكان موجوداً في سنة سبع
عشرة وستائة . فقد توفي في هذه السنة أو بعدها .

(71) وكان أبوه أبو الثناء محمود^٢ نحويّاً متصديراً يجامع دمشق لإقراء النحو ،
وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، وذكره العماد الكاتب في كتاب
« الخريدة »^٣ وقال : توفي بعد سنة خمس وستين وخمسمائة . وقال شرف الدين
ابن عنين : أنشدني محمود المذكور لنفسه ؛

يقولون كافات الشناء كثيرة وما هي إلا واحد غير مُفْتَرَى
إذا صح كاف الكيس فالكلُّ حاصل لديك ، وكل الصيد يوجد في الفراء

وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر ، والله أعلم .
وطُعْنِكَيْنُ : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر التاء المثناة
من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، وهو اسم تركي
[لا أعرف معناه] .

١ زيادة من ص .

٢ قال القفطي (انباه ٣ : ٢٧٣) : كان محمود بن نعمة شاعر ابن منقذ ، وله شعر حسن وكان
يحفظ أشعاراً كثيرة ، وتوفي بدمشق ؛ وانظر أيضاً بغية الوعاة : ٣٩٠ والنجوم الزاهرة ٥ :

٣٥٨ .

٣ الخريدة (قسم الشام) ١ : ٥٧٥ .

٤ الخريدة : ٥٧٦ .

الصالح بن رزيك

أبو الغارات طلائع بن رُزَيْك الملقب الملك الصالح وزير مصر ؛ كان والياً بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر ، فلما قُتِل الظافر إسماعيل صاحب مصر — كما تقدم في حرف الهمزة — سیر أهل القصر إلى الصالح ، واستنجدوا به على عباس وولده نصر المتفقين على قتله ، فتوجه الصالح إلى القاهرة ومعه جمع عظيم من العربان ، فلما قربوا من البلد هرب عباس وولده وأتباعها ومعها أسامة بن منقذ — المذكور في حرف الهمزة أيضاً — لأنه كان مشاركاً لها في ذلك على ما يقال ، ودخل الصالح إلى القاهرة وتولى الوزارة في أيام الفائز ، واستقل بالأمور وتدير أحوال الدولة ، وكانت ولايته في التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وكان فاضلاً سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء محباً لأهل الفضائل جيد الشعر ، وقفت على ديوان شعره وهو في جزأين ، ومن شعره قوله^١ :

كَمْ ذَا يُرِينَا الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَائِهِ عِبْرًا وَفِينَا الصَّدُءُ وَالْإِعْرَاضُ
نَنْسَى الْمَمَاتَ وَلَيْسَ يَجْرِي ذِكْرُهُ فِينَا فَتَنْدُكِرُنَا بِهِ الْأَمْرَاضُ
ومن شعره أيضاً^٢ :

وَمُهَفِّفٍ ثَمَلِ الْقَوَامِ سَرَتْ إِلَى أَعْطَافِهِ النَّشَوَاتُ مِنْ عَيْنِيهِ
مَاضِي اللَّحَاطِ كَأَنَّمَا سَلَّتْ يَدِي سَيْفِي غَدَاةَ الرُّوعِ مِنْ جَفْنِيهِ

٣١١ - ترجمة طلائع بن رزيك في الخريدة (قسم مصر) ١: ١٧٣ وفي الحاشية ثبت بمصادر ترجمته ؛ وانظر النكت المصرية ١: ٣٢ وما بعدها ، وقد جمع محمد هادي الأميني ديوانه (ط. النجف: ١٩٦٤) وألحق بقدمته ثبتاً مفصلاً في مصادر ترجمته (قلت: وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ ديوانه : ٨٤ .

٢ الخريدة ١: ١٧٧ والديوان : ١٧٤ .

قد قلتُ إذ خطَّ العِذارُ بمسكةٍ في خده أَلْفَيْهِ لا لاميهِ
 ما الشعرُ دَبٌّ بعارِضِهِ وإنما أصداعُهُ نَفَضَتْ على خَدَيْهِ
 الناسُ طَوَّعُ يدي وأمرِي نافِذُ فيهمُ وقلبي الآنَ طَوَّعُ يَدَيْهِ
 فاعجبُ لِسُلطانِ يعمُ بعدلِهِ ويحورُ سُلطانُ الغرامِ عليهِ
 واللهِ لوْلا اسمُ الفِرارِ وأنتَ مُستَقْبَحُ لفرَّرتُ مِنْهُ إِلَيْهِ

وروى عنه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الملقب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نُجَيَّة الواعظ المشهور الدمشقي قال : أنشدني طلائع بن رُزَيْك لنفسه بمصر^١ :

مَشْيَبُكَ قد نَضاً صبغَ الشَّبَابِ وحلَّ البازُ في وَكرِ الغُرَابِ
 تَنَامُ ومُقلَّةُ الحِدْثَانِ يَقْطِي وما نابَ النَّوَائِبُ عَنكَ نَابِي
 وكيفَ بقاءَ عُمْرِكَ وهوَ كَنْزٌ وقد أنفَقْتَ مِنْهُ بلا حِسَابِ

وكان المهذب عبد الله بن أسعد الموصلِي نزيل حِمَصَ قد قصده من الموصل ، ومدحه بقصيدته الكافية التي أولها^٢ :

أما كَفَاكَ تَلافي في تَلافِيكَ وَلستَ تَنْقِمُ إلا فرْطَ حُبِّيكا
 وهي من نخب القصائد ، ومخلصُها^٣ :

وَفيمَ تَغْضِبُ أنْ قالَ الوُشاةُ سَلا وَأنتَ تَعْلَمُ أَني لستُ أَسْأَلُوكا
 لا نِلْتُ وَصَلَكَ إنْ كانَ الذي زَعَمُوا ولا شَفَى ظَمِّي جُودُ ابنِ رُزَيْكا
 وهي طويلة طائفة ولولا خوف الإطالة لكتبتها .

١ الديوان : ٥٧ .

٢ س : الحوادث .

٣ انظر ابن الصايوني : ٣٦٠ .

٤ سقطت هذه العبارة من ر .

ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه استمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد ابنته ، فاغتر بطول السلامة ، وكان العاضد تحت قبضته وفي أسره ، فلما طال عليه ذلك أعمل الحيلة في قتله ، فاتفق مع قوم من أجناد الدولة يقال لهم أولاد الراعي وتقرر ذلك بينهم ، وعيّن لهم موضعاً في القصر يجلسون فيه مُسْتَخْفَيْن ، فإذا مرّ بهم الصالح ليلاً أو نهاراً قتلوه ، ففعدوا له ليلة وخرج من القصر ، فقاموا ليخرجوا إليه ، فأراد أحدهم أن يفتح غلّق الباب فأغلقه وما علم ، فلم يحصل مقصودهم تلك الليلة لأمر أراده الله تعالى في تأخير الأجل ، ثم جلسوا له يوماً آخر ، فدخل القصر نهاراً فوثبوا عليه وجرحوه جراحات عديدة بعضها في رأسه ، ووقع الصوت ، فعاد أصحابه إليه فقتلوا الذين جرحوه وحملوا إلى داره مجروحاً ودمه يسيل ، وأقام بعض يوم . ومات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين وأربعمائة . وخرجت الخلع لولده العادل محيي الدين رزّيك - المقدّم ذكره في ترجمة شاور - يوم الثلاثاء ثاني يوم وفاة أبيه ، وكنيته أبو شجاع ، ولما تولى الوزارة لقبوه العادل الناصر . ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة ، أولها :

أفي أهلِ ذا النّادي عليمٌ أسائلُهُ فإني لما بي ذاهبُ الثّبّ ذاهلُهُ
سمعتُ حديثاً أحسّدُ الصّمّ عندهُ ويذهلُ واعيهِ ويخرسُ قائِلُهُ
فهلْ مِنْ جوابٍ يَسْتَفِيثُ بهِ المنى ويعلو على حقّ المُصيبةِ باطلُهُ
وقدْ رابّني مِنْ شاهدِ الحالِ أنّني أرى الدّستَ منصوباً وما فيه كافِلُهُ
فهلْ غابَ عنهُ واستنابَ سليلُهُ أم اختارَ هَجْراً لا يُرجى تواصلُهُ
فإني أرى فوقَ الوجوهِ كآبةً تدلُّ على أنّ الوجوهَ ثواكلُهُ
ومنها :

دَعُونِي فما هذا أوانُ بُكائِهِ سيأتيكم طَلُّ البُكاءِ ووابِلُهُ

١ النكت العصرية : ٥٠ ، وهي في ديوانه في ٧٦ بيتاً .

ولا تُنْكروا حُزْني عَلَيْهِ فَإِنِّي تَقَشَّعَ عَنِّي وَاِبْلُ كُنْتُ أَمَلُهُ
وَلِمَ لَا نُبْكِيهِ وَنَتَدُبُ فَقَدَهُ وَأَوْلَادُنَا أَيْتَامُهُ وَأَرَامِلُهُ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ حُسْنِ فِعَالِهِ وَقَدْ غَابَ عَنَّا مَا بَنَى اللَّهُ فَعَالِهِ
أَيُّكْرَمُ مَتَوَى ضَيْفِكُمْ وَغَرِيبَكُمْ فَيَمَكْتُ أُمُ تَطْوَى بَيْنَ مَرَا حِلِهِ

وهي طويلة ؛ وكان قد دفن بالقاهرة ، ثم نقله ولده العادل من دار الوزارة التي
دفن بها ، وهي المعروفة بإنشاء الأفضل شاهان شاه - المقدم ذكره - ؛ وكان
نقله في تاسع عشر صفر سنة سبع وخمسين في تابوت وركب خلفه العاضد إلى
تربته التي بالقرافة الكبرى ، فعمل في ذلك الفقيه عمارة أيضاً قصيدة طويلة
أجاد فيها ، ومن جملتها في صفة التابوت :

وَكَأَنَّهُ تَابُوتُ مُوسَى أَوْدَعَتْ فِي جَانِبَيْهِ سَكِينَةً وَوَقَارُ

وله فيه مراثٍ كثيرة .

وهذا الصالح هو الذي بنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة .

(72) وأما ولده العادل رُزَيْكٌ فقد ذكرت في ترجمة شاور تاريخ هربه
من القاهرة ، وكان قد حمل معه من الذخائر ما لا يحصى ، ومعه أهله وحاشيته ،
واستجار بسليمان ، وقيل بيعقوب بن النيص^١ اللخمي ، وكان من خواص
أصحابهم ، وحصلَ من جَهِتِهِمْ نعمة وافرة ، فأَنزَلَهُمْ عنده وهو بإطفيح ،
وسار من ساعته إلى شاور وأعلمه بهم ، فندب معه جماعة ومضوا إلى العادل
وأخذوه أسيراً وأحضره إلى باب شاور ، فوقف زماناً طويلاً ثم حبسه .

ثم قال شاور لابن النيص : لقد خَبَأَكَ الصالح ذخيرةً صالحة لولده وأنا
أخْبَوُكَ أيضاً لولدي ، ثم شنقه ، وبقي العادل في الاعتقال مدة مديدة ، ثم قتله

١ يلقب بالملك الناصر ، قال عمارة (النكت : ٥٣) « إن الله لم يمهله إلا مديدة يسيرة ، وكانت
أفعال الخير فيها كثيرة وذلك أنه سامح الناس بالبواقي والحسابات القديمة وأسقط من رسوم الظلم
مبالغ عظيمة ... الخ » .

٢ ص : الفيض ، وأثبتنا ما في ر والمسودة .

وأخرج رأسه لأمرأء الدولة^١ .

ومن العجائب أن الصالح ولي الوزارة في التاسع عشر ، وقتل في التاسع عشر ، ونقل تابوته في التاسع عشر ، وزالت دولتهم في التاسع عشر .
ورزّيك : بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها كاف .

(73) وكانت^٢ ولادة زين الدين الواعظ^٣ المذكور سنة ثمان وخمسة بدمشق ، ونشأ بها وقدم بغداد مراراً ، وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري الأندلسي^٤ على ابنته أم عبد الكريم فاطمة ، وانتقل قبل وفاته إلى مصر ، وحدث بها ، وتوفي يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة تسع وتسعين وخمسة بمصر ، وهو المعروف بابن دُجَيَّة ، رحمه الله تعالى .

١ وأما ولده العادل ... الدولة : لم ترد هذه الفقرة في م .

٢ من هنا إلى آخر الترجمة لم يرد في م .

٣ ترجمة زين الدين علي بن إبراهيم الواعظ في ذيل الروضتين : ٣٤ وذيل ابن رجب ١ : ٤٣٦ ، وفي إحدى رحلاته إلى بغداد (سنة ٥٦٤) كان رسولاً عن نور الدين زنكي ، وهناك تعرف إلى سعد الخير البلنسي وصاهره على ابنته فاطمة ونقلها معه إلى مصر ، وانتقلت كتب سعد الخير إليه ، وكان انتقاله إلى مصر من قبل دولة صلاح الدين ، وهناك كان يعظ بجامع القرافة ، وكان صلاح الدين يسميه عمرو بن العاص لصواب رأيه ، وهو الذي أنهى إلى صلاح الدين خبر مؤامرة عمارة اليمني ورفاقه لإعادة الدولة الفاطمية ، ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه .

٤ أندلسي رحالة وصل الصين وقامى المشقات ، وتلمذ ببغداد للفرزالي ، وسكنها بعد أن استقر فترة بأصبهان ووفي سنة ٥٤١ (ترجمته في التكملة : رقم ٣٠٩١ والذيل والتكملة ٤ : ١٦ ونفع الطيب ٢ : ٦٣٢ ، رقم : ٢٥٥) .

أبو يزيد البسطامي

أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البَسْطَامِيّ الزاهد المشهور ؛ كان جده مجوسياً ثم أسلم ، وكان له أَخَوَان زاهدان عابدان أيضاً : آدم وعلي ، وكان أبو يزيد أجَلَّتْهم . وسُئِلَ أبو يزيد : بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع وبدن عار ؛ وقيل لأبي يزيد : ما أشدُّ ما لقيته في سبيل الله تعالى ؟ فقال : لا يمكن وصفه ، فقيل له : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟ فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني طَوْعاً ، فمنعتها الماء سنة . وكان يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تفتروا به حتى تنظروا كيف تجذونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة . وله مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ، وقيل أربع وستين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وطَيْفُور : بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الفاء وبعد الواو الساكنة راء .

والبسطامي : بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم ، هذه النسبة إلى بَسْطَامَ ، وهي بلدة مشهورة من أعمال قُومِسَ ويقال : إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق ، والله أعلم .

٣١٢ - ترجمة أبي يزيد البسطامي في طبقات السلفي : ٦٧ وحلية الأولياء : ١٠ : ٣٣ وطبقات المناوي : ١ : ٤٤٤ وميزان الاعتدال ٢ : ٣٤٦ وقد وردت في السودة دون نقص .

حَرْفُ الظَّاءِ

أبو الأسود الدؤلي

أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاعة ابن عدي بن الدليل بن بكر الديلي ، ويقال : الدؤلي ، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير ؛ كان من سادات التابعين وأعيانهم ، صحب علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وشهد معه وقعة صفين ، وهو بصري ، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم عقلاً .

وهو أول من وضع النحو ، قيل إن علياً ، رضي الله عنه ، وضع له : الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف ، ثم رفعه إليه وقال له : تم على هذا .

[وكان ينزل البصرة في بني قشير ، وكانوا يرجونه بالليل لمحبتة علياً كرّم الله وجهه ، فإذا ذكر رجهم قالوا : إن الله يرجئك ، فيقول لهم : تكذبون ، لو رحمني الله لأصحب بني ولكنكم ترجون ولا تصيبون ... وهذا بالعكس مما جرى لأبي الجهم العدوي فإنه باع داره بمائة ألف درهم ثم قال : فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟ قالوا : وهل يشتري جوار قط ؟ قال : ردّوا عليّ داري ثم خذوا مالكم ، لا أدع جوار رجل ان قعدت سألتني عني وإن رأيته رحت بي وإن غبت حفظني وإن شهدت قربني وإن سألتني قضيت حاجتي وإن لم أسأله بداني وإن نابتنني جائحة فرّج عني ، فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه بمائة ألف درهم .

٣١٣ - ترجمة أبي الأسود الدؤلي في تهذيب ابن عساكر ٧ : ١٠٤ والخزافة ١ : ١٣٦ والفهرست : ٣٩ ونباه الرواة ١ : ١٣ ومعجم الأدباء ١٢ : ٣٤ وشرح العميون : ١٥٣ وغاية النباهة ١ : ٣٤٥ (وفي حاشية الانباه ثبت واف بمصادر ترجمته) .

وحكى أبو غفر الدؤلي - وكان شاعراً - قال : كنت عند عبد الملك بن مروان إذ دخل عليه أبو الأسود الديلي - وكان أحول دميماً قبيح المنظر - فقال له عبد الملك : يا أبا الأسود ، لو علقت عليك عوذة من العين ، فقال : ان لك جواباً يا أمير المؤمنين ، وأنشد :

افنى الشبابَ الذي افنيت جدته كرهُ الجديدين من آتٍ ومنطلق
لم يتركنا ليَ في طول اختلافها شيئاً أخاف عليه لذعة الحدق

أما والله لئن كانت أبليتني السنون وأسرعت إليّ المنون لما اثبتُ ذاك إلا في موضعه ، ولرب يوم كنت فيه إلى الأنسات البيض اشهى منك إليهن ، وإني اليوم لكما قال امرؤ القيس :

أراهنَّ لا يحبنَّ من قلَّ ماله ولا من رأين الشيب فيه وفوساً
ولقد كنت كما قال أيضاً :

ورعن إلى صوتي إذا ما سمعته كما يرعوي عيط إلى صوت اعيسا

فقال عبد الملك : قاتلك الله من شيخ ما اعظم همتك !
وكان لأبي الأسود من معاوية ناحية حسنة فوعده وعداً أبطأ عليه فقال :

لا يكن برقك برقاً خلباً إن خير البرق ما الغيث معه
لا تنهي بعد إذ أكرمتني فقييحُ عادة منتزعه^١

وقيل إنه كان يعلم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقيين يومئذ ، فجاء يوماً وقال له : أصلح الله الأمير ، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، قال : فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك

١ ما بين معقنين زيادة من د .

بنون ، فقال زياد : توفي أبانا وترك بنون !! ادعوا لي أبا الأسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم .

وقيل : إنه دخل بيته يوماً فقال له بعض بناته : يا أبت ، ما أحسنُ السماء ، فقال : يا بنية نجومها ، فقالت له : إني لم أرد أي شيء منها أحسن ، إنما تعجبت من حسنها ، فقال : إذن فقلولي ما أحسن السماء ، وحينئذ وضع النحو . وحكى ولده أبو حرب قال : أولُ باب رسم أبي بابُ التعجب .

وقيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ يعنون النحو ، فقال : لقلت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقيل إن أبا الأسود المذكور كان لا يخرج شيئاً أخذه عن علي بن أبي طالب إلى أحد ، حتى بعث إليه زياد المذكور : أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً ويُعرف به كتاب الله عز وجل ، فاستعفاه من ذلك ، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ ﴿ ان الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ (التوبة : ٣) بالكسر ، فقال : ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا ، فرجع إلى زياد فقال : أفعُلْ ما أمر به الأمير ، فليبغني كاتباً لقنأ يفعل ما أقول له ، فأتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتي بآخر فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه ، وإن ضمت فمي فانقط بين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت ، ففعل ذلك .

وإنما سمي النحو نحواً لأن أبا الأسود المذكور قال : استأذنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن أضع نحو ما وضع ، فسمي لذلك نحواً ، والله أعلم . وكان لأبي الأسود بالبصرة دار ، وله جار يتأذى منه في كل وقت ، فباع الدار فقليل له : بعث دارك ، فقال : بل بعث جاري ، فأرسلها مثلاً .

ودخل أبو الأسود يوماً على عبيد الله بن أبي بكر نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي رضي الله عنه ، فرأى عليه جبة رثة كان يكثر لبسها ، فقال : يا أبا الأسود أما تملُ هذه الجبة ؟ فقال : ربُّ مملوكٍ لا يُستطاع فراقه ، فلما خرج من عنده بعث إليه مائة ثوب ، فكان ينشد بعد ذلك - وقيل إن هذه

القضية جرت له مع المنذر بن الجارود^١ - :

كساني ولم أستكسبه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت شاكرًا بشكركم من أعطاك والعرض وافر

يروى «ملوك» بالكاف و«مملول» باللام ، و يروى «ناصر» بالنون و«ياصر»
بالياء ، ولكل واحد منها معنى ، فمعناه بالنون ظاهر لانه من النصره وبالياء
من التعطف والحنو ، يقال : فلان يأصر على فلان ، إذا كان يعطف عليه ويحنو .
وله أشعار كثيرة ، فمن ذلك قوله^٢ :

وما طلبُ المعيشة بالتمني ولكن ألقِ دلوك في الدلاء
تجيء بملها طوراً وطوراً تجيء بحمأة وقليل ماء

ومن شعره أيضاً - وله ديوان شعر - :

صبغت أمةً بالدماء أكفنا وطوت أمةً دوننا دنياها

ويحكى أنه أصابه الفالج فكان يخرج إلى السوق يجرُّ رجله ، وكان موسراً
ذا عبيد وإماء ، فقيل له : قد أغناك الله عز وجل عن السعي في حاجاتك ،
فلو جلست في بيتك ، فقال : لا ، ولكنني أخرج وأدخل فيقول الخادم : قد
جاء ، ويقول الصبي : قد جاء ، ولو جلست في البيت^٣ فبالت علي الشاة ما
منعها أحد عني .

وحكى خليفة بن خياط أن عبد الله بن عباس رضي الله عنها كان عاملاً
لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة ، فلما شخّص إلى الحجاز استخلف
أبا الأسود عليها ، فلم يزل حتى قُتل علي رضي الله عنه .
وكان أبو الأسود معروفاً بالبخل ، وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا

١ ديوان أبي الأسود : ٣٨ .

٢ ديوانه : ٣٦ .

٣ أ : بيتي .

لكننا أسوأ حالاً منهم . وقال لبنيه : لا تُجاوِدوا الله عز وجل فإنه أجود وأجود ، ولو شاء أن يوسّع على الناس كلهم لفعل ، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هُزْلاً . وسمع رجلاً يقول : مَنْ يُعْتَسِي الجائع ؟ فقال : عليّ به ، فعشاه ، ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد ؟ قال : أهلي ، قال : هيهات ، ما عشتك إلا على أن لا تؤذي المسلمين الليلة ، ثم وضع في رجله القيد حتى أصبح . وتوفي أبو الأسود بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف ، وعمره خمس وثلاثون سنة رضي الله عنه ، وقيل إنه مات قبل الطاعون بعلّة الفالج ، وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وتولى عمر الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان ، رضي الله عنه . وقيل لأبي الأسود عند الموت : أبشر بالمغفرة ، فقال : وأين الحياء مما كانت له المغفرة ؟

والدليّ : بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، والدوئي : بضم الدال المهملة وفتح الهمزة وبعدها لام ، هذه النسبة إلى الدؤس بكسر الهمزة ، وهي قبيلة من كنانة ، وإنما فتحت الهمزة في النسبة لثلاث تنوالت الكسرات ، كما قالوا في النسبة إلى نَمِرَة نَمَرِي - بالفتح - وهي قاعدة مطردة ، والدئل : اسم دابة بين ابن عرس والثعلب . وحلّس : بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة ، هكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « الإيناس » وهو مما يحرف كثيراً فقد وجدت فيه اختلافاً ، وهذا الأصح .

ظافر الحداد

أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني
الجدامي الإسكندراني المعروف بالحداد الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء
المجيدين وله ديوان شعر أكثره جيد ، ومدح جماعة من المصريين ، وروى عنه
الحافظ أبو طاهر السلفي وغيره من الأعيان . ومن مشهور شعره قوله^١ :

لو كان بالصبر الجميل ملاذُه	ما سَحَّ وابلُ دَمْعِهِ ورَذَاذُه
ما زالَ جيشُ الحبِّ ^٢ يَغزو قلبه	حتى وهى وتَقَطَّعتْ أفلادُه
لم يَبَقَ فيه مع ^٣ الفَرَامِ بقيَّة	إلا رَسيْسٌ يَحْتويهِ جُذادُه
مَنْ كانَ يَرُغِبُ في السَّلامَةِ فليكنْ	أَبداً مِنَ الحَدَقِ المِراضِ عِيادُه
لا تَحْدَعْ عَنكَ بالفتورِ فَإِنَّهُ	نَظَرُ يَضُرُّ بِقَلْبِكَ اسْتِلْذادُه
يا أيها الرِّشَا الذي مِنْ طَرَفِهِ	سَهْمٌ إلى حَبِّ القلوبِ نَفادُه
دُرٌّ يُلوحُ بِفِيكَ مَنْ نَظَّامُهُ	خمرٌ يَجولُ عَلَيْهِ مَنْ نَبَّادُه
وقناةُ ذاكَ القَدِّ كَيْفَ تَقوُّمَتْ	وسِنانُ ذاكَ اللَحْظِ ما فَوَلادُه
رِفْقاً يَحْسمُكَ لا يذوبُ فَإِنِّي	أَخشى بأنْ يَحْفُو عَلَيْهِ لادُه ^٤
هاروتُ يَعجزُ عَنْ مَوَاقِعِ سِحْرِهِ	وهوَ الإمامُ فَمَنْ تَرى أَساذُه

٣١٤ - ترجمة ظافر الحداد في معجم الأدباء ١٢ : ٤٧ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١ - ١٧
والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٦ ورسالة أبي الصلت (نوادير المخطوطات ١ : ٥٣) .

١ ياقوت : ٣١ وديوان ظافر : ١٢٧ .

٢ أ ج : الهم .

٣ م : من .

٤ سقط هذا البيت من م وياقوت .

تالله ما علقتُ مَحاسِنَكَ امرءًا إلا وعزَّ على الوري استنقاذه
أغرِيتَ حُبَّكَ بالقلوب فأذعنتُ طَوْعًا وقد أودى بها استحواده
ما لي أتيتُ الحظَّ مِنْ أبوابِهِ جهدي فدامَ نفُورُهُ ولواذُهُ
إِيَّاكَ مِنْ طَمَعِ المُنَى فَعَزِيزُهُ كذليلِهِ وغنيُّه شَحَاذه
منها :

ذالِية ابن دُرَيْدٍ استهَوَى بِهَا قَوْمًا غَدَاةَ نَبَتٍ به بغدادُهُ
دانُوا لِرُخْرَفِ قَوْلِهِ فَتَفَرَّقَتْ طمعاً بهم صرْعاهُ أو جُدَّاذُهُ
مِنْ قَدَرِ الرِّزْقِ السَّنِيِّ لَكَ أَنَّمَا قد كَانَ لَيْسَ يَضُرُّهُ إِنْفَاذُهُ^١

وهذه القصيدة من غرر القصائد . والعجب أني رأيت صاحبنا عماد الدين أبا المجد إسماعيل المعروف بابن باطيش الموصلي قد ذكر هذه الأبيات في كتابه « المغني » الذي وضعه على كتاب « المذهب » في الفقه ، وفسر فيه غريبه ، وتكلم على أسماء رجاله ، فلما انتهى إلى ذكر أبي بكر محمد بن الحداد المصري الفقيه الشافعي وشرح طرفاً من حاله قال بعد ذلك : وكان مليح الشعر ، أنشدني بعض الفقهاء أبياتاً من قصيدة عَزَّأها إليه ، وذكر بعض هذه الأبيات المكتوبة^٢ هاهنا ، وما أوقعه في هذا إلا كون ظافر يُعرف بالحداد ، والفقيه ابن الحداد ، فجمعتها لفظة الحداد ، فمن هاهنا حصل الالتباس^٣ .
ومن شعره أيضاً :

رَحَلُوا فَلَوْلَا أَنَّنِي أَرْجُو الإِيَابَ قَضَيْتَ نَحْيِي
وَاللَّهِ مَا فَارَقْتَهُمْ لَكِنِّي فَارَقْتُ قَلْبِي

١ ومنها ... يضره إنفاذه : سقط من ص .

٢ ج : المكتوبة .

٣ من قوله : وهذه القصيدة ... الالتباس : لم ترد هذه الفقرة كلها في م .

٤ رسالة أبي الصلت : ٥٤ والديوان : ٥٣ .

(74) وذكر العباد الكاتب في « الحريدة » هذين البيتين للعيني^١ ، ثم قال :
كان العيني من الأجناد الأكياس ، مذكوراً باللباس . وتوفي سنة ست وأربعين
 وخمسمائة . والصحيح أنها لظافر الحداد ، وذكرهما في « الحريدة » في ترجمة
 ظافر الحداد أيضاً^٢ .
وله من جملة قصيد :

يذمُّ المحبُّونَ الرقيبَ وليتَ لي مِن الوصلِ ما يُخشى عليه رقيبُ
وكانت وفاته بمصر في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وقد تقدم
الكلام على الجذامي^٣ .
[وله أيضاً من الشعر في كرسي النسخ :

انظرُ بعينك في بديع صنائي وعجيب تركيبي وحكمة صانعي
فكأنني كفّاً محبِّ شَكَّتْ يومَ الفراق أصابعاً بأصابعِ

وذكره عليّ بن ظافر بن منصور في كتاب « بدائع البدائ»^٥ وأثنى عليه ،
وأورد فيه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين الأمدى النائب كان في الحكم
بشعر الاسكندرية المحروس ، قال : دخلت على الأمير السعيد بن ظفر أيام
ولايته للشر ، فوجدته يقطر دهنأ على خنصره ، فسألته عن سببه ، فذكر
ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه ، فقلت له : الرأي قطع حلقة قبل أن
يتفاقم الأمر فيه ، فقال : اخترتُ مَنْ يصلح لذلك ، فاستدعيت أبا المنصور
ظافر بن القاسم الحداد المذكور ، فقطع الحلقة ، وأنشد بديهاً^٦ :

١ الحريدة ٢ : ١٢٠ .

٢ الحريدة ٢ : ٤ .

٣ هنا تنتهي ترجمة ظافر في المسودة وص م مع اختلاف بينها في الترتيب ، وراعينا ما جاء في
المسودة .

٤ وردا في هامش س ؛ وانظر الحريدة ٢ : ١٤ وياقوت ١٢ : ٣٣ والديوان : ١٩٥ .

٥ انظر بدائع البدائ ٢ : ١٦٠ - ١٦١ .

٦ البيتان في الحريدة : ١٥ وكذلك الأبيات التالية ؛ والديوان : ٢٩٥ ، ١٢٦ ، ٣٤٤ .

قَصَّرَ عَنْ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّائِرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنِ الْبَحْرُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْخَاتِمُ

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة ، وكانت من ذهب . وكان بين يدي
الأمير غزال مستأنس ، وقد رَبَّضَ وجعل رأسه في حجره ، فقال ظافر بديهاً :

عَجِبْتُ لَجُرْأَةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرِ تَخْطِي إِلَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجَبَ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَائِئاً وَكَيْفَ اطمأنَّ وَأَنْتَ الْأَسَدُ

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان . وتأمل ظافر شيئاً كان على باب المجلس
يمنع الطير من دخولها فقال :

رَأَيْتُ بِبَابِكَ هَذَا الْمَنِيفَ شَبَاكاً فَأَدْرَكَنِي بَعْضُ شَكِّ
وَفَكَّرْتُ فِيمَا رَأَى خَاطِرِي فَقُلْتُ الْبَحَارُ مَكَانُ الشَّبَكِ

ثم انصرف وتركنا متعجبين من حسن بديته ، رحمه الله تعالى وغفر له ^١ .

١ انفردت بأكثر ما ورد بين معقنين ، وبعد هذا الموضع زاد في النسخة ج ما يلي :
وقال علي بن ظافر في كتاب « البدائه » : وذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل
خرجوا متزهين إلى الأهرام ليروا عجايب بناؤها ويتأملوا ما سطر الدهر من العبر ، فاقترح بعض
من كان معهم العمل فيها ، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز :

بِمِيشِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَعْجَبَ مَنْظَرَا عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْ هَرَمِي مِصْرَ
أَنَاظَا بِأَعْنََانِ السَّمَاءِ وَأَعْرَفَا عَلَى الْجَوِّ إِشْرَافَ السَّجَاكِ أَوْ النَّسْرِ

وأنشد أبو المنصور ظافر الحداد (الديوان : ٤) :

تَأْمَلُ هَيْئَةَ الْهَرَمَيْنِ وَانْظُرْ وَبَيْنَهُمَا أَبُو الْهَوْلِ الْعَجِيبُ
كَمَهِارَتَيْنِ عَلَى رَحِيلٍ مَحْبُوبَيْنِ بَيْنَهُمَا رَقِيبُ
وَفِيضُ الْبَحْرِ عِنْدَهُمَا دَمُوعُ وَصَوْتُ الرِّيحِ بَيْنَهُمَا نَحِيبُ
وظَاهِرُ سَجْنِ يَوْسُفَ مِثْلُ صَبٍ تَخْلَفُ فَهْرَ عِزْزٍ كَثِيبُ

محتويات الكتاب

حرف الحاء

- ١٤٧ حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس ، أبو تمام الطائي ١١
- ١٤٨ حاتم بن عنوان الأصم ٢٦
- ١٤٩ الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عبدل الثقفي ٢٩
- ١٥٠ حجاج بن أرطاة ، أبو أرطاة النخعي الكوفي ٥٤
- ١٥١ الحارث بن مسكين ، أبو عمر المصري ٥٦
- ١٥٢ الحارث بن أسد المحاسبي البصري ، أبو عبد الله ٥٧
- ١٥٣ الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ، أبو فراس الحمداني ٥٨
- ١٥٤ حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة التجيبي ، أبو حفص ٦٤
- وَأبو عبد الله صاحب الشافعي
- ١٥٥ الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ٦٥
- ١٥٦ الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد ٦٩
- ١٥٧ الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، أبو علي صاحب الإمام الشافعي ٧٣
- ١٥٨ الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى ، أبو سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي ٧٤
- ١٥٩ الحسن بن الحسين بن أبي هريرة ، أبو علي الفقيه الشافعي ٧٥
- ١٦٠ الحسن بن القاسم ، أبو علي الطبري الفقيه الشافعي ٧٦
- ١٦١ الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون ، أبو علي الفارقي الفقيه الشافعي ٧٧

١٦٢	الحسن بن عبد الله بن المرزبان . أبو سعيد السيرافي القاضي	٧٨
	النحوي	
١٦٣	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد ، أبو علي الفارسي	٨٠
	النحوي	
١٦٤	الحسن بن عبد الله بن سعيد . أبو أحمد العسكري	٨٣
١٦٥	الحسن بن رشيد القيرواني . أبو علي	٨٥
١٦٦	الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني . أبو علي	٨٩
١٦٧	الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن ، أبو محمد ابن زولاق	٩١
	المصري	
١٦٨	الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله ، أبو نزار النحوي	٩٢
	المعروف بملك النحاة	
١٦٩	الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا ، أبو محمد	٩٤
	العسكري	
١٧٠	الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن الصباح ، أبو علي المعروف	٩٥
	بأبي نواس السلمى	
١٧١	الحسن بن علي بن أحمد بن محمد ، أبو محمد ابن وكيع التنيسي	١٠٤
١٧٢	الحسن بن علي بن أحمد بن بشار ، أبو بكر ابن العلاف الضرير	١٠٧
١٧٣	الحسن بن علي بن محمد بن باري ، أبو الجوائز الواسطي	١١١
١٧٤	الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بندار ، أبو علي علم الدين الشاتاني	١١٣
١٧٥	الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، أبو محمد ناصر	١١٤
	الدولة ابن حمدان	
١٧٦	الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي ، أبو علي ركن الدولة	١١٨
	ابن بويه	
١٧٧	الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، أبو محمد	١٢٠
١٧٨	الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم ، أبو محمد الوزير المهلبى	١٢٤
١٧٩	الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس ، أبو علي نظام الملك قوام	١٢٨
	الدين الطوسي	

- ١٨٠ الحسن بن علي بن إبراهيم ، أبو علي فخر الكتاب الجويني ١٣١
- ١٨١ الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي ، أبو علي صاحب الشافعي ١٣٢
- ١٨٢ الحسين بن صالح بن خيران ، أبو علي الفقيه الشافعي ١٣٣
- ١٨٣ الحسين بن محمد بن أحمد المروزي ، أبو علي القاضي ١٣٤
- ١٨٤ الحسين بن شعيب بن محمد السنجي ، أبو علي الفقيه الشافعي ١٣٥
- ١٨٥ الحسين بن مسعود بن محمد ، أبو محمد المعروف بالقرءاء البغوي ١٣٦
- الفقيه الشافعي
- ١٨٦ الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ، أبو عبد الله الحلبي ١٣٧
- الفقيه الشافعي
- ١٨٧ الحسين بن محمد الوثني الفرضي الحاسب ، أبو عبد الله ١٣٨
- ١٨٨ الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين ، أبو عبد الله ابن خميس ١٣٩
- الكعبي الموصلي الجهني تاج الإسلام مجد الدين
- ١٨٩ الحسين بن منصور الخلاج ، أبو مغيث الزاهد المشهور ١٤٠
- ١٩٠ الحسين بن عبد الله بن سينا ، أبو علي الحكيم المشهور ١٥٧
- ١٩١ الحسين بن الضحاك بن ياسر ، أبو علي الشاعر المعروف بالخليع ١٦٢
- ١٩٢ الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله ابن الحجاج ١٦٨
- الشاعر
- ١٩٣ الحسين بن علي بن الحسين بن علي ، أبو القاسم الوزير المغربي ١٧٢
- ١٩٤ الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي ، أبو عبد الله ١٧٨
- ١٩٥ الحسين بن محمد بن أحمد ، أبو علي الجبائي الأندلسي المحدث ١٨٠
- ١٩٦ الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد ، أبو عبد الله البار ١٨١
- الدبّاس
- ١٩٧ الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، أبو إسماعيل العميد ١٨٥
- فخر الكتاب مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي
- ١٩٨ الحسين بن علي بن الحسين ، أبو الفوارس ابن الخازن الكاتب ١٩١
- ١٩٩ الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، أبو عبد الله الشيعي ١٩٢
- ٢٠٠ حسان بن سنان بن أوفى بن عوف التنوخي ، أبو ليلى ١٩٤

- ٢٠١ حفص بن سليمان . أبو سلمة الخلال الهمداني ١٩٥
- ٢٠٢ حفص بن غياث بن طلق بن معاوية . أبو عمرو النخعي الكوفي ١٩٨
- ٢٠٣ الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو الأسدي ٢٠١
- ٢٠٤ حماد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت . أبو إسماعيل ٢٠٥
- ٢٠٥ حماد بن أبي ليل سابور - وقيل ميسرة - الديلمي الكوفي . ٢٠٦
- أبو القاسم المعروف بالراوية ٢٠٦
- ٢٠٦ حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي . أبو عمرو وقيل ٢١٠
- أبو يحيى المعروف بعجرد ٢١٠
- ٢٠٧ حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، أبو سليمان الخطابي البستي ٢١٤
- ٢٠٨ حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي ، أبو عمارة ٢١٦
- المعروف بالزيات ٢١٦
- ٢٠٩ حنين بن إسحاق . أبو زيد العبادي الطبيب المشهور ٢١٧
- ٢١٠ حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان ، أبو مروان ابن حيّان ٢١٨
- المؤرخ الأندلسي

حرف الخاء

- ٢١١ خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري ، أبو زيد الفقيه ٢٢٣
- ٢١٢ خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبو هاشم ٢٢٤
- ٢١٣ خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، أبو يزيد ٢٢٦
- وأبو الهيثم ٢٢٦
- ٢١٤ خالد بن خدّاش بن عجلان المهلب ، أبو الهيثم ٢٣١
- ٢١٥ خالد بن يزيد بن الهيثم التميمي الخراساني ، أبو الهيثم ٢٣٢
- ٢١٦ الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإربلي ، أبو العباس الفقيه ٢٣٧
- الشافعي ٢٣٧
- ٢١٧ خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال . أبو القاسم ٢٤٠
- الأنصاري القرطبي

- ٢١٨ خلف بن هشام بن ثعلب ، أبو محمد البزار المقرئ
 ٢١٩ خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الشيباني العصفري البصري .
 ٢٤٣ أبو عمرو
 ٢٢٠ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن
 ٢٤٩ خمارويه بن أحمد بن طولون ، أبو الجيش
 ٢٢٢ خير بن عبد الله النساج الصوفي ، أبو الحسن
 ٢٥١

حرف الدال

- ٢٢٣ داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المعروف بالظاهري .
 ٢٥٥ أبو سليمان
 ٢٢٤ داود ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أبو سليمان
 ٢٥٧ الملقب الملك الزاهد مجير الدين
 ٢٥٩ داود بن نصير الطائي الكوفي . أبو سليمان
 ٢٢٦ دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي الناصري .
 ٢٦٣ أبو الأغر نور الدولة ملك العرب
 ٢٢٧ دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي الشاعر . أبو علي
 ٢٢٨ دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن السجستاني المعدل
 ٢٧١ دلف بن جعدر . أبو بكر الشبلي
 ٢٧٣

حرف الذال

- ٢٣٠ ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة . أبو المطاع
 ٢٧٩ وجيه الدولة ابن حمدان

حرف الراء

- ٢٣١ رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية . أم الخير
 ٢٨٥

٢٣٢	ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ . أبو عثمان المعروف بربيعة
٢٨٨	الرأي
٢٣٣	الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي . أبو محمد
٢٣٤	الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الجيزي الأزدي .
٢٩٢	أبو محمد
٢٣٥	الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله ، أبو الفضل
٢٩٤	ربيع بن حراش بن جحش بن عمرو العبسي الكوفي
٣٠٠	رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ، أبو المقدام
٣٠١	رؤبة بن العجاج بن رؤبة البصري التميمي السعدي ، أبو محمد
٣٠٣	روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي .
٢٣٩	أبو حاتم
٣٠٥	

حرف الزاي

٢٤٠	الزبير بن بكر بن بكار بن عبد الله الأسدي الزبيري .
٣١١	أبو عبد الله
٢٤١	الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله ، أبو عبد الله الزبيري
٣١٣	البصري
٢٤٢	زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور . أم جعفر
٣١٤	زفر بن الهذيل بن قيس بن سيم الحنفي . أبو الهذيل
٣١٧	زند بن الجون ، أبو دلامة
٣٢٠	زنكي بن آق سنقر بن عبد الله ، أبو الجود عماد الدين الملقب
٣٢٧	بالمملك المنصور
٢٤٦	زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي . أبو الفتح
٣٣٠	وأبو الجود عماد الدين المعروف بصاحب ستجار
٢٤٧	زهير بن محمد بن علي بن يحيى . أبو الفضل الملقب بهاء الدين
٣٣٢	الكاتب

٢٤٨	زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسي العامري ، أبو محمد
٣٣٨	البكتائي
٢٤٩	زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن . أبو اليمن تاج الدين الكندي
٣٣٩	
٢٥٠	زيري بن مناد الحميري الصنهاجي
٣٤٣	
٢٥١	زينب بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن عبدوس
٣٤٤	الشعري ، أم المؤيد

حرف السين

٢٥٢	سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . أبو عمرو ويقال أبو عبد الله
٣٤٩	
٢٥٣	سالم الشاعر المعروف بالخاسر ، أبو عمر
٣٥٠	
٢٥٤	سالم بن عيَّاش بن سالم الحنَّاط الأسدي الكوفي ، أبو بكر
٣٥٣	
٢٥٥	سابور بن أردشير . أبو نصر الملقب بهاء الدولة
٣٥٤	
٢٥٦	سري بن المغلِّس السقطي . أبو الحسن
٣٥٧	
٢٥٧	السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء ، أبو الحسن
٣٥٩	
٢٥٨	سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي ، أبو الفوارس شهاب الدين المعروف بجيحص بيص
٣٦٢	
٢٥٩	سعد بن علي بن القاسم بن علي الأنباري . أبو المعالي الحظيري
٣٦٦	الوراق المعروف بدلال الكتب
٢٦٠	سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري . أبو عثمان
٣٦٩	
٢٦١	سعيد بن جبير بن هشام الأسدي . أبو عبد الله وقيل أبو محمد
٣٧١	
٢٦٢	سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المدني . أبو محمد
٣٧٥	
٢٦٣	سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد . أبو زيد الأنصاري
٣٧٨	
٢٦٤	سعيد بن مسعدة المجاشعي . أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط
٣٨٠	

٢٦٥	سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله، أبو محمد ابن الدهان النحوي	٣٨٢
٢٦٦	سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي ، أبو	
	عبد الله	٣٨٦
٢٦٧	سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، أبو محمد	٣٩١
٢٦٨	سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب	٣٩٤
٢٦٩	سليم بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي . أبو الفتح	٣٩٧
٢٧٠	سليمان بن يسار . أبو أيوب ويقال أبو عبد الرحمن ويقال أبو	
	عبد الله	٣٩٩
٢٧١	سليمان بن مهران . أبو محمد المعروف بالأعمش	٤٠٠
٢٧٢	سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشر . أبو داود السجستاني	٤٠٤
٢٧٣	سليمان بن محمد بن أحمد . أبو موسى النحوي المعروف	
	بالخامض	٤٠٦
٢٧٤	سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير . أبو القاسم الطبراني	٤٠٧
٢٧٥	سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ، أبو الوليد الباجي	٤٠٨
٢٧٦	سليمان بن أبي سليمان مخلد وقيل داود ، أبو أيوب المورياني	٤١٠
٢٧٧	سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو ، أبو أيوب	٤١٥
٢٧٨	سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي ، أبو أيوب	٤١٨
٢٧٩	سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم . أبو أيوب	٤٢٠
٢٨٠	سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ، أبو الحارث	
	السلطان السلجوقي	٤٢٧
٢٨١	سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى . أبو محمد التستري	٤٢٩
٢٨٢	سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد . أبو حاتم السجستاني	٤٣٠
٢٨٣	سهل بن أحمد بن علي . أبو الفتح الأرغواني الفقيه الشافعي	٤٣٣
٢٨٤	سهل بن محمد بن سليمان بن محمد ، أبو الطيب الصعلوكي	٤٣٥

حرف الشين

- ٢٨٥ شاور بن مجير بن نزار بن عشائر . أبو شجاع وزير مصر ٤٣٩
- ٢٨٥ ب شاور بن مجير بن نزار بن عشائر ، أبو شجاع وزير مصر ٤٤٣
- ٢٨٦ شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الملقب الملك الأفضل . ٤٤٨
- أبو القاسم ٤٤٨
- ٢٨٧ شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان . الأمير ٤٥٢
- نور الدين ٤٥٢
- ٢٨٨ شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني الخارجي ، أبو الضحاك ٤٥٤
- ٢٨٩ شبيب بن شيبه الخطيب المنقري ، أبو معمر ٤٥٨
- ٢٩٠ شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم القاضي ، أبو أمية ٤٦٠
- ٢٩١ شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي القاضي ، أبو عبد الله ٤٦٤
- ٢٩٢ شعبة بن الحجاج بن الورد ، أبو بسطام ٤٦٩
- ٢٩٣ شعيب بن حرب المدائني ، أبو صالح ٤٧٠
- ٢٩٤ شعيب بن جبير المعروف بأشعب الطامع ٤٧١
- ٢٩٥ شقيق بن إبراهيم البلخي ، أبو علي ٤٧٥
- ٢٩٦ شقيق بن سلمة الأسدي . أبو وائل ٤٧٦
- ٢٩٧ شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبري . فخر النساء الكاتبة ٤٧٧
- ٢٩٨ شيركوه بن شاذي بن مروان . أبو الحارث الملقب الملك المنصور ٤٧٩
- أسد الدين ٤٧٩

حرف الصاد

- ٢٩٩ صالح بن إسحاق الجرمي النحوي . أبو عمر ٤٨٥
- ٣٠٠ صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر . أبو علي أسد الدولة الكلابي ٤٨٧

- ٣٠١ صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي ، أبو العلاء ٤٨٨
 ٣٠٢ صدقة بن بهاء الدولة أبي كامل منصور بن ديبس الأسدي
 الناشري ، أبو الحسن سيف الدولة فخر الدين صاحب
 الحلة السيفية ٤٩٠
 ٣٠٣ صالح بن عبد القدوس البصري ، أبو الفضل ٤٩٢
 ٣٠٤ صالح بن بشير القاريء المعروف بالمرّي ، أبو بشير ٤٩٤

حرف الضاد

- ٣٠٥ الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين ، أبو بحر التميمي
 المعروف بالأخنف ٤٩٩

حرف الطاء

- ٣٠٦ طاوس بن كيسان الحولاني الحمداني اليماني ، أبو عبد الرحمن ٥٠٩
 ٣٠٧ طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، أبو الطيب الطبري ٥١٢
 ٣٠٨ طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي ، أبو الحسن ٥١٥
 ٣٠٩ طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ، أبو الطيب
 المعروف بذي اليمينين ٥١٧
 ٣١٠ طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان ، أبو الفوارس سيف
 الإسلام الملك العزيز ظهير الدين ٥٢٣
 ٣١١ طلائع بن رزيك ، أبو الغارات الملقب الملك الصالح وزير مصر ٥٢٦
 ٣١٢ طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى ، أبو يزيد البسطامي ٥٣١

حرف الظاء

- ٣١٣ ظالم بن عمرو بن سفيان ، أبو الأسود الدؤلي ٥٣٥
 ٣١٤ ظافر بن القاسم بن منصور الاسكندراني المعروف بالحداد ٥٤٠

فهرست التراجم العارضة

٥١	سعيد بن نجاح الأحول	14
٥٤	محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج	15
٦١	سعيد بن حمدان بن حمدون ، والد أبي فراس الحمداني	16
٦٥	حرملة بن عمران ، جد حرملة صاحب الشافعي	17
٩٨	جمال الدين محمود بن عبد الله الإربلي الأديب	18
١٠٤	توزون	19
١٠٦	وكيع (محمد بن خلف) جد ابن وكيع التنيسي	20
١٠٧	مرتضى الدين أبو الفتح نصر بن محمد بن مقلد الشيزري	21
١١٧	الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان	22
١٤٧	أبو سعيد الجنابي القرمطي	23
١٤٨	أبو طاهر الجنابي القرمطي	24
١٥١	عبد الله بن المقفع	25
١٥٦	أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاق	26
١٥٦	ابن أبي عون	27
١٨٩	الكمال السميري نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب	28
١٩٣	زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب	29
٢٠٥	إسماعيل بن حماد ابن الإمام أبي حنيفة	30
٢٣٨	عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر الإربلي	31
٢٣٨	شرف الدين محمد بن عز الدين أبي القاسم نصر بن عقيل الإربلي	32
٢٣٩	سرفتكين مملوك زين الدين علي صاحب إربل	33
٢٤١	أبو مروان عبد الملك بن مسعود ، والد ابن بشكوال	34
٢٤٤	أبو هبيرة خليفة بن خياط ، جد صاحب الطبقات	35
٢٥٠	قطر الندى ابنة خمارويه	36

٢٥٠	الافشين محمد بن أبي الساج	37
٢٥٠	أبو الساج ، والد الافشين	38
٢٦٤	تاج الملوك بدران بن صدقة	39
٣٠٦	يزيد بن حاتم المهلبى والى إفريقية	40
٣٢٩	القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري	41
٣٣١	قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار	42
	مذهب الدين أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن المفضل	43
٣٤٢	ابن التامغاز	
٣٨٥	أبو زكريا يحيى بن سعيد ، ولد ابن الدهان النحوي	44
٣٩٥	عروة بن أذينة	45
٣٩٧	محمد بن إدريس المعروف بمرج الكحل الأندلسي	46
٣٩٩	أبو سعيد إبراهيم بن سليم الرازي	47
٤٠٥	أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني	48
٤٤٢	الملك المنصور أبو الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي	49
٤٤٨	بدر الجمالي	50
٤٥٢	حجة الدين يوسف بن درباس الفندلاوي المغربي	51
٤٥٢	عز الدين أبو سعيد فروخشاه المنعوت بالملك المنصور	52
٤٥٣	عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب	53
٤٥٣	الملك الأجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فروخشاه	54
٤٥٦	أبو المنهال عتبان بن وصيلة الحروري	55
٤٧٨	أبو نصر أحمد بن الفرغ بن عمر الإبري ، والد شهادة الكاتبة	56
	علي بن محمد بن يحيى أبو الحسن الدريني المعروف بثقة الدولة	57
٤٧٨	ابن الأنباري	
٤٨٠	ناصر الدين محمد بن شيركوه	58
٤٨٠	أسد الدين شيركوه ابن ناصر الدين محمد بن شيركوه	59
٤٨١	الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم	60

٤٨١	الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى	61
٤٩١	أبو كامل بهاء الدولة منصور بن ديبس	62
٤٩١	ديبس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري	63
٤٩١	علي بن مزيد الأسدي الناشري	64
٥٠٦	بحر ابن الأخنف بن قيس	65
٥٢٢	طلحة بن طاهر بن الحسين	66
٥٢٢	مصعب بن رزيق بن ماهان ، جد طاهر بن الحسين	67
٥٢٣	الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ، والد طاهر بن الحسين	68
٥٢٤	الملك المعز فتح الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين	69
٥٢٥	أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري	70
٥٢٥	أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري ، والد أبي الغنائم	71
٥٢٩	العادل رزيق ، ولد الملك الصالح وزير مصر	72
٥٣٠	زين الدين الواعظ ، أبو علي ابن إبراهيم	73
٥٤٢	العيني	74